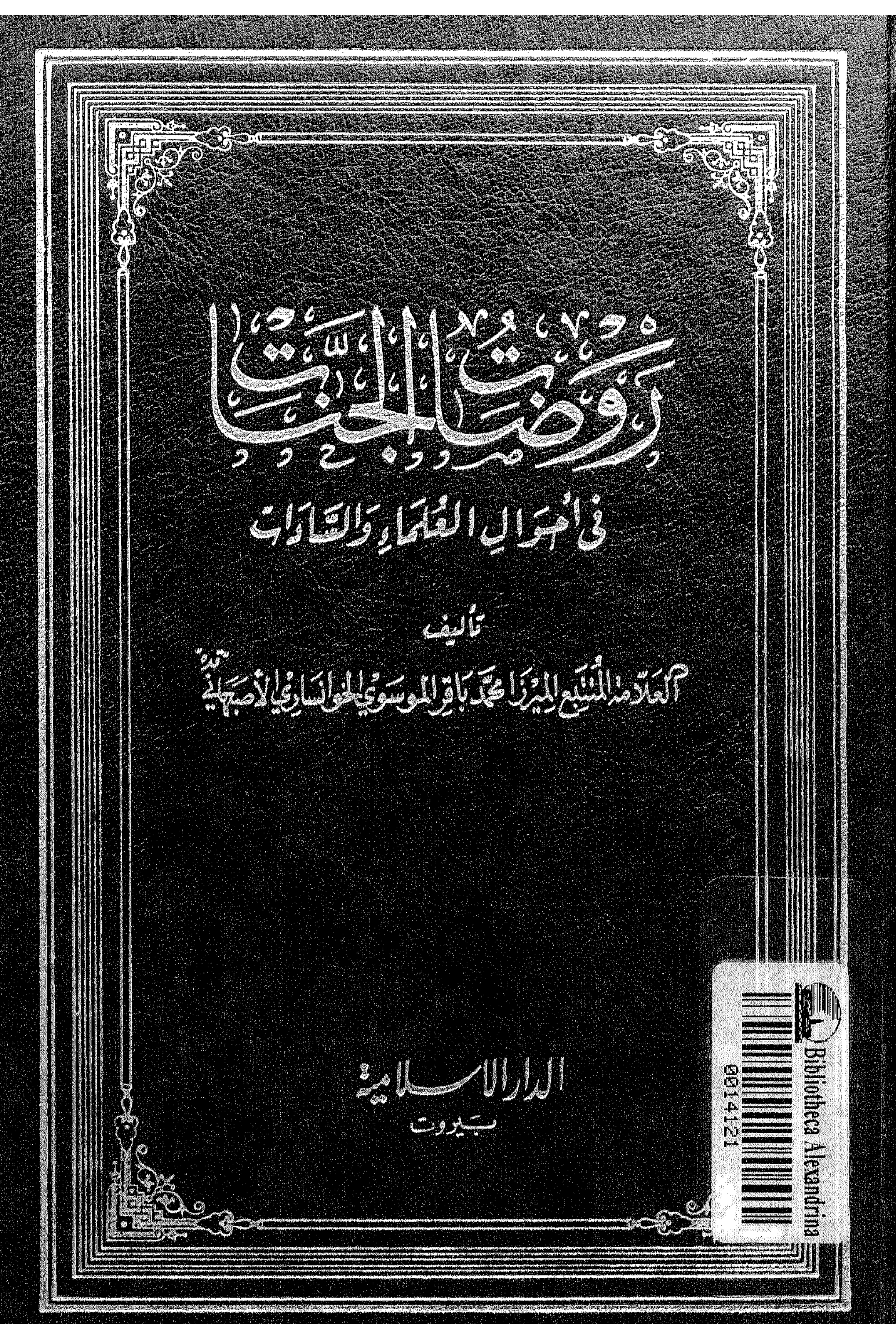

روضات الجنات
في أحوال العلماء والسادات
تأليف
العلامة المتتبع الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني قده
الدار الإسلامية
بيروت
Bibliotheca Alexandrina
0014121







روضات الجنّات

في احوال العلماء والسادات

تأليف

العلامة المتتبع الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الاصبهاني قدس سره

الجزء الثالث

الدار الاسلامية

الطبعة الأولى منقَّحة ومصحَّحة

١٤١١ هجري ١٩٩١ ميلادي

بيروت



كورنيش المزرعة، بناية الحسن سنتر، الطابق الثاني، هاتف: ٨١٦٦٢٧
فرع ثاني: حارة حريك، شارع دكاش، هاتف: ٨٣٥٦٧٠
ص.ب: ١٤٥٦٨ - تلكس: ٢٣٢١٢ - غدير

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

بـــاب

﴿ ما أوله الحاء المهملة من سائر أطباق الفريقين ﴾

٢٢٧
الشيخ أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان البلخي الملقب بالأصم(*)

ذكر القشيري في رسالته إنّـه سمع الأستـاذ أبا عـلي الدقّـاق يقول : جـاءت إمـرأة فسألت حـاتماً عن مسـألة . فـاتفق أنّه خـرج منها صـوت في تلك الحالـة ، فخجلت ، فقال حاتم : إرفعي صوتك ، فأرى من نفسه أنّه أصمّ ، فسرّت المرأة بذلك وقـالت : إنه لم يسمـع الصوت ، فغلب عليـه إسم الأصم ، انتهى[1] وقد كان من كبار أصحاب المعرفة والوجدان والذوّق والعرفان ، عزيز الحـديث في زمن خـلافة المعتصم العبّـاسي ومن تأخّـر عنه ، وقـد صحب شقيقـاً البلخي وغـيره ، وسمع منه أحمـد بن خضرويه البلخي من كبـار مشايـخ خراسـان ، وكانت وفـاته بخـراسان في حـدود سنة سبـع وثلاثـين ومئتين كما في « تـاريخ أخبـار البشر » وله كلمات وحكايات طريفة ذكرها المتفننـون في رسائلهم ، منهـا ما هـو في بعض كتب الأخبار والسير، أنّه قيـل له : بم رزقت الحكمـة ؟ قال : بخلّو البـطن ، وسخاء النّفس ، وسهر الليل ، ومنها ما هـو في بعض المواضـع المعتبرة ، أنّـه قيل لـه وهو

(*) له ترجمـة في حلية الأوليـاء ج ٨ ص ٧٨ وتاريـخ بغداد ج ٨ ص ٢٤١ والـرسالـة القشيريـة ص ١٧ والعبر ج ١ ص ٤٢٤ ومرآة الجنان ج ٢ ص ١١٨ .

(١) الرسالة القشيرية : ص ١٧ .

بالغ مبلغه من العلم والتقى ، ألا تجالس الناس في الجامع ؟ فقال : لا يجلس في الجامع إلاّ جامع ، أو جاهل ، ولست بجامع ولا أحب أن أكون جاهلاً .

ومن كلماته الطريفة : إلزم بيتك فإن أردت الصاحب فالله يكفيك ، وإن أردت الرفيق فرفيقاك يكفيانك ، والقرآن يونسك ، وذكر الموت يعظك ، وإليه ينظر قول علي بن القاسم :

تركت الإنس بالإنس فما في الإنس من أنس
وأقبلت على القرآ نِ دَرساً أيّما درسِ
عسى يونسني ذاك إذا استوحشت من رمسي

ومنها قوله : العجلة من الشيطان إلاّ في خمس : إطعام الطعام إذا حضر ضيف ، وتجهيز الميت إذا مات ، وتزويج البكر إذا أدركت ، وقضاء الدين إذا وجب ، والتوبة من الذنب إذا أذنب .

وكل ذلك مأخوذ من الشريعة ويحكم به العقل القاطع المتين ومنها قوله برواية القشيري : ما من صباح إلاّ والشيطان يقول لي : ما تأكل ؟ وما تلبس ؟ وأين تسكن ؟ فأقول : آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر .

وبروايته أيضاً أنّه قال : من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت : موتاً أبيض وهو الجوع ، وموتاً أسود وهو احتمال الأذى من الخلق ، وموتاً أحمر وهو العمل ومخالفة الهوى وموتاً أخضر وهو طرح الرّقاع بعضها على بعض[١] .

وبروايته أيضاً في غير الموضع إنّه قال : لا تغترّ بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنّة فلقي آدم (عليه السلام) ما لقي ولا تغترّ بكثرة العبادة، فإن إبليس بعد طول تعبّده لقى ما لقي ، ولا تغترّ بكثرة العلم فإن بلعام بن باعوراً كان يحسن إسم الله الأعظم فانظر ماذا لقي ، ولا تغترّ برؤية الصالحين فلا شخص أكبر من المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) لم ينتفع بلقائه أقاربه وأعدائه .

(١) الرسالة القشيرية ص ١٧ وحلية الأولياء ج ٨ ص ٧٨ .

٢٢٨
الشيخ أبو الحسن هنيء الدين حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطبي النحوي(*)

شيخ البلاغة والأدب ، قال أبو حيّان الأندلسي كما نقل عنه صاحب « البغية » : إنّ هذا الرجل كان أوحد زمانه في النظم والنثر واللغة والنحو والعروض وعلم البيان ، روى عن جماعة يقاربون الألف ، وعنه أبو حيّان ، وابن رشيد ، وذكره في رحلته فقال : حبر البلغاء وبحر الأدباء ، ذو اختيارات فائقة ، واختراعات رائقة ، لا نعلم أحداً ممّن لقيناه جمع من علم اللسان ما جمع ، ولا أحكم من معاقد علم البيان ما أحكم ، من منقول ومبتدع وأمّا البلاغة : فهو بحرها العذب ، والمتفرد بحمل رايتها ، أميراً في الشرق والغرب ، وأمّا حفظ لغات العرب وأشعارها وأخبارها ، فهو حمّال[1] رواياتها وجمّال[2] أوقارها ، يجمع إلى ذلك جودة التصنيف وبراعة الخطّ ، ويضرب بسهم في العقليات ، والدراية أغلب عليه من الرواية صنّف : « سراج البلغاء » في البلاغة وكتاباً في القوافي ، وقصيدة في النحو على حرف الميم ، ذكر منها ابن هشام في « المغنى » أبياتاً في المسألة الزنبورية وقد ذكرناها في « الطبقات الكبرى » مع أبيات أخر ، مولده سنة ثمان وستّ مئة ، ومات ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان سنة أربع وثمانين وستّ مئة ، ومن شعره .

من قال حسبي من الورى بشر فحسبي الله حسبي الله
كم آيةٍ للإله شاهدة بأنّه لا إله إلّا هو[3]

(انتهى)

وهو غير حازم المكني بأبي جعفر الرواسي أستاذ أهل الكوفة في العربية ،

(*) له ترجمة في بغية الوعاة ج ١ ص ٤٩١ ، شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٨٧ ، نفح الطيب ج ٣ ص ٣٤ هدية العارفين ص ٢٦٠ .

(١) في البغية حماد راويتها .

(٢) في البغية حمال .

(٣) بغية الوعاة ج ١ ص ٤٩١ .

وتلميذ عيسى بن عمرو صاحب كتاب « الجامع في الإفراد والجمع » كما نقل عن الزبيدي في « طبقاته »[١] .

٢٢٩
حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الحاسمي الطائي العاملي الشامي[*]

كان من أجلاء الشيعة الإمامية الحقّة بنص جماعة ،منهم النجاشي في الفهرست ، والعلاّمة في خلاصته ، وصاحب الأمل فيه ، وفيه أنّه من شيعة جبل عامل الشام ، وقد قال جماعة من العلماء : أنّه أشعر الشعراء ومن تلامذته البحتري ، وتبعهما المتنبي وسلك طريقتهما ، وقد أكثر في شعره من الحكم والآداب وادّعى إنه في غاية الحسن ، وبعضهم فضّل البحتري عليه وقال ابن الرومي : وأرى البحتري يسرق ما قاله ابن أوس في المدح والتشبيب ، كلّ بيت له تجود معناه فمعناه لابن أوس[٢] وعن صاحب كتاب « الحيوان » أنّه قال : حدّثني أبو تمام الطائي ، وكان من رؤساء الرافضة[٣] وعن ابن الغضائري أنّه رأى نسخة عتيقة لعلّها كتبت في أيام هذا الشيخ فيها قصيدة يذكر فيها أئمتنا حتى انتهى إلى أبي جعفر الثّاني (عليه السلام) لأنّه توفي في أيامه[٤] وعن ابن شهر آشوب في مناقبه

---

(١) له ترجمة في طبقات اللغويين والنحويين ص ١٣٥ ونزهة الألباء ص ٥٤ وبغية الوعاة ج١ص٨٢ و٤٩٢ .

(*) وله ترجمة في الأغاني ج ١٥ ص ٩٦، ١٠٤ ، البداية والنهاية ج ١ ص ٢٩٩، ٣٠٢ ، تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢٤٨، ٢٥٣ ، تاريخ أبي الفدا ج٢ص٣٨، تنقيح المقال ج ١ ص ٢٥١ ، خزانة الأدب ج ١ ص ١٧٢ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٤ ، سرح العيون ص ٣٢٤، ٣٣٠ ، طبقات ابن المعتز ص ٢٨٣، ٢٨٧ ، العبر ج ١ ص ٤١١ ، مرآة الجنان ج ٢ ص ١٠٢، ١٠٦ ، معاهد التنصيص ج ١ ص ٣٨، ٤٣ ، أمل الآمل ج ١ ص ٥٠ ، نزهة الألباء ص ١٥٥، ١٥٦ ، رياض العلماء مخطوط .

(٢) أمل الآمل ج ١ ص ٥٠ .

(٣) انظر خلاصة الأقوال ص ٦١ ولم نجد هذا النص الذي نقله العلامة عن الجاحظ في كتاب « الحيوان » مع استيعاب قراء الكتاب بتمامه فليراجع (هامش أمل الآمل) .

(٤) خلاصة الأقوال ص ٦١ .

أن له شعراً يذكر فيه الأئمة إلى القائم (عليه السلام)[١] وعن « طبقات الأدباء » إنّه شامي الأصل وكان بمصر في حداثته يسقي الماء في المسجد الجامع ، ثم جالس الأدباء فأخذ منهم وتعلم ، وكان فهما فطناً وكان يحسن الشعر فلم يزل يعانيه حتى قال الشعر وأجاده وسار شعره ، وذاع ذكره ، وبلغ المعتصم خبره فحمله إليه ، وهو بسرّ من رأى وعمل أبو تمام قصائد وأجازه المعتصم ، وقدم بغداد فجالس بها الأدباء وعاشر العلماء[٢] وفي وفيات الأعيان بعد ما ساق نسبه الشريف بسبع عشرة وسائط إلى يعرب بن قحطان المعروف قال : وكان أوحد[٣] عصره في ديباجة لفظه ونصاعة شعره ، وحسن أسلوبه ، وله كتاب « الحماسة » التي دلّت على غزارة فضله ، واتقان معرفته بحسن اختياره ، وله مجموع آخر سماه « فحول الشعراء » جمع فيه طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمخضرميين والإسلاميين وله كتاب « الاختيارات من شعر الشعراء » وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه غيره .

قيل : إنّه كان يحفظ أربعة عشرة ألف أرجوزة للعرب ، غير القصائد والمقاطيع ، ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم ، وجاب البلاد وقصد البصرة ، وبها عبد الصمد بن المعذل الشاعر ، فلما سمع بوصوله وكان في جماعة من غلمانه واتباعه فخاف أن يميل الناس إليه فكتب إليه قبل قدومه :

أنت بين اثنتين تبرز للنا　　س وكلتاهما بوجه مذال
لست تنفك راجياً لوصال　　من حبيب أو طالباً لنوال
أي ماء يبقى لوجهك هذا　　بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما وقف على الأبيات أضرب عن مقصده ورجع ، وقال : قد شغل هذا ما يليه ، فلا حاجة لنا فيه . وقد ذكرت نظير هذه الأبيات في ترجمة المتنبي في حرف الهمزة[١] .

ولما أنشد أبو تمام أبا دلف العجلي قصيدته البائية المشهورة ، التي أوّلها :

(١) المناقب ج ١ ص ٣١٢ .
(٢) أمل الآمل ج ١ ص ٥١ وانظر نزهة الألباء ص ١٥٥، ١٥٦ .
(٣) في الوفيات : واحد عصره .
(٤) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٣٥ .

على مثلها من أربع وملاعب أُذيلت مصونات الدموع السواكب

استحسنها ، وأعطاه خمسين ألف درهم ، وقال له : والله إنها لدون شعرك ، ثم قال له : والله ما مثل هذا القول في الحسن إلا ما رثيت به محمد بن حميد الطوسي ، فقال أبو تمام ، واي ذلك أراد الأمير؟ قال : قصيدتك الرائية التي أوّلها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وددت والله أنها لك في ، فقال : بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي وأرجو أن أكون المقدم قبله ، فقال : أنّه لم يمت من رثي بهذا الشعر[١] .

ورأيت الناس مطبقين على أنّه مدح الخليفة بقصيدته السينية ، فلما انتهى فيها إلى قوله :

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم احنف في ذكاء إياس

قال له الوزير : أتشبه أمير المؤمنين بأجلاف العرب ؟ فأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه ، وأنشد :

لاتنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والبأس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

فقال الوزير للخليفة : أي شيء طلبه فأعطه ، فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً ، لأنه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكرة وصاحب هذا لا يعيش إلّا هذا القدر ، [وقيل أنّه قال له : أنجزه ما وعدته فلا يبقى لك إلّا الذكر الجميل وهذا الرجل يموت بعد خمسة أيّام أو نحوها ، وذلك أنّه استحضر أشعار العرب فما وجد فيه مخرجاً ، ثمّ أخذ في تعداد الأخبار والأحاديث ، ثم شرع في القرآن فاستقرأه إلى سورة النور حتى وجد هذا المثال فهذا قد أحرق أخلاطه][٢] .

---

(١) بعدها في الوفيات : وقال العلماء : خرج من قبيلة طي ثلاثة ، كل واحد مجيد في بابه : حاتم الطائي في جوده ، وداود بن نصير الطائي في زهده ، وأبو تمام حبيب بن أوس الطائي في شعره ، وأخباره كثيرة .

(٢) الزيادة ليست في المصدر .

قال : فقال له الخليفة : ما تشتهي ؟ قال : أريد الموصل ، فأعطاه إيّاها فتوجه إليها ، وبقي هذه المدة ومات ، ثم تنظر في صحة هذه القصة بما هو حقه[١] ، وقال : ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولي ، ورتّبه على الحروف ، ثم جمعه علي بن حمزة الإصفهاني ، ولم يرتبه على الحروف ، بل على الأنواع ، وكانت ولادة أبي تمام سنة تسعين ومئة ، وقيل : سنة اثنتين وسبعين ومئة[٢] بجاسم وهي قرية من بلد الجولان من أعمال دمشق وطبريّة ونشأ بمصر ، قيل : إنّه كان يسقي الناس ماء بالجرة في جامع مصر ، وقيل : كان يخدم حائكاً ويعمل عنده ، ثم اشتغل وتنقّل إلى أن صار منه ما صار .

وتوفي بالموصل على ما تقدم سنة إحدى وثلاثين ومئتين ، وقيل : بسنة بعدها وقيل بخمس من قبل ـ رحمه الله تعالى ـ ورثاه الحسن بن وهب بقوله :

فُجِع القريض بخاتم الشعراء   وغدير روضتِها حبيبِ الطائي
ماتا مَعاً فتجاوروا في حفرةٍ   وَكذاكَ كانا قبل في الأحياءِ

ورثاه محمد بن عبد الملك الزيّات وزير المعتصم بقوله ، وهو يومئذٍ وزير :

نبأ أتى من أعظمِ الأنباءِ   لما ألم مقلقلُ الأحشاءِ
قالوا : حبيبٌ قد ثوى فأجبتهم   ناشدتكم لا تجعلُوهُ الطائي[٣]

وفي بحار الأنوار نقلاً عن خط الشهيد الأوّل بواسطة : إنّ وفاة حبيب بن أوس بالموصل سنة ثمان وعشرين ومئتين .

ثمّ إن من جملة أشعاره بنقل صاحب الأمل قوله من قصيدة :

ينال الفتى من عيشِهِ وهو جاهل   ويكدي الفتى في عيشِهِ وهو عالمٌ
ولو كانتِ الأرزاقُ تأتي على الحجى   هلكن إذاً من جهلنّ البهائمِ

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٣٧ .

(٢) النص هكذا : وكانت ولادة أبي تمام سنة تسعين ومأة ، وقيل : سنة ثمان وثمانين ومئة ، وقيل : اثنتين وسبعين ومئة ، وقيل : سنة اثنتين وتسعين ومئة ، بجاسم ، وهي قرية من بلاد الجيدور من أعمال دمشق .

(٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٣٤، ٣٤٠ .

فلم يجتمع شرق وغرب لقاصد ولا المجد في كف الفتى والدراهم

وبنقله عن مناقب ابن شهر آشوب قوله :

ربيَ الله والأمين نبيي صفوةُ الله والوصيُّ إمامي
ثم سبطا محمد تالياه وعليٌّ وباقرُ العلمِ حامِ
والتقي الزكي جعفرٌ الطيبُ مأوى المعتر والمعتامِ [٢]
ثم موسى ثم الرضا علم الفضلِ الذي طالَ سائرَ الأعلامِ
والمصفّى محمد بن علي والمعرى من كلِّ سوء وذامِ
والزكي الإمام مع نجلِه القا ثم مولى الأنامِ نورُ الظلامِ
هؤلاءِ الأولى أقام بِهِم حُجَّتَه ذو الجلالِ والإكرامِ [٣]

وإليه ينسب أيضاً هذا البيت :

يَستعذِبونَ منايَاهُم كأنَّهُم لا يسأمُونَ من الدنيا إذا قتلوا

وكذلك هذا البيت :

عليك سلام الله وقفاً فإنني رأيت الكريمَ الحر ليس له عمرُ

وله أيضاً هذه الأبيات في صفة الخمر :

وكأن بهجتَها وبهجةِ كأسها نارٌ ونورٌ قيّدا بوعاء
أو دُرّةٍ بيضاء بكر أطبقت حبلاً على ياقوتة حمراء
يخفي الزجاجة لونها فكأنها في الكف قائمة بغير إناء

وقد أخذ عنه الصاحب بن عباد هذا المعنى في قوله :

« رقّ الزجاج وراقت الخمر » إلى آخر ما مر في ترجمته . ونقل أنه لما سمع بعضهم قوله :

لا تسقني ماء الملام لأنني صبٌّ قد استعذبت ماء بكائي

---

(١) أمل الآمل ج ١ ص ٥٣ .

(٢) في المناقب «له المقر والمقام» .

(٣) المناقب ج ١ ص ٣١٢ .

جهّز له كوزاً قال : أبعث لي في هذا قليلاً من ماء الملام ، فقال أبو تمام : لا أبعثه حتى تبعث لي بريشة من جناح الذل .

٢٣٠
المولى حبيب الله المشتهر بملا ميرزا جان الباغنوي

الشيرازي الأشعري الشافعي المتكلّم الأصولي المنطقي ، كان معاصراً لبلديه المولى جلال الدواني المتكلّم الحكيم والمتقدم ذكره باعتبار اشتهاره باللقب في باب الجيم .

وله كتاب « الردود والنقود » المعروف الذي علّقه على « شرح المختصر العضدي » وغيره من المصنفات والتعليقات ، وكان آية في دقّة النظر واشتعال الذهن ، وتوقّد الذكاء وهمّة المطالعة ، بحيث نقل أنّه كان يجلس كثيراً من الليالي من أول الليل إلى الصباح ويدفع عن نفسه البول ، حتى إذا أراد أن يبول بعد ذلك كان يبول دماً ، وكان ذلك من احتراق بعض مواده المستعدّة من شدّة توجه القوى بالكلية إلى أمر العلم ، وتعطلها عن تدبير مملكة البدن ثم انتقال ذلك إلى المثانة وخروجه من مخرج البول ، كما مرّ نظير ذلك في ذيل الترجمة المتقدمة فليلاحظ .

وباغنوا ، إسم محلة بشيراز المحميّة ، كما أفيد ـ والله العالم ـ .

٢٣١
الشيخ أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي(*)

البصري الأصل ، الزاهد المشهور ، أحد رجال الحقيقة ، وهو ممّن اجتمع

(*) له ترجمة في : تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢١١ ، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٣٤ ، حلية الأولياء ج ١٠ ص ٧٣ ، الرسالة القشيرية ص ١٥ ، شذرات الذهب ج ١ ص ١٠٣ ، صفة الصفوة ج ٢ ص ٢٠٧ ، طبقات الصوفية ص ٥٦ ، طبقات الشعراني ج ١ ص ٦٤ ، العبر ج ١ ص ٤٤٠ ، ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٩٩ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٨ ، طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢٧٥ .

له علم الظاهر والباطن ، وله كتب في الزهد والأصول وكتاب « الرعاية » له ، كان قد ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئاً ، قيل : إنّ أباه كان يقول بالقدر . فرأى في الورع أن لا يأخذ ميراثه ، وقال صحت الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : « لا يتوارث أهل ملتين بشيء » ومات وهو محتاج إلى درهم ـ كذا ذكره ابن خلكان .

وفي باب الفقر من رسالة القشيري إلى الصوفية : إنّ هذه الحائطة كانت للشيخ يوسف بن أسباط الذي هو أيضاً من جملة كبار المشايخ حيث قال : سمعت الحسين بن محمد يقول : سمعت أبا الفرج الورداني يقول : سمعت فاطمة أخت أبي علي الرّودباري تقول : سمعت أبا علي يقول : كان في زمانهم واحد كان لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان وهو يوسف بن أسباط وورث سبعين ألف درهم لم يأخذ منه شيئاً وكان يعمل الخوص بيده .

وآخر كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعاً وهو أبو اسحاق الفزاري وكان ما يأخذ من الإخوان ينفقه في المستورين الذين لا يتحركون .

والذي يأخذه من السلطان كان يخرجه إلى أهل طرسوس .

والثالث كان عبد الله بن المبارك يأخذ من الإخوان ويكافىء عليه ولا يأخذ من السلطان .

والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان وهو مخلّد بن الحسين كان يقول : السلطان لا يمنّ والإخوان يمنّون[١] . (انتهى) .

وأقول : إنّ هذه الطبائع الأربع بعينها توجد في عرفاء هذه الأزمان ، بل علمائهم ، وكأنّه في سائر الأزمنة أيضاً كذلك ، ولكل وجه ، قال الله تعالى :

﴿ ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك ﴾ الآية .

ويحكى أيضاً عن الحارث هذا ، أنّه كان إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة يتحرك على إصبعه عرق فكان يمتنع منه .

---

(١) الرسالة القشيرية : ص ١٣٦ .

وسئل عن العقل ما هو ؟ فقال : نور الغريزة مع التجارب ، يزيد ويقوى بالعلم والحكمة[١] .

وكان يقول : فقدنا ثلاثة : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الأمانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء[٢] .

قلت : ولنعم الكلام هذا ونزيد عليه هذه الثلاثة أيضاً فيما جرّبناه : فقدنا ثلاثة : حسن النظر مع الهمّة وحسن الأدب مع الغيرة وحسن الصوت مع العفّة « الحكمة خ ل » .

ثم هذه الثلاثة ممّا استنبطناه : حسن الحظّ مع المال ، وحسن الإرادة مع الكمال ، وحسن العشرة مع الجمال .

وينظر إلى أمثال هذه المعاني أيضاً قول ربيعة بن عبد الرحمن فيما نقل عنه من أنّ أعزّ الخلائق وأندرهم خمسة أقوام : عالم زاهد ، وفقيه صوفي ، وغني متواضع ، وفقير شاكر ، وشريف أي هاشمي سني .

وقد نظم في نظير هذه المعاني أيضاً بعضهم بالفارسية هكذا :

در جهان ده چيز دشوار است نزد آگهان
كاز تصور كردن آن ميشود دل بى حضور
ناز عاشق ، زهد فاسق ، بذل ممسك ، هزل رذل
عشق با معشوق بد شكل ونظر بازى كور
لحن صوت بى أصولان ، بحث علم أبلهان
ميهمانى بتكليف وگدائى بزور

هذا وتوفي في سنة ثلاث وأربعين ومئتين ـ رحمه الله ـ وفي هذه السنة بعينها كانت وفاة حرملة بن يحيي الفقيه ، وابراهيم بن العباس بن صول تكين الشاعر

(١) في طبقات الشافعية (بالعلم والحلم) .
(٢) الرسالة القشيرية ص ١٢١ .

المتقدّم المشهور المعروف بالصولي في سامرة المباركة[١] كما في « تاريخ أخبار البشر » .

والمحاسبي بضمّ الميم وفتح الحاء المهملة وبعد الألف سين مهملة مكسورةوبعدها باء موحدة .

قال السمعاني : وعرف بهذه النسبة لأنّه كان يحاسب نفسه . وقال : أحمد بن حنبل يكرهه لنظره في علم الكلام وتصنيفه فيه ، وهجره ، فاستخفى من العامّة ، فلما مات لم يصلّ عليه إلاّ أربعة نفر .

وله مع الجنيد بن محمد حكايات مشهورة كذا في الوفيات[٢] وإنّما أخرنا مادة الحارث عن الحبيب أيضاً تأسياً به ، وكان نظره إلى أن الإعتبار في هذه الترتيبات بحال الكتب دون القراءة فليتأمل .

٢٣٢

الأمير الكبير والأديب النحرير أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون ، الحمداني[*]

الشاعر المتقدّم المشهور ابن عمّ ناصر الدولة وسيف الدولة ابني حمدان نقل عن صاحب اليتيمة أنّه قال في وصفه : كان فرد دهره ، وشمس عصره أدباً وفضلاً ، وكرماً ومجداً ، وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر ، بين الحسن والجودة ، والسهولة ، والجزالة ، والعذوبة ، والفخامة ، والحلاوة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف وعزة الملك ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلاّ في شعر عبد الله بن المعتز ، وأبو فراس يعدّ أشعر منه .

---

(١) سر من رأى .

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٨ .

(*) له ترجمة في : أعيان الشيعة ج ١٨ ص ١٩ ، أمل الآمل ج ٢ ص ٥٩ ، تأسيس الشيعة ص ٢٠٨ ، رياض العلماء مخطوط ، سفينة البحار ج ٢ ص ٣٥٥ ، شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٤ ، مجالس المؤمنين ص ٤١١ ، مرآة الجنان : ج ٢ ص ٣٦٩ ، منتهى المقال ص ٣٤٩ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٩ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٩ ، يتيمة الدهر ج ١ ص ٤٨ .

وكان الصاحب بن عباد يقول : بدىءالشعر بمَلِك وختم بمَلِك ، يعني امرأ القيس ، وأبا فراس ، وكان المتنبي يشهد لـه بالتقـدم والتبريـز ، ويتحامى جـانبه وإنّما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيّباً له وإجلالاً ، لا إغفالاً وإخلالاً ، وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ، ويميزه بإكرام على سائر قومه ، ويستصحبه في غزواته ، ويستخلفه في أعماله .

[وأبو فراس ينثر الـدّر الثمين في مكاتبـاته إيّـاه ، ويوفيـه حق سؤدده ويجمع بين أداتي السيف والقلم في خدمته] .

وكانت الروم قد أسرته في بعض وقائعها وهو جريح قد أصـابه سهم ، بقي نصله في فخذه ، ونقلته إلى خرشنة[1] ثمّ منهـا إلى قسطنـطنية وذلـك في سنة ثـمان وأربعين وثلاث مئة ، وفداه سيف الدولة في سنة خمس وخمسين .

ولـه في الأسر أشعار كثـيرة مثبتة في ديـوانه ، وكـانت مدينـة منبـج اقـطاعـاً له[2] .

وله القصيدة الميميـة الطويلة التي تعـرض فيها لمـديح آل محمـد المعصومـين عليهم السلام وللعن أعدائهم وأوّلها :

الأمـــر منهضـم والعـلم منهــزم   وفيء آل رســـول الله مقتـسم[3]

وقد شرحها في هذه المئات الأواخر بعض فضلاء الحائر الطاهر وضمنه كثيراً من الآثار العجيبة والأخبار النوادر ، وينقلها عنه المتأخرون كما بالبال . ومن شعره أيضاً :

قـد كنت عـدّتي التي أسـطو بهـا   ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي
فـرُميت منـك بغـير مـا أمّلتــه   والمــرء يشرق بـالــزلّال البــارد

---

(١) خرشنة بفتح أوله ، وتسكين ثانية وشين معجمة ونون : بلد قرب ملطيه من بلاد الروم .
« معجم البلدان »

(٢) وفيات ج ١ ص ٣٤٩و٣٥٠ .

(٣) وفي الـديوان : الـدين مخترم ، والحق مهتضم . انـظر الديـوان ص ٢٥٥ وفي بعض المـواضـع الحق مهتضم والدين مخترم .

ولـه :

أساء فزادته الإساءة حظوة حبيبٌ ، على ما كان منه ، حبيبُ
يُعدّ علي ـ العاذلون ذنوبه ومن أين للوجه المليح ذنوب

قيل : ومحاسن شعره كثيرة ، قلت : ومن جملة ذلك قوله في الفخريات ـ بنقل صاحب اليتيمة ـ :

أقلّي ، فأيام المحبّ قلائل وفي قلبه شغل عن اللوم شاغل
ووالله ، ما قصرت في طلب العلى ولكن كأنّ الدهر عني غافل
مواعد أيامٍ ، تماطلني بها مراماة أزمان ، ودهر مخاتل
تُدافعني الأيام عمّا أرومه كما دفع الدين الغريم المماطل
خليلي شدا لي على ناقتيكما إذا ما بدا شيب من الفجر ناصل
وما كلّ طلاب ، من الناس بالغ ولا كلّ سيّار إلى المجد ، واصل
وما المرء إلاّ حيث يجعل نفسه وإنّي لها، فوق السماكين ، جاعل
أصاغرنا في المكرمات أكابر أواخرنا في المأثرات أوائل
إذا صلت صولاً ، لم أجد لي مصاولاً وإن قلت قولاً لم أجد من يقاول[1]

وله أيضاً من الفخريات :

ونفس دون مطلبها الثريا وكفّ دونها فيض البحار
عزيزٌ حيث حطّ السير رحلي تُداريني الأنام ولا أداري !
وأهلي من أنخت إليه عيسى وداري حيث كنت من الديار[2]

وله منها أيضاً :

لئن خلق الأنام لحسو[3] كأس ومزمارٍ ، وطنبور ، وعود
فلم يُخلق بنو حمدان إلاّ لمجدٍ ، أو لبأسٍ ، أو لجودِ

وله من الإخوانيات :

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٥٦ .
(٢ يتيمة الدهر ج ١ ص ٥٨ .
(٣) لحث خ ل .

لم أؤاخـذك بـالجـفـاء ، لأني واثق منك بالـوداد الصريح[١]
فجميـل العـدوّ غـير جميـل وقبيـح الصـديق غـير قبيـح

وله في الحكمة والموعظة :

المـرء نصب مصائب لا تنقضي حتى يـوارى جسمه في رمسـه
فمؤجـل يلقى الـردى في أهله ومعجّـل يلقى الـردى في نفسـه

وله أيضـاً :

خفّض عليك، ولا تكن قلق الحشا ممّـا يكـون وعـلّه ، وعسـاه
فـالـدهـر أقصر مـدة ممـا تـرى وعسـاك أن تكفى الـذي تخشـاه

وله من جملة قصيدة :

ولا خـير في دفـع الـردى بمـذلـة كـما ردّها يـومـاً بسـوأتـه عمـرو

يشـير بذلـك إلى حيلة عمرو بن العـاص الملعـون في استخـلاص نفسـه من الصّولة الحيدرية ، أيام صفّين من كشفه العورة ، وقال صاحب الذيل لتـاريخ ابن خلّكان في ذيل تـرجمة ابن عمـه ومخدومـه بالسيف والقلم سيف الـدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان المشتهر اسمه في ملوك الإسلام وسلاطين حـلب والشام والناس يسمّون عصره وزمانه الطراز المذهب ، لأنّ الفضلاء الذين كـانوا عنـده ، والشعراء الذين مدحوه لم يـأت بعدهم مثلهم ، خـطيبه ابن نبـاتة[٢] ومعلّمـه ابن خالويه[٣] وطبّاخه كشاجم[٤] والخالديان[٥] خازنا كتبه ، والسّلامي[٦] والوأواء[٧] والببغاء[٨] وغيرهم شعراءه ، إلى أن قال : ويحكى أنّ أبا فراس كان يوماً بين يـديه

(١) في الديوان : واثق منك بالوفاء الصحيح .
(٢) هو عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة الحذاقي الفارقي ، راجع ترجمته في الوفيات .
(٣) هو حسين بن أحمد بن خالويه تأتي ترجمته .
(٤) هو محمود بن الحسين بن شاهك الكاتب المعروف . انظر ترجمته في « حسن المحاضرة » .
(٥) هما ابنا هاشم ، أبو بكر محمد بن هـاشم بن وعلة بن عثمان الخـالدي « وفيـات الوفيـات » وسعد بن هاشم بن وعلة الخالدي ، (فوات الوفيات) وفيه سماه سعيداً كما ترى « معجم الأدباء » .
(٦) هو أبو الحسن ، محمد بن عبد الله بن يحي بن خليس ، السلامي « وفيات الأعيان » .
(٧) هو أبو الفرج ، محمد بن أحمد ، الغساني ، الدمشقي « فوات الأوفياء » .
(٨) هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي « وفيات الأعيان » .

في نفر من ندمائه فقال لهم سيف الدولة : أيكم يجيز قولي وليس لهم إلا سيدي - يعني أبا فراس - وأنشد :

لك جسمي تعلّه فدمي لم تطلّه ؟

فارتجل أبو فراس وقال :

أنا إن كنت مالكاً فلي الأمر كله
لك من قلبي المكا ن فلم لا تحلّه

فاستحسنه وأعطاه ضيعة بمنبج تغلّ ألفي دينار ، أي تكون مداخلها في كلّ سنة بهذا المقدار والله العالم .

وقتل في واقعة جرت بينه وبين موالي أسرته في سنة سبع وخمسين وثلاث مئه ، قيل : ولما حضرته الوفاة كان ينشد مخاطباً ابنته ؛

أبنيتي لا تجزعي كلّ الأنام إلى ذهابِ
نوحي عليّ بحسرةٍ من خَلفِ سترك والحجابِ
قولي إذا كلمتني فَعييتُ عن ردِّ الجوابِ :
زَيْنُ الشبابِ أبو فِرا سٍ لم يُمتّع بالشبابِ

وقتل أبوه سعيد في رجب سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة ، قتله ابن أخيه ناصر الدولة بالموصل ، عصر مذاكيره حتى مات لقصّة يطول شرحها ، وحاصلها أنّه شرع في ضمان الموصل وديار ربيعة من جهة الراضي بالله ، وفعل ذلك سراً ومضى إليه في خمسين غلاماً فقبض عليه ناصر الدولة حين وصل إليها ثمّ قتله فأنكر ذلك الراضي حين بلغه هذا .

وليعلم أنّ أبا فراس المطلق إنّما هو كنية الفرزدق الشاعر المشهور ويأتي إن شاء الله تعالى ترجمته في باب الهاء ، وكأن هذا الرجل أيضاً كني به تشبيهاً أو تفاؤلاً في كبر السنّ أو صغره .

٢٣٣
الأديب أبو الوليد ـ أو أبو عبد الرحمن ـ أو أبو حسام
حسان بن ثابت بن المنذر بن حزام(*)

بالحاء المهملة والزاي ، الأنصاري المدني الخزرجي ، كان من الشعراء المشاهير في زمن الجاهلية والإسلام ، ومعاصراً للنابغة ، والأعشى ، والحطيئة ، من قدمائهم الأعلام .

ونقل أنّه أدرك النابغة الجعدي ، والأعشى ، وأنشدهما من شعره وكلاهما استجاد شعره ، وقد أخذ عنه ابن عبد الرحمن وابن المسيّب ، وأبو سلمة وأضرابهم المجيدون ، ولم يختلفوا في أنّه قد عاش مئة وعشرين سنة ، ستين في الجاهلية ، وستين في الإسلام ، بل كذلك عاش أبوه وجده كما في بعض التواريخ(١) .

وعن أبي عبيدة أنّه قال : فضل حسّان على الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر رسول الله في النبوة ، وشاعر العرب كلّها في الإسلام ، وإجماع العرب على أنّه أشعر أهل المدن(٢) .

وقال الأصمعي : حسّان أشعر أهل الحضر ، وفي الحديث أنّ نفراً من قريش كانوا يهجون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كابن الزبعري ، وأبي سفيان ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص ، وضرار بن الخطّاب وكان حسّان يدفعهم ويردّ عليهم فتركوا هجوه (صلى الله عليه وآله وسلم) خوفاً من لسانه ، وكان هو ناصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسّنان واللسّان ومخصوصاً بخطاب : لا زلت مؤيّداً بروح القدس ما كان شعرك فينا أهل

(*) له ترجمة في الإستيعاب ج ١ ص ٣٤١ ، أسد الغابة ج ٢ ص ٤ ، الأغاني ج ٤ ص ١٣٨ ، تهذيب الأسماء ج ١ ص ١٥٦ ، الشعر والشعراء ص ٢٢٣ ، طبقات الشعراء ص ٥٢ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٥٦ ، معاهد التنصيص ج ١ ص ٧٢ ، نكت الهميان ص ١٣٤ .
(١) انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٥ .
(٢) الأغاني ج ٤ ص ١٣٦ .

البيت . المراد بروح القدس : هو جبرئيل الأمين كما قالوه في ترجمة ﴿ تَنَزَّلُ الملائِكةُ والروحُ . . ﴾ .

وعن ابن الكلبي أنّه قال كان حسّان لسناً شجاعاً أصابته علّة فجبن وفرّ . وعن ابن سعد أنّه لم يشهد قطُّ مشهداً لما قد كان يجبن ـ هذا ولطائف أشعاره كثيرة لا يسع المقام تفصيلها ، وخير ذلك كلّه بإجماع المتدربّين ، ما كان قد أنشده في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ويقال : إنّه قيل له : لان شعرك في الإسلام يا أبا الحسام ؟ فقال : إن الإسلام يحجز عن الكذب ، يعني : أن الشعر لا يحسنه إلاّ الإفراط في الكذب والتزيّين به ، والإسلام يمنع من ذلك ، وقال : أيضاً ما يجود شعر من يتقي الكذب .

وعن الحارث بن أسد المحاسبي المتقدم عنوانه أنه قال : أصدق بيت قالته العرب قول حسّان بن ثابت رضي الله عنه في سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وما حملت من ناقةٍ فوق كورها أبر وأوفى ذمة من محمد (ص)[١]

ثم عن القاضي تاج الدين السبكي أنّه قال : وهذا حق ونظيره في الصدق قوله رحمه الله أيضاً فيه :

وما فقد الماضون مثل محمد(ص) وما مثله حتى القيامة يفقد[٢]

وأما قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أصدق كلمة قالها لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

فتلك أصدق كلمات لبيد نفسه ، لا أصدق الكلمات مطلقاً[٣] ، وفي بعض

(١ ، ٢) البيت الأول ليس في ديوان حسان المطبوع والبيت الثاني في ديوانه ٨٥ وينسب أيضاً إلى أنس بن زنيم انظر الإصابة ج ١ ر ٧٠ر٣ر٥٢ .

(٣) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢٨٢ .

وقال جلال الدين السيوطي في شرح شواهد المغني « ١ر٣٥٤ » : أخرج ابن عساكر عن يزيد بن عياض بن جعدبة : إنّ النبي (ص) لما قدم المدينة ، تناولته قريش بالهجاء ، فقال لعبد الله بن =

. . . .

= رواحة : ردّ عني . فذهب في قديمهم وأوّلهم ، ولم يصنع في الهجاء شيئاً فأمر كعب بن مالك « فذكر الحرب » فقال :

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدماً ، ونلحقها إذا لم تلحق

ولم يصنع في الهجاء شيئاً فدعا حسان فقال اهجهم وائت أبا بكر يخبرك بمعايب القوم ، فأخرج حسّان لسانه حتى ضرب به على صدره ، وقال : والله يا رسول الله ما أحبّ أن لي به مقولاً في العرب ، فصب على قريش منه شآبيب شرّ فقال رسول الله · اهجهم ، كأنك تنضحهم بالنبل .

وقال أيضاً في موضع آخر من كتابه المذكور « ١ر٢٥٦ » ورأيت في شرح ديوان الأعشى أن الخنساء هي التي نقدت عليه ذلك . قال الأمدي لما أجمعت العرب على فضل النابغة الذبياني وسألته أن يضرب قبة بعكاظ فيقضي بين الناس في أشعارهم لبصره بمعاني الشعر ، فضرب القبّة واتته وفود الشعراء من كل أوب ، فكان يستجيد الجيد من أشعارهم ، ويرذل ، فيكون قوله مسموعاً فيهما جميعاً ومأخوذاً به . فكان فيمن دخل عليه الأعشى وحسّان بن ثابت [والخنساء بنت عمرو بن الشّريد السلمية] فأنشده الأعشى قصيدته :

ما بكاء الكبير بالأطلال

فقال : أحسنت وأجدت ، ثم أنشده حسّان قصيدته :

ألم تسأل الرّبع الجديد التّكلّما

فقال أنك لشاعر ، ثم أنشدته الخنساء قولها :

قذىً بعينيك أم بالعين عوار

فأقبل عليها كالمستجيد لقولها ، فلما فرغت من إنشادها قال : أنت أشعر ذات مثانة فقالت : وذي خصية أبا أمامة ، فقال : وذي خصية ، فغضب حسّان ، وقال : أنا أشعر منك ومنها . فقال : ليس الأمر كما ظننت، ثم التفت إلى الخنساء فقال : يا خناس ، خاطبيه ! فالتفتت إليه فقالت : ما أجود بيت في قصيدتك هذه فقال : قولي :

لنا الجفنات الغُر يلمعن بالضّحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقالت : ضعفت افتخارك ، وانزرته في ثمانية مواضع في بيتك هذا قال : وكيف ؟ قالت : قلت : لنا الجفنات ، والجفنات ما دون العشر ، ولو قلت : الجفان لكان أكثر . وقلت الغرّ والغرّة : بياض تكون في الجبهة ولو قلت : البيض ، لكان أكثر اتساعاً وقلت : يلمعن ، واللمع شيء يأتي بعد شيء ولو قلت يشرقن لكان أكثر ، لأنّ الإشراق أدوم من اللمعان .

قلت : بالضحى ، ولو قلت بالدّجى لكان أكثر طراقاً ، وقلت : وأسيافنا ، والأسياف ما دون العشرة ، ولو قلت : سيوفنا كان أكثر . وقلت يقطرن ، ولو قلت : يسلن لكان أكثر . وقلت : من نجدة ، والنجدات أكثر من نجدة . وقلت دماء ، والدماء أكثر من الدم . فلم يحر حسّان جواباً .

وقال أيضاً « ١ر٣٣٥ » وأخرج أبو الفرج في الأغاني عن أبي وجزة السعدي قال : قال رسول الله (ص) ليس شعر حسان بن ثابت ، ولا كعب بن مالك ، ولا عبد الله بن رواحة ، شعراً ، ولكنه حكمة .

تواريخ العامة نقلاً عن الشعبي يرفعه قال : أتى حسان إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:يا رسول الله أن أبا سفيان بن الحارث هجاك وساعده على ذلك نوفل بن الحارث وكفّار قريش أفأهجوهم يا رسول الله ؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : فكيف تفعل بي ؟ فقال : أسلّك عنهم كما تسلّ الشعرة من العجين ، قال : فاهجهم وروح القدس معك واستعن بأبي بكر فإنّه علامة قريش بأنساب العرب فقال حسّان ـ يهجو نوفل بن الحارث ـ :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزومٍ ووالدُك العبدُ
ومن ولدت أبناء زهرة منكم كرامٍ ولم يلحقْ عجائزك المجدُ
فأنت هجين نيط في آل هاشمٍ كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

فلما أسلم الحارث قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنت مني وأنا منك ولا سبيل إلى حسّان انتهى .

وله أيضاً مدائح للخلفاء الثلاثة بل ولمعاوية بن أبي سفيان ، وقد بقي إلى زمانه وتوفي سنة أربع وخمسين كما عن تقريب ابن الحجر وقيل بل سنة أربعين في زمن خلافة علي (عليه السلام) .

وفي بعض مؤلفات الأصحاب أنّه كان من همج الرعاع الذين كانوا يميلون مع كلّ ريح ، وأن عناده لعلي (عليه السلام) ظاهر ، قال : وذكر شيخنا المفيد أنّه كان من حسّان بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انحراف شديد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان عثمانياً يحرّض الناس على علي بن أبي طالب ويدعوهم إلى نصرة معاوية وذلك مشهور في نظمه ونثره انتهى[1] .

وكلّ ذلك لم يبعد فإن الشاعر كله من لم يعرف أحداً إلّا هواه ولا طلب مقصداً إلّا دنياه ، ولذا قال تبارك وتعالى فيما أوحاه :

﴿ والشعراء يتبعهُمُ الغاوون ألم تر أنّهم في كلّ وادٍ يهيمونَ وأنّهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ .

---

(١) انظر الفصول المختارة ص ٢٠٨ وفيه وكان عثمانياً وحرض الناس على أمير المؤمنين وكان يدعو لنصرة معاوية .

وكان من هذه الجهة ترى أصحاب الرجال يسقطون أمثال هذا الرجل من أقلامهم مع أنّهم يذكرون كثيراً من المجاهيل الذين هم بحسب الظاهر أدون منه بكثيرٍ ولا ينبئك مثل خبير .

ثم ليعلم أنّ من الأدباء والشعراء أيضاً من اسمه حسّان ، غير هذا الرجل مثل حسان بن مالك بن عبدة اللغوي الأندلسي المكنى بأبي عبدة الوزير ، وكان من أئمة اللغة والآداب ، وأهل بيت جلالة ووزارة ، وله كتاب « ربيعة وعقل » .

واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام ، ومات عن سن عالية قبل العشرين وثلاث مئة ومن شعره :

إذا غبت لم أحضر وإن جئت لم أسل فسيان مني مشهد ومغيب
فأصبحت تيمياً وما كنت قبلها لتيم ولكن الشبيه نسيب

كما عن معجم الأدباء[(١)] .

ومثل حسّان بن عبد الله بن حسان الأستجي الفقيه المحدّث المتصرف في اللغة والإعراب والعروض ومعاني الشعر وعلم العدد كما في « طبقات النحاة » وفيه أنّه سمع من عبيد الله ابن يحي ، ومنه اسماعيل بن إسحاق الحافظ ، ومات في سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة[(٢)] .

٢٣٤
الشيخ أبو سعيد حسن بن أبي الحسن بن يسار[(*)]

البصري الميساني الأب والأصل ، نسبته إلى ميسان بالفتح وهي بُليدة بأسفل البصرة ، كما عن السمعاني .

---

(١) معجم الأدباء ج ٣ ص ٥ .

(٢) له ترجمة في تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٣٦ وبغية الوعاة ج ١ ص ٥٤٤ .

(*) له ترجمة في تذكرة الأولياء ، تهذيب الأسماء ج ١ ص ١٦١ ، حلية الأولياء ج ٢ ص ١٣١ ، ذكر أخبار إصفهان ج ١ ص ٢٥٤ ، شذرات الذهب ج ١ ص ١٣٦ ، طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٧٦ ، طبقات المعتزلة ص ١٢ ، العبر ج ١ ص ١٣٦ ، مرآة الجنان ص ٢٢٩ ، المعارف ص ٤٤٠ ، ميزان الاعتدال ج ١ ص ٥٢٧ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٥٤ .

والبصرة : هي المدينة المشهورة من الإقليم الثالث ، مُصّرت قبل الكوفة بسنة ونصف في خلافة عمر بن الخطاب بقرب البحر ، كثيرة النخيل والأشجار ، سبخة التربة ، ملحة الماء ، لأنّ مداً يأتي من البحر يمشي إلى ما فوق البصرة بثلاثة أيّام ، وماء دجلة والفرات إذا انتهى إليها وخالطه ماء البحر يصير مالحاً .

من عجائبها المد والجزر ، وذلك أن دجلة والفرات يجتمعان قرب البصرة ، ويصيران نهراً عظيماً يجري من ناحية الشمال إلى الجنوب ، فهذا يسمونه جزراً ، ثم يرجع من الجنوب إلى الشمال ويسمونه مداً ، يفعل ذلك في كلّ يوم وليلة مرتين .

ينسب إليها أبو سعيد بن أبي الحسن البصري أوحد زمانه ، مات سنة عشر ومئة عن ثمان وثمانين سنة .

وأبو بكر محمد بن سيرين وهو مولي أنس بن مالك ، أعطاه علم تعبير الرؤيا .

ومنها : القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني ، كان إماماً عالماً فاضلاً .

بها كانت وقعة الجمل بين علي (عليه السلام) وعائشة أم المؤمنين وعطب فيها طلحة بن عبيد الله والزبير كذا في « تلخيص الآثار » .

وقال ابن خلّكان في « وفيات الأعيان » عند ذكره للرجل بما أوردناه من العنوان : كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وجمع كل فن : من علم ، وزهد ، وورع ، وعبادة وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري وأمه خيرة ، مولاة أم سلمة ، زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ ثديها تعلّله به إلى أن تجيء أمه فدرّ عليه ثديها فشربه فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك .

ونشأ الحسن بوادي القرى وكان من أجمل أهل البصرة حتى سقط عن دابته فحدث بأنفه ما حدث .

وحكي الأصمعي عن أبيه ، قال : ما رأيت أعرض زنداً من الحسن ، كان عرضه شبراً .

ومن كلامه : ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشكٍ لا يقين فيه إلاّ الموت[١] كذا ذكره ابن خلكّان .

وأقول : وهو من كبار مشايخ الصوفية وله محاسن من الكلام وحكم ومواعظ بين الأنام .

منها بنقل بعض معتبرات الأرقام قوله : أمور الدنيا تجري على خمسة عشر وجهاً ، فخمسة منها بالعادة وهي : الأكل والشرب والمشي والنكاح والصلاة .

وخمسة منها بالتعليم وهي : الأدب والكتابة والرمي والسباحة ، والصناعة .

وخمسة منها بالتقدير وهي : الحسن والقبح والفقر والغنى والعمر[٢] ، ومن جملة كلماتها الطريفة أيضاً بنقل القشيري في باب الذكر من رسالته إلى الصوفية : تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء : الصلاة والذكر وقراءة القرآن فإن وجدتم ، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق[٣] .

ومنها بنقله في باب الورع ، قال : مثقال ذرة من الورع ، خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة[٤] .

ومنها برواية صاحب الكشكول قوله وقد سئل عن حال الدنيا : شغلني توقع بلائها عن الفرح برخائها ، فأخذه أبو العتاهية وقال :

تزيده الأيام إن أقبلت　　شدة خوف لتصاريفها
كأنّها في حال إسعافها　　تسمعه رقعة تخويفها[٥]

ومنها قوله : أعوزني شيئان : درهم حلالٍ ، وأخ في الله .

وقيل له كيف أصبحت يا أبا سعيد ؟ فقال عرضاً لثلاثة أسهم سهم بلية ، وسهم رزية ، وسهم منية .

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٥٤ .
(٢) خمس رسائل ص ١٣٦ .
(٣) الرسالة القشيرية ص ١١٢ .
(٤) نفس المصدر ص ٥٩ وفيه مثقال ذرة من الورع السالم .
(٥) الكشكول ص ٢٧٨ .

ولـه أيضاً : يـا من يطلب من الـدنيا مـا لا تلحقـه ، أتـرجـو أن تلحق من الآخرة ما لا تطلبه[١] ؟ .

وقال لرجل حضر جنازة : أتراه لو رجع إلى الدنيا لعمل صالحاً ؟ .

فقال : نعم ، قال : فإن لم يكن هو فكن أنت .

وفي محاضرات الراغب أنّه قال ـ وهو في جنازة ـ : يا قوم إن هـذا الرجـل لو كـان أخـذه سلطانكم لفـزعتم ؟ قـالـوا : بـلى ، قـال : قـد أخـذه ربكم فلم لا تفزعون ؟

وفيه أيضاً قال : اجتمع فرقد السبخي والحسن على مائـدة ، فأتي بجـام فيه خبيص ، فأبى فرقد أن يأكل ، وقال : أخاف أن لا يشكر الله عليه ، فقال فلنعمة الله عليك في الماء البارد أعظم منهـا عليك في الخبيص . .

قال الشيخ أبـو القاسم الـراغب بعد ذكـره لذلـك : فانـظر إلى قدر الحسن وفهمـه ، وإلى ضعف رأي فرقـد ، واعتبر بهـما قول النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : فضـل العلم أحبّ إليّ من فضـل العبـادة ، ولفقيـه واحـد أشـد عـلي الشيطان من ألف عابد[٢] إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرةً ويوجد في مواضعها المعدة لها من كتب المواعظ ، ومواعظه الحسنة مشهورة ، وكذا أقاويله المتشتّتة في الفقه ، والأصـول ، والتصـوّف ، والتفسـير ، وخصـوصـاً الأخـير ولـه كتـاب سـمّاه « الإخلاص » وكأنه في الفقه ، وسيـأتي إليه الإشـارة في ترجمـة الحسين الحـلاج إن شاء الله وكان عمـر بن عبد العـزيز الأمـوي يقوم بحق حـرمته ، ويعتقـد فيه كـلّ الخير ، حتّى أنّه نقـل ابن عساكـر عن محمد بن الـزبير أنـه قال : أرسلني عمـر بن عبـد العزيـز إلى الحسن البصري أسألـه عن أشياء ، قـال فقلت لـه : اشفني فيـما اختلف فيـه الناس ، هـل كان رسـول الله استخلف أبـا بكـر ؟ فـاستـوى الحسن قاعداً ، فقال : أو في شك هو لا أبا لك ؟ أي والله الذي لا إلّه إلا هو ! استخلفه وهو كان أعلم بالله وأتقى له ، وأشـد له مخـافة من أن يمـوت عليها لـو لم يؤمره !!

(١) نفس المصدر ص ٣٢٣ .

(٢) محاضرات الراغب ج ٢ ص ٦٢٩

وأقول له : قصم الله ظهرك وقطع وتينك في هذا اليمين المغلّظ في هذا الأمر العظيم لو كان الأمر كما نقله هذا الراوي والعهدة عليه .

وقد عاصر خمسة من أئمتنا المعصومين (عليهم السلام) وبلغ عمره نحواً من تسعين وأخذ عن مجلسي شعبي وابن سيرين وغيرهما من الفقهاء والمفسرين وكان يقال : فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة ، إلّا أنّه غير مرضي عند الشيعة الإمامية ، لورود مطاعن شديدة فيه عن أهل البيت (عليهم السلام) وعدم حضوره مع هذا العمر الطويل وقعة الطفّ ، ونصرته للحسين المظلوم من غير عذر ، وفي الحديث أنّه لقى الإمام زين العابدين (عليه السلام) فقال له الإمام : يا حسن أطع من أحسن إليك ، وإن لم تطعه فلا تعص له أمراً ، وإن عصيته فلا تأكل له رزقاً ، وإن أكلت رزقه وسكنت داره فأعد له جواباً وليكن صواب[1] .

وعن كتاب المنتظم لأبي الفرج ابن الجوزي البغدادي نقلاً عن الحسن البصري المذكور أنه قال : كنت ذات يوم في الكعبة فرأيت شاباً حسن الثياب كأنّ القمر ليلة البدر متلثماً يبكي ويتضرّع في هذه الأبيات :

ألا أيُّها المأمول في كل حاجةٍ	شكوت إليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي ، أنت كاشف كربةٍ	فهب لي ذنوبي كلّها واقضِ حاجتي
وإني إليك القصد في كلّ مطلب	وأنت غياث الطالبين وغايتي
أتيت بأفعالٍ قباح رديّة	فما في الورى خلق جنى كجنايتي
فزادي قليلٌ لا أراه مبلغي	أللزاد أبكي أم لبعد مسافتي ؟
أتجمعني والظالمين موافقاً	فأين طوافي ثم أين زيارتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى	فأين رجائي ثم أين مخافتي؟
فيا سيدي فامنن علي بتوبةٍ	فإنك رب عالم بمقالتي

قال : فدنوت منه فإذاً هو الإمام بن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي (عليهم السلام) ، فقبّلت رجليه ، وقلت : يا سلالة النبوة ما هذه المناجاة

(١) الكشكول ص ١٢٩ .

والبكاء وأنت في أهل بيت قال الله عز وعـلا فيكم ﴿ **ليذهب عنكم الرجس أهـل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ قـال (عليه السـلام) : دع يا ابن أبي الحسن ! خلقت الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً وخلقت النار لمن عصاه ولو كان حراً قـرشياً ، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : إيتوني بأعمالكم لا بأنسابكم .

وفي كتـاب مصابيح القلوب[١] أيضـاً نقـل حـديث مـلاقـاتـه الحسـين بن علي (عليهما السلام) ليلاً بالمسجد وهو ساجد يبكي ويقول :

يـا ذا المعـالي عليـك معتمـدي   طـوبى لـعبـد تـكـون مـولاه
طـوبى لعبـدٍ خـائفٍ خجـلٍ   يـشكـو إلى ذي الجـلال بـلواه
إذا خـلا في الـظلام مـبتـهـلاً   أكـرمـه ربّـه ولـبّـاه

وإنه قال سمعت هاتفاً بين السماء والأرض ينشد في جوابه :

لـبيـك لـبيـك أنـت في كنـفي   وكـل مـا قلت قـد سمعنـاه
صـوتـك تشتـاقـه مـلائكتي   وعـذرك الـليـل قـد قبلنـاه
سل ما تشاء بلا خوفٍ ولا وجلٍ   ولا تخـف إني أنـا الله

إلّا أن في البحار نقلاً عن بعض الكتب المعتبرة ، أنّه اتفق لأنس بن مالك ، وقد كان يساير الحسين (عليه السلام) إلى قبر خديجة رضي الله عنها ، وبينها أيضاً اختلاف في بعض الفقرات[٢] .

وفي مقدمات بحار الأنوار ذكر ما وجده مع تغيير ما في مفتتح كتاب سليم بن قيس الهلالي مضافاً إلى ما أوردنـاه في ترجمـة جعفر بن نمـا إلى قول الـراوي حدثنـا الشيخ المفيد أبو علي بن الحسن بن محمـد الطوسي في رجب سنـة تسعين وأربع مئة بهذه الصورة : وأخبرني الشيخ الفقيـه أبو عبـد الله الحسن بن هبة الله بن رطبـة ، عن الشيخ المفيد أبي علي ، عن والده فيـما سمعته يقـرأ عليه بمشهـد مولانـا السبط الشهيـد أبي عبـد الله الحسـين بن عـلي (عليهـما السـلام) في المحـرّم سنـة ستـين

(١) مصـابيح القلوب ، فـارسي في المـواعظ والنصـائح للمـولى أبي سعيـد الحسن بن الحسـين الشيعي السبزواري كان حيا سنة ٧٥٣ كما ذكره في الرياض .

(٢) انظر بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٨١ والمناقب ج ٤ ص ٦٩ .

(١)

وخمس مئة ، وأخبرني الشيخ المفيد أبـو عبد الله محمـد بن المسكان[١] عن الشريف الجليل نظام الشرف أبي الحسن العريضي عن ابن شهريار الخازن ، عن الشيـخ أبي جعفر الطوسي ، وأخبرني الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عـلي بن شهر آشـوب قـراءة بحلة الجامعـين في شهور سنـة سبع وخمس مئـة عن جده شهـر آشـوب عن الشيخ أبي جعفر الطوسي ، قال حـدثنا : ابن أبي جيّـد ، عن محمد بن الحسن بن أحمـد بن الوليـد ، ومحمد بن أبي القـاسم الملقب بمـاجيلويـه ، عن محمـد بن عـلي الصيرفي ، عن حمّاد بن عيسى ، عن أبان بن أبي عيّاش عن سليم بن قيس[٢] .

وأخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله [الغضائري] ، قـال : أخبرنـا أبو محمد هارون بن مـوسى بن أحمد التلعكـبري عن علي بن همّـام بن سهيل ، قـال : أخبرنا عبد الله بن جعفر الحميري ، عن يعقوب بن يزيد ، ومحمـد بن الحسين بن أبي الخطاب وأحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن أبي عمير ، عن عمر بن أذينة عن أبان بن أبي عياش ، عن سليم بن قيس الهلالي .

قال عمر بن أذينة : دعاني ابن (أبي) عياش فقال لي رأيت البارحة رؤيا إني لخليق أن أمـوت سريعاً[٣] رأيت سليم بن قيس الهـلالي ، فقال (لي) ، يـا أبـان إنّـك ميّت في أيامـك هذه فـاتق الله في وديعتي ولا تضيّعهـا وفِ لي بمـا ضمّنت من كتمانك ، ولا تضعها إلاّ عند رجل من شيعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) لـه دين وحسب ، فلما بصرت بك الغداة فرحت برؤيتك ، وذكرت رؤيـا سليم وكان سليم وقع إلينا إيام قدوم الحجاج إلى العراق ، وكنت أسمـع منه أخبـاراً كثيرة فلم ألبث أن حضرته الوفاة فدعاني وخلا بي ، فقال : يا أبان قد جـاورتك فلم أرمنـك إلاّ ما أحب ، وإن عندي كتباً سمعتها عن الثقاة ، وكتبتها بيدي ، فيها أحاديث لا أحب أن تظهر للناس وهي أخذتها من أهل الحق والفقه والصدوق والـبرّ : علي بن أبي طـالب (عليه السـلام) وسلمان وأبي ذرّ والمقداد رضي الله عنهم ، وليس فيهـا حديث إلا اجتمعوا عليـه جميعاً وإني هممت حـين مرضت أن أحـرقها فتـأثمت من

(١) في البحار أخبرني الشيخ المقري أبو عبد الله محمد بن الكال « مكال خ » .
(٢) في المصدر . . . الهلالي قال الشيخ أبو جعفر .
(٣) في المصدر : إني رأيتك الغداة ففرحت بك إني رأيت الليلة سليم بن قيس . .

ذلك فإن جعلت لي عهد الله أن لا تخبر بها أحداً ما دمت حياً ، وإن حدث بك حدث أن تدفعها إلى من تثق به من شيعة علي (عليه السلام) .

قال أبان : فضمنت ذلك له فدفعها إليّ وقرأها كلها عليّ فلم يلبث سليم أن هلك فنظرت فيها بعده وقطعت بها واستعظمتها لأن فيها هلاك جميع أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) غير علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشيعته ، وكان أوّل من لقيت بعد قدومي البصرة الحسن بن أبي الحسن البصري وهو يومئذٍ متوار من الحجّاج والحسن يومئذٍ من شيعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) من مفرطيهم ، نادم ، متلهف على ما فاته من نصرة علي والقتال معه يوم الجمل فخلوت به في شرقي دار الحجاج بن أبي عتّاب فعرضتها عليه ، فبكى ، ثم قال : ما في حديثه شيء إلّا حقّ ، قد سمعته من الثقاة شيعة علي (عليه السلام) وغيرهم .

قال أبان فحججت من عامي ذلك فدخلت على علي بن الحسين (عليهما السلام) وعرضت عليه ذلك أجمع ثلاثة أيام كل يوم إلى الليل فقرأته عليه ثلاثة أيام فقال لي : صدق سليم رحمه الله هذا حديثنا كلّه نعرفه إلى آخر ما ذكره[1] .

وإنّما أوردت ذلك كلّه تبعاً لما ذكر فيه من رجوع الحسن إلى الشيعة وعليه فما أورده العماد الطبري مع أعاظم قدماء علمائنا المتقدم ذكره في القسم الأوّل من هذا الباب في كتابه المشتهر بـ « الكامل البهائي » عند عدّة جملة من شقاوة الطائفة العاميّة العمياء وشدّة تعصبهم على الباطل ما يؤول ترجمته إلى هذا المعنى : وإذا سمع هؤلاء الملاعين أحداً من الشيعة يقول : أللهم العن ظالمي آل محمد ضاق خلقهم وقالوا : اللّعن شيء حرام ، والتسبيح أولى من اللعن ، وهم مع ذلك يلعنون الشيعة والمعتزلة العدلية وإذا ذكروا اسمي الحسن والحسين جرّدوهما من لام التعظيم ، وإذا ذكروا الحسن البصري المنافق ، حلّوه بالألف واللام لأنّهم عرفوا أنه كان من جملة أعداء أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومن

---

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ٧٦ .

جملة كلامه الخبيث أنّه قال أنّ عثمان قتله الكفّار وخذله المنافقون فنسب المهاجرين والأنصار إلى الكفر وقد تخلّف الحسن البصري المنافق عن أمير المؤمنين والحسنين (عليهم السلام) ولما اطلع على اشتعال نائر الطف ، وخذلان الأمة فلذة كبد نبيهم أبدى الهجرة مع قتيبة بن مسلم وجنود الحجاج الملعون إلى ديار خراسان[1] فراراً عن هذه الفتنة العظمى والبلية الكبرى على نفسه الخبيثة لعائن الله وكذلك ما أورده بعض أعاظم مجتهدينا المتأخرين وكأنه الأمير سيد حسين بن الحسن الحسيني المروّج المتقدّم عنوانه في جواب من سأله عن حال الرجل وجواز اللعنة عليه ، من أنّه لا شكّ في أنّ هذا الحسن ليس بحسنٍ ويجب لعنه ، وهو أشدّ الأعداء عداوةً لأمير المؤمنين المسمّى على لسانه بسامري هذه الأمة[2] ، وقد لعنه (عليه السلام) بالمواجهة وخاطبه بـ« كفتا »[3] حين رآه يتوضأ ويثلّث الغسلات فقال له : لا تسرف في وضوئك فأجابه بأني أراك قد أسرفت في دماء أرقتها فقال (عليه السلام) وكأنك حزين عليهم يا « كفتا » وهي بالنبطية الشيطان ، فقال : نعم ، فدعا عليه بأنه لا يزال حزيناً فما رؤي بعد ذلك إلا مغموماً حزيناً كمن رجع عن دفن حميم ، أو كخر بندج ضيّع حماره ، وهو المضيّع لدين الله ، المخرّب لملة رسول الله ، المغيّر للأحكام ، المبدّل لشرائع الإسلام قد كان أموياً من أعظم الناهضين بأجنحة نصرتهم ، القائلين بأود محبتهم ، أليست عقائده الآن بين الأشاعرة ؟ أليس المخرّب بنيان الحق ومشاعره ؟ أليس مؤجج نيران الباطل وساعره ، قبائحه الشنيعة لا يحيط بها الحصر والعدّ وفضائحه البديعة لا يستوفيها الإحصاء والحدّ .

وإسناد السلسلة الصفيّة الصفوية زادها الله شرفها إليه من موضوعات أهل الخلاف ، ومخترعات بعض الأجلاف ، وإلّا فاتّصالها بمعروف الكرخي معروف ، وهو مقيم دعائم المعروف ، كان مدّة مديدة وبرهة عديدة بواباً على السدة البهية العلية العلويّة الموسوية الكاظمية على مشرفها أفضل الصلاة وأكمل التحية ، ومرتبته المنيفة رفيعة الشأن ، منيعة الأركان ، غنية عن البيان حتى أنّه قد شكا

(١) الكامل البهائي ج ٢ ص ٨٥ .

(٢) انظر الاحتجاج ج ١ ص ٢٥١ .

(٣) في سفينة البحار « لفتى » .

إليه بعض المترددين في البحر أنّه كان يخبّ عليه بطوفانه ، فقال له : إذا صار ذلك فحلّفه برأس معروف ، ففعل ذلك فسكن من حينه ، فورد عليه بتحف وهدايا ، فقال له الكاظم (عليه السلام) في ذلك ، فقال له : رأس توسّد عتبتك الشريفة عشرين سنة ، أليس له عند الله تلك الحرمة فواعجباه ، ثمّ واعجباه ! بعد وصول السلسلة الشريفة بهذا الرفيع الشأن ، المنتزع أشعة هدايته من مشكاة العصمة والإمامة ، كيف ترد إلى البصري الذي هو من أشدّ الأعداء وأعظم المنافقين ، وأخلف أهل الشقاق والنفاق إن هذا لشيء عجاب إلى آخر ما ذكره رحمة الله تعالى عليه .

وما نقل أيضاً عن كتاب « الإحتجاج » لشيخنا الطبرسي رحمه الله من أنّ أمير المؤمنين لما رجع من قتال أهل الجمل إلى البصرة ، قال للحسن : ولماذا أنت لم تخرج لنصرة أعدائنا في هذا الحرب ؟ فقال : لإني سمعت المنادي يقول : إن القاتل والمقتول كليهما في النار ، فقال علي (عليه السلام) : كان ذلك المنادي أخاك إبليس وصدق في ما قال : فإن القاتل والمقتول من جند عائشة في النار فقال الحسن : وأنا الآن علمت يا أمير المؤمنين بأنهم الهالكون . هذا[١] .

وما نقل أيضاً في «التوحيد»:الصدوق بإسناده عن عيسى بن يونس ، قال : كان ابن أبي العوجاء من تلامذة الحسن البصري ، فانحرف عن التوحيد فقيل له تركت مذهب صاحبك ، ودخلت في ما لا أصل له ولا حقيقة ، فقال : إنّ صاحبي كان مخلطاً كان يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر[٢] .

وأمثال ذلك كلها محمولة على زمان قبل زمن استبصاره على النهج المسطور مضافاً إلى أن في المجلس الحادي والخمسين من كتاب أمالي الصدوق وكذا في المجلس والسابع والستين منه ، وكذا في بعض المواضع من غرر سيدنا المرتضى رحمة الله تعالى عليه[٣] كما نقل عنها ـ ما ينافي ذلك بادىء الرأي فليراجعها اللبيب .

---

(١) انظر الاحتجاج ج ١ ص ٢٥٠ تجد فيه اختلافاً مع ما نقله المؤلف .

(٢) التوحيد ص ٢٥٣ .

(٣) انظر غرر الفوائد : ج ١ ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٧

وفي رجال الكشي كما نقل عنه نقلاً عن الفضل بن شاذان النيسابوري أنّ الحسن أحد الزهّاد الثمانية المعروفين ، وأنّ أربعة منهم كانوا مع علي (عليه السلام) ومن أصحابه وكانوا زهاداً أتقياءهم الربيع بن خثيم ، وهرم بن حيان ، وأويس القرني ، وعامر بن عبد قيس ، أو إبن عبد الله بن قيس بخلاف الأربعة الآخرين ، فإن أبا مسلم الخولاني كان فاجراً مرائياً وكان صاحب معاوية ، ويحثّ الناس على قتال علي (عليه السلام) .

وأمّا مسروق وهو ابن الأجدع فإنّه كان عشاراً لمعاوية ومات وعمله ذلك . ثم قال : والحسن كان يلقي كلّ فرق بما يهوون ويتصنّع للرياسة ، وكان رئيس القدرية[1] ولم يذكر الثامن منهم ، وفي إكليل الرجال وغيره أنّه هو الأسود بن يزيد النخعي العابد المعروف المكنّى بأبي عمرو ونسب ذلك القول إلى أهل التاريخ وفي « مجالس المؤمنين » نسب كون الثامن أسود بن زيد المذكور إلى كلام الفضل على الظاهر ، وكذا نقل أيضاً عن حواشي الشيخ محمد الشهيدي على الرجال ، خلافاً لمن زعمه جرير بن عبد الله البجلي ـ من الفضلاء كما في حدائق المقرّبين .

وعن علقمة بن مرثد إنّه قال : انتهى الزهد إلى ثمانية وعدّ منهم الأسود المذكور وأبا مسلم الخولاني ، والحسن بن أبي الحسين بالتصغير فليتأمل .

وفي « مجالس المؤمنين » أنّ لفقهاء الإمامية في حقّ الحسن اختلافاً وسمعت من بعض مشايخنا أنّ السيد رضي الدين بن طاووس رحمة الله تعالى عليه عدّه من المقبولين ولم تثبت صحة ما نقله الطبرسي أيضاً في الاحتجاج من كتابة مولانا المجتبى (عليه السلام) إليه بتعريضات شديدة انتهى[2] وفي شرح تهذيب الحديث للسيّد نعمة الله التستري المرحوم عند ذكره لجماعة الصوفية بتقريب (منه) ونقله عن العلامة في نهج الحق حكاية واصل منهم ترك الصلاة وهو في مشهد مولانا الحسين (عليه السلام) قال : ولكن هؤلاء أعداء الدين وأهله من أول ابتداع مذهبهم إلى يومنا هذا وكانوا في أعصار الأئمة عليهم السلام على طرف النقيض لهم كالحسن البصري ، وسفيان الثوري وأضرابهما ، وبعد تلك

---

(١) مجمع الرجال ج ٣ ص ٦٣ وراجع البصائر والذخائر ج ٢ ص ١٢٤ .

(٢) مجالس المؤمنين ص ٢٥٧ .

الأعصار ، صاروا على طرف التضـاد من علماء أهل البيت عليهم السـلام إلى هذا العصر وقـد ورد في لعنهم والطعن عليهم والأمـر باجتنـابهم أحاديث كثـيرة ، هـذا ولنعم ما قال وسيأتي الإشارة إلى بعض تلك الأحاديث وسائر ما يكـون به التشنيـع عليهم في ترجمة حسين بن منصور الحلّاج إن شاء الله تعالى .

ويمكن أن يعتضد كونـه على طـريقة البـاطل مـوافقة العـامة العميـاء معه ، وكـونهم يبجلونه ويحبّـونه كثيـراً ويذكـرون كلماته في الحكمـة والموعـظة ، ويجعلون أقواله وأفعاله حجة لهم ومتى يذكرون الحسن مطلقاً يريدون هذا منه ، بحيث ذكر بعض نصـابهم العداوة لأهـل البيت المعصومـين صلوات الله عليهم أجمعـين أنّ في كتـاب « الغنية لـطالب الحق عز وجـل » تأليف شيخهم القـطب الإمـام العـلامـة بزعمهم أبي صالح عبد القادر الجيلي قوله :

وقد روى عن إمامنا أبي عبد الله أحمد بن حنبل رواية أخرى ، أنّ خلافة أبي بكـر تثبت بـالنص الجـلي والإشـارة ، وهـو مـذهب الحسن البصري وجمـاعـة من أصحاب الحديث .

ونقل أيضاً في أحاديث الشيعة ، أنّه تجافى عن حضور وقعة الجمـل مع أمـير المؤمنـين (عليه السـلام) وتـوارى إلى غـرفـة من داره بـالبصرة مـع بعض أحبّتـه وغلمانه ، وقال : الأصلح أن لا نكون لأحد من هـذين الفريقـين من المسلمين ولا عليه ، ونكون بمعزل عن هذه الفتنة بين الأمة ، فكأنه أراد أن يجعل نفسه مصداق قوله تعالى : ﴿ **مذبذبين بين ذلك لاإلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء** ﴾ هذا .

وفي « الوفيات » أنّه تولّد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، ويقال : إنّـه ولـد على الـرق ، وتوفي بـالبصرة مستهـل رجب سنـة عشر ومـئة ، ولم يشهـد ابن سـيرين جنازتـه لشيء كان بينهـما ، ثم تـوفي بعـده بمـئة يـوم[1] فـاعتـبروا يـا أولي الأبصار .

وفي إكليـل الرجـال : أنّ محمد بن سـيرين هذا تـابعي بصري ، قال أهـل التاريخ كان من أورع أهل البصرة ، وكان فاضلاً حافـظاً يعبّر الـرؤيا رأى ثـلاثين

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥٥ .

من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، مات سنة عشر ومئة بعد الحسن بمئة يوم وقبره بإزاء قبر الحسن بالبصرة مشهور يزار ، هذا .

وممّا ليكن إليه الإشارة في مثل هذا الموضع من فوائد المتدربين ما نقله صاحب الكشكول عن الشيخ صلاح الدين الصفدي من علماء الجمهور ، وهو أنّ جماعة رزقوا السعادة ولم يأت بعدهم من نالها : علي بن أبي طالب في القضاء ، أبو عبيدة في الأمانة ، أبو ذر في صدق اللهجة ، أبي بن كعب في القرآن ، زيد بن ثابت في الفرائض ، ابن عبّاس في التفسير ، الحسن البصري في التذكير ، وهب بن منبه في القصص ، إبن سيرين في التعبير ، نافع في القراءة ، أبو حنيفة في القياس والفقه ، مقاتل في التأويل ، الكلبي في قصص القرآن ، أبو الحسن المدائني في الأخبار ، محمد بن جرير الطبري في علوم الأثر الأوائل ، الخليل بن أحمد في العروض ، فضيل بن عياض في العبادة ، مالك بن أنس في العلم ، الشافعي في فقه الحديث ، أبو عبيدة في العربية ، يحيي بن معين في الرجال ، أحمد بن حنبل في السنة ، البخاري في نقد الحديث ، الجنيد في التصوّف ، المروزي في الإختلاف ، الجبائي في الاعتزال ، الأشعري في الكلام أبو بكر الخطيب في سرعة الخطابة ، سيبويه في النحو ، أبو الحسن اليكري في الكذب ، عبد الحميد في الكتابة ، أبو الفرج الإصفهاني في المحاضرة ، أبو معشر في النجوم ، الرازي في الطب ، الفضل بن يحي في الجود ، ابن القرية في البلاغة ، الجاحظ في الأدب والبيان ، الحريري في المقامات ، البديع الهمداني في الحفظ ، أبو نواس في المطايبات واللهو والهزل ، ابن الحجاج في سخف الألفاظ ، المتنبي في الحكم والأمثال شعراً ، الزمخشري في تعاطي العربية ، النسفي في القول وفي الجدل ، جرير في الهجاء الخبيث ، حمّاد الراوية في شعر العرب ، القاضي الفاضل في الترسل ، العماد الكاتب في الجناس ، ابن الجوزي في الوعظ ، أشعب في الطمع ، أبو نصر الفارابي في نقل كلام القدماء وتفسيره ، حنين بن إسحاق في ترجمة اليوناني إلى العربي ، ثابت بن قرة في تهذيب ما نقل من الرياضي إلى العربي ، ابن سينا في الفلسفة وعلوم الأوائل ، الإمام فخر الدين في الاطلاع على العلوم ، السيف الآمدي في التحقيق ، النصير في اللغة ، أبو الضياء في الأجوبة المسكتة ، النصير الطوسي في المجسطي ، ابن الهيثم في الرياضي ، نجم الدين

الكاشي في المنطق ، أبو العلاء المعري في الاطلاع على اللغة ، ابن المعتز في التشبيه ، ابن الرومي في التنظير ، الصولي في الشطرنج ، أبو محمد الغزالي في الجمع بين المعقول والمنقول ، أبو الوليد بن رشد في تلخيص كتب الأقدمين الفلسفية والطبية ، محي الدين بن عربي في علوم التصوّف[1] انتهى . وسوف نورد نظير ذلك بالنسبة إلى علماء أصحابنا المرضيين ، رحمة الله تعالى عليهم ، في ذيل ترجمة الشهيد الأوّل إن شاء الله .

٢٣٥
الفصيح المقول ، وصاحب الفضل الأطول أبو نواس
الحسن بن هاني بن عبد الأول(*)

هو الأديب الشاعر الماهر ، والحبر الباهر ، زين المجامع والمحاضر ، وفيض المسامع والمناظر ، أبو علي الحكمي المعروف بأبي نواس لذؤابتين كانتا تنوسان على عاتقيه ، وهو بضم النون وفتح الواو المخففة من غير همزة كـ« غُراب » والحكمي بالتحريك لكونه من موالي الجراح بن عبيد الله الحكمي الوالي بخراسان ، وهو من قبيلة كبيرة باليمن ، أبوها الحكم بن سعيد العشيرة كما في « الوفيات » وقال صاحب « تلخيص الآثار » في ترجمة بغداد : أبو نواس الحسن بن هاني الشاعر المفلق كان نديماً لمحمد بن زبيدة . « انتهى » .

وعن اسماعيل بن نوبخت الوزير أنّه قال : ما رأيت قط أوسع علماً من أبي نواس ولا أحفظ منه مع قلّة كتبه ، ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا فيه غير جزء مشتمل على غريب ونحوٍ لا غير .

---

(١) الكشكول ص ١٨٢ .

(*) له ترجمة في أعيان الشيعة ج ٢٤ ص ٢ ، البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٢٧ ، تاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٣٧ ، خزانة الأدب ج ١ ص ١٦٨ ، شذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٥ ، الشعر والشعراء ص ٧٧٠ ، طبقات الشعراء ص ١٩٣ ، العبر ج ١ ص ٣٢١ ، مختار الأغاني ج ٣ ص ٥ ، مرآة الجنان ج ١ ص ٤٤٩ ، النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٥٦ ، نزهة الألباء ص ٧٧ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٣ .

قيل : وهو في الطبقة الأولى من المولّدين ، وشعره عشرة أنواع وهو مجيد في العشرة ولقد اعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء ، منهم أبو بكر الصولي وعلي بن حمزة الإصفهاني ، وإبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المعروف بتوزون ، ولهذا يوجد ديوانه مختلفاً[١] قلت : وتوزون المذكور ، هو الفاضل البارع الأديب النحوي الذي سكن بغداد ، وصحب أبا عمر الزاهد وكتب عنه الياقوتة كما عن ياقوت قال : ولقى أكابر العلماء منهم ابن درستويه وكان صحيح النقل ، جيّد الخطّ والضبط ، ولم يصنّف شيئاً غير جمعه لشعر أبي نواس .

وقال الإمام أبو عبيدة اللغوي المشهور : كان أبو نواس للمحدثين مثل امرىء القيس للمتقدمين .

وقال الجاحظ : ما رأيت أعلم باللغة من أبي نواس ، ويروى أنّ الخصيب صاحب مصر[٢] سأله عن نسبه ، فقال : أغناني أدبي عن نسبي.فأمسك عنه[٣] .

وذكر ابن خلّكان نقلاً عن محمد بن داوود الجراح في كتاب «الورقة» أنّ أبا نواس ولد بالبصرة ونشأ بها ، ثم خرج إلى الكوفة مع والبة بن الحباب ثم صار إلى بغداد وقال غيره : إنّه ولد بالأهواز ، ونقل منها ، وعمره سنتان ، وأمّه أهوازيّة ، اسمها جلبان ، وكان أبوه من جند مروان الحمار آخر ملوك بني أمية ، وكان من أهل دمشق ، وانتقل إلى الأهواز للرباط فتزوج جلبان ،وأولدها عدة أولاد ، منهم : أبو نواس ، وأبو معاذ ، فأمّا أبو نواس فأسلمته أمّه إلى بعض العطّارين ، فرآه أبو أسامة والبة الحباب فاستحلاه ، فقال : إني أرى فيك مخايل ، أرى أن لا تضيعها وستقول الشعر ، فاصحبني أخرّجك .

فقال له : ومن أنت ؟ فقال : فلان[٤] قال : نعم أنا والله في طلبك ، ولقد أردت الخروج إلى الكوفة بسببك لآخذ عنك وأسمع منك شعرك ، فصار أبو نواس معه ، فقدّم به بغداد[٥] .

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٤ .

(٢) في الوفيات : صاحب ديوان الخراج بمصر .

(٣) قال في الرياض : قد نقل مثل هذا السؤال والجواب في النسب في شأن ابن جنى أيضاً .

(٤) في المصدر : فقال أنا ابو أسامة والبة بن الحباب .

(٥) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٣ .

وقيل إنّه ولد بالأهواز ، ونشأ بالبصرة وسمع من حمّاد بن زيد ، وعبد الواجد ابن زياد ، ويحيى القطّان ، وقرأ على يعقوب ، وكتب عن أبي زيد الغريب وحفظ عن أبي عبيدة أيّام الناس(١) .

وفي الكشكول : أنّ اسماعيل بن معمّر الكوفي القراطيسي(٢) الشاعر المجيد البارع كان بيته مألفاً للشعراء ، وكان يجتمع عنده أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد ، ونظراؤهم يتفاكهون وعندهم القيان(٣) .

ورأيت في بعض تواريخ العامّة أنّ أبا نواس كان حسن الوجه ، نحيف البدن ، وكان في حلقه بحّة دائمة ، وفي قامته قِصَر ، وفي رأسه سماجة ، وبسبب ذلك كان لا ينزع العمامة من رأسه ، وكان لطيفاً ظريفاً كثير المجون والخلاعة ، كثير الشرب مشهوراً باللواط وحبّ الغلمان ، إلى أن قال : وله حكايات كثيرة آخرها ما حكاها الجماز ، قال : دخلت على أبي نواس في مرض موته أعوده ، فقلت له : اتق الله وتُب ، فكم محصنة قذفت ، وسيئة قد اقترفت ، فقال لي : صدقت يا أبا عبد الله ، ولكني لا أفعل ! فقلت ولِمَ ؟ قال مخافة أن تكون توبتي على يديك يا ماص بظر أمّه وذلك أشدّ علي من عذاب الله(٤) .

قال : ثم إنّ جماعة دخلوا عليه فقالوا : ما أشد ما بك من الألم ، فقال لهم : الذنوب فرجوا له المغفرة ، ثمّ إنّ سعيداً الطبيب دخل عليه فنظره ثم قال لبعض أهله سراً : علّلوه فإنّه لا يعيش ، فرآه أبو نواس يسارهم فدعا به ثم قال له :

سألتك بالمروّة والجوار ... وقُربِ الدار مع قربِ المزارِ
لِمُناجَكَ إذ ولّى سعيداً ... فقد أوحشت من ذاك السرار

ثم قال واندماه على ما فرّطت واسوأتاه ممّا قدمت ثم أنشد :

---

(١) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٣٦ .
(٢) راجع ترجمته في الورقة ص ١٠٧ ، الأغاني ج ٢٠ ص ٨٨ ، معاهد التنصيص ج ٢ ص ١٦٣ .
(٣) الكشكول ص ٣٣٥ .
(٤) جمع الجواهر ص ٢٤٩ ، مختار الأغاني ج ٣ ص ٢٩٢ وفيه يا عاض بظرامه .

دبّ فيّ السقام[١] سفلاً وعلواً وأراني أموت عضواً فعضوا
ليس من ساعة أتتني (فيه ظ) إلاّ نقصتها بمرها لي جزواً[٢]
لهف قلبي[٣] على ليال وأيّام تناسيتهنّ[٤] لعباً ولهوا
ذهبت جدّتي بلذة عيش[٥] وتذكرت طاعة الله نِضوا
قد أسأنا كل الإساءة فاللـهم صفحاً عنّا وعفواً[٦] عفوا

فقال له بعض أصحابه : بم توصينا يا أبا علي ؟ قال : لا تشربوا الخمر فإنها قتلتني ثم أخذ ورقة وكتب فيها بعد البسملة : هذا ما أوصي به المسرف على نفسه ، المغتر بأجله المعترف بذنوبه ، الحسن بن هاني وهو يشهد أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأنّ ما جاء به كلّه حق ، وعلى ذلك وعليه يموت ، وإنه لا يرجو الخلاص إلاّ بشفاعته (صلى الله عليه وآله وسلم) والإعتراف بذنوبه والثقة بعفو ربّه ، أوصى إلى أبي زكريا القسوري أن يتولّى تجهيزه وقضاء دينه ودفنه ثم مات من يومه ودفن بالتّلّ المعروف بتلّ اليهود بمدينة السلام على شاطىء نهر عيسى .

وقيل : إنّه وجد له مئتي دينار وخاتمين نقش أحدهما كما عن صاحب المستطرف .

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربّي كان عفوك أعظما

وعلى الثاني الشهادتان[٧] وحدّث محمد بن نافع أو « رافع » الناسك قال : كنت صديقاً لأبي نواس فلمّا مات جزعت عليه من عذاب الله ، فرأيته في النوم على

---

(١) في الديوان : الفناء .
(٢) في المختار :
ليس تمضي من لحظة بي إلا نقصتني بمرها بي حزوا
وفي الديوان : ليس من ساعة مضت لي إلا .
(٣) في الديوان : نفسي .
(٤) في الديوان : تمليتهن ، وفي المختار : تجاوزتهن .
(٥) في الديوان : بطاعة نفسي وفي المختار : بحاجة نفسي .
(٦) في الديوان غفراً .
(٧) المستطرف ج ٢ ص ٣٠ ، عيون الأخبار ج ١ ص ٣٠٣ .

هيئة حسنة ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي بأبيات قلتها ، قلت وما هي ؟ قال : هي عند أمي فلما أصبحت مضيت إلى أمّه فأخبرتها بما رأيت وسألتها عن الأبيات فأحضرت كتاباً مكتوباً فيه بخطه :

يا ربّ إن عظمت ذنوبي كثرة   فلقد علمت بأنّ عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلّا محسن   فمن الذي يدعو ويرجو المجرم[1]
أدعوك ربّ كما أمرت تضرعاً   فإذا رددت يدي ، من ذا يرحم[2]
ما لي إليك شفاعةً إلّا الذي   أرجوه من عفوٍ وإني مسلم[3]

وفي مصباح الكفعمي هذه الزيادة :

يا من عليه توكلي وكفايتي   إغفر لي الزلّات أنّي آثمٌ

وإنه أخبر ابن رافع المذكور في المنام بكون تلك الأبيات تحت ثني الوسادة فأتى هو أهله فأخذوا في البكاء لما رأوه وقالوا : لا نعلم ما تقول إلا أنه دعا قبل موته بدواة وبياض وكتب شيئاً لا ندري ما هو ، قال : فقلت أيذنوا أن أدخل فأذنوا لي فدخلت فإذا ثيابه لم تحرّك ، فرفعت ثني الوسادة فإذا أنا برقعة فيها مكتوب إلى آخر ما ذكرناه[4] .

ورأيت في بعض الكتب أنّ المأمون كان يقول لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس .

ألا كل حيٍّ هالك وابن هالك   وذو نَسَبٍ في الهالكين عريقِ
إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفت   له عن عدوٍ في ثياب صديقِ[5]

وما أحسن ظنه بربّه عز وجل حيث يقول :

تكثّر ما استطعت من الخطايا   فإنّك قاصد ربّاً غفوراً

---

(١) في الديوان : فبمن يلوذ ، ويستجير الجرم .
(٢) . . . فمن ذا يرحم .
(٣) في الديوان : ما لي إليك وسيلة إلا الرجا ، وجميل عفوك . . ثم إني مسلم ، وانظر ديوانه ص ٦١٨ .
(٤) انظر مصباح الكفعمي ص ٣٨٣ ونزهة الألباء ص ٨٠ .
(٥) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٤ ديوانه ٦٢١ .

ستبصر إن وردت عليه عفواً وتلقى سيّداً ملكاً كبيراً[١]
تعضّ ندامة كفيك مما تركت مخافة النار السرورا

وهذا من أحسن المعاني وأغربها[٢] ، كما قيل وأنشد في الوصف بالطيب
من شراب ألذّ من نظر المعـ ـشوق في وجه عاشقٍ بابتسام[٣]

وله أيضاً :
وألذّ من إنعام خلّة عاشقٍ زادته بعد تمنّع وشماس[٤]

وله في الموعظة :
ألا يا ابن الذين فنوا وماتوا أما والله ما ماتوا لتبقى

قيل : ومرّ ناسك بدار فيها أبو نواس وهو ينشد :
إنّ في توبتي لفسحاً لجرمي فاعف عني فأنت للعفو أهل

فرفع الناسك يده وقال : تب عليه يا ربّ فقد أناب ، فقال أبو نواس :
لا تؤاخذ بما تقول على السكر فتى ناله على الصحو عقل[٥]

فقال الناسك أللهم ارشدنا :

وله أيضاً هذان البيتان كما على ظهر بعض الكتب :
أهوى قمراً من جنة الخلد شرد في عذب رضابه زلال وبرد
قد دبّ عذاره على الخد زرد مكتوبٌ عليه قل هو الله أحد

ونقل أنّ أول ما قاله أبو نواس من الشعر وهو صبي :
حامل الهوى تعب يستخِفُّهُ الطربُ
إن بكى يحقُّ له ليس ما به لعِبُ

---

(١) في الديوان :
سيفضى ذاك منك إلى نعيم وتلقى ماجداً صمداً شكوراً

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٥ .

(٣) ديوانه ٦٩ .

(٤) في الديوان : نالته بعد تصعب وشماس .

(٥) الكشكول ص ٧٨ .

تَـضـحـكـينَ لاهِـيَـةً والُمحِـبُّ يَـنْـتَـحِـبُ
كـلّما انـقضى سَـبَـبٌ مـنـك جـاءني سَـبَـبُ
تَـعـجـبـين مـن سـقـمـي صِـحّتي هـي الـعـجـبُ[1]

وهي أبيات مشهورة ، ومن جملة حكاياته المنقولة عن الأصمعي المشهور أنّه قال : حضرت مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد إذ دخل أبو نواس فقال لـه : ما أحدثت بعدنا يا أبا نواس : فقال : يا أمير المؤمنين ولو في الخمر ، قال : قاتلك الله ولو في الخمر ، فأنشده :

يـا شـقيق النفس من حـكـم نمـت عـن لـيـلي ولم أنـم[2]

حتى أتى عـلى آخرهـا فقال : أحسنت ، يـا غلام إعـطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع ، فأخذها وخرج ، فلما خرجنا من عنـده ، قال لي مسلم بن الـوليد ألم تـر يا أبـا سعيد إلى الحسن بن هـاني كيف سرق شعري وأخـذ بـه مـالاً وخلعـاً ، فقلت : وأي معنى سرق قال قوله :

فـتـمَـشّـت في مَـفـاصِـلَهـم كَـتَمشي الـبُرء في الـسُّـقَـم[3]

فقلت وأي شيء قلت ، قال قلت :

غـراء في فـرعهـا ليـل عـلى قـمـر على قضيب على غصنٍ[4] القنا الدهس
أزكى من المسك أنفـاسـاً وبهجتهـا أرقّ ديـبـاجـة مـن رقـة الـنـفس
كـأنّ قلبي وشـاحـاهـا إذا خـطرت وقلبهـا قلبهـا في الصمت والخـرس
تجـري محبـتـهـا في قـلب وامـقـهـا جـرى السلامـة في أعضـاء منتكس

فقلت ممن سرقت هذا المعنى ؟ فقال لا أعلم : إني أخذته من أحـد فقلت : بلى من عمرو بن أبي ربيعة حيث يقول :

أمـا والـراقصـات بـذات عـرقٍ وربّ الـبيـت والـركن الـعتـيقِ
وزمــزم والصـواف ومشعــريهـا ومـشـتـاقٍ يحـنّ إلى المشـوقِ

---

(١) الكشكول ص ١٦٨ .
(٢) ديوانه ص ٤١ .
(٣) ديوانه ص ٤١ .
(٤) في الكشكول : على دعص ، وهو بالكسر كثير الرمل المجتمع .

لقد دبّ الهوى لك في فؤادي دبيب دم الحياة إلى العروقِ

فقال ممن سرق عمرو بن ربيعة هذا المعنى ؟ قلت من بعض البدويين حيث يقول[١] :

مَنَعَ البقاء تقلبِ الشمس وطلوعها من حيث لا تمسي
وطلوعها حمراء صافية وغروبها صفراء كالورس
تجري على كبد السماء كما يجري حمام الموت في النفس[٢]

ومنها ما حكي أنّ الرشيد ذكر يوماً قول أبي نواس :

فاسقني البكر الذي اعتجزت[٣] بخمار الشيّب في الرّحم

فقال لمن حضره ما معناه : فقال : أحدهم : إن الخمرة إذا كانت في دنّها كان عليها شيء مثل الزبّد وهو الذي أراده وكان الأصمعي حاضراً فقال يا أمير المؤمنين إن أبا علي أجل خطراً ، وإن معانيه لخفيّة ، فاسألوه عن ذلك فأحضر وسئل فقال : إن الكرم أوّل ما يخرج من العنقود في الزّرجون[٤] يكون عليه شيء شبيه بالقطن فقال الأصمعي : ألم أقل لكم إنّ أبا نواس أدقّ نظراً مما قلتم[٥] .

ومنها أنّه خرج مع أصحابه إلى نزهة فمر بهم غلام من أهل البادية يسوق غنماً له فقال أبو نواس لأصحابه ألا أضحككم عليه ؟ قالوا له : إفعل ، فصاح به وقال :

أيا صاحب الشاة اللواتي يسوقها بكم ذلك الكبش الذي قد تقدّما

فأجابه الراعي من بديهة :

---

(١) وبعدها في الكشكول :
واشرب قلبي حبها ومشى به كمشي حميا الكاس في عقل شارب
ودب هواها في عظامي وحبها كما دب في الملسوع سم العقارب
فقال لي ممن أخذ هذا البدوي قلت من أسقف نجران حيث يقول : منع البقاء .

(٢) الكشكول ص ٢٢٦ .

(٣) في الديوان : فاسقني الخمر التي اختمرت .

(٤) في الكشكول : أول آن يخرج العنقود في الزرجون .

(٥) الكشكول ص ٢٢٤ .

أبيعكــه إن كنـت تبـغي شراءه ولم تـك مـزاحـاً بعشرين درهمـا

فقال له أصحابه : هـو والله أشعر منك[١] :

ومنها ما حكي أمّ العتـابي لقي أبا نـواس فقال لـه : ما استحييت من الله في مدح فلان بقولك :

وأخفت أهــل الشرك حتى أنّـه لتخافك النُطف التي لم تُخلق[٢]

فقال له أبو نواس وأنت أيضاً ما استحييت من قولك :

ما زلت في غمرات الموت مفترحاً يضيق عني وسيع الرأي من حيلي

فلم تزل دائباً تسعى بلطفـك لي حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

فقـال العتابي : قـد علم الله وعلمت أنّ هذا ليس من ذاك ولكنّـك أعددت لكل سؤال جواباً.وحكي أيضاً أنّ أبا العتاهيـة قال لأبي نـواس : كم تنظّم بيتـاً من الشعـر في اليـوم فقـال : أنـظم البيت أو البيتـين وربمـا تعسّر عـليّ تـركيب البيت فأصلحه في اليوم الثاني فقال له أبو العتاهية : أنا أنظم المئة والمئتـين في اليوم ، وفي رواية قال وإنني لأعمل في الليلة ألف بيت ، فقال أبو نواس إن كان مثل قولك :

يـا عـتـب مـالي ولـك يـا لـيـتـني لم أرك

فأنا أنظم ألفاً و ألفين في اليوم وإن كان مثل قولي :

من كفّ ذات حرٍ في زيّ ذي ذكر لهـا محبّـان لـوطي وزنـاء[٣]

وفي رواية مثل قولي :

لا تبـك ليـلى ، ولا تـطرب إلى هنـد واشرب على الورد من حمراء كالـورد[٤]

فـأنت ما تعـرف أن تنظم مثله ولا نـظمت في عمـرك مثله ، فـانصرف أبـو العتاهية ولم يتكلم.ورأيت في بعض الكتب أنّ عبد الله بن المعتزّ بن المتوكل العباسي

---

(١) الخبز بتمامه في أخبار أبي نـواس لأبي هفان ص ١١١ ، بـدائع البـداية ج ١ ص ٣٩ ، مختـار الأغاني ج ٣ ص ٣٧٢ .

(٢) ديوانه ص ٤٠١ .

(٣) ديوانه ص ٦ .

(٤) ديوانه ص ٢٧ .

الذي هو من أكابر الشعراء الماهرين كان يقول : أربعة من الشعراء صارت أسماؤهم بخلاف أفعالهم فأبو العاهية سار شعره بالزهد وكان على الإلحاد ، وأبو نواس سار شعره باللواط وكان أزنى من قرد ، وأبو حكيمة الكاتب سار شعره بالعفة وكان أهبّ من تيس ، ومحمد بن حازم سار شعره بالقناعة وكان أحرص من كلب[١] هذا ، وفي محاضرات الراغب قال : قال أبو نواس ـ لما نهاه الأمين عن شرب المدام ـ :

أعاذل بعت الجهل حيث يباع   وأبرزت رأسي ما عليه قناع
نهاني أمير المؤمنين عن الصبا   وأمرُ أمير المؤمنين مُطاع
وَلَهوٍ لتأنيب الإمام تركته   وفيه للاه منظر وسماعُ[٢]

قال : وقيل لدهقان ما أصبّك بالخمر ؟ فقال : إني رأيت لها أفعالاً لم أرها لغيرها إذا رأيت الهمّ تمكنّ من قلبي فقرع الكأس الباب خرج الهمّ وأخذ ذلك أبو نواس فقال :

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى   دعا همه من صدره برحيل[٣]

وقال لأبيّ نواس أيضاً :

إنّما العيش سماع وغلامٌ ومُدام   فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام[٤]

قال : وكان أبو نواس مولعاً بأبي عبيدة النحوي فكتب يوماً على اسطوانة يستند إليها :

صلى الإله على لوطٍ وشيعته   أبا عبيدة قل بالله : أمينا
لانت عندي بلا شك زعيمهم   منذ احتملت ومنذ جاوزت ستينا

فلما رآه أبو عبيدة قال لبعض أصحابه : ويلك إصعد فوقي وحكّه فتطأطأ له فلما ثقل عليه : قال له : أوجز . فقال : حككتها إلاّ لوطاً ، فقال : ويحك تركت المقصود[٥] .

---

(١) راجع طبقات ابن المعتز ص ٣٠٨ .
(٢) ديوانه ص ١٢ ، محاضرات ج ٢ ص ٦٨٣ .
(٣) ديوانه ص ١٦ .
(٤) محاضرات ج ٢ ص ٢٨٤ ، وج ٣ ص ٢٤٣ .
(٥) محاضرات الأدباء ج ٣ ص ٢٤٢ .

قال : ومر أبو نواس بغلام خفيف العجز حسن الوجه فسئل عنه فقال :

دُنياه ما شئت ولكنه منافق ليست له آخرة

وفي معناه لسعيد بن حميد :

ظبيك هذا حسن وجهه وما سوى ذاك فمنه يعاب[1]

وله أيضاً :

أأترك لذة الصهباء نقداً لما وعدوه من لبنٍ وخمرٍ
حياة ثم موت ثم بعث حديثُ خرافةٍ يا أم عمرو

وقيل : إنّ هذين البيتين [لقائل آخر] مع تغيير يسير .

قال : وغضب الفضل بن الربيع على أبي نواس فقال أنت القائل :

يا أحمد المرتجى في كلّ نائبةٍ قُم سيدي نعص جبّار السماوات

فقال : نعم ، فسأل جماعة الفقهاء عنه فقال كلّ يحلّ دمه ، فقال أبو نواس إن قلتم ذلك بعقولكم فقبحاً لها . وإن قلتم تخميناً فما أبعدكم من العقل ، هل للسماء من جبرها وهل بها كسر فاحتيج إلى أن يجبر[2] .

قال : ورئي أبو نواس وهو يصلي في الجماعة فقيل له : ما هذا ؟ فقال : أردت أن يرتفع إلى السماء خبر طريف .

وقال أبو السفاح قلت لأبي نواس : الصلاة . قال : رويداً حتى تذهب حمياها ! قلت : وما حمياها ؟ قال : الركعتان الأوليان لأنّهما أطول وقال الحسين بن ضحاك : كنت مع أبي نواس بمكة ، قال : ودخل أبو نواس إلى خربة فرأى شيخاً مع غلام فقال : ﴿ **ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون** ﴾ ، فقال الشيخ : ﴿ **نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين** ﴾ . فقال أبو نواس : ﴿ **كلوا منها وأطعموا البائس الفقير** ﴾ . فقال الغلام : ﴿ **لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ ، ونقل أيضاً أنّه قيل لأبي

---

(١) محاضرات الأدباء ج ٣ ص ٢٥٠ .

(٢) محاضرات ج ٤ ص ٤٢٣ ، المختار ج ٣ ص ٧٩ .

نـواس : زوجك الله الحـور العين ، فقـال : لست صاحب النسـاء بـل الـولـدان المخلّدين ثم أنشد :

أنـا الماجن اللوطي ديني لـواحـد — وإني في كسب المعـاصي لـراغب

أدين بدين الشيخ يحيى بن أكثم — وإني لمن يهـوى الـزنـا لمجـانب

وإنه سمع صبياً يقرأ ﴿ **يكاد البرق يخطف أبصارهم كلّما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا** ﴾ فقال : وفي مثل هذا يجيء صفة الخمر ثم أنشدني :

وسيارة ضلت عن القصد بعدما — تـرَادفهم جنح من الليـل مُـظلِمُ

فلاحت لهم منا عـلى النأي قهـوة — كـأنّ سنـاهـا ضـوءُ نـارٍ تضـرّمُ

إذا ما حسونـاها أقامـوا مكانهم — وإن مُزجت حثوا الركاب ويمّموا[١]

(انتهى) .

وعن « كـامـل التـواريـخ » إنّ في سنـة خمس وثـمانـين وأربع مئة تـوفي عبد الباقي بن محمد بن الحسين الشاعر البغدادي وكان يتّهم ـ مثل أبي نواس ـ بـل وكثير من الشعراء المتغزّلين ـ بأنّه يطعن على الشرائع ، فلمّا مات كانت يده مقبوضة فلم يُطق الغاسل فتحها ، فبعد جهده فتحت فإذاً فيها مكتوب :

نـزلت بجـارٍ لا يُخيّبُ ضيفـه — أرجي نجـاتي من عـذاب جهنم

وإني عـلى خـوفي مـن الله واثق — بـإنعـامـه ، والله أكـرم منعم[٢]

ومن جملة ما ذكرناه لك علمت أن الرجل ليس بمكـانة من التقـوى والسداد بـل ولا الهـدايـة والـرشـاد كيف لا ولم يعهـد منـه شعـرٌ إلاّ في الأبـاطيـل ولا ذكـر إلاّ لمزخرفات الأقاويل ، ولم يبرز عنه كثير كلام في مدائـح المعصومـين أو طويـل مقال في شـأن أصحـاب المنازل والإقـرار بخلافتـه وتقدّمـه ضننت بالكتـاب عن التحمّل لهـا بل التلوث بمثلها وذكر ذلك الجامع أنّ ما سمع منه في المنام من سبب نجاته بعد الموت هو تلك الأشعار[٣] .

ويشـير إلى ذلك أيضـاً ما نقـل عن شيخنا الـطوسي رحمه الله في مجـالسـه أنّ الإمـام علي بن محمـد النقي (عليـه السـلام) صـاحب العسكـر قـال لأبي السري

(١) نهاية الأرب ج ٤ ص ٩٩ . وانظر محاضرات الراغب ج ١ ص ٢٤٣ .

(٢) الكامل ج ١٠ ص ٢١٨ .

(٣) راجع مختار الأغاني ج ٣ ص ٢٠٢ والأبيات في المستطرف ج ١ ص ١٣٦ .

سهل بن يعقوب بن إسحاق الملقب هو أيضاً بأبي نواس لكثرة ما كان يتخالع ويطائب مع الناس توطئة لإظهار تشيعه على الطيبة : يا أبا السري أنت أبو نواس الحق ومن تقدمك ـ يعني به المتنازع فيه ـ أبو نواس الباطل ، نعم في « رياض العلماء » أنّ ابن شهر آشوب المازندراني عدّ أبا نواس المذكور من شعراء أهل البيت المتجاهرين .

وروى محمد بن أبي القاسم الطبري صاحب كتاب « بشارة المصطفى لشيعة المرتضى » في كتابه المذكور قال : أخبرنا الشيخ الأمين محمد بن شهريار الخازن في ذي القعدة سنة عشرة وخمس مئه قراءة عليه بمشهد مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) عند باب الوداع ، قال : أخبرنا أبو عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد بن العباس الدوريستي بذلك المشهد المقدس في شعبان سنة ثمان وخمسين وأربع مئة وهو متوجه إلى مكة للحج قال : حدثني أبي محمد بن أحمد قال : حدّثني الشيخ السعيد أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه رحمه الله ، قال : حدثني أبي عن علي بن ابراهيم عن أبيه ابراهيم بن هاشم عن ياسر الخادم قال لما جعل المأمون علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ولي عهده وضربت له الدراهم باسمه وخطب على المنابر ، قصده الشعراء من جميع الآفاق فكان في جملتهم أبو نواس الحسن بن هاني فمدحه كل شاعر بما عنده إلّا أبو نواس ، فإنّه لم يقل فيه شيئاً فعاتبه المأمون وقال له : يا أبا نواس أنت مع تشيعك وميلك إلى أهل هذا البيت تركت مدح علي بن موسى الرضا مع اجتماع خصال الخير فيه فأنشأ يقول :

قيل لي : أنت أشعر الناس طُراً ... إذ تفوهت بالكلام البديه[1]
لكَ من جوهرٍ[2] القريض مديح ... يثمر الدرُّ في يدي مجتنيه
فعلى ما[3] تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمّعن فيه ؟

---

(١) في المختار ج ٣ ص ٢٨٣ .
قيل لي أنت أوحد الناس طراً ... في فنون من المقال النبيه
(٢) في المختار : من جيد .
(٣) فعلام .

قلت : لا أستطيع مدح إمامٍ كان جبريل خادماً لأبيه
قصرت ألسن الفصاحة عنه ولهذا ، القريض لا يحتويه

قال : فدعا بحقة لؤلؤ فحشا فاه لؤلؤاً وهكذا فعل بعلي بن ماهان لما جلس علي بن موسى (عليه السلام) في الدست ، قال له المأمون : يا علي بن ماهان ما تقول في علي بن موسى (عليه السلام) وأهل هذا البيت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أقول في طينة عجنت بماء الحيوان ، وغرس غرسه بماء التوحيد والرسالة ، هل ينتج منها إلاّ رائحة التقى وعنبر الهدى فحشا فاه أيضاً لؤلؤاً[1] . « إنتهى » .

وروى الصدّوق أيضاً هذا الحديث بعينه في كتاب « عيون الأخبار » بإسناده المتّصل عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي أنّه قال : إنّ المأمون لما جعل علي بن موسى الرضا (عليه السلام) . . إلى آخر ، وزاد : فقال له يا أبا نواس قد علمت مكان علي بن موسى الرضا (عليه السلام) مني وما أكرمته به ، فلماذا أخّرت مدحه ؟ وأنت شاعر زمانك وقريع دهرك[2] .

ونقل أيضاً صاحب « البشارة » عن ياسر الخادم ، وشيخنا الصدّوق بإسناده المعتبر عن محمد بن يحيى الفارسي أنّه قال : نظر أبو نواس إلى أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلة له ، فدنا منه أبو نواس في الدهليز فسلّم عليه وقال : يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قلت فيك أبياتاً فأحبّ أن تسمعها مني ، قال : هات فأنشأ يقول :

مُطهرون نقيات ثيابهم تتلى الصلاة عليهم اينما ذكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبه فما له في قديم الدهر مفتخر
والله لما برا خلقاً فأتقنه صفاكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم علم الكتاب وما جاءت به السور

فقال الرضا (عليه السلام) : يا حسن بن هاني قد جئتنا بأبيات ما سبقك أحد إليها ، فأحسن الله جزاك والدعا من ألفاظ البشارة ـ ثم قال : يا غلام هل

(۱) انظر رياض العلماء .
(۲) عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱٤۲ .

معك من نفقتنا شيء ؟ فقال : ثلاث مئة دينار ، فقال : اعطها إياه ، ثم قال لعلّه استقلّها يا غلام سق إليه البغلة[١] ونقل الصدوق أيضاً بالإسناد المتصل عن أبي العبّاس المبرّد ، قال : خرج أبو نواس ذات يوم من داره فبصر براكب قد حاذاه فسأل عنه ولم ير وجهه ، فقيل : إنّه علي بن موسى الرضا (عليه السلام) فأنشأ يقول :

إذا بَصّرتك العين من بعد غاية وعارض فيك الشكّ أثبتك القلب
ولو أنّ قوماً أمّوك لقادهم نسيمك حتى يستدلّ به الركب[٢]

وفي كلّ ما ذكر من الروايات أيضاً من الدلالة على حسن حال الرجل وخيرية مآله ، وإمامية مذهبه ما لا يخفى ، وظاهر أن أصحاب المعرفة والعقل والعلم لا يموتون إلاّ وهم راجعون إلى هذا الأمر إن شاء الله .

وكانت ولادته كما عن تاريخ الخطيب البغدادي في سنة خمس وأربعين أم ستّ وثلاثين ومئة ووفاته سنة خمس أو ست أو ثمان وتسعين ومئة ببغداد ودفن في مقابر الشونيزي[٣] .

وفي مجالس الشيخ نقلاً عن الحفار عن اسماعيل بن علي الدعبلي عن محمد بن ابراهيم بن كثير ، قال : دخلنا على أبي نواس الحسن بن هاني في مرضه الذي مات فيه ، فقال له عيسى بن موسى الهاشمي[٤] : يا أبا علي أنت في آخر يوم من أيام الدنيا وأوّل يوم من أيام الآخرة ، وبينك وبين الله هنات فتب إلى الله عز وجل فقال أبو نواس : سنّدوني[٥] فلما استوى جالساً قال : إياي تخوّفني بالله وقد حدثني حمّاد بن سلمة عن ثابت بن النباتي[٦] عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لكل نبي شفاعة وأنا خبأت[٧]

---

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٣ .
(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٤ .
(٣) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٤٨ .
(٤) في المختار : قال علي بن صالح بن عيسى بن علي الهاشمي .
(٥) في المختار : فبكى ثم قال : ساندوني ساندوني .
(٦) في المختار : عن زيد الرواسي .
(٧) في المختار : وإني اختبأت .

شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة » أفترى[١] لا أكون منهم ؟ « انتهى » .

وكان ممن جمع شعر أبي نواس المذكور ابراهيم بن أحمد بن محمد الطبري النحوي الملقّب بتوزون أحد أهل الفضل والأدب المشهورين من جملة أصحاب أبي عمر الزاهد وابن درستويه النحوي وغيرهما من أكابر العلماء كما في البغية فلا تغفل .

٢٣٦
الشيخ أبو علي حسن بن محمد بن الصباح ، الزعفراني(*)

البغدادي ، صاحب الإمام الشافعي ، برع في الفقه والحديث وصنّف فيهما كتباً كثيرة وسار ذكره في الآفاق ، ولزم الشافعي وقرأ كتبه عليه حتى تبحر ، وكان يقول أصحاب الحديث كانوا رقوداً حتى أيقظهم الشافعي ، وما حمل أحد محبرة إلّا للشافعي عليه منة ، وسمع من سفيان بن عيينة وسائر من في طبقته مثل وكيع بن الجراح ، وعمرو بن الهيثم ويزيد بن هارون وغيرهم ، وهو أحد رواة الأقوال القديمة عن الشافعي ، وهم أربعة هو وأبو ثور وأحمد بن حنبل ، والحسين بن علي الكرابيسي البغدادي المعروف بطول اليد في المعقول والمسموع وكثرة التصنيف في الأصول والفروع .

كما أنّ رواة أقواله الجديدة ستّة وهم المزني والربيع بن سليمان الجيزي والربيع بن سليمان المرادي ، والبويطي وحرملة ويونس بن عبد الأعلى ، ويروي عنه ثلاثة من أصحاب الصحاح هم البخاري والترمذي وأبو داوود وغيرهم وتوفي في سلخ شعبان أم شهر رمضان سنة ستين ومئتين كما في الوفيات أو في شهر ربيع الثاني

---

(١) أفتراني .

(*) له ترجمة في : الأنساب ص ٢٧٥ ، تاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٠٧ ، تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٩٧ ، تهذيب الأسماء ج ١ ص ١٦٠ ، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣١٨ ، شذرات الذهب ج ٢ ص ١٤٠ ، العبر ج ٢ ص ٠ ، طبقات الأسنوي ج ١ ص ٣٢ ، طبقات الحنابلة ج ١ ص ١٣٨ ، طبقات السبكي ج ٢ ص ١١٤ ، طبقات الفقهاء ص ١٠٠ ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٣ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٥٦ .

من سنة ست وأربعين كما عن تاريخ السمعاني وكان الوجه في نسبته المذكورة أنّ أصله من القرية الزعفرانية التي هي بقرب بغداد قيل ودرب الزعفران الذي هو أيضاً من جملة محلات بغداد المحروسة منسوبة إليه لإقامته فيها .

٢٣٧

الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن العلاء بن أبي صفرة بن المهلب العتكي(*)

المعروف بالسكري النحوي اللغوي الراوية الثقة المكثر ، قال صاحب « البغية » كذا ذكره ياقوت ، وقال : سمع يحيى بن معين وأبا حاتم السجستاني ، والرياشي وخلقاً ، وأخذ عنه محمد بن عبد الملك التاريخي ، وكان ثقة صدوقاً يقرأ القرآن ، وانتشر عنه من كتب الأدب ، ما لم ينتشر عن أحد من نظرائه ، وكان إذا جمع جمعاً فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة ، وصنّف « النقائض » ، « النبات » « الوحوش » « المناهل والقرى » و« الأبيات السائرة » « السيرة » وجمع شعر جماعة من الشعراء منهم : امرؤ القيس ، والنابغة الذبياني ، والجعدي ، وزهير ، ولبيد ، وغيرهم . وعمل من أشعار القبائل شعر بني هذيل ، وبني شيبان ، وبني يربوع ، وبني ضبة ، والأزد ، وبني نهشل ، وغيرهم . مولده سنة اثنتي عشرة ومئتين ومات سنة خمسة وسبعين ومئتين(١) .

٢٣٨

الشيخ أبو بكر حسن بن علي بن أحمد(**)

المعروف بابن العلّاف الضرير ، النهرواني الشاعر المشهور كان فاضلاً أديباً

(*) له ترجمة في : أعيان الشيعة ج ٢١ ص ٢١٢ ، أنباء الرواة ج ١ ص ٢٩١ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٢ ، تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٩٦ ، طبقات اللغويين النحويين ص ٢٠٠ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ٦٢ ، المنتظم ج ٥ ص ٩٧ ، نزهة الأولياء ص ٢١١ .

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٢ .

(**) له ترجمة في : تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٧٩ ، شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٢٧ ، طبقات ابن المعتز ص ٣٥٩ ، العبر ج ٢ ص ١٧ ، المختصر ج ٢ ص ٧٥ ، مرآة الجنان ج ٢ ص ٢٧٧ ، نكت الهميان ص ١٣٩ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٨٠ .

من الشعراء المجيدين ، وحدّث عن أبي عمر الدوري المقري ، وحميد بن مسعدة البصري وغيرهما وحدّث عنه ابن النحاس والخراجي وابن شاهين وغيرهم ، وكان من ندماء المعتضد العباسي ، وذكر أنّه بات ليلة عنده في جماعة من ندمائه ، ثم خرج من عنده فلمّا كان وقت السحر ، أتاهم خادم له ، يقول لهم : أمير المؤمنين يقول لكم : ارقت الليلة بعد انصرافكم فقلت :

وَلَما انتبهنا للخيال الذي سرى إذ الدار قفر والمزار بعيد

وقد ارتج علي إتمامه فمن أجازه بما يوافق غرضي أمرت له بجائزة ، قال فارتج على الجماعة وكلهم شاعر فاضل ، فابتدرت وقلت :

فقلت لعيني : عاودي النوم واهجعي لعلّ خيالاً طارقاً سيعود

فرجع الخادم إليه ثم عاد فقال:أمير المؤمنين يقول : قد أحسنت ، وأمر لك بجائزة ، وفي الوفيات أنّه كان لأبي بكر المذكور هر يأنس به وكان يدخل أبراج الحمام التي لجيرانه ويأكل فراخها وكثر ذلك منه ، فأمسكه أربابها فذبحوه ، فرثاه بهذه القصيدة [الآتية] وقد قيل إنّه رثى بها عبد الله بن المعتز وخشي من المقتدر أن يتظاهر بها ، لأنّه هو الذي قتله ، فنسبها إلى الهر ، وعرّض به في أبيات منها ، وكانت بينهما صحبة أكيدة .

وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه الصغير الذي سماه « المعارف المتأخرة » في ترجمة الوزير أبي الحسن علي بن الفرات ما مثاله : قال الصاحب أبو القاسم ابن عباد : أنشدني أبو الحسن بن أبي بكر العلاّف ، وهو الأكول المقدّم في الأكل في مجالس الرؤساء والملوك ، قصائد أبيه أبي بكر في الهرّ ، وقال إنّما كنى به عن المحسن بن الفرات يعني به ولد الوزير المذكور وهي من أحسن الشعر وأبدعه عددها خمسة وستّون بيتاً ونحن نأتي بمحاسنها ، وفيها أبيات مشتملة على حِكَم فنأتي بها وأوّلها :

يا هرُّ فارقتنا ولم تعد وكنت عندي بمنزل الولدِ
فكيف ننفك عن هواك وقد كنت لنا عدة من العددِ
تُطرد عنّا الأذى وتحرسنا بالغيب من حيّة ومن جردِ
وتخرج الفأر من مكامنها ما بين مفتوحها إلى السددِ

يلقــاك في البيت منهم مـدد | وأنـت تلقـاهـم بـلا مـددِ
[لا عـدد كـان منـك منفلتـاً | منهم ولا واحـد مـن العـددِ]
لا تـرهب الصيف عند هـاجرةٍ | ولا تهـاب الشتـاء في الجمـدِ
وكـان يجـري ولا سـداد لهـم | أمـرك في بيتـنـا عـلى سـددِ
حتى اعتقـدت الأذى لجـيرتنـا | ولم تـكـن لـلأذى بمـعـتـقـدِ
وحمت حـول الردى بـظلمهم | ومن يحم حـول حوضـه يـردِ
وكـان قلبي عليـك مـرتعـداً | وأنت تنسـاب غـير مـرتعـدِ
تـدخـل بـرج الحـمام متئـداً | وتـبـلغ الـفـرخ غـير متئـدِ
وتـطرح الـريش في الـطريق لهم | وتبـلع الـلحـم بـلع مـزدرِدِ
أطعمـك الغي لحمهـا فـرأى | قـتلك أربـابهـا مـن الـرشـدِ
حـتى إذا داومـوك واجـتـهـدوا | وسـاعـد النصر كيـد مجتهـدِ
كـادوك دهـراً فـما وقعت وكم | أفـلت من كـيـدِهـم ولم تـكـدِ
فحـين أخفـرت وانهمكت وكـا | شفت وأسرفت غـير مقـتصِـدِ
صـادوك غيـظاً عليـك وانتقمـوا | منـك وزادوا ومن يصِد يُصَـدِ
ثم شفـوا بـالحـديـد أنفسهم | منـك ولم يـرعـوا عـلى أحـدِ

ومنهـــا[1] :

فلم تـزل للحـمام مـرتصـداً | حتى سقيت الحـمام بـالـرّصـدِ
لم يـرحموا صـوتك الضعيف كما | لم تَـرث منهـا لصـوتِها الغِـرَدِ
أذاقـك المـوت ربُّهـنّ كـما | أذقـت أفـراخـه يـداً بـيـدِ
كـأنّ حبـلاً حـوى بجـودتـه | جيـدك للخنق كـان من مسـدِ
كـأن عيني تـراك مـضـطربـاً | فيـه وفي فيـك رغـوة الـزبـدِ
وقـد طلبت الخـلاص منـه فلم | تـقـدر عـلى حيـلةٍ ولم تجـدِ
فجـدت بـالنفس والبخيـل بهـا | أنـت ومـن لم يجـد بهـا يجـدِ
فـما سمعنـا بمثـل مـوتـك إذ | مِت ولا بمثـل عيشـك النكـدِ
يـا من لـذيـذ الفـراخ أوقعـه | ويحـك هـلاّ قنعـت بـالغـددِ

(١) الزيادة من الوفيات .

ألم تخف وثبة الزمان كما وثبت في البرج وثبة الأسدِ
عاقبة الظلم لا تنام وإن تأخرت مدةً من المُددِ
(أردت أن تأكل الفراخ ولا يأكلك الدهر أكل مضطهدِ)
(هذا بعيدٌ من القياس وما أعزه في الدنو والبُعدِ)
لا بارك الله في الطعام إذا كان هلاك النفوس في المعدِ
كم دخلت لقمة حشا شرهٍ فأخرجت روحه من الجسدِ
(ما كان أغناك عن تصعُّدك الـ ـبرج ولو كان جنةَ الخلدِ

(ومنها)[1] :

قد كنت في نعمة وفي دعة من العزيز المهيمن الصمدِ
تأكل من فأرِ بيتنا رغداً وأين بالشاكرين للرغدِ
وكنت بددت شملهم زمناً فاجتمعوا بعد ذلك البددِ
فلم يبقوا لنا على سبدٍ في جوفِ أبياتنا ولا لبدِ
(وفتتوا الخبز في السلال فكم تفتّتت للعيال من كبدِ
وفرعوا قعرها وما تركوا ما علّقته يد على وتدِ)
ومزّقوا من ثيابنا جُددا فكلنا في المصائب الجُددِ

ونقتصر من القصيدة على هذا القدر فهو زبدتها وكانت وفاته سنة ثماني عشرة وثلاث مئة وعمره مئة سنة[1] سامحه الله إن كان ناجياً .

ثم ليعلم إنّ هذا الشيخ ، غير الأستاذ الفاضل البارع الحسن بن علي بن أحمد الملقّب بأفضل ما ها بادى، الذي ذكره صاحب«تلخيص الآثار»بهذا الوجه ، في ترجمة ماهاباد التي ذكر أنّها قرية كبيرة قرب قاشان ، أهلها شيعة إمامية ، ثمّ قال أنّه كان بالغاً في علم الأدب ، عديم النظير في زمانه ، يقصده الناس من الأطراف .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٨٠ ، ٣٨٤ .

٢٣٩
أبو علي حسن بن القاسم الطبري الشافعي(*)

أخذ الفقه عن أبي علي بن أبي هريرة الشافعي المدرّس ببغداد شارح مختصر المُزني وعلق عنه التعليقة المنسوبة إليه ، وسكن ببغداد ، ودرس بها بعد أستاذه أبي علي المذكور ، وصنّف كتاب « المحرر » في النّظر في الفقه ، وهو أوّل ما صُنّف في الخلاف المجرد ، وكتاب « الإفصاح » في الفقه أيضاً وكتاب « العدة » وهو كبير يدخل في عشرة أجزاء (وصنّف) كتاباً في الجدل ، وكتاباً في أصول الفقه ، وتوفي ببغداد سنة خمسين وثلاث مئة ، كما في وفيات الأعيان .

٢٤٠
الحسن بن عبد الله أبو علي الإصفهاني المعروف بلذكة(*)

بضم اللام وسكون الذال المعجمة ، ويقال لغذة بالغين ، قال ياقوت : قدِم بغداد ، وكان إماماً في النحو واللغة ، جيّد المعرفة بفنون الأدب ، حسن القيام في القياس أخذ عن الباهلي صاحب الأصمعي والكرماني صاحب الأخفش ، وكان يحضر مجلس الزجاج ، ويكتب عنه ، ثم خالفه ، وقعد عنه وجعل ينقض عليه ما يمليه ، و(كان) بينه وبين أبي حنيفة الدينوري مناقضات ، وكان في طبقته ، ولم يكن له في آخر أيّامه نظير بالعراق ، وله من التصانيف « النوادر » « خلق الإنسان » « نقض علل النحو » « خلق الفرس » « مختصر في النحو » « الهشاشة والبشاشة » « التسمية » « الرد على ابن قتيبة في غريب الحديث » « الردّ على أبي عبيد » وغير ذلك ، ومن شعره :

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكلّ أمرٍ منكَرِ

(*) له ترجمة في : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٣٨ ، تاريخ بغداد ج ٨ ص ٨٧ ، تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ٢٦١ ، شذارت الذهب ج ٣ ص ٣ ، طبقات السبكي ج ١٣ ص ٢٨٠ ، طبقات الشيرازي ص ٩٤ ، العبر ج ٢ ص ٢٨٤ ، مرآة الجنان؛ ج ٢ ص ٣٤٥ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ١٢٦ ، المنتظم ج ٧ ص ٥ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥٧ .

(**) له ترجمة في : بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٩ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ٨١

وبقيت في خلفٍ يـزين بعضهم بعضـاً ليسـتّر معـوزٌ من معـورِ
مـا أقرب الأشيـاءحين يسـوقهـا قـدر وأبـعـدهـا إذا لم تُقـدِرِ
الجـد أنهض بـالفتى من كـدّه[1] فـانهض بجدٍ في الحـوادث أو ذرِ
وإذا تعسرت الأمـور فـأرجهـا وعليـك بالأمـر الذي لم يعسُرِ[2]

ولا يبعد كون الـرجل بعينـه هو أبـو القاسم الإصفهـاني الملقّب بـ « ستليزه » بالباء أو التاء مع اللام والياء والزاي والهاء كما في القاموس[3] .

٢٤١
الشيخ أبو أحمد الحسن بن عبد الله ابن سعيد العسكري(*)

نسبتـه إلى عسكر مكـرم وهي مدينـة من كور الأهـواز تنسب إلى مُكـرم البـاهلي الذي هـو أول من اختطهـا دون العسكر الـذي ينسب إليه أبـو محمد الحسن بن علي الـزكي العسكري حـادي عشر أئمـة الشيعة صلوات الله عليهم أجمعين ، فإنه إسم لسرّ من رأى ، ولما بناها المعتصم وانتقل إليها بعسكره قيل لها العسكر ، كما ذكره إبن خلكان .

قال : وإنما نسب الحسن إليها لأن المتوكل أشخص أباه عليّاً إليها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر فنسب هو وولده إليها وقال في ذيل ترجمة صاحب العنوان : وهذه النسبة إلى عدة مواضع أشهرها عسكر مكرم التي ينسب إليها أبو

(١) في البغية : من كسبه .
(٢) بغية الوعاة : ج ١ ص ٥٠٩ .
(٣) راجع تاج العروس ج ٤ ص ١١ .

(*) له ترجمة في : الأنساب ص ٣٩٠ ، البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٢٠ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٦ ، تاريخ ابن الأثيرج ٧ ص ١٨٨ ، تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ١٣٣ ، خزانة الأدب ج ١ ص ٩٧ ، ذكر أخبار إصفهان ج ١ ص ٢٧٢ ، وفيه تأخر موته ، توفي في صفر سنة ثلاث وثمانين ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٠٢ ، مرآة الجنان ج ٢ ص ٤١٥ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ١٢٦ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٦٣ .

أحمد المذكور وهو أحد الأئمة في الآداب والحفظ وصاحب أخبار ونوادر ، وله رواية متّسعة ، وله التصانيف المفيدة ، منها كتاب « التصحيف » الذي جمع فيه فأوعب وكتاب « المختلف والمؤتلف » وكتاب « علم المنطق » وكتاب « الحكم والأمثال » وكتاب « الزواجر » وغير ذلك ، وكان الصاحب بن عبّاد يودّ الإجتماع به ولا يجد إليه سبيلاً ، فقال لمخدومه مؤيد الدولة بن بويه : إن عساكر مُكرم قد اختلّت أحوالها واحتاج إلى كشفها بنفسي فأذن له في ذلك ، فلما أتاها توقّع أن يزوره أبو أحمد المذكور فلم يزره ، فكتب إليه الصّاحب :

ولمّا أبيتُم أن تزوروا وقُلتُم ضَعفَنا فلم نقدِر على الوَخدانِ
أتيناكم مِن بُعدِ أرضٍ نزوركم وكم مَنزِل بكرٍ لنا وعَوان
نُسائِلكم هل مِن قُرىً لِنَزيلِكُم بِملءِ جُفُون لا بملء جفانِ

وكتب مع هذه الأبيات شيئاً من النّثر ، فجاوبه أبو أحمد المذكور عن النثر بنثرٍ مثله ، وعن هذه الأبيات بالبيت المشهور (وهو) :

أهُمُّ بأمرِ الحَزمِ لو أستطيعُهُ وقد حِيل بين العِيرِ والنزَوَانِ

فلمّا وقف الصّاحب على الجواب عجبِ من إتفاق هذا البيت له ، وقال : والله لو علمت أنه يقع له هذا البيت لما كتبت إليه على هذا الرّوى وهذا البيت لصخر بن عمرو بن الشريد أخي الخنساء الشاعرة المشهورة ، إلى أن قال : وكانت ولادته يوم الخميس لِست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومئتين وتوفى يوم الجمعة لتسع خلون من ذي الحجة سنة إثنتين وثمانين وثلاث مئة ، إنتهى[1] .

وقال صاحب « البغية » بعد زيادة إسماعيل بن زيد بن حكيم العسكري في نسبته : أبو أحمد اللغوي العلّامة ، قال السلفي : كان من الأئمة المذكورين بالتصرف[2] في أنواع العلوم والتّبحر في فنون الفهوم سمع ببغداد والبصرة وإصفهان وغيرها من أبي القاسم البغوي ، وأبي بكر بن دريد ونفطويه

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦٤ .
(٢) في البغية : في التصرف .

وغيرهم ، وبالغ في الكتابة ، واشتهر في الآفاق بالدراية والإتقان ، وانتهت إليه رئاسة التحديث والإملاء للآداب والتدريس بقطر خوزستان ورحل إليه الأجلّاء .

روى عنه أبو نعيم الإصفهاني وأبو سعد الماليني وصنّف « صناعة الشعر »[١] ، « التصحيف » « الحكم والأمثال » « راحة الأرواح » وكتاب « المختلف والمؤتلف » وكتاب في « المنطق » وكتاب « الزواجر » وغير ذلك[٢] وقال أيضاً في ترجمة الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران أبي هلال العسكري : صاحب الصناعتين قال السلفي : هو تلميذ أبي أحمد العسكري الذي قبله ، توافقاً في الإسم وإسم الأب والنسبة ، وكان موصوفاً بالعلم والفقه ، والغالب عليه الأدب والشعر وكان يتبزّز إحترازاً من الطمع والدناءة ، روى عنه أبو سعد السمّان وغيره ، وقال ياقوت : ذكر بعضهم أنه ابن أخت أبي أحمد العسكري السابق ذكره ، وله من التصانيف كتاب « صناعتي النّظم والنّثر » مفيد جداً و « التلخيص في اللغة » « جمهرة الأمثال » « شرح الحماسة » وكتاب « من احتكم من الخلفاء إلى القضاة » « لحن الخاصة » « الأوائل » ومواد الواحد والجمع »[٣] و« تفسير القرآن » وكتاب « الدّرهم والدينار » و « رسالة في العزلة »[٤] وديوان شعره وغير ذلك ، وفرغ من إملاء الأوائل في شعبان سنة خمس وتسعين وثلاث مئة ومن شعره :

إذا كان مالي مالُ مَن يلقُطُ العَجم ... وحالي فيكُم حالُ مَن حاك أو حَجَم
فأين انتِفاعي بالإصالَةِ والحجَى ... وما ربِحت كفيَّ على العلم والحكَم !
ومن ذا الذي في الناس يُبصرُ حالتي ... فلا يلعن القرطاسُ والحِبرَ والقَلَم !

إنتهى[٥] .

وقد عرفت فيما سبق وستعرف أيضاً فيما يأتي أن مثل هذين الرجلين

(١) في البغية « صناعة الشعراء » .
(٢) البغية ج ١ ص ٥٠٦ .
(٣) في البغية « نوادر الواحد والجمع » .
(٤) في البغية « رسالة في العزلة والإستئناس بالوحدة » .
(٥) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٦ .

المتوافقين في الإسم والنسب والنسبة والطبقة ، بين أصحابنا الإمامية أيضاً كثير ، كإبني فهد الحليين ، وإبني براج الطرابلسيين ، وأمثال أولئك ، وسيأتي زيادة كلام تتعلق بهذا المقام في أواسط أبواب المحمدين إن شاء الله .

٢٤٢
الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن محمد بن خلف ابن حيان بن صدقة بن زياد الضبي(*)

المعروف بابن وكيع البغدادي الأصل ، التنّيسي المولد والوفاة والمدفن ، والتنّيس بكسر التاء وتشديد النّون مدينة بديار مصر بناها تنّيس بن حام بن نون ذكره الثعالبي في « اليتيمة » فقال في حقّه : شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع على أهل زمانه فلم يتقدمه أحد في ابانه ، وله كل بلاغة[1] تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام .

وذكر مزدوجته المربّعة ، وهي من جيّد النظم ، وأورد له غيرها ، وله ديوان شعر جيّد ، وكتاب بيّن فيه سرقات المتنبّي سمّاه « المنصف » وكان في لسانه بحة ، ويقال له : العاطس ، ومن شعره :

سلا عن حُبِّكَ القلبُ المَشوق فما يَصبو إليك ولا يتوق
جفاؤكَ كان عنكَ لنا عزاءً وقد يَسلى عنِ الوَلدِ العُقوقُ

وله أيضاً :

إن كان قد بَعُدَ اللِقاء فَوُدّنا باقٍ ونحنُ على النَّوى أحبابُ
كم قاطِعٍ لِلوَصلِ يؤمَنُ وُدُّهُ ومُواصِلٍ بِوَدادِهِ يُرتابُ

وله أيضاً :

أبصَرهُ عاذلي عليهِ ولم يكُن قبلَ ذا رآهُ
فقال لي لو هَويتَ هذا ما لامَكَ النّاسُ في هَواهُ

(*) له ترجمة في : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٧ ، يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٧٢ .
(١) اليتيمة : بديعة .

قُل لي إلى مَن عَـدَلتَ عنـهُ فـليسَ أهــل الهـوى سِــواهُ
فـظلّ مِـن حيثُ ليس يـدري يـأمُـرُ بـالـحُبِّ مَـن نـهـاهُ

قال ابن خلكان : وكنت أنشدت هذه الأبيات لصاحبنا الفقيه شهاب الدين محمد ولد الشيخ تقي الدين عبد المنعم المعروف بالخيمي ، فأنشدني لنفسه في المعنى :

لـو رأى وَجهَ حبيبي عـاذلي لَتفـاصَلنـا على وَجـهٍ جميـلِ

وهذا البيت من جملة أبيات ، ولقد أجاد فيه وأحسن في التورية وله كلّ معنى حسن . وكانت وفاة إبن وكيع المذكور سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة بمدينة تنّيس .

ووكيع بفتح الواو ، وكسر الكاف ، لقب جدّه أبي بكر محمد بن خلف ، وكان فاضلاً نبيلاً فصيحاً من أهل القرآن والفقه والنحو والتفسير وأخبار الناس ، وله مصنفات كثيرة فمنها كتاب « الطريق » وكتاب « للشريف » وكتاب « عدد آي القرآن والإختلاف فيه » وكتاب « الرمي والنضال » وكتاب « المكاييل والموازين » وغير ذلك ، وله شعر كشعر العلماء وتوفي سنة ست وثلاث مئة ببغداد .

٢٤٣

الوزير الكامل الأدبي أبو محمد حسن بن محمد بن هارون بن ابراهيم المهلبي(*)

هو من ولد قبيصة بن المهلّب بن أبي صفرة الأزدي ، وكان وزير معزّ الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه الديلمي ، وكان من ارتفاع القدر ، واتّساع الصّدر ، وعلو الهمّة ، وفيض الكف على ما هو مشهور به ، وكان غاية في

(*) وله ترجمة في : أعيان الشيعة ج ٢٣ ص ٢١٤ ، تجارب الأمم ص ١٢٣و١٩٧ وما بينهما ، تكملة تاريخ الطبري ص ١٨٤ ، رياض العلماء ، شذرات الذهب ج ٣ ص ٩ ، الكنى والألقاب ج ٣ ص ٣١٤ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ٦٩ ، مرآة الجنان ج ٢ ص ٣٤٦ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٩٢ ، يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٢٤ .

الأدب والمحبة لِأهله ، ومحاسنه كثيرة ، وكان قبل اتصاله بمعزّ الدولة في شدة عظيمة من الضرورة والضائقة ، وكان قد سافر مرّة ولقي في سفره مشقة صعبة ، واشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال ارتجالاً :

ألا مــوتٌ يُبـاع فـأشتـريــهِ فهـذا العَيشُ مـا لا خيـرَ فيـهِ
ألا مـوتٌ لذيـذُ الـطّعمَ يـأتي يُخَلِّصُني منَ المـوتِ الكريـهِ
إذا أبصـرتُ قبـراً مِن بعيـدٍ وَددتُ لـو أنني ممّـا يليـهِ
ألا رحم المُهيمن نـفسَ حُـرٍ تُصـدّق بـالـوفـاة على أخيـه

وكـان معه رفيق فلمّـا سمع الأبيـات إشتـرى لـه بـدرهم لحمـاً وطبخـه وأطعمـه ، وتفارقـا ، فتنقلت بالمهلبي الأحـوال ، وتولّى الـوزارة ببغداد لمعـز الدولة المذكور ، وضاقت الأحوال برفيقه في السفـر الذي اشتـرى له اللحم ، وبلغه وزارة المهلبي ، فقصده وكتب إليه :

ألا قُـل لِلوزيـرِ فَـدَتـهُ نفسي مقـالَـة مُـذَكـرٍ مـا قَـد نسيــهِ
أتَـذكَرُ إذ تقـولَ لِضنك عَيشٍ (ألا مـوتٌ يُبـاع فـأشتـريـهِ)

فلما وقف عيـه تذكـره وهزّتـه أريحيّة الكـرم ، فأمـر له في الحـال بسبع مئـة درهم ، ووقّع في رقعته ﴿ مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيـل الله كمثلِ حبةٍ أنبتت سَبعَ سنابلَ في كُلّ سُنبلةٍ مئة حبَّة ﴾ ثم دعا به فخلع عليه وقلّده عما يرتفق به ، ولما وُلّي المهلبي الوزارة بعد تلك الإضافة عمل :

رُقَّ الـزمـانِ لِـفـاقـتـي ورَثـى لِـطولِ تَـحَـرُّقـي
فـأنـالـني مـا أرتـجيـهِ وحـاد عـمّـا أتّـقـي
فـلأصـفـحـنّ عـمّا أتـاه مِـنَ الـذّنـوب الـسُّـبـق
حـتى جـنـايـتـه بمـا صنـع المشـيـبُ بمـفـرقـي

ومن المنسوب إليه من الشعر في وقت الإضافة ما كتبه إلى بعض الرؤساء وقيل إنهما لأبي نواس :

ولــو أني استـزَدتُـك فــوق مــا بي مِـنَ الـبـلوى لأعــوزك الـمـزيـدُ
ولــو عُـرِضَت على المــوتى حيــاة بِـعيش مِـثـلَ عيـشي لـم يُـريـدوا

وكان للمعز مملوك تركي في غايـة الجمال ، وكـان شديـد المحبة لـه ،

فبعث سرية لمحاربة بعض بني حمدان ، وجعل المملوك المذكور مقدم الجيش ، وكان الوزير المهلبي يستحسنه ، ويرى أنه من أهل الهوى ، لا من أهل مدد الوغى ، فعمل فيه :

طـفـلٌ يـرِقُ الـمـاء فـي وجـنـاتِـه ويـرفُّ عـودُه
ويـكـاد مـن شـبـه الـعـذا رى فـيـه أن تـبـدو نـهـوده
نـاطـوا بِـمـقـعـدِ خـصـره سـيـفـاً ومِـنـطـقـةً تـؤده
جـعـلوه قـائـد عـسـكـرٍ ضـاع الـرعيـل ومَن يقـوده

وكذا كان ، فإنه ما أنجح في تلك الحركة ، وكانت الكرة عليهم ومن شعره النادر في الرقة قوله :

تصارمت الأجفان لمّا صرمتني فما نلتقي إلاّ على عَبرةٍ تجري[1]

وفي محاضرات الراغب قال : وقال الصاحب رحمه الله يعني به كافي الكفاة اسماعيل بن عبّاد حضرت الوزير المهلبي يوماً وقد جاءه خادم من المطيع وفي يده رقعة وفيها:غني لنا بيتان وهما :

عـرج على القفص وحاناتها واسقنا في وسط جنّاتها
وعـلّل النّفس ولـو سـاعـة فـإنما الـدّنيا بسـاعـاتها

فاجعلهما أربعة أبيات ، فقال لي تفضّل فقلت :

والـرّوح في الـرّاح إذا اتبعت بهاكها يا صاح أو هاتها
وقينـةٍ تـصبي بـأصـواتها نـأخـذ من أطيب أوقاتها[2]

هذا ، وكانت وفاته في سنة إثنتين وخمسين وثلاث مئة في طريق واسط، وحمل إلى بغداد ، ودفن في مقابر قريش كما ذكره ابن خلكان وفيه من الإشارة إلى تشيّع الرجل ما لا يخفى .

وكانت في هذه السنة أيضاً بعينها وفاة سميّه **الحسن بن داوود بن**

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٩٢ .

(٢) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٦٧٤ وفيه : بها كها خشف أوهاتها .

الحسن بن عون بن منذر بن صبيح القرشي المعروف بالنقار المقري النحوي الأموي أبي علي الكوفي الذي نقل في حقه أنه قرأ على القاسم بن أحمد الخياط قراءة عاصم وكان حاذقاً بالنحو لفاظاً بالقرآن ، صاحب ألحان ، صلّى بالناس بجامع الكوفة ثلاثاً وأربعين سنة ، وصنّف كتاب « اللغة في مخارج الحروف » وكتاباً في « أصول النحو » « قراءة الأعشي »[١] .

قلت : وكان من كتاب أصوله المذكور أقتبس كتاب أصول نحو الحافظ السيوطي الذي كتبه على طريقة « أصول الفقه » .

٢٤٤

أبو علي الحسن بن رشيق[*]

بفتح الراء وكسر الشين المعجمة ، القيرواني صاحب « العمدة في صناعة الشعر » و « الأنموذج في شعراء القيروان » و « الشذوذ في اللغة » يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها وغير ذلك .

قال ياقوت : كان شاعراً أديباً نحوياً لغوياً حافظاً عروضياً ، كثير التصنيف ، حسن التأليف تأدّب على محمد بن جعفر القزّاز وغيره ، وكان أبوه رومياً ، وبينه وبين أبن شرف الأديب مناقضات ، وله في الرد عليه تصانيف ، ولد بالمحمدية سنة تسعين وثلاثمأة ومات بالقيروان سنة ستّ وخمسين وأربع مئة ، ومن شعره :

في الناس من لا يُرتجى خيره[٢] إلا إذا مُسّ بإضرارِ
كالعود لا يُطمعُ في طيبهِ إلا إذا أُحرقَ بالنار[٣]

---

(١) بغية الوعاة ص ٢١٩ وفيه أنه مات بالكوفة سنة ٣٥٢ وانظر معجم الأدباء ج ٣ ص ٦٩ .

(*) له ترجمة في : أنباه الرواة ج ١ ص ٢٩٨ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٤ ، شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٧ ، مرآة الجنان ج ٣ ص ٧٨ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ٧٠ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦٦ .

(٢) في معجم الأدباء : نفعه .

(٣) في معجم الأدباء : إن أنت لم تمسسه بالنار .

كذا في طبقات النحاة[١] وقد تقدّم الكلام على مادّة قيروان وإفريقيا في ترجمة إبراهيم بن عثمان القيرواني الملقّب بابن الوزان .

٢٤٥

الحسن بن الوليد بن نصر ، أبو بكر القرطبي[*]

المعروف بابن العريف النحوي ، قيل إنه كان نحوياً مقدّماً فقيهاً في المسائل ، حافظاً للرأي خرج إلى مصر ورأس فيها[٢] وصنع لولد أبي عامر المنصور مسألة فيها من العربية مئتا ألف وجه وإثنان وسبعون ألف وجه وثمانية وستون وجهاً[٣] .

وكان أخوه **الحسن بن الوليد بن نصر** أبو القاسم بن العريف النحوي أيضاً عارفاً بالعربية ، متقدماً فيها أخذ عن إبن القوطية وغيره ، ورحل إلى المشرق ، وسمع (بمصر) من أبي طاهر الذهلي وابن رشيق المتقدم ذكره وأقام (بمصر) أعواماً ، ثم عاد إلى الأندلس ، فأدّب أولاد المنصور محمد بن أبي عامر ، وكان شاعراً ، وله حظّ من الكلام ، مـا بُطليطلة في رجب سنة تسعين وثلاث مئة[٤] ذكر الحميدي في « تاريخ الأندلس » كما نقل عنه أنه إمام في العربية ، أستاذ في الآداب مقدم في الشعر ، وله في الآداب مؤلفات ، وله كتاب في النحو اعترض فيه على أبي جعفر أحمد بن محمد النحّاس في مسائل ذكرها في كتابه « الكافي » كان في أيام المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر ، وممّن يحضر مجالسه ، وإجتماعاته مع أبي العلاء صاعد بن الحسن اللغوي مشهورة .

أخبرني أبو محمد ، علي بن أحمد قال : أخبرني أبو خالد بن الرّاس : أن المنصور[٥] أبا عامر صاحب الأندلس ، جيء إليه بوردة في مجلس من

---

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٤ .

(*) له ترجمة في : بغية الوعاة ج ١ ص ٥٢٧ ، تاريخ علماء الأندلس ص ١١٢ .

(٢) ومات سنة سبع وستين وثلاثمأة .

(٣) بغية الوعاة .

(٤) تاريخ علماء الأندلس ص ١١٤ .

(٥) كذا في الأصل وفي « جذوة المقتبس » قال : أخبرني أبو خالد التراس أن المنصور أبا عامر وفي « البغية » قال : أخبرني أبو خالد بن رأس بن المنصور أن أبا عامر . .

مجالس أنسه أول ظهور الورد ، فقال في الوقت أبو العلاء وكان حاضراً يخاطب المنصور :

أتتكَ أبا عامِرٍ وردَةٌ ... يُحاكي لكَ المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مُبصرٌ ... فغطّت بأكمامها رأسها

فاستحسن المنصور ما جاء به وتابعه الحاضرون ، فحسده أبو القاسم بن العريف وكان حاضراً ، فقال هي لعباس بن الأحنف ، فناكره صاعد ، فقام ابن العريف إلى منزله ووضع أبياتاً وأثبتها في دفتر ، وأتى بها قبل افتراق المجلس وهي :

عثَوتُ إلى قصر عبّاسةٍ ... وقد جدّل النوم حرّاسها
فألفيتها وهي في خِدرها ... وقد صرح السّكر أنّاسها
فقالت أسارٍ على هجعة ... فقلتُ بلى ، فرمَت كاسها
ومدّت إلى وردةٍ كفَّها ... يُحاكي لك المِسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مُبصرٌ ... فغطّت بأكمامها رأسها
وقالت : خَفِ الله لا تفضحـ ... ـن في إبنة عمَّك عبّاسها
فولّيت عنها على عفةٍ ... وما خُنت ناسي ولا ناسها

قال : فخجل صاعد وحلّف ، فلم يُقبل ، وافترق المجلس على أنه سرقها(١) .

٢٤٦

الشيخ الإمام أبو سعيد ، حسن بن عبد الله بن المرزبان(*)

النحوي المعروف بالقاضي السيرافي نسبته إلى سيراف بكسر السين

---

(١) جذوة المقتبس ص ١٩٤ .

(*) له ترجمة في : الأمتاع والمؤانسة ج ١ ص ١٠٨ ، أنباه الرواة ج ١ ص ٣١٣ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٧ ، تاريخ ابن الأثير ج ٧ ص ٩٧ ، تاريخ ابن الفداء ج ٢ ص ١٣٠ ، تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٤١ ، شذرات الذهب ج ٣ ص ٦٥ ، طبقات الزبيدي ص ٨٦ ، العبر ج ٢ ص ٣٤٧ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٢١٨ ، مرآة الجنان ج ٢ ص ٣٩٠ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ٨٤ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٣٣ .

المهملة وسكون الياء ثم الراء والألف والفاء ، وهو من بلاد فارس على ساحل البحر ممّا يلي كرمان ، وقد خرج منها جماعة من العلماء كما ذكره أبن خلكان[١] .

منهم هذا الرجل المفخّم ، المنصرف إليه السّيرافي المطلق ، المذكور في كتب العربية على سبيل التعظيم ، وكان أبوه مجوسياً إسمه بهزاد ، فسمّاه ابنه أبو سعيد المذكور عبد الله ، وكان يدرّس ببغداد علوم القرآن ، والنحو ، واللغة ، والفقه ، والأمثال والفرائض ، وكان قد قرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد ، واللغة على ابن دريد ، وقرأهما عليه النحو ، وأخذ هو النحو عن السراج والمبرمان ، وأخذا عنه القرآن والحساب ، كما عن صاحب معجم الأدباء[٢] .

وكان شيخ الشيوخ وإمام الأئمة معرفة بالنحو ، والفقه ، واللغة ، والشعر ، والعروض ، والقوافي ، والقرآن ، والفرائض ، والحديث والكلام ، والحساب ، والهندسة .

أفتى في جامع الرصافة ببغداد خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عُثر له على زلّة ، وقضى ببغداد هذا مع الثقة والأمانة والديانة والرزانة[٣] ، صام أربعين سنة أو أكثر الدّهر كلّه كما عن أبي حيان التوحيدي في كتاب التقريظ ، وما رأى أحد من المشايخ كان أذكر لحال الشباب ، وأكثر تأسفاً على ذهابه منه ، وكان إذا رأى أحداً من أقرانه عاجله الشيب تسلّى به ، كما عن « محاضرة العلماء » وقال في الإمتاع : هو أجمع لشمل العلم ، وأنظم لمذاهب العرب ، وأدخل في كل باب ، وأخرج من كل طريق وألزم للجادة الوسطى في الخلق والدين ، وأروى للحديث ، وأقضى في الأحكام وأفقه في الفتوى .

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦١ .
(٢) معجم الأدباء ج ٣ ص ٨٤ .
(٣) والرواية « خ » .

كتب إليه ملوك عدة كتب مصدّرة بتعظيمه يسألونه فيها عن مسائل في الفقه والعربية واللغة ، وكان حسن الخط طلب أن يقرّر في ديوان الإنشاء فامتنع وقال : هذا أمر يحتاج إلى دربة وأنا عارٍ منها وسياسة وأنا غريب فيها[١] .

وقال الخطيب كان زاهداً ورعاً لم يأخذ على الحكم أجراً ، إنما كان يأكل من كسب يمينه ، فكان لا يخرج إلى مجلسه حتى ينسخ عشر ورقات بعشرة دراهم ، تكون على قدر مؤونته ، وكان أبو علي وأصحابه يحسدونه كثيراً[٢] .

مولده بسيراف قبل التسعين ومئتين[٣] وفيها ابتدأ بطلب العلم وخرج إلى عمان وتفقّه بها وأقام بالعسكر مدّة ، ثم ببغداد، إلى أن مات بها في خلافة الطائع يوم الإثنين ثاني رجب سنة ثمان وستين وثلاث مئة،وله من التصانيف : « شرح كتاب سيبويه » لم يسبق إلى مثله وحسده عليه أبو علي الفارسي وغيره من معاصريه ، وكتاب « المدخل إلى كتاب سيبويه » وكتاب « شرح مقصورة ابن دريد » المعروف بالدريدية وكتاب « ألفات القطع والوصل » وكتاب « الوقف والإبتداء » وكتاب « صنعة الشعر والبلاغة » وكتاب « أخبار النحاة البصريين » وكان من أعلم الناس بنحوهم وكتاب « الإقناع في النحو » لم يتم فأتمّه ولده يوسف[٤] أبو محمد بن السيرافي صاحب « شرح أبيات الكتب » و « شرح أبيات الإصلاح » و « شرح أبيات الغريب المصنف » وكان هو أيضاً مثل أبيه ورعاً صالحاً متقدماً في اللغة والعربية ، ومات في ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلاث مئة ، وله ذكر في « جمع الجوامع » الذي هو متن « همع الهوامع » في النحو في أواخر مبحث المضمر كما ذكره مصنفهما الحافظ السيوطي في طبقات النحاة[٥] .

---

(١) الأمتاع والمؤانسة ج ١ ص ١٣١ .
(٢) معجم الأدباء ج ٣ ص ٨٤ .
(٣) قال أبو حيان في الأمتاع ج ١ ص ١٢٩ ، وياقوت ج ٣ ص ١٢٣ ، مولده سنة ثمانين ومأتين وفي البغية ج ١ ص ٥٠٧ ، قبل السبعين ويظهر أن مولده سنة ٢٨٤ ، فليراجع .
(٤) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٨ .
(٥) بغية الوعاة ص ٥٠٧ وانظر الفهرست ص ٦٢ .

وقال شيخه المتبحر تقي الدين الشمني في حاشيته على المغنى عند ذكره « للسيرافي » المذكور : أنه سكن بغداد وولّي القضاء بها نيابة عن ابن معروف ، وقرأ اللغة على ابن دريد ، والنحو على السراج وكان حسن الأخلاق معتزليا ، لكنه لم يظهره ، وكان لا يأكل إلا من كسب يده وهو النسخ ، وكان أبوه مجوسياً فأسلم ، توفي إلى رحمة الله تعالى في رجب سنة ثمان وستين وثلاث مئة ، إنتهى .

وكانت بينه وبين أبي الفرج الإصفهاني صاحب الأغاني ما جرت العادة بمثله بين الفضلاء من التنافس فعمل فيه أبو الفرج :

لستَ صدراً ولا قرأتَ على صد ... رٍ ولا عِلمُك البكى بشافٍ
لَعن الله كُلّ نحوٍ وشِعرٍ ... وعروضٍ يجيء مِن سيرافِ

وتوفى في التاريخ المتقدم ، وكان عمره يوم وفاته أربعاً وثمانين سنة ودفن بمقبرة الخيزران كما في « وفيات الأعيان »[1] وفي بعض مجاميع الأصحاب قال روي أن الرضى الموسوي أخا المرتضى كان صبياً لم يبلغ عمره عشر سنين يقرأ على السيرافي يومّاً على ما هو المعتاد في التعليم وقال له : إذا قيل رأيت عمر فما علامة نصبه ؟ قال الرضي : بغض علي بن أبي طالب (عليه السلام) فتعجب السيرافي والحاضرون من سرعة انتقاله وحدّة ذهنه ، ولما سمع بذلك أبوه فرح بذلك ، وقال له أنت ابني حقاً ، إنتهى[2] .

وذكر صاحب « يتيمة الدهر » في ترجمة سيدنا الرضي الموسوي ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن له في مرثيته السيرافي :

لم يَنسِنا كافي الكُفاةِ مَصابَهُ ... حتى دهانا فيكَ خَطبٌ مُضلعُ
قَرحٌ على قرحٍ تقارب عَهدُهُ ... إن القروحَ على القروحِ لأوجعُ
وتلاحُنُ الفُضلاءِ أعدَلُ شاهدٍ ... إن الحمامَ بكلّ عِلقٍ مُولعُ[3]

---

(١) وفيات الاعاني ج ١ ص ٣٦٠ .

(٢) انظر وفيات ج ٤ ص ٤٤ .

(٣) يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٤٩ .

وقال صاحب « تلخيص الآثار » في ترجمة سيراف بعد عدّه من جملة مدن الإقليم الثالث، مدينة بقرب بحر فارس، شريفة طيبة البقعة، كثيرة البساتين، والعيون تأتيها من الجبال ، يُنسب إليها أبو الحسن السيرافي شارح « كتاب سيبويه » عشرون مجلداً ، وكان فريد عصره[١] .

والظاهر إما إسقاط لفظ سعيد في البين ، أو زيادة لفظة أبوه في الأول ، والله العالم .

ثم أن للسيرافي المذكور ولداً فاضلاً بارعاً متقدماً في اللغة والعربية يدعى : **يوسف بن الحسن بن عبد الله** أبا محمد السيرافي ، وكان قد قرأ على والده وخلفه في جميع علومه ، وتمّم كتباً كان شرع فيها من الإقناع وله أيضاً « شرح أبيات الكتاب » و« شرح أبيات الإصلاح » و« شرح أبيات الغريب المصنف » وكان ديّناً صالحاً ورعاً ، مات في سنة خمس وثمانين وثلاث مئة عن خمس وخمسين سنة ، وله ذكر في جمع الجوامع في آخر المضمر كما ذكره المصنف له في طبقات النحاة[٢] .

وفيه أيضاً في ترجمة **محمد بن عبد الله بن العباس** أبي الحسن النحوي المعروف بابن الورّاق قال : ابن النجار كان ختَن أبي سعيد السيرافي على ابنته ، قرأ عليه أبو علي الأهوازي وروى عنه ، وله من الكتب « علل النحو » و« شرح مختصر الجرمي » يسمى « الهداية » مات سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة[٣] .

وهو جدّ ابن الورّاق المشهور محمد بن هبة الله بن أبي الحسن إمام أهل العربية وعلوم القرآن في زمانه بمدينة بغداد[٤] .

---

(١) راجع آثار البلاد ص ٢٠٤ .
(٢) بغية الوعاة ج ٢ ص ٣٥٥ .
(٣) بغية الوعاة ج ١ ص ١٢٩ .
(٤) بغية الوعاة ج ١ ص ٢٥٥ ، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٤١ ، شذرات الذهب ص ٦٥ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٢١٨ ، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ج ١ ص ١٦٩ ، نزهة الألباء ص ٣٧٩ .

٢٤٧
الشيخ أبوالقاسم الحسن بشر بن يحيى الآمدي النحوي(*)

الكاتب ، صاحب كتاب « الموازنة بين الطائيين » كان حسن الفهم جيّد الرواية والدراية ، أخذ عن الأخفش ، والزجاج ، والحامض ، وابن السراج وابن دريد، ونفطويه ، وغيرهم وتوفى سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة ،وله شعر حسن وحفظ وصنّف « المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء » « فعلت وأفعلت » لم يصنّف مثله ، « فرق ما بين الخاص والمشترك من معاني الشعر » « الموازنة بين أبي تمّام والبحتري » « ما في عيار الشعر لإبن طباطبا من الخطأ » « تفضيل شعر أمرىء القيس على شعر الجاهليين » « نثر المنظوم » « شدة حاجة الإنسان إلى أن يعرف نفسه » « تبيين غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر » « معاني شعر البحتري » ، كتاب في « أن الشاعرين لا تتّفق خواطرهما » ، « الرد على ابن عمار فيما خطّأ فيه أبا تمّام » « الأضداد » « ديوان شعره » وغير ذلك(١) كذا في طبقات النحاة .

وقد سبقت الإشارة هنا إلى ترجمة غير ابن دريد الذي هو من جملة مشايخه المذكورين ، وأما ابن دريد فهو عَلَم إثنين أشهرهما أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي اللغوي الشافعي الآتية ترجمته إن شاء الله ، والآخر يحيى بن محمد بن دريد الأسدي الفقيه اللغوي الأديب ،والمراد بابن طباطبا المذكور ، هو أبو المعز يحيى بن محمد بن طباطبا العلوي النحوي المتكلم مع ابن برهان المتقدم ذكره في هذا العلم ، وكان من تلامذة الربعي ، والثمانيني ، وأخذ عنه ابن الشجري وكان يفتخر به .

وأما آمد فهي من جملة مدن الإقليم الرابع ، مدينة حصينة مبنية بالحجارة من بلاد الجزيرة في نشز من الأرض ، ودجلة محيطة بها من جوانبها إلا

(*) له ترجمة في : أنباه الرواة ج ١ ص ٢٨٥ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٠ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ٥٤ .

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٠ .

من جهة واحدة على شكل الهلال ، في وسطها عيون وآبار عمقها ذراعان[٢] كما ذكره صاحب « تلخيص الآثار » .

وسيأتي في باب العين الإشارة إلى ترجمة الآمدي المشهور إن شاء الله تعالى .

٢٤٨
الإمام الأقدم ، والعماد المقدم حسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان أبو علي الفارسي النحوي[*]

المشهور المعروف المرجوع إلى تحقيقاته السنية في كتب العربية قال صاحب « بغية الوعاة » : أخذ عن الزّجّاج وابن السراج ومبرمان وطوّف بلاد الشام ، وقال كثير من تلامذته إنه أعلم من المبّرد ، وبرع من طلبته جماعة كإبن جني ، وعلي بن عيسى الربعي ، وكان متهماً بالإعتزال وتقدم عند عضد الدولة وله صنف « الإيضاح » في النحو و « التكملة » في التصريف ، ويقال إنه لما حمل له « الإيضاح » استقصره ، وقال له : ما زدت على ما أعرف شيئاً ، وإنما يصلح هذا للصبيان ، فمضى وصنّف «التكملة» وحملها إليه فلما وقف عليها ، قال : غضب الشيخ ، وجاء بما لا نفهمه نحن ، ولا هو[١] وكان معه يوماً في الميدان فقال له : بم ينتصب المستثنى في قولنا (قام القوم إلا زيداً) فقال الشيخ : بفعل مقدّر ، فقال له : كيف تقديره ؟ فقال : (استثنى زيداً) فقال له : بِمَ قدّرت استثنى فنصبت ؟ فهلّا قدرت (إمتنع زيداً) فرفعت ؟ فانقطع الشيخ وقال له : هذا جواب ميداني فإذا رجعت قلت الجواب الصحيح ، قيل : ثم أنه

---

(١) آثار البلاد ص ٤٩١ .

(*) له ترجمة في : الأمتاع والمؤانسة ج ٨ ص ١٣١ ، أنباه الرواة ج ١ ص ٢٧٣ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٤٩٦ ، تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٧٥ ، شذرات الذهب ج ٣ ص ٨٨ ، طبقات الزبيدي ص ٨٦ ، لسان الميزان ج ٢ ص ١٩٥ ، ميزان الإعتدال ج ١ ص ٤٨٠ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ٩ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥١ ، نزهة الألباء ص ٣١٥ ، رياض العلماء مخطوط .

(٢) بغية الوعاة ج ١ ص ٤٩٦ .

لمارجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا ، قال صاحب البغية : قلت : والمسألة فيها سبعة أقوال حكيتها في « جمع الجوامع » من غير ترجيح ، وأنا أميل إلى القول الذي ذكره أبو علي أولاً وقد أشرت إليه في « جمع الجوامع » في الكلام على « غير » فتفطن له .

ولمّا خرج عضد الدولة لقتال ابن عمه دخل عليه أبو علي ، فقال له : ما رأيك في صُحبتنا ؟ فقال له : أنا من رجال الدُّعاء لا من رجال اللِّقاء ، فخار الله للملك في عزيمته وأنجح قصده في نهضته ، وجعل العافية زاده والظفر تجاهه ، والملائكة أنصاره ، ثم أنشد :

ودّعته حيث لا تودّعُهُ نفسي ، ولكنّها تسيرُ معه
ثم تولّى وفي الفؤادِ لهُ ضِيقٌ محلٍ وفي الدموعِ سَعَه

فقال له عضد الدولة : بارك الله فيك ، فإني واثق بطاعتك ، وأتيقن صفاء طويّتك وحكى عنه ابن جنّي أنه كان يقول : أخطىء في مئة مسألة لغوية ولا أخطىء في واحدة قياسية ، وسُئل قبل أن ينظر في العروض عن خرم (متفاعلن) ففكّر وانتزع الجواب من النحو وقال : لا يجوز الإبتداء بالساكن ، فكما لا يجوز الإبتداء بالساكن لا يجوز التعرّض له[1] والخرم حذف الحرف الأول من البيت والخبن تسكين ثانيه ، إنتهى[2] وقد تعرض لشرح إيضاحه المذكور جماعة منهم سميّه وكنيّه ، الحسن بن أحمد بن عبد الله أبو علي المقري الفقيه النحوي الحنبلي البغدادي المعروف بابن البناء وهو من تلامذة سميّه الحسن بن أحمد بن عبد الله النيسابوري ، وأبو الحسن الحمامي ، والقاضي أبي يعلى الفراء ، وسمع الحديث من هلال الحفّار وخلق ، وصنّف في العلوم مئة وخمسين تصنيفاً ، وكانت تصانيفه تدل على قلّة فهمه ، كما ذكره أيضاً صاحب البغية[3] .

---

(١) نصه هكذا : فقال لا يجوز ، لأن متفاعلن ينقل إلى مستفعلن إذا خبن فلو خرم لتعرض إلى الإبتداء بالساكن فكما . .

(٢) بغية الوعاة ج ١ ص ٤٩٦ .

(٣) أنظر بغية الوعاة ج ١ ص ٤٩٥ .

هذا ويروى عنه أيضاً جماعة من الفضلاء المتقدمين منهم ابن أخته الشيخ أبو الحسين الفارسي النحوي الذي يروي بواسطة زيد بن علي بن عبد الله الفسوي الآتي ذكره : كتاب الإيضاح ، وقد ذكر الشيخ أبو علي الطبرسي صاحب « مجمع البيان » عن الشيخ أبي علي الفارسي المذكور كلاماً في ذيل قوله تعالى :

﴿ **يا أيّها الذين آمنوا شهادةُ بينكم إذا حَضَرَ أحَدَكُم المَوتُ حينَ الوصيةِ اثنان** ﴾ الآية ، ثم قال : هذا . وهذا كله مأخوذ من كلام أبي علي الفارسي وناهيك به فارساً في هذا الميدان نقاباً يخبر عن مكنون هذا العلم بواضح البيان[١] إنتهى ، وناهيك به ثناء على مرتبة الرجل من شيخ كبير ومطّلع خبير ، مضافاً إلى سائر ما يوجد من التعظيم عليه في مواضع كثيرة من تضاعيف مصنّفات الأدب والتفسير .

وذكر ابن خلكان في ترجمته أنه ولد بمدينة فسا من أعمال فارس واشتغل ببغداد ، وكان إمام وقته في علم النحو ، ودار البلاد وقدم حلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة وجرت بينه وبين المتنبي مجالس ثم انتقل إلى بلاد فارس ، وصحب عضد الدولة بن بويه وتقدم عنده وعلت منزلته حتى قال له : أنا غلام أبي علي الفَسَوى في النحو ، وصنّف له كتاب « التكملة » في النحو وقصّته فيه مشهورة ثم نقل قصّة مسايرته مع عضد الدولة في ميدان شيراز إلى آخر ما أوردناه[٢] .

وقال أيضاً بعد ذلك : وحكى أبو القاسم بن أحمد الأندلسي ، قال : جرى ذكر الشعر بحضرة أبي علي وأنا حاضر ، فقال : إني لأغبطكم على قول الشعر ، فإن خاطري لا يوافقني على قوله مع تحقيقي العلوم التي هي من موادّه ، فقال له رجل : فما قلت قط شيئاً منه ؟ فقال : ما أعلم أن لي شعراً إلا ثلاثة أبيات في الشيب وهي قولي :

---

(١) أنظر مجمع البيان ج ٣ ص ٢٥٥ .
(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

خضَبتُ الشَّيب لمّا كان عيباً وخُضبُ الشّيب أولى أن يُعابا
ولم أخضَب مخافة هجرِ خِلٍّ ولا عيباً خشيتُ ولا عِتابا
ولكنّ المَشيبَ بدا ذميماً فصيرت الخضاب له عقابا[1]

ومن تصانيفه كتاب « التذكرة » وهو كبير ، وكتاب « الاغفال » فيما أغفله الزّجاج من المعاني وكتاب « العوامل المئة » وكتاب « المسائل الحلبيات » و« المسائل الشيرازيات » و« المسائل البغداديات » و« المسائل القصريات » و« المسائل العسكرية » و« المسائل البصرية » وكتاب « المسائل المجلسيات » وغير ذلك[2] .

قلت : ومسائله القصريات هي التي أملاها لتلميذه النحوي المعتزلي أبي الطيب محمد بن طوس الملقّب بالقصري ، نسبة إلى قصر بن هبيرة الذي هو بنواحي الكوفة ، كما عن ظاهر صاحب « معجم الأدباء » أو إلى قصر الرمان الذي ينسب إليه علي بن عيسى المعروف بالأخشيدي الآتية ترجمته إن شاء الله ، أو إلى قصر شيرين الذي هو بين بلدة «ذهاب»و«خانقين» العرب والعجم ، بناها كسرى برويز لشيرين وهي خطيبته له ، كانت من أجمل خلق الله تعالى[3] كما ذكره صاحب « تلخيص الآثار » .

وقصر شيرين باقٍ إلى الآن وهي أبنية عظيمة شاهقة وأيوان عالٍ وعقود وقصور وأروقة وشرفات .

وشيرين كانت من بنات بعض ملوك أرمن ، بعث إليها برويز من خدعها ، فهربت على ظهر شبديز حتى وصلت إليه ، فبنى لها في هذا المكان قصراً على طرف نهر عذب الماء ، قلت : وهي التي عشقها فرهاد العجم ، وفعَل من عشقها بجبال تلك الديار .

ويمكن أن يكون نسبته إلى قصران التي هي قرية من قرى الري وهي

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ .
(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦٣ .
(٣) آثار البلاد ص ٤٤٠ .

قسمان ، يقال لأحدهما قصران الداخل وللآخرة قصران الخارج وكان القصري المذكور معشوقاً للفارسي في حداثة سنّه ويخصّه بالطُّرف والحرف ويحرص على الإملاء عليه والإلتفات إليه[1]كما في طبقات النحاة .

وفيه أيضاً في ترجمة فنّاخسرو بن الحسن بن بويه عضد الدولة الديلمي أبو شجاع بن ركن الدولة من بني ساسان الأكبر ، أحد العلماء بالعربية والأدب كان فاضلاً نحوياً شيعياً له مشاركة في عدة فنون ، وله في العربية أبحاث حسنة وأقوال نقل عنه ابن هشام الخضراوي في « الإفصاح » أشياء إلى أن قال : له في الأدب يد متمكنة ويقول الشعر الجيد تولى ملك فارس ، ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة ، ودانت له العباد والبلاد ، وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة ، وأول من لقّب في الإسلام « شاهنشاه » وله صنّف أبو علي الفارسي « الإيضاح » و « التكملة » وهو الذي أظهر قبر علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالكوفة وبنى عليه المشهد[2] إنتهى .

وللشيخ أبي علي المذكور أيضاً كتاب «المسائل الكرمانية» وكتاب « أبيات العرب » و« تعليقة على كتاب سيبويه » وكتاب سمّاه « الحجة » وهو الذي لخّصها الإمام أبو طاهر اسماعيل بن خلف الأنصاري المقرىء النحوي الأندلسي المتقن لفنون الأدب والقراءات صاحب كتاب « العنوان في القراءات »[3] ثم قال صاحب الوفيات : وكنت مرة رأيت في المنام في سنة ثمان وأربعين وستّ مئة وأنا يومئذٍ بمدينة القاهرة كأنني قد خرجت إلى قليوب وهي بليدة على رأس فرسخين من القاهرة ، ودخلت إلى مشهد بها فوجدته شعثاً ، وهو عمارة قديمة ، ورأيت به ثلاثة أشخاص مقيمين مجاورين ، فسألتهم عن المشهد ، وأنا متعجّب لحسن بنائه وإتقان تشييده ، فقلت : عمارة من هذه ؟ فقالوا : لا نعلم ، ثم قال أحدهم : إنّ الشيخ أبا علي الفارسي جاور في هذا المشهد سنين عديدة ، وتفاوضنا في حديثه ، فقال : وله مع فضائله شعر

---

(١) أنظر بغية الوعاة ج ١ ص ١٢٢ ، ومعجم الأدباء ج ٧ ص ١٥ ، وفيه محمد بن طويس .
(٢) بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٤٧ .
(٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ٢١١ فيه أنه توفي يوم الأحد مستهل المحرم سنة خمس وخمسين وأربع مئة .

حسن، فقلت وما وقفت له على شعر، فقال: أنا أنشدك من شعره، ثم أنشد بصوت رقيق إلى غاية ثلاثة أبيات، واستيقظت في أثر الإنشاد ولذة صوته في سمعي، وعلق على خاطري منها البيت الأخير:

النـاس في الخير لا يَرضون عن أحدٍ فكيف ظَنُّك سيموا الشر أو ساموا

وبالجملة فهو أشهر من أن يذكر فضله ويعدد، وكان متّهماً بالإعتزال وكانت ولادته في سنة ثمان وثمانين ومأتين وتوفي يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وقيل ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وثلاثمأة ببغداد ودفن بالشونيزي(١).

ثم أنه ذكر في ترجمة أرسلان بن عبد الله التركي البساسيري، أن هذه النسبة إلى بلدة بفارس يقال لها «بسا» وبالعربية «فسا» والنسبة إليها بالعربية فَسَوى، ومنها الشيخ أبو علي الفارسي النحوي صاحب «الإيضاح» ويقال له فَسَوى أيضاً، وأهل فارس يقولون في النسبة إليها: البساسيري، بالسين المهملتين بعد الباء الموحدة وهي نسبة شاذة على خلاف الأصل(٢).

هذا وقد يطلق الفارسي أيضاً على الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن علي الفارسي اللغوي النحوي الذي هو من تلامذة أبي علي الفارسي المذكور وأخذ أيضاً على السيرافي المتقدم ذكره، وله شرح كتاب «الجرمي» و«نقض ديوان المتنبي» وغير ذلك(٣).

ثم إن أبا علي المذكور له ابن أخت فاضل متمهّر هو من أرشد تلامذته أيضاً وينتهي إليه الرواية عنه في الغالب وهو الشيخ أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الوارث النحوي المعروف بابن أخت الفارسي، وكان خاله أوفده على الصاحب بن عبّاد إلى الري فارتضاه وأكرم مثواه، ثم تقرب عنه ولقي الناس في أسفاره، وورد خراسان ونزل بنيسابور

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦٣.
(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٢.
(٣) أنظر ترجمته في معجم الأدباء ج ١ ص ٢٨٠ وبغية الوعاة ج ١ ص ٤٢٠.

دفعات ، وأملى بها من الأدب والنحو ما سارت به الركبان ، وآل أمره إلى أن اختص بالأمير اسماعيل بن سبكتاكين بغزنه ووزر له ثم عاد إلى نيسابور ، ثم توجّه إلى مكة وجاور بها ثم عاد إلى غزنه ورجع إلى نيسابور ثمّ انتقل إلى اسفراين ثمّ استوطن جرجان إلى أن مات وقرأ عليه أهلها .

منهم عبد القاهر الجرجاني ، وليس له استاذ سواه ولإبن عبّاد إليه مكاتبات مدوّنة وله تصانيف منها « كتاب في الهجاء » « كتاب مائية الشعر » مات سنة إحدى وعشرين وأربع مئة[1] كما عن معجم الأدباء ، هذا ولِأبي علي المذكور أيضاً تلامذة فضلاء كثيرون غير هذا الرجل ، منهم أبو القاسم علي بن عبد الله بن الدّقاق الآتي ترجمته صاحب « شرح الإيضاح » وغيره ومنهم أبو محمد عبيد الله بن أحمد الفرازي النحوي قاضي القضاة بشيراز صاحب كتاب « صناعة الإعراب » و« عيون الإعراب »ومنهم، الحسين بن محمد المعروف بالخالع الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ومنهم ، عبد الباقي بن محمد بن الحسن بن عبد الله النحوي مصنّف كتاب « الدواة واشتقاقها » و« شرح حروف العطف » وغير ذلك ، ونقل عن صاحب معجم الأدباء أنه قال في ذيل ترجمة محمد بن سعيد البصري الموصلي العروضي النحوي المكنى بأبي جعفر ، وكان في النحو ذا قدم ساحقة ، إجتمع يوماً مع أبي علي ، عند أبي بكر بن شقير ، فقال لِأبي علي : في أي شيء تنظر يا فتى ؟ فقال : في التصريف فجعل يلقي عليه من المسائل على مذهب البصريين والكوفيين حتى ضجر فهرب أبو علي منه ، فقال : إني أريد النوم ، فقال : هربت يا فتى : فقال:نعم هربت[2] .

(١) معجم الأدباء ج ٧ ص ٣ .
(٢) معجم الأدباء ج ٧ ص ٣ .

٢٤٩
الحسن بن أحمد المعروف بأبي محمد الأعرابي الغندجاني الأسود اللغوي النسابة(*)

قال صاحب «البغية» قال ياقوت : كان علّامة نسّابة ، عارفاً بأيام العرب وأشعارها وأحوالها ، مستنداً فيها يرويه ، عن محمد بن أحمد بن أبي الندي ، وهو رجل مجهول لا يعرف ، وكان أبو يعلى بن الهبارية الشاعر يعيّره بذلك ، ويقول :

ليت شعري ، من هذا الأسود الذي قد تصدّى للردّ على العلماء والأخذ على القدماء ! بماذا نصحح قوله ؟ ونبطل قول الأوائل ، ولا تعويل له في الرواية إلّا على أبي الندى ، ومن أبو النّدى في العالم! لا شيخ مشهور ولا ذو علم مذكور ، قال ياقوت : ولعمري إن الأمر كما قال فإن هذا يقول : أخطأ ابن الأعرابي في أنّ هذا الشعر لفلان ، إنّما هو لفلان ، بغير حجة واضحة ولا أدلة لائحة ، وكان لا يُقنعه أن يرد على أهل العلم رداً جميلاً ، إنّما يجعله من باب السخرية والتهكم وضرب الأمثال ، وكان يتعاطى تسويد لونه بالقطران ويقعد في الشمس ليتحقق تلقيبه بالأعرابي ، ورزق في أيامه سعادة من الوزير أبي منصور بهرام وله من التصانيف « الرد على السيرافي في شرح أبيات الكتاب » و« الرد عليه في شرح أبيات الإصلاح » « الرد على أبي علي في التذكرة » « الردّ على إبن الإعرابي في النوادر » « أسماء الأماكن » « الخيل على حروف المعجم » و« غير ذلك قال ياقوت : رأيت بعض تصانيفه وقد قري عليه سنة ثمان وعشرين وأربع مئة[1] .

٢٥٠
«الفقيه النبية أبو علي حسن بن إبراهيم بن علي بن برهون الفارقي»(**)

الفقيه الشافعي ، كان مبدء اشتغاله بميّافارقين على أبي عبد الله محمد

(*) له ترجمة في بغية الوعاة ج ١ ص ٤٩٨ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ٢٢ ، لسان الميزان ج ٢ ص ١٩٤ .

(١) قبلها في ياقوت : قرأت في بعض تصانيفه أنه صنفت في شهور سنة اثنتي عشرة وأربعمأة .

(**) له ترجمة في البداية والنهاية ج١٢ ص٢٠٦ ، شذرات الذهب ج٤ ص٨٥ ، طبقات السبكي ج٧ =

الكازروني فلما توفى انتقل إلى بغداد ، واشتغل على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب « المهذب » وعلى أبي نصر بن الصباغ صاحب « الشامل » وسمع [الحديث] من الخطيب أبي بكر ومن في طبقته أيضاً ، وكان زاهداً متورعاً ، وله كتاب « الفوائد على المهذب » وكان يلازم ذكر الدّرس من « الشامل » (إلى أن توفى ، وقيل أنّه كان متقدماً في الفقه ، وتولى القضاء بمدينة واسط بعد أبي تغلب فظهر من عدله وعقله وحسن سيرته ما زاد على الظن به) وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة بميّافارقين ووفاته بواسط سنة ثمان وعشرين وخمس مئة ، ومدفنه في مدرسة هناك كما ذكره ابن خلكان .

وهو غير أبي نصر الحسن بن أسد بن الحسن الفارقي(*) الذي نقل عن صاحب « معجم الأدباء » أنّه كان نحوياً إماماً لغوياً شاعراً مليح النظم ، كثير التجنيس ، كان مقدماً في أيام نظام الملك بعد أن قبض عليه وأساء إليه ، فإنه كان مستولياً على آمِد وأعمالها مستبداً باستيفاء أموالها ، فخلّص ثم دعاه أهل ميافارقين إلى أن يؤمّروه عليهم فأمسك ، وصلب سنة سبع وثمانين وأربعمأة وله تصانيف منها « شرح اللمع » ، و« الإفصاح » في شرح أبيات مشكلة « انتهى » وفارقين بلدة من ديار بكر بقرب الموصل كما بالبال بناها ميّا بالتشديد بنت أدّ فأضيفت إليها ، ولهذا يسقط في النسبة ولا يسقط عنها نون الجماعة عند الإضافة للعملية ، وخرج منها جماعة من علماء العامة فليلاحظ .

٢٥١
الشيخ أبو نزار حسن بن أبي الحسن صافي بن عبد الله بن نزار النحوي(**)

المعروف بملك النحاة.ذكر ابن خلّكان : إنه كان من الفضلاء المبرّزين وأنّ

= ص ٥٧ ، مرآة الجنان ج ٣ ص ٢٥٣ ، المنتظم ج ١٠ ص ٣٧ ، وفيات الأعيان ج١ ص ٣٥٩ .

(*) له ترجمة في بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٠ ، شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٨٠ ، العبر ج ٣ ص ٣١٦ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ٤٧ .

(**) له ترجمة في أنباه الرواة ج ١ ص ٣٠٥ ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٧٢ ، بغية الوعاة ج ١ =

بينه وبين العماد الكاتب مكاتبات أوردها هو في « الخريدة » وأنّه برع في النحو حتى صار أنحى من كل من في طبقته ، وكان فهماً ذكياً فصيحاً إلاّ أنه كان عنده عُجب بنفسه وتيه ، لقّب نفسه بملك النحاة ، وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك ، وخرج عن بغداد بعد العشرين وخمس مئة وسكن واسط مدة ، وأخذ عنه جماعة من أهلها أدباً كثيراً واتفقوا على فضله ومعرفته .

وذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » فقال : ورد إربل ، وتوجّه إلى بغداد ، وسمع بها الحديث وقرأ مذهب الشافعي وأصول الدين على أبي عبد الله القيرواني والخلاف على أسعد الميهني وأصول الفقه على أبي الفتح بن برهان والنحو على الفصيحي تلميذ الشيخ عبد القاهر الجرجاني صاحب (الجمل الصغرى) ثم سافر إلى خراسان ، وكرمان ، وغزنه ، ثم رحل إلى الشام واستوطن دمشق ، إلى أن توفي بها يوم الثلاثاء ثامن شوال ، ودفن تاسعه بمقبرة باب الصغير سنة ثمان وستين وخمس مئة ومولده سنة تسع وثمانين وأربع مئة بالجانب الغربي من بغداد ، بشارع دار الدقيق ، وله مصنفات كثيرة في الفقه والأصولين[1] والنحو وديوان شعر كبير ، ومدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقصيدة ومن شعره :

سلوت بحمد الله عنها فأصبحت دواعي الهوى من نحوها لا أجيبها
على أنني لا شامت إن أصابها بلاء ولا راضٍ بواشٍ يعيبها

وله أشياء حسنة ، وكان مجموع الفضائل[2] انتهى .

وعن كتاب « معجم الأدباء » : أنّه كان صحيح الاعتقاد ، كريم النفس مطبوعاً متناسب الأحوال ، يحكم على أهل التميز بحكم ملكه فيُقبَل ولا يُستثقَل فيقول : هل سيبويه إلاّ من رعيتي وحاشيتي ! ولو عاش ابن جنى لم يسعه إلاّ حمل

= ص ٥٠٤ ، تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٣٢٣ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٢٧ ، العبر ج ٤ ص ٢٠٤ ، مرآة الجنان ج ٣ ص ٣٨٦ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ٧٤ ، النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٨ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧١ .

(١) في الوفيات : الأصلين .

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧١ .

غاشيتي.ومن ظريف ما يحكى عنه أنّه كان يستخف بالعلماء فكان إذا ذكر واحد منهم ، قال : كلب من الكلاب ، فقال رجل : أنت إذاً لست ملك النحاة بل ملك الكلاب فاستشاط[1] غضباً ، وقال أخرجوا عني هذا المضولي وكان يغضب على من لم يسمه بملك النحاة . صنّف « الحاوي » في النحو « العمدة » فيه « المقتصد » في التصريف « العروض » « التذكرة السفرية » « الحاكم » في الفقه « المقامات » « ديوان شعر » وغير ذلك وله عشر مسائل استشكلها في العربية سماها « المسائل العشر المتبعات إلى الحشر » ونقل أنّه رُئي في النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال أنشدته قصيدة ما في الجنة مثلها وهي :

يا هذه أقصري عن العذل فلست في الحل ويك من قبلي
يا رب ها قد أتيت معترفاً بما جنته يداي من زلل
ملآن كفٍ بكلّ مأثمة صِفر يدٍ من محاسن العمل
فكيف أخشى ناراً مسعرة وأنت يا رب في القيامة لي :

قال فوالله منذ فرغت من إنشادها ما سمعت حسيس النار هذا ومن شعره .

حنانيك إن جادتك يوماً خصائصي وهالك أصناف الكلام المسخر
فسل منصفاً عن حالتي غير جائر يخبرك أن الفضل للمتأخر

٢٥٢

الأمير قوام الملة والدين أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الملقب بنظام الملك الطوسي(*)

ذكر ابن خلّكان : إنه كان من أولاد الدهاقين ، واشتغل بالحديث والفقه ، ثم اتّصل بخدمة علي بن شاذان ، المعتمد عليه بمدينة بلخ وكان يكتب له ، فكان

(١) معجم الأدباء : فاشتاط .

(*) له ترجمة في الأنساب ص ٢٤٢ ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٤٠ ، الروضتين ج ١ ص ٦٢ ، روضة الصفا ، طبقات السبكي ج ٤ ص ٣٠٩ ، شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٧٣ ، العبر ج ٣ ص ٣٠٧ ، الكامل ج ١٠ ص ٧٠ ، المنتظم ج ٩ ص ٦٤ ، النجوم الزاهر ج ٥ ص ١٣٦ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٩٥ .

يصادره في كلّ سنة ، فهرب منه ،وقصد داوود بن ميكائيل السلجوقي والد السلطان ألب ارسلان وظهر له منه النصح والمحبة ، فسلمه إلى ولده ألب أرسلان ، وقال له : اتخذه والداً ولا تخالفه فيما يشير به ، فلما ملك ألب أرسلان دبّر أمره ، فأحسن التدبير ، وبقي في خدمته عشر سنين فلما مات ألب أرسلان وازدحم أولاده على الملك وطّد المملكة لولده ملكشاه فصار الأمر كله لنظام الملك ، وليس للسلطان إلّا التخت والصيد ، وأقام على هذا عشرين سنة ودخل على الإمام المقتدي بالله ، فأذن له في الجلوس بين يديه ، وقال له : يا حسن رضي الله عنك برضاء أمير المؤمنين عنك ، وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والصوفية ، وكان كثير الإنعام على الصوفية ، وسُئل عن سبب ذلك فقال : أتاني صوفي وأنا في خدمة بعض الأمراء فوعظني وقال : أخدم من تنفعك خدمته ولا تشتغل بمن تأكله الكلاب غداً ، فلم أعلم معنى قوله ، فشرب ذلك الأمير من الغد إلى الليل ، وكانت له كلاب كالسباع ، تفترس الغرباء بالليل ، فغلبه السكر ، فخرج وحده ، فلم تعرفه الكلاب فمزقته ، فعلمت أن الرجل كوشف بذلك ، فأنا أخدم الصوفية لعلي أظفر بمثل ذلك وكان إذا سمع الأذان أمسك عن جميع ما هو فيه وكان إذا قدم عليه إمام الحرمين أبو المعالي وأبو القاسم القشيري صاحب « الرسالة » المشهورة إلى الصوفية بالغ في إكرامهما وأجلسهما في مسنده .

وبنى المدارس ، والربط ، والمساجد في البلاد وهو أوّل من أنشأ المدارس . فاقتدى به الناس وشرع في عمارة مدرسته ببغداد سنة سبع وخمسين وأربع مئة ، وفي سنة تسع وخمسين جمع الناس على طبقاتهم ليدرّس بها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، فلم يحضر ، فذكر الدرس أبو نصر بن الصبّاغ صاحب « الشامل » عشرين يوماً ، ثم جلس أبو إسحاق بعد ذلك[1] .

وكان [الشيخ أبو إسحاق] إذا حضر وقت الصلاة خرج منها وصلّى في بعض المساجد وكان يقول : بلغني أن أكثر آلاتها غصب وسمع (نظام الملك)[2]

---

(١) انظر تفصيله في الوفيات ج ٢ ص ٣٨٦ .

(٢) الزيادة من المصدر .

الحديث واسمعه ، وكان يقول : إني لأعلم أني لست أهلاً لذلك ، ولكني أريد أن أربط نفسي في قطار النقلة لحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويروى له من الشعر قوله :

بعد الثمانين ليس قوة قد ذهبت شرة الصبوة
كأنني والعصا بكفّي موسى ولكن بلا نبوة

وكانت ولادته بطوس سنة ثمان وأربعمأة ، وتوجه صحبة ملكشاه إلى إصفهان فلمّا كانت ليلة السبت ، عاشر شهر رمضان سنة خمس وثمانين وأربع مئة أفطر وركب في محفّته ، فلما بلغ إلى قرية قريبة من نهاوند يقال لها سحنة . قال : هذا الموضع قُتل فيه خلق من الصحابة زمن عمر بن الخطاب ، فطوبى لمن كان معهم ، فاعترضه في تلك الليلةِ صبي ديلمي على هيئة الصوفية معه قصعة ، فدعا له وسأله تناولها فمدّ يده ليأخذها فضربه بسكين في فؤاده ، فحمل إلى مضربه فمات وقتل القاتل في الحال بعد أن هرب ، فعثر في طُنُب خيمة ، فوقع ، وركب السلطان إلى معسكره فسكنهم و(عزاهم) وحمل إلى إصفهان ودفن بها ، وقيل أن السلطان دس عليه من قتله فإنّه سئم طول حياته واستكثر ما بيده من الإقطاعات ، ولم يعش السلطان بعده إلاّ خمسة وثلاثين يوماً فرحمه الله تعالى لقد كان من حسنات الدهر ، ورثاه شبل الدولة أبو الهيجاء مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري[١] وكان ختنه ، بقوله :

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة نفيسة صاغها الرحمن من شرف
عزّت فلم تعرف الأيام قيمتها فردها غيرة منه ، إلى الصدف[٢]

وقال صاحب كتاب « تلخيص الآثار » في ذيل ترجمة طوس المقدسة ينسب إليها الوزير نظام الملك الحسن بن إسحاق لم يُرَ وزير أرفع قدراً ، ولا أكثر (منه) خيراً ولا أثقب (منه) رأياً ، وكان (مؤيداً) من عند الله ، شديد التعصب على الباطنية ، وقد خرج من إصفهان في العمارية وبه غصان المرض[٣] فلمّا وصل إلى

(١) ترجمته في الوفيات ج ٤ ص ٣٤٤ .
(٢) الوفيات ج ١ ص ٣٥٩ .
(٣) آثار البلاد : وبه عقابيل المرض في العمارية .

قرية من نهاوند يقال لها « فنديسجان »[١] عرض[٢] له رجل ونادى مظلوم ! مظلوم ! فقال الوزير : أبصروا ما ظلامته فقال : معي رقعة أريد أن أسلمها إلى الوزير فلما دنا منه وثب عليه وضربه بالسكين وكانت ليلة الجمعة حادي عشر[٣] شهر رمضان سنة خمس وثمانين وأربع مئة فحمل إلى إصفهان ودفن في مدرسته[٤] ثم ذكر ما نقلناه عنه في ترجمة أحمد بن محمد الغزالي بتفصيل ما ذكر فليلاحظ[٥] .

٢٥٣
الشيخ أبو محمد الحسن بن إسحاق اليمني المعروف بابن أبي عباد(*)

قال صاحب « البغية » قال الخزرجي : إنّه إمام النحاة في قُطر اليمن ، وإليه كانت الرحلة في علم النحو ، وإلى ابن أخيه ابراهيم ، يعني به : ابراهيم بن محمد بن أبي عباد اليمني النحوي صاحب المختصرين في النحو ، المدعو أحدهما بـ« مختصر السيبويه » والآخر بكتاب « التلقين » .

وكان الحسن هذا فاضلاً مشهوراً وصنّف « مختصراً » في النحو يدل على فضله ومعرفته وفيه بركة ظاهرة ، يقال أن سببها أنّه ألفه تجاه الكعبة ، وكان كلما فرغ من باب طاف سبعاً ، ودعا لقارئه كان موجوداً في أوائل المئة الخامسة وقال ياقوت توفى قريباً من تسعين وخمس مئة ومن شعره :

لعمرك ما اللحن من شيمتي ولا أنا من خطأ ألحن
ولكنني قد عرفت الأنام فخاطبت كلاّ بما يحسن

---

(١) آثار البلاد : قيدسجان .

(٢) تعرض .

(٣) الحادي والعشرين .

(٤) آثار البلاد ص ٤١١ .

(٥) راجع ج ١ ص ٢٧٧ من هذه الطبعة .

(*) له ترجمة في أنباه الرواة ج ١ ص ٢٩٠ تلخيص ابن مكتوم ص ٥٣ بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٠ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ٤٨ .

٢٥٤

الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل بن سلمة العطار أبو العلاء الهمداني(**)

قال صاحب « البغية » : قال العطفي : كان إماماً في النحو واللغة وعلوم القرآن ، والحديث ، والأدب ، والزهد ، وحسن الطريقة ، والتمسك بالسنن ، قرأ القرآن بالروايات ببغداد على البارع الحسين الدبّاس وسمع بواسط وإصفهان[1] من أبي علي الحداد ، وأبي القاسم بن بيان وجماعة ، وبخراسان من أبي عبد الله الفراوي وحدّث وسمع منه الكبار والحفّاظ وانقطع إلى إقراء القرآن والحديث إلى آخر عمره وكان بارعاً على حفّاظ عصره في الأنساب والتواريخ والرجال .

وله تصانيف في أنواع العلوم وكان يحفظ « الجمهرة » وكان عفيفاً لا يتردد إلى أحد ، ولا يقبل مدرسة ولا رباطاً ، وإنّما كان يُقرىء في داره وشاع ذكره في الآفاق ، وعظُمت منزلته عند الخاص والعام ، فما كان يمر على أحد إلّا قام ودعا له ، حتى الصبيان واليهود ، وكانت السنة شعاره ، ولا يمس الحديث إلّا متوضئاً ، ولد يوم السبت رابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربع مئة . وتوفي ليلة الخميس رابع عشر جمادي الأولى سنة تسع وستين وخمس مئة[2] (إنتهى) .

وهو غير الحسن بن أحمد بن عبد الله النحوي صاحب كتاب « الترجمان » في النحو والتصريف[3] ، وكتاب « الألف واللّام » من جملة مشايخ الدارقطني وأبي الفتح بن أبي الفوارس[4] .

(*) له ترجمة في : بغية الوعاة ج ١ ص ٤٩٤ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٣١ ، العبر ج ٤ ص ٢٠٦ ، غاية النهاية ج ١ ص ٢٠٤ ، مرآة الجنان ج ٣ ص ٣٨٩ ، المنتظم ج ١٠ ص ٢٤٨ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ٢٦ .

(١) في البغية : وبواسط وإصفهان وسمع من أبي علي الحداد .

(٢) انظر بغية الوعاة : ج ١ ص ٤٩٤ .

(٣) في البغية : « غيث التصريف » .

(٤) راجع ترجمته في بغية الوعاة ج ١ ص ٤٩٥ .

وكـذلـك هـو غـير الحسن بن أحمـد بن يعقـوب بن يـوسف بن داوود الهمـداني ، الذي نقـل عن الخزرجي أنّـه قال في حقـه : هـو الأوحـد في عصره ، الفاضل على من سبقه والمبرّز على من لحقـه ، لم يولـد في اليمن مثله علماً ، وفهماً ، ولسـاناً وشعـراً ، ورواية وفكـراً ، وإحاطـة بعلوم العـرب ، من النحـو واللغـة ، والغريب ، والشعر ، والأيام والأنساب ، والسـير ، والمناقب والمثـالب ، مع علوم العجم من النجوم والمساحة ، والهندسة ، والفلك ، ولد بصنعاء ، ونشأ بها ، ثم ارتحل وجاور بمكـة ، وعاد فنـزل بصعدة وهـاجى شعراءهـا ، فنسبوه إلى أنـه هجا النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) فسجن ، ولـه تصـانيف في العلوم منهـا « الإكليل » في الأنساب ، وكتاب « الحيوان » وكتاب « القوس » وكتـاب « الأيام » وغير ذلك وله ديوان شعر في ست مجلدات[1] كما ذكره أيضاً صاحب البغية .

٢٥٥
الشيخ الإمام أبو علي الحسن بن الخطير بن أبي الحسن النعماني[*]

نسبة إلى النعمانيـة قريـة بين بغـداد وواسط ، وإلى جدة النعـمان بن المنذر ، ويقال له الفارسي ، لأنه تفقه بشيراز ، قال صاحب « معجم الأدباء » كما نقـل عنه الحـافظ السيـوطي : كـان مـبرزاً في النحـو ، واللغـة ، والعـروض ، والقـوافي والشعـر ، والأخبار ، عـالماً بتفسـير القرآن ، والفقـه[2] والكـلام ، والحسـاب ، والمنطق ، والهيئة والطبّ قارئاً بالعشر الشواذ ، حنفياً عالماً باللغة العـبرانية ويـناظر أهلها يحفظ في كلّ فن كتاباً دخل الشام وأقام بالقدس مدة ، فاجتاز بـه العزيـز بن الصلاح بن أيوب[3] فرآه عند الصخرة يدرّس ، فسأل عنه فعرّف منزلتـه في العلم

(١) لـه تـرجمة في : أخبـار الحكـماء ص ١١٣ ، أعيـان الشيعـة ج ٢١ ص ٥٢ ، أنبـاه الـرواة ج ١ ص ٢٧٩ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٤٩٨ ، طبقات الأمم ص ٥٩ وفيه : وجدت بخط أمير الأندلس أن أبـا محمد الهمـداني توفي بسجن صنعـاء في سنة أربـع وثلاثـين وثـلاث مئـة ، معجم الأدبـاء ج ٣ ص ٩ ، ويأتي ترجمته باسم « حسين » أيضاً .

(*) له ترجمة في : بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٢ ، الجـواهر المضيئـة ج ١ ص ١٩١ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣١٤ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ٦٤ .

(٢) في البغية : والفقه والخلاف .

(٣) في المعجم : الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف .

فأحضره ، وَرَغَّبَهُ في المصير معه إلى مصر ليقمع به الشهاب الطوسي ، فورد معه ، وأجرى له كل شهر ستين ديناراً ،ومئة رطل خبز وخروفاً[١] ومال إليه الناس ، وقرّر العزيز المناظرة بينه وبين الطوسي وعزم الظهير على أن يسلك معه مسلكاً في المغالطة ، لأنّ الطوسي كان قليل المحفوظ إلاّ أنّه كان جريئاً مقداماً ، فركب العزيز يوم العيد ، وركب معه الطوسي والظهير ، فقال الظهير للعزيز في أثناء الكلام : أنت يا مولانا و(أبوك)[٢] من أهل الجنة ، فوجد الطوسي السبيل إلى[٣] مقتله ، فقال له وما يدريك أنّه من أهل الجنة ؟ وكيف تزكى على أبيه[٤] ومن أخبرك بهذا ؟ ما أنت إلاّ كما زعموا : أنّ فأرة وقعت في دن خمر فشربت وسكرت فقالت : أين القطاط . فلاح لها هرّ ، فقالت : لا يؤاخذ السكارى بما يقولون .

وأنت شربت من خمر دن نعمة هذا الملك فسكرت ، فصرت تقول خالياً : أين العلماء ؟ فابلس الظهير ولم يجد جواباً ، وانصرف ، وقد انكسرت حرمته عند العزيز وشاعت هذه الحكاية بين العوام[٥] وصارت تُحكي في الأسواق والمحافل ، فكان مآل أمره أن انضوى إلى مدرسة الأمير الأسدي يدرّس بها مذهب أبي حنيفة إلى أن مات يوم الجمعة سلخ ذي القعدة سنة ثمان وتسعين وخمس مئة ،ومولده سنة ثمان[٦] وأربعين وخمس مئة وله من التصانيف «تفسير كبير» و«شرح الجمع بين الصحيحين » للحميدي و« تلبية البارعين[٧] على المنحوت من كلام العرب وغير ذلك[٨] . (انتهى) وليس الشهاب الطوسي[٩] المذكور ، بمذكور في طبقات النحاة . فقد تصفحتها بالإمعان التام من البدو إلى الختام .

---

(١) في البغية والمعجم . خروفاً وشمعة كل يوم .

(٢) الزيادة من البغية .

(٣) بغية : في

(٤) بغية على الله .

(٥) بغية بين العام .

(٦) بغية سبع .

(٧) بغية : تنبيه البارعين .

(٨) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٠٢ .

(٩) هو أبو الفتح محمد بن محمود ، نزيل مصر وشيخ الشافعية توفى بمصر في ذي القعدة سنة ست =

٢٥٦

الشيخ الإمام رضى الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد ابن الحسن بن الحيدر بن علي العدوي العمري الحنفي اللغوي(*)

الملقّب بالصّغاني بفتح الصاد المهملة وتخفيف الغين المعجمة ويقال : الصاغاني بالألف ، حامل لواء اللغة في زمانه قال صاحب « البغية » : قال الذهبي : ولد بمدينة لاهورسنة سبع وسبعين وخمس مئة ونشأ بغزنة ودخل بغداد سنة خمس عشرة وذهب منها بالرياسة الشريفة إلى صاحب الهند ، فبقي مدة ، وحج ودخل اليمن ، ثم عاد إلى بغداد ثم إلى الهند ، ثم إلى بغداد وسمع من النظام المرغيناني ، وكان إليه المنتهى في اللغة ، وكان يقول لأصحابه : احفظوا غريب أبي عبيد فمن حفظه ملك ألف دينار فإني حفظته ، فملكتها ، وأشرت إلى بعض أصحابي بحفظه ، فحفظه وملكها حدّث عنه الشرف الدمياطي وله من التصانيف « مجمع البحرين » في اللغة « التكملة على الصحاح » « العباب » وصل فيه إلى فصل « بكم » وفيه قيل :

إن الصغاني الذي حاز العلوم والحِكم
كان قُصارى أمره أن انتهى إلى بكم

« الشوارد في اللغات » « توشيح الدريدية » «التراكيب » « فعال وفعلان » « الأضداد » « أسماء الغادة » « الأسد » « الذئب » « مشارق الأنوار »(١) في

= وتسعين وخمس مئة وله ترجمة في : حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٠٧ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٢٧ ، طبقات الشافعية ، العبر ج ٤ ص ٢٩٤ ، مرآة الجنان ج ٣ ص ٤٨٧ ، المنتظم ج ١٠ ص ٢٤٢ ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٥٩ .

(*) له ترجمة في : بغية الوعاة ج ١ ص ٥١٩ ، تاج التراجم ص ٦١ ، تاريخ علماء بغداد ص ٤٨ ، الجواهر المضيئة ج ١ ص ٢٠١ ، الحوادث الجامعة ، شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٥٠ ، العبر ج ٥ ص ٢٠٥ ، فوات الوفيات ج ١ ص ٢٦١ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ٣١٧ ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٦ .

(١) قال شيخنا صاحب الذريعة في تعليقاته على كشف الظنون ص ٥٩ : توجد منه نسخة في الرضوية أثبت فيه الرجوع إلى أهل البيت والأخذ عنهم بالأحاديث التي استخرجها من كتب أهل السنة وهي من وقف الصفوية ، عليها وقفية بخط المحقق الآقا جمال الخوانساري سنة ١١١٣ .

الحديث « شرح البخاري » مجلة « در السّحابة في وفيات الصحابة » « العروض » « شرح أبيات المفصّل » « نُقعة الصديان » وغير ذلك .

قال الدمياطي : وكان معه مؤبد[١] وقد حكم فيه بموته في وقته ، وكان يترقّب ذلك اليوم ، فحضر ذلك اليوم وهو معافى ، فعمل لأصحابه طعاماً شكران ذلك ، وفارقناه وعديت إلى الشطّ ، فلقيني شخص أخبرني بموته ، فقلت له : الساعة فارقته !! فقال والساعة وقع الحمام يخبر بموته فجأة وذلك سنة خمسين وست مئة ومن شعره :

يا راحم الطفل الرضيع المزعج	يا فاتح الباب المنيع المرتج
إن كان غيري مُلبساً مستيئساً	فأنا الفقير المستكين المرتجى
أو كان غيري آمناً في سربه	فأنا المنيح[٢] المستجير المرتجى
أبطأت[٣] الراحات عني وانتأت	يا من يقرب كل ناء مرتجى
أنت الذي منه شفا السقام[٤]لا	قصب الذريرة أو دواء المرتج

أسندنا حديثه في الطبقات الكبرى[٥] .

وهذا الشيخ النبيل من جملة مشائخ السيد أحمد بن طاووس وولده السيد غياث الدين عبد الكريم الآتي ذكره إن شاء الله وصورة إجازته لهما هكذا : قد أجزت لفخر السادة ، ولولده جوهر السعادة ، جميع مسموعاتي ومؤلفاتي ومنشأتي وكتب الصغاني إلى آخر .

وقد وجد بخط شيخنا الشهيد الأول أنّ العلامة أيضاً يروي عنه بالإجازة فلا تغفل .

ومن جملة من يروي عنه من علماء العامة هو صالح بن عبد الله بن جعفر

---

(١) في البغية : مولود .

(٢) بغية : المليح .

(٣) بغية : انتاطت .

(٤) بغية : شفاء السقم .

(٥) بغية الوعاة ج ١ص ٥١٩/٥٢١ .

الأسدي الكوفي ، أبو التقي الفقيه الحنفي النحوي الملقّب محي الدين بن الشيخ تقي الدين ابن الصّباغ صاحب الأدب والشعر والتصرف ونظم الفرائض وغير ذلك كما عن تاريخ ابن رافع[1] .

٢٥٧

السيد ركن الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد شرفشاه العلوي الحسيني الأسترآبادي[*]

الشيعي بنص جماعة من العلماء صاحب « المتوسط » على « كافية » ابن الحاجب .

قال صاحب « البغية » : قال ابن رافع في (ذيل تاريخ بغداد) : قدم مراغة واشتغل على مولانا نصير الدين ، وكان يتوقد ذكاء وفطنة ، وكان المولى قطب الدين حينئذٍ في ممالك الروم فتقدمه النصير وصار رئيس الأصحاب بمراغة ، وكان يجيد درس الحكمة ، وكتب الحواشي على التجريد وغيره ، وكتب لولد النصير شرحاً على «قواعد العقائد» ولما توجه النصير إلى بغداد سنة اثنين وسبعين وست مئة لازمة ،افلما مات النصير في هذه السنة صعد إلى الموصل واستوطنها ، ودرّس بالمدرسة النورية بها ، وفوّض إليه النظر في أوقافها ، وشرح مقدمة ابن الحاجب بثلاثة شروح أشهرها المتوسط وتكلم في أصول الفقه ، وأخذ على السيف الآمدي ، ثم فوض إليه تدريس الشافعية ، بالسلطانية ، ومات في رابع عشر صفر سنة خمس عشر وسبع مئة، وذكره الأسنوي في « طبقات الشافعية » وقال : شرح « الحاوي » ومات سنة ثمان عشر وسبع مئة الصفدي : كان

---

(١) راجع ترجمته في بغية الوعاة ج ٢ ص ١٠ . الدر الكامنة ج ٢ ص ٢٩٩ .
وابن رافع ، هو الحافظ تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع بن هجرس السلامي ولد سنة ٧٠٤ وتوفى سنة ٨٧٤ (ذيل تذكرة الحفاظ) ص ٣٦٦ .

(*) له ترجمة في أعيان الشيعة ج ٢٣ ص ١٤١ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٥٢١ ، الدر الكامنة ج ٢ ص ٩٨ ، الذريعة ج ١٤ ص ٢٣ ، رياض العلماء مخطوط ، شذرات الذهب ج ٦ ص ٣٥ ، طبقات الأسنوي . الفلاكة والمفلوكين ص ١٥٠ . مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٥٥ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٣١ هدية العارفين ج ١ ص ٢٨٣ .

شديد التواضع يقوم لكل أحد حتى السقاء ، شديد الحلم ، وافر الجلالة عند التتار ، شرح « مختصر ابن الحاجب » الأصلي ، و« الشافية » في التصريف ، وعاش بضعاً وسبعين سنة[1] انتهى .

والمراد بنصير الدين المذكور ، هو المحقق الطوسي ، المتكلم الإمامي الآتية إلى ترجمته إشارة في باب الميم إن شاء الله ، وفي ملازمة الرجل إياه أيضاً من الدلالة على موافقته معه في المذهب ما لا يخفى فليتأمل .

ثم إن من جملة تلامذة هذا السيد النبيل الجليل في علم النحو ، هو الشيخ تاج الدين علي بن عبد الله بن أبي الحسن الأردبيلي التبريزي ، الجامع البارع في العلوم وهو كما ذكره أيضاً صاحب « البغية » : كان قد قرأ الأصول على قطب الدين الشيرازي ، والبيان على النظام الطوسي والفقه على السراج حمزة الأردبيلي ، والخلاف على العلاء بن النعمان الخوارزمي ، والحديث على الختنى والرابي[2] والدبوسي ، وأدرك البيضاوي ، ولم يأخذ عنه ، ودخل بغداد ومصر ، ودرّس وأفتى وناظر ، واقرأ « الحاوي » في شهر واحد سبع مرات ، وكان من خيار العلماء ديناً ومروءة ، فانتفع به الناس كالبرهان الرشيدي والمحب ، ناظر الجيش وكان في لسانه عجمة ، ولي تدريس « الحسامية » وحدّث ، وصنّف في أنواع العلوم ، واختصر كتاب ابن الصلاح وله حواشٍ على « الحاوي » وصمّ في آخر عمره . مات في رمضان سنة ستّ وأربعين وسبع مئة ، ورثاه الصفدي بقوله :

يقول تاج الدين لما قضى   من ذا رأى مثلي بتبريز
وأهل مصرٍ بات إجماعهم   يقضى على الكل بتبريزي[3]

---

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٢١ .
(٢) بغية : الواني .
(٣) بغية الوعاة ج ٢ ص ١٧١ .

٢٥٨

الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي(*)

بكسر الطاء والباء الموحدة بعد التحتانية احترازاً عن الطيني الذي بالنون : لقب عبد الملك بن زيادة الطيني اللغوي المشهور المنسوب إلى طينة من أعمال أفريقية المتقدم ترجمتها في باب الأحمدين .

العلامة في المعقول والعربية والمعاني والبيان كما ذكره صاحب البغية وقال ابن حجر : كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن ، مقبلاً على نشر العلم ، متواضعاً حسن المعتقد ، شديد الرد على الفلاسفة ، مظهراً فضائحهم ، مع استيلائهم حينئذٍ ، شديد الحبّ لله ورسوله ، كثير الحياء ، ملازماً لأشغال الطلبة في العلوم الإسلامية بغير طمع ، بل يخدمهم ويعينهم ويعير الكتب النفيسة لأهل [. . .] ، من يعرف ومن لا يعرف ، محباً لمن عرف منه تعظيم الشريعة وكان ذا ثروة من الإرث والتجارة ، فلم يزل ينفقها في وجوه الخيرات ، حتى صار في آخر عمره فقيراً .

صنّف « شرح الكشاف » وكتاباً آخر في التفسير وكتاب « التبيان » في المعاني والبيان وشرحه ، وشرح كتاب « المشكاة » وكان يشتغل في التفسير من بكرة إلى الظهر ومن ثمّ إلى العصر في الحديث إلى يوم مات ، فإنه فرغ من وظيفة التفسير وتوجّه إلى مجلس الحديث ، فصلى النافلة ، وجلس ينتظر الإقامة للفريضة ، فقضى نحبه متوجهاً إلى القبلة ، وذلك يوم الثلاثاء الثالث والعشرين[١] من شعبان سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة . قلت ذكر في شرحه على «الكشاف» : أنّه أخذ عن أبي حفص السُّهروردي وأنّه قبيل الشروع في هذا الشرح رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في النوم ، وقد ناوله قدحاً من اللبن فشرب منه[٢] « انتهى » .

(*) له ترجمة في : بغية الوعاة ج ١ ص ٥٢٢ ، شذرات الذهب ج ٦ ص ١٣٧ ، الكنى والألقاب ج ٢ ص ٤٥١ ، هدية العارفين ج ١ ص ٢٨٥ .

(١) في البغية : ثالث عشر شعبان .

(٢) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٣٢ .

وشرحه المذكور على « الكشاف » في أربعة أجزاء مصنفي تنيف بجملتها على ثمانين ألف بيت تخميناً .

ومن جملة مصنّفاته أيضاً شرح الكبير المبسوط بغير طريق المزج على « مصابيح » الحسين بن مسعود البغوي الملقّب بمحيي السنة ، كما سيشير إليه في ترجمته إن شاء الله سمّاه بـ« الكاشف عن حقائق السنن » وأورد في مقدماته شطراً وافياً من فوائد علوم الحديث وقسّم فيه الحديث باعتبار السند والمتن إلى نحو من ثلاثين قسماً .

وأوضح معانيها بأحسن بيان وأكمل تبيان ، إلاّ أنّه ترك فيها حدّ المرفوع الذي يختلف أقسامه عند الشيعة ، وكأنّه جعله من قسم المرسل حيث ذكر في حدّه : أنّه قول التابعي : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كذا ، أو فعل كذا ، وهو المعروف في الفقه وأصوله ، ثم قال : وقيل : يحتج به مطلقاً ، والأولى أن صحّ مخرجه لمجيئه من وجه آخر مسنداً من غير رجال الأول فهو حجة ، ومن ثم احتج الشافعي بمراسيل ابن المسيّب وليس بمختص به كما توهم ، هذا .

ولمّا كان قد حضر عندي نسخة من ذلك الشرح المفيد حين هذه الكتابة ، وكنت سألت الله أن يريني منه شيئاً أودعها درج كتابي هذا ، الذي جمع لكل فائدة إن شاء الله تعالى ، ففتحتها بهذه النية فإذاً على إحدى الصفحتين أوّل ما وقع عليه طرفي وهو من مباحث أقسام الحج الثلاثة .

قوله : ومن دلائل ترجيح الأفراد : أنّ الخلفاء الراشدين بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أفردوا الحج ، وواظبوا على إفراده ، كذلك فعل أبو بكر وعمر وعثمان واختلف فعل علي رضي الله عنه ولو لم يكن الإفراد أفضل وعلموا أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حج مفرداً لم يواظبوا عليه ، مع أنهم الأئمة الأعلام وقادة الإسلام ويقتدى بهم في عصرهم وبعدهم ، فكيف يظن بهم المواظبة على خلاف فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأمّا الخلاف عن علي رضي الله عنه وغيره فإنّما فعلوه لبيان الجواز ، وقد ثبت في الصحيحين ما يوضح ذلك ، انتهى .

وفيه أيضاً شرح أسماء الله الحسنى ، وقد تعرض فيها لشرح تسعة وتسعين إسماً من أسماء الله تبارك وتعالى جمعاً ، المصنّف في كتاب منه بالخصوص ، بأكمل تفصيل وأجود تذييل ، وينقل في ذلك غالباً عن الشيخ أبي القاسم القشيري الصوفي الآتي إليه الإشارة في مقامه إن شاء الله .

ثم ليعلم أنه قد استفيد لنا من تضاعيف هذا الباب ، ومما أسلفنا لك من نص الحافظ السيوطي : أخذ الرجل من أبي حفص السهروردي الآتي ذكره وترجمته على التفصيل في باب ما أوّله الشين المعجمة إن شاء الله مضافاً إلى نقله عنه في باب اختيار العزلة على المخالطة ، بعنوان شيخ الإسلام أبي حفص السهروردي قدّس الله سره قوله :

إن مدحت الخمول نبهت أقوا ما نياماً يُضاعِفون إليه
هو قد دلّني على لذة العيش فما لي أدلُّ غيري عليه

وقوله :

خمولك يدفع عنك الأذى فكن قانعاً أبداً بالخمول
فكم من عليٍّ في ذرى شاهق من العز يرحم عند النزول

وقوله :

من أخمل النفس أحياها وأنعشها ولم يبت قط من أمرٍ على خطرٍ
إنّ الرياح إذا هاجت عواصفها فليس ترمي سوى العالي من الشجر

إلى غير ذلك مما يوجد في تضاعيف شرحه المذكور .

٢٥٩
الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري(*)

المولد ، الآسفي المحتد النحوي اللغوي الفقيه البارع بدر الدين

(*) له ترجمة في : بغية الوعاة ج ١ ص ٥١٧ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٣٦ ، الدرر الكامنة ج ٢ ص.١١٦ ، شذرات الذهب ج ٦ ص ١٦٠ .

المعروف بابن أم قاسم ، وهي جدته أم أبيه ، واسمها زهراء ، وكانت أول ما جاءت من الغرب ، عُرفت بالشيخة ، فكانت شهرته تابعة لشهرتها ، ذكر ذلك العفيف المطري[١] .

في « ذيل طبقات القراء » قال : وأخذ العربية عن أبي عبد الله الطنجي والسرّاج والدمنهوري وأبي زكريا الغماري وأبي حيان ، والفقه عن الشرف المقيلي المالكي والأصول عن الشيخ شمس الدين بن اللبان ، وأتقن العربية والقراءات على المجد اسماعيل الششتري ، وصنّف وتفنن وأجاد ، وله « شرح التسهيل » و« شرح المفصل » و« شرح الألفية » و« الجنى الداني في حروف المعاني » قلت : و« شرح الإستعاذة والبسملة » كراس مكته بخطّه ، وكان تقياً صالحاً مات يوم عيد الفطر سنة تسع وأربعين وسبعمأة[٢] كذا في « طبقات النحاة » .

أقول : وكان المراد بهذا الرجل هو المرادي الذي تكرّر النقل عنه في تصريح خالد الأزهري ، وهو غير المكودي الذي له أيضاً « شرح الألفية » و« شرح الجرومية» وينقل عنه خالد المذكور أيضاً كثيراً ، فإن اسمه عبد الرحمن بن أحمد بن صالح أبو زيد المكودي المطرّزي ومرّ في ترجمة اسماعيل بن عباد الإشارة إلى الحسن بن القاسم الرازي فليراجع إن شاء الله .

٢٦٠

« إمام المفسرين ، وعصام المتبحرين ، نظام الملة والدين »
« حسن بن محمد بن الحسين الخراساني ، المعروف بالنظام الأعرج »[*]

النيسابوري صاحب التفسير الكبير المشهور ، ومجلّد آخر في لبّ التأويل نظير تأويلات المولى عبد الرزاق الكاشي ، وشرح على « شافية » الصرف ، ممزوج

(١) هو الحافظ عفيف الدين أبو جعفر عبد الله بن الجمال محمد بن خليف بن عيسى الخزرجي العبادي المدني توفي سنة ٧٦٥ « ذيل طبقات الحفاظ » .

(٢) بغية الوعاة ج ١ ص ٥١٧

(*) له ترجمة في : أعيان الشيعة ج ٢٣ ص ١١٤ ، الذريعة ج ١٦ ص ٣٠ ، الكنى والألقاب ج ٣ ص ٢٥٦ ، هدية العارفين ج ١ ص ٢٨٣

مسهول يعرف بين الطلبة بشرح النظام ، وشرح على « تذكرة » الخواجة نصير الدين الطوسي في علم الهيئة و« رسالة في علم الحساب » أخذ منها شيخنا البهائي خلاصته كما قيل .

كتاب في (أوقاف القرآن) على حذو ما كتبه السجاوندي المشهور وغير ذلك وأصله وموطن أهله وعشيرته مدينة قم المحروسة ، وكان منشأه وموطنه بديار نيسابور التي هي من أحسن مدن خراسان ، وإنما قيل لها نيسابور ، لأن سابور ذاء الأكتاف أحد ملوك الفرس المتأخرة ، لما وصل إلى مكانها أعجبه ، وكان مقصبة فقال : يصلح أن يكون ها هنا مدينة ، وأمر بقطع القصب ، وبنى المدينة ، فقيل نيسابور ، وني ، هي القصبة بالعجمية كما عن السمعاني في كتاب « الأنساب » وبالجملة فأمره في الفضل ، والأدب والتبحر والتحقيق ، وجودة القريحة ، في متأخري علماء العامة ، أشهر من أن يذكر وأبين من أن يسطر ، وكان من كبراء الحفّاظ والمفسرين ، وتفسيره المقدّم إليه الإشارة من أحسن شروح كتاب الله المجيد ، وأجمعها للفرائد اللفظية والمعنوية ، وأحوزها للعوائد القشرية واللبية ، وهو قريب من تفسير « مجمع البيان » كمّاً وكيفاً وسمة وترتيباً بزيادة أحكام الأوقاف في أوائل تفسير الآي ، ومراتب التأويل في أواخره ، والإشارة إلى جملة من دقائق النكات العربية في البين . وكان من علماء رأس المئة التاسعة[1] على قرب من درجة السيد الشريف ، والمولى جلال الدواني ، وابن حجر العسقلاني وقرنائهم الكثيرين من علماء الجمهور ، وتاريخ إنهاءات مجلّدات تفسيره المذكور صادفت حدود ما بعد الثماني مئة والخمسين من الهجرة .

ويوجد أيضاً كما بالبال نسبة التشيّع إليه في بعض مصنفات الأصحاب وكأنّه

---

(١) قلت ؛ وقد ظفرت في هذه الأيام بكتاب عتيق من شرحه على « تذكرة » الخواجه نصير الدين قدس سره ، وظني أنه كان بخط الشارح المعنون له وفي غاية المتانة والصحة وقد ذكر في آخره رقم الإتمام بهذه العبارة ، وقد اتفق فراغي من تأليف هذا الكتاب غرة ربيع الأول من شهور سنة إحدى عشر وسبع مئة هلالية رحم الله من إذا نظر فيه دعا لي بالخير، وأنا أفقر خلق الله إلى غفرانه ، الحسن بن محمد يعرف بنظام النيسابوري ، نظم الله أحواله في الدارين (انتهى) ولم يكن بعد ما زبر في تلك النسخة شيء وهو ظاهر في كونه رقم نسخة الأصل ، وعليه فيكون الرجل في طبقة تلاميذ صاحب « التذكرة » وكانت الإشارة في ما نقلناه من تواريخ مجلدات التفسير إلى أن تحقق إن شاء الله (منه) .

شرح كتاب « من لا يحضره الفقيه »[١] لمولانا محمد تقي المجلسي رحمة الله تعالى عليه بناء على إجتهاد من جهة ما وصل إليه من علائم ذلك في ضمن التفسير معتضداً بكونه من بلد لم يجبل إلّا على الإمامية منذ بنى ، وسمي بالحسن مع كون أبيه محمد بن الحسين مضافاً إلى أنّه ذكر اسم المحقق الطوسي رحمه الله تعالى في شرح تذكرته مع غاية التعظيم والتبجيل ووصفه فيه : بالأعلم المحقق والفيلسوف المحقق أستاذ البشر ، وأعلم أهل البدو والحضر نصير الملة والدين محمد بن محمد بن محمد الطوسي قدس الله نفسه ، وزاد في حظائر القدس أنسه ، وظاهر أن أحداً من أهل السنة لا يرضى بأن يذكر رجلاً من الشيعة بهذه الأوصاف ويدعو له بالخير ويقرر له دخول الجنة كما لا يخفى .

ثمّ إنّ هذا الرجل غير الحسن بن مظفّر النيسابوري الضرير اللغوي أبي علي الذي هو من جملة مشايخ الزمخشري[٢] وله « تهذيب ديوان الأدب » و« تهذيب إصلاح المنطق » و« الذيل على تتمة اليتيمة » و« ديوان الشعر » وغير ذلك وأنّه مات سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة كما في « طبقات النحاة »[٣] .

هذا ومن جملة من يعرف بلقب النيسابوري أيضاً هو الشيخ معين الدين قاضي القضاء محمد بن محمود بن أبي الحسن النيسابوري صاحب « غريب القرآن » المأخوذ من كتابِ الشيخ أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني المشهور ، وقد كتبه لأجل ولده القاضي جمال الدين محمود ، وكان عندنا نسخة منه مختصرة لطيفة ومنهم : علي بن سهل بن العباس أبو الحسن الشهير هو أيضاً بالنيسابوري المفسّر .

وكان من جملة تلامذة الواحدي المشهور .

(١) وقال مولانا محمد تقي رحمة الله تعالى عليه في شرحه الفارسي على الفقيه في كتاب الصوم : ومولانا نظام الدين نيسابوری كه بحسب ظاهر از كبار علمای عامه است أما در واقع شيعه است در تفسير خود ذكر كرده است تا بآخر « منه » .

(٢) هكذا في الأصل وفي معجم الأدباء والبغية ، وليعلم أن ولادة الزمخشري كانت في سنة سبع وستين وأربع مئة وتوفي ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة كما في الوفيات وصرّح به المؤلف في ذيل ترجمته ، فلا يلائم ما قال أن الرجل من أحد مشايخه فتأمل .

(٣) بغية الوعاة ص ٢٣٠ ومعجم الأدباء ج ٣ ص ٢١٨ .

ومنهم : الشيخ علي بن عبد الله بن أحمد النيسابوري المعروف بابن أبي الطيب ، وهو القدوة الذي قال في حقه الحافظ الصفدي في كتاب ذيله على تاريخ ابن خلّكان : كانت له معرفة تامّة بالقرآن وتفسيره ، توفي سنة ثمان وخمسين وأربع مئة ، ومولده نيسابور وموطنه سبزوار وبها توفي ، عمل له أبو القاسم علي بن محمد بن الحسين بن عمر مدرسة باسمه في محلة إسفرائين سنة عشرة وأربع مئة وكان تلميذه وله كتاب « التفسير الكبير » ثلاثون مجلداً ، و« التفسير الأوسط » أحد عشر مجلداً ، والأصغر ثلاث مجلدات وكان يملي ذلك من حفظه ، وحمل إلى السلطان محمود بن سبكتكين سنة أربع عشر وأربع مئة فلما دخل عليه جلس بغير إذن وشرع في رواية خبر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال السلطان لغلام دِه راسه فلكمه[1] على رأسه لكمة كانت سبباً لطرشه ، ثم إنّ السلطان عرف منزلته فاعتذر إليه وأمر له بمال فلم يقبله : وقال : لا حاجة لي به ، فإن استطعت أن ترد ما أخذت مني قبلته وهو سمعي فقال السلطان : إن للملك صولة وهو مفتقر إلى السياسة ورايتك تعديت الواجب ، فجرى مني ما جرى ، وأحبّ أن تجعلني في حلّ ، فقال : الله بيني وبينك بالمرصاد ، إنما أحضرتني لسماع المواعظ وأخبار الرسول ، والخشوع لا لإقامة قوانين الملك واستعمال السياسة ، فخجل السلطان وجذب برأسه إليه وعانقه .

هذا ، وفي « رياض العلماء » إنّ لقب النيسابوري لكثير من أصحابنا الإمامية أيضاً .

منهم : الشيخ أبو جعفر النيسابوري من مشايخ القطب الراوندي ، وله كتاب « المجالس » الذي ينقل عنه ابن شهر آشوب في المناقب كثيراً .

ومنهم : الحاكم أبو عبد الله الملقّب بالمفيد النيسابوري مصنّف كتاب « الأمالي » .

ومنهم : الشيخ أبو علي محمد بن أحمد بن علي الغيال النيسابوري المعروف بابن الفارسي .

---

(١) اللكم باليد مجموعة « منه » .

ومنهم : الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن الشيخ أبي الفتوح الرازي الخزاعي على سبيل الندرة وفي كتاب « تلخيص الآثار » أن نيسابور من كبار مدن خراسان ذات فضائل حسنة وعمارات كثيرة ، وثمرات وافرة ، وكانت مجمع الفضلاء ومعدن العلماء ، بها معدن الفيروزج ، يجلب منها إلى البلاد ، وبها الطين المأكول الذي لا يوجد في جميع الأرض إلاّ بها ، وكانت نيسابور من أحسن بلاد الله وأطيبها ، [إلى أن] خرج الغز على السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي ، وكسروه وأسروه وبعثوا جميعاً إلى نيسابور وذلك في سنة ثمان وأربعين وخمس مئة ، فقاتلهم أهل نيسابور أشدّ القتال لأنّهم كفّار نصارى ، فجاءهم ملك الغز وحاصرهم حتى استخلصها عنوة ، وقتل كلّ من وجدوه ، وخربوها وأحرقوها فانتقل الناس إلى الشاذياخ ، وكان بستاناً لعبد الله بن طاهر بن الحسين ، وعمروها وسوّروها حتى بقيت مدينة طيبة أحسن من المدينة الأولى ، وصارت الأولى متروكة ، صارت مجامع أهلها مكامن الوحوش ومراتع البهائم .

ينسب إليها الإمام البارع سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي ، إمام أهل الحديث وأبو حفص عمر بن مسلم الحداد أحد الأئمة والسادة ، مات سنة نيف وستين ومئتين .

وينسب إليها : الإمام العلامة رضي الدين النيسابوري ، قدوة العلماء وأستاذ البشر ، أصله من نيسابور ومسكنه خاراً ، وكان على مذهب الإمام أبي حنيفة ، وكان في حلقة درسه أربع مئة فقيه فضلاء ، مثل العميدي ، وغيره وأنه سلك طريقة لم يسلكها من كان قبله ، وكان علم المناظرة قبل غير مضبوط ، فأحدث له ضبطاً وترتيباً .

وينسب إليها : الأستاذ قدوة المشايخ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري صاحب « الرسالة القشيرية » كان وحيد دهره علماً وورعاً .

وأبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش كان عظيم الشأن صحب الجنيد توفي سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة .

ومن الحكماء : عمر الخيام كان حكيماً عارفاً بجميع أنواع الحكمة سيما نوع

الرياضي ، وكان في عصر السلطان ملكشاه السلجوقي «انتهى »[1] .

ولابن أبي الطيب المتقدم ذكره ضمناً في مديح مملكة نيسابور المذكور هذه الأبيات الرائقة من ديوانه الكبير :

فَلَكُ الأفاضل أرض نيسابور   مرسى الأنام وليس مرسى بور
دعيت أبو شهر البلاد لأنها   قُطب وسائرها رسوم السور
هي قُبةُ الإسلام نائرة الصوى   فكأنّها الأقمار في الديجور
من تلق منهم تلقه بمهابة   زفّت عليه بفضله الموفور
لهم الأوامر والنواهي كلها   ومدى سواهم رتبة المأمور

٢٦١
فصل في ذكر من اسمه الحسين من سائر أطباق الفرقتين
« حلاج الأسرار لكل صوف وحلال الأستار بلا وقوف أبو معتب حسين ابن منصور الصوفي المزهد المعروف »(*)

كان جده مجوسياً كما في الوفيات ، ويا ليته كان على دين جدّه ، وأصله فارسياً بيضاوياً لم يسل البياض إلى صفحة قلبه وخدّه .

توجه في حداثة سنه إلى ديار الأهواز ، فاشتغل بها على الشيخ أبي محمد سهل بن عبد الله التستري زماناً، ثم إلى العراق وهو ابن ثماني عشرة سنة ، فخالط بها الصوفية ، وصحب الجنيد البغدادي وأبا الحسين النوري وغيرهما ، ثم

---

(١) راجع آثار البلاد ٤٧٢ ـ ٤٧٧ .

(*) له ترجمة في : الأنساب ص ١٨١ ، البداية والنهاية ج ١١ ص ١٣٢ ، تاريخ بغداد ج ٨ ص ١١٢ ، الشذرات ج ٢ ص ٢٣٣ ، طبقات الشعراني ج ١ ص ١٢٦ ، طبقات الصوفية ص ٣٠٧ ، الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٣٩ ، الكنى والألقاب ج ٢ ص ١٨٣ ، اللباب ج ١ ص ٢٣٠ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٣١٤ ، مجالس المؤمنين : ص ٢٧٠ ، المختصر في تاريخ البشر ج ٢ ص ٧٠ ، مرآة الجنان ج ٢ ص ٢٥٣ ، المنتظم ج ٦ ص ١٦٠ ، ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٥٦ ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٠٢ ، نفحات الأنس ص ١٥٠ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٠٥ .

رجع إلى تستر وتأهل ، فخرج منها بعد زمان في جمع من خلطائه إلى بغداد ، ومنها إلى مكة المشرفة ، ثم لما رجع منها إلى بغداد بقصد زيارة الجنيد ودخل عليه سأله عن مسألة فلم يجبه وقال له : أنت مدع في سؤالك ، فتكدر منه الحلاج وعاود إلى تستر ، وحصل له وقع عظيم في هذه المرة عند أهلها بحيث قد خاف على نفسه ، فاستتر عنهم نحواً من خمس سنين ، وكان في هذه المدة يتردد إلى بلاد خراسان وما وراء النهر وسجستان[١] وفارس ويظهر لهم الدعوة ، ويصنّف فيهم الكتب حسب ما يريد ، وكان يدعى عندهم بأبي عبد الله الزاهد ، ثم لما رجع في هذه الكرة إلى الأهواز نطقوا عنه بحلّاج الأسرار ، لكثرة ما كان يخبر عن ضمائرهم ، إلى أن جعل له الحلاج لقباً على التدريج فسافر منها إلى البصرة ، ومنها إلى مكة ثانياً وهكذا إلى تمام أربعة أسفار إليها ، بينهن سفر منه إلى طرف الهند ، والصين ، وبلاد الترك ، ووقع تشنيع شديد من الشيخ أبي يعقوب النهر جوري عليه ، ثم رجع إلى بغداد وكان قد توفي الجنيد ، فتوطن هناك في هذه الكرة إلى أن تغيّر عليه وجوه الفقهاء والقضاة ، وآل أمره إلى ما آل[٢] .

وقيل في وجه تلقبه بالحلاج أنّه جلس على حانوت حلّاج واستقضاه شغلاً فقال الحلاج : أنا مشتغل بالحلج ، فقال له : امض في شغلي حتى أحلج عنك ، فمضى الحلاج وتركه ، فلما عاد رأى قطنه جميعاً محلوجاً .

وذكر ابن خلّكان : أنّه من أهل البيضاء وهي بلدة بفارس ، ونشأ بواسط والعراق والناس في أمره مختلفون ، فمنهم من يبالغ في تعظيمه ، ومنهم من يكفره ورأيت في كتاب «مشارق الأنوار» تأليف أبي حامد الغزالي فصلاً طويلاً في حاله ، وقد اعتذر عن الألفاظ التي كانت تصدر عنه مثل قوله : أنا الحق وما في الجبة إلاّ الله ، وقال : هذا من فرط المحبة وشدّة الوجد وجعل هذا مثل قول القائل :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا فإذا أبصرتني أبصرتها[٣]

---

(١) في مجالس المؤمنين سيستان بدل سجستان .

(٢) مجالس المؤمنين ص ٢٧٠ .

(٣) جاء في الوفيات هكذا :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وقول بعضهم بالفارسية :

من بـاتـو چنـانـم اى جـوان ختنى كـانـدر غلطم كـه من تـوام يـا تـومنى
نى من منم ونى تـو تـوئى ، نى تـو منى هم من منم وهم تـو تـوئى هم تـو منى
(هكذا)

ومن الشعر المنسوب إليه على اصطلاحهم وإشاراتهم قوله :

ألقـاه في اليم مكتـوفـاً وقـال لـه إيّـاك إيّـاك أن تبتـل بـالمـاء

وقـوله :

أرسلت تسـأل عني كيـف كنـت ومـا لاقيت بعـدك من وهم ومن حـزن[١]
لا كنت إن كنت أدري كيف كـنت ولا لا كـنت إن كـنت أدري كـيف لم أكـن

ونقل أن بعضهم كتب إلى الشيخ أبي القاسم سمنون بن حمزة الزاهد ، وهو من كبار أصحاب السري ، وأبي أحمد القلانسي ، ومحمد بن علي القصاب يسألـه عن حاله ، فكتب إليه هذين البيتين إلى أن قال : وبالجملة فحديثـه طويـل وقصته مشهورة والله يتولى السرائر .

وكان جده مجوسياً وصحب أبا القاسم الجنيد ومن في طبقته وأفتى أكـثر علماء عصره بإباحة دمه ويقال : إنّ أبا العباس بن سريح كان إذا سئل عنه يقول : هـذا الرجل خفي عني حاله وما أقول فيه شيئاً[٢]« انتهى » .

أقول ومن جملة المعتذرين عن هفواته الباطلة من علماء الطائفـة هو الخـواجة نصير الملة والدين الـطوسي حيث يقول : إن مـراد الحلاج بقـوله « أنـا الحق » رفع الإنية دون الإثنينية كما قال الشاعر :

بـيـني وبـيـنـك إني يـزاحـمـني فـارفع بفضلك أني من البـين[٣]

وشيخنا البهائي حيث حملها على المجاز مستشهداً فيه بقوله :

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٠٥

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٠٥، ٤٠٦ .

(٣) أوصاف الأشراف ص ٦٦ .

روا بـاشـد أنـا الحق از درختي چـرا نبـود روا از نيكبـختي[١]

وفي « مجالس المؤمنين » إنّ هـذا الرجـل لما كـان من الشيعة الإمـامية وكـان يـدعـو النـاس إلى نصرة أهـل البيت عليهم السـلام ويبشرهـم بـالفـرج وخـروج الصاحب (عليه السلام) من أرض طالقان عمّا قريب ، ويصرف وجوه العـامة من متابعة بني العباس اتهموه بالزندقة والخروج من الدين ليقتلوه بهذه الوسيلة[٢] .

(١) الكشكول ص ٤٢٨ ، والبيت من الشبستري .

(٢) مجالس المؤمنين ص ٢٧١ .

ولنعم ما قال الفاضل الطيبي في شرحه على مصابيح البغوي ، بتقـريب يصف به معـاشر الصوفيـة المحقة ببعض من الأشعار يذكرها عن بعضهم حيث يقول لعمري لقد أحسن وأصـدق فيما قـال ، وأجاد في الثناء على مروة هؤلاء القوم ، لأنهم هم الرجال الذين استقاموا على ما قالوا وصـدقوا فيـما عاهدوا ، وأما المتسمون برسمهم والمسمون باسمهم الذين قنعوا بالإسم والرسم ، وتقنعوا بالمـرقع والرقص فليسوا من الرجال في شيء بل هم أعجز من العجائز في المعارك « منه »

قال الشيخ أبو حامد : متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزي والهيئة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي ألفـاظهم وفي آدابهم وفي مراسمهم واصـطلاحاتهم وفي أحـوالهم الظاهـرة في السماع والـرقص والطهـارة والصلاة والجلوس عـلى السجادات ، مـع إطراق الرأس وادخاله في الجيب كالمتفكر في تنفس الصعداء وخفض الصوت في الحديث إلى غـير ذلك من الشمائل والهيئات .

فلما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضاً صوفية ، ولم يتبعوا أنفسهم قط في المجاهـدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئاً منها بل يتكالبـون على الحـرام والشبهات ، وأمـوال السلاطـين ويتنافسـون في الـرغيف والفلس والحبة ويتحـاسدون عـلى النقير والقـطمير ؛ ويمـزق بعضهم إعراض بعض مهـما خالفه في شيء من غرضه .

وهؤلاء غرورهم ظاهر ، ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال من المقاتلين ثبتت أسماؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة ، فتاقت نفسهـا إلى أن يقطع لهـا مملكة ؛ فلبست درعاً ، ووضعت على رأسها مغفـراً ، وتعلمت من رجز الأبـطال أبياتـاً ، وتعودت إيراد تلك الأبيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفيـة تبخترهم في الميـدان وكيف تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شـمائلهم في الزي والمنـطق والحركـات والسكنات ، ثم تـوجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان .

فلما وصلت إلى المعسكر ، أنفذت إلى ديوان العرض وأمر أن تجرد عن المغفـر والدرع وينـظر ما تحتـه وتمتحن بـالمبارزة مـع بعض الشجعان ليعـرف قدر عنـائها في الشجـاعة ، فلما جـردت عن المغفـر =

وفي كلمات بعض آخر أنّه لا عيب في هـذا الرجـل غير قلة صـبره عن إذاعة الأسرار وإظهـاره العجائب الكثـيرة ، ونظيره في أصحـاب الأئمة جـابر بن يـزيـد الجعفي ، فصار ذلك منشأ حسد النـاس له وخـوفهم منه ، إلى أن أوردوا عليـه ما أوردوه ، وفي جميع هذه المعـاذير نـظر بين ولا يصرف عن الـظواهر المتبعـة في جميع

= والدرع فإذاً هي عجـوز ضعيفة زمنـة لا تطيق حمـل الدرع والمغفـر ، فقيل لها : جئت للإستهـزاء بالملك وللإستخفاف بأهل حضرته (والتلبيس عليهم؟ خذوها فالقوها قدام الفيل لسخفها فـالقيت إلى الفيل) فهكذا يكون حال المدعين للتصـوف في القيامـة ، إذا كشف عنهم الغطاء (وافتضحـوا على رؤوس الأشهاد) .

ومنهم طـائفة ادعت علم المعـرفة ومشـاهدة الحق ، ومجـاوزة المقامـات والأحوال والمـلازمة في عـين الشهود والوصـول إلى القرب ولا يعـرف هذه الأمـور إلا بالأسـامي والألفاظ لأنّـه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين ، فهو ينظر إلى الفقهـاء والمفسرين والمحـدثـين وأصنـاف العلماء بعـين الإزراء فضلاء عن العـوام ، حتى إن الفـلاح ليـترك فـلاحته ، والحـائك يـترك حياكتـه ويـلازمهم أيـامـاً معـدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المـزيفـة فيرددها ، كأنه يتكلم عن الوحي ، ويخبر عن سر الأسرار ، ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء ، فيقول في العباد أنهم أجراء متعبون ويقول في العلماء أنهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعى لنفسـه أنه الواصل إلى الحق ، وأنه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقـين وعند أربـاب القلوب من الحمقى الجاهلين .

وبعضهم يقـول : الأعمال بـالجوارح لا وزن لهـا ، وإنما النـظر إلى القلوب وقلوبنـاوالهة بحب الله وواصلة إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا ، وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبيـة فنحن مع الشهوات بالـظواهر لا بـالقلوب ، ويزعمـون أنهم قد تـرقوا عن رتبـة العوام واستغنـوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية ، وأن الشهـوات لا تصدهم عن طـريق الله لقوتهم فيهـا ، ويرفعـون درجة أنفسهم على درجة الأنبيـاء عليهم السلام إذا كـانت تصدهم عن طـريق الله خطيئـة واحدة ، حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية ، وأصناف غرور أهل الإباحة من المتشبهين بالصـوفية لا تحصى (إلى أن قال)[١] .

وأنواع الغرور في طريق السلوك إلى الله تعالى لا تحصى ، في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره (ولعل القدر الـذي ذكرنـاه أيضاً كـان الأولى تركـه) إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره ، والذي لم يسلكه لا ينتفع بسـماعه ، بـل ربما يستضربه إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم[٢] .

---

(١) إحياء العلوم ، ربع المهلكات ص ٣١٠ .

(٢) الإحياء ، ربع المهلكات ص ٣١١ .

الأديان والملل بأمثال هذه التوجيهات السخيفة ، كما قيل : أوّل مراتب الإلحاد فتح باب التأويل ، وذلك أنّ بانفتاح تلك الأبـواب وقبول الإحتـمالات الواهيـة من كلّ خطاب ينخرم أسـاس تكفير المتشرّعـين سائـر الكفار ، وينسـد سبيل الإيـراد على الكلمات الكفرية ، بادّعائهم الحذف والإضمار، وظاهر أن بناء عمل أهـل الإسلام كان على خلاف ذلك بل عمل سائر المليين .

وفي الحـديث : إنّ لنـا في كـلّ خلف عـدولاً ينفـون عنـه تحـريف الغـالـين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

وكذلك الأمر في الخارج تحقق وصدق في ما قاله الصـادق المصدّق حيث إنّـا نشاهد بالحس والعيان ونحس بالتتبع في الأقران أنّه منـذ احتجب عن أعيننا حجـة الزمان عجل الله تعالى فرجه وصلى وسلم عليه وعلى آبائـه الطيبـين المعصومـين إلى الآن طـالما نـال هذه الشريعـة المطهـرة وأهلهـا الضعف والهـوان وظهـر النقص في أطراف الأرض بموت فقهائنا الأعيان تغليظاً لمحنة أهل الإيمان ، وتشديداً لبلية من كان يصدق بالحجة والبرهان ، ويؤمن بالغيب لا بالإعلان ، فحصل بـه كل فـرج للشيطان وحزب الشيـطان ، كما روي عن النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) أنّه قـال : فقيـه واحـد أشـد عـلى إبليس من ألف عـابـد وبـالسنـد الصحيـح عن الصادق (عليه السلام) إنّه قال : ما من أحـد يموت من المؤمنـين أحبّ إلى إبليس من موت فقيه .

ثمّ إنّه جعل يدعي إذ ذاك واحد من أهـل تلك الجاهليـة البابيـة وآخر منهم المغيرية ، والخطابية ، وثـالث التعرف بـالأخباريـة ، ورابع التصـوّف والكشفية ، وخامس التصرف بالأمـور المخفية ، كـل ذلك لقصـورهم عن العروج إلى معـارج العلم والدين وفتورهم عن الأخذ بقواعد المجتهدين ، وجهلهم بقـوانين التفقـه في الفـروع ، وعجـزهم في أفـانـين التنبـه للمشروع ، وضعفهم عن القيـام بحق التحقيق ، وبعـدهم عن التصرف في مقام التـدقيق ، كما يشهـد به تتبـع أباطيلهم الخطابية ، والتأمل في أقاويلهم الكتابية ثم كلما اشتدت دائرة تلك البدع البـائرة ، واشتعلت نائرة أولئك الفئة الخاسرة ، وكاد أن تمحو آثار الشيعة بكيفيات خيالهم ، وتمحق أسبـاب الشريعة بكشفيـات مقـالهم ، أرسـل الله إليهم شهـابـاً ثـاقبـاً من

الفقهاء المجددين ، وبطلاً غالباً من كبراء المجتهدين ، لأن يجعل فيهم السيف القطّاع ، ويقطع أيديهم عن صيد الهمج الرعاع ويؤيد هذا الدين أحسن تأييد ويشيد أركانه بأكمل تشييد ، فيصير بذلك مستوجباً لسعادة الدارين ، ومستصعداً من الله بصحابة المجددين ويكتب في ديوان أمناء الله الملك الجليل ، ويصدق عليه : علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل ، ويموت غيظاً من كان قبل يبغضه مدقوقاً ، ويقال جهراً : **﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾** . هذا وبالجملة فإني كلما فتشت وبحثت عن حقيقة حال هذا الرجل وما هو أهله لم أظفر عليه بشيء غير نهاية بعده عن طريقة عرفان الموحدين وقربه إلى حقيقة أهواء الملحدين ، وعمى قلبه عن القبول لشرائع الإسلام والوصول إلى معرفة الحلال والحرام وبصارته بقوانين التصيد والتغرير ، ومهارته في أفانين التصنّع والتزوير ، مصداقاً لما يقوله الشاعر :

تصوف فازدهى بالصوف جهلاً وبعض الناس يلبسه مجانة
ولم يرد الإله به ولكن أراد به الطريق إلى الخيانة

ولا رأيته إلّا ثالث ثلاثة ، أو رابع أربعة ، أو خامس خمسة من العرفاء بالباطل والمين والمتصوفة الذين خسروا في الدارين ، وهم الحسن البصري الذي قد سبق لك منْ كلام الفضل بن شاذان أنّه كان يلقى كل فرق بما يهوون ، ويتصنّع للرياسة .

وسفيانهم الثوري الذي هو من كبار الناصبة المرائين فلا أسعد الله أنفاسه ، والشيخ عبد القادر الجيلاني الذي لم يعرف منه إلّا المزخرف والجنون ولم يكشف عنه إلّا في الجنون فنون ، ولا انتهت الخرقة منه فيما يصفون ، وينسبون إلى **﴿ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾** .

ومحي الدين محمد بن العربي الأشبيلي الأندلسي الذي هو في الحقيقة ماحي الدين ومجانب طريقة المليين ، ومدعي الأفضلية على خاتم النبيين وختم الولاية به من بين المهديين ، وأنّ الفضيلة للأولياء على الأنبياء ، وأنّه أخذ المعارف والأحكام من الله بمثل الإيحاء .

عمروا موضع التصنع منهم فمكان الصلاح فيه خرابُ

وناهيك شهادة على بُعد هؤلاء عن الطريق ، والفرق بين أصحاب الولاء وهذا الفريق ، بأنّ الشيخ أبا القاسم القشيري لم يذكر غير الأخيرين منهم المتأخرين عنه مع تقدمهم عليه بكثير في جريدة العرفاء السالكين ، وسلسلة الأولياء الناسكين ، مع وضعه باباً بالخصوص لذكر مشايخ هذه الطريقة ، وما يدل من سيرهم وأقوالهم على تعظيم الشريعة ، في فواتح رسالته إلى الصوفية المعروفة بالقشيرية وكان الوجه في ذلك إنّه لا يتعرض في تلك الرسالة إلاّ لترجمة أحوال أتقياء هذه الطائفة ومتشرعيهم ولا يشير فيها أيضاً إلاّ إلى جملة من قواعدهم الشريفة وأوضاعهم المنيفة وكلماتهم الطريفة، واصطلاحاتهم اللطيفة، كما يشير إلى ذلك قوله في مفتتح تلك الرسالة بهذه الصورة : ثم اعلموا رحمكم الله أنّ المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق في زماننا هذا ، من هذه الطائفة إلاّ أثرهم .

أمّا الخيام فإنها كخيامهم ... وارى نساء الحي غير نسائها

حصلت الفترة في هذه الطريقة ، لا بل اندرست الطريقة بالحقيقة ، مضى الشيوخ الذين كانوا بهم اهتداء ، وقلّ الشباب الذين بسيرتهم وسنّتهم اقتداء ، زال الورع وطوى بساطه ، واشتد الطمع وقوي رباطه وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام ، واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة وركضوا في ميدان الغفلات ، وركنوا إلى اتباع الشهوات وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات والإرتفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان وأصحاب السلطان ، ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال ، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال ، وادّعوا أنّهم تحرروا[1] عن رق الأغلال ، وتحققوا بحقائق الوصال ، وأنّهم قائمون بالحق تجري[2] عليهم أحكامه ، وهم محو وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم ، وأنّهم كوشفوا بأسرار الأحدية ، فاختطفوا عنهم بالكلية ، وزالت عنهم أحكام البشرية ،

---

(١) في الأصل : تجردوا .

(٢) في الأصل : مجرى .

وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية ، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا والنائب عنهم سواهم فيما تصرّفوا بل صرفوا .

إلى أن قال : ولما رأيت أن الوقت[١] لا يزيد إلّا استصعاباً ، وأكثر أهل العصر بهذه الديار إلّا تمادياً فيما اعتادوه ، واغتراراً ، [بما ارتادوه][٢] أشفقت على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر على هذه الجملة بنى قواعده وعلى هذا النحو سار سلفه ، فعلقت هذه الرسالة إليكم أكرمكم الله وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة[٣] في آدابهم وأخلاقهم ، ومعاملاتهم وعقائدهم [بقلوبهم][٤] وما أشاروا إليه من مواجيدهم ، وكيفية ترقيهم من بدايتهم إلى نهايتهم ليكون لمريدي هذه الطريقة قوة ومنكم لي بتصحيحها شهادة ، ولي في نشر هذه الشكوى سلوة ، ومن الله الكريم فضلاً ومثوبة ، وأستعين بالله سبحانه فيما أذكره وأستكفيه ، وأستعصمه من الخطأ فيه ، وأستغفره وأستعفيه ، وهو بالفضل جدير وعلى ما يشاء قدير[٥] .

ثم أخذ في تحقيق المطالب وبيان ما يوجد من كلمات أكابر هذه الطائفة في تقرير الصواب ، فقال : سمعت أبا حاتم الصوفي يقول : سمعت أبا نصر الطوسي رحمه الله يقول : سئل رويم عن أوّل فرض افترض الله[٦] تعالى على خلقه ما هو ؟ فقال : المعرفة لقوله جلّ ذكره .

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون ﴾ قال ابن عباس : ليعرفون[٧] وقال الجنيد رحمه الله : أنّ أول ما يحتاج إليه من عقد الحكمة معرفة المصنوع صانعه ، المحدث كيف كان إحداثه ، فيعرف صفة الخالق من المخلوق ، وصفة

---

(١) في المصدر : ولما أبي الوقت .

(٢) الزيادة من الرسالة .

(٣) في الأصل : الطائفة .

(٤) الزيادة من الرسالة .

(٥) الرسالة القشيرية ص ٣ .

(٦) في المصدر : افترضه الله عر وجل

(٥) الرسالة القشيرية ص ٤ .

القديم من المحدث ، فيذل لدعوته ، ويعترف بوجوب طاعته فإن من لم يعرف مالكه ، لم يعترف بالملك لمن استوجبه[٦] .

وقال أيضاً : سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر الطوسي السراج يحكي عن يوسف بن الحسين ، قال : قام رجل بين يدي ذي النون المصري ، فقال : أخبرني عن التوحيد ما هو ؟ فقال : هو أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج ، وصنعه للأشياء بلا علاج ، وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه ، وليس في السماوات العلى ولا في الأرضين السفلى مدبّر غير الله ، وكل ما تصور في وهمك فالله بخلاف ذلك[١] .

وقال أيضاً أخبرنا محمد بن الحسين : قال : سمعت منصور بن عبد الله ، يقول : سمعت جعفر بن محمد ، يقول : قال الجنيد : أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد[٢] .

وقال أيضاً في مفتتح باب ترجمة أحوال المشايخ إعلموا رحمكم الله أنّ المسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يتّسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة ، ولما أدركهم أهل العصر الثاني سميّ من صحب الصحابة ، التابعين ، ورأوا ذلك أشرف سمة ، ثم قيل لمن بعدهم اتباع التابعين ، ثمّ اختلف الناس وتباينت المراتب ، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين ، الزّهاد والعبّاد ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق ، فكل فريق ادّعى أن فيهم زهاداً ، فانفرد خواص أهل الشريعة المراعون أنفسهم مع الله ، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوّف ، واشتهر هذا الإسم لهؤلاء الأكابر قبل المئتين من الهجرة .

ثم أخذ في ترجمة أحوالهم وذكر جملة من سيرهم وأقوالهم فذكر في ترجمة كلّ من ابن أدهم وسائر من قدمنا لك ذكره كثيراً مما أوردناه وكان ينبهك على ما هو

(١، ٢) القشيرية ص ٤ .

(٣) القشيرية ص ٧ .

المقصود ، ومن جملة ما ذكره في ترجمة سري بن المغلس السقطي خال الجنيد وأستاذه أنّه قال : وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، يقول : سمعت أبا بكر الرازي ، يقول : سمعت أبا عمر الأنماطي يقول : سمعت الجنيد ، يقول : ما رأيت أعبد من السري أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رُئي مضطجعاً إلاّ في علة الموت[1] .

وقال : ويحكى عن السري أنه قال : التصوف اسم لثلاث معان ، وهو الذي لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ، ولا يتكلّم بباطن في علم ينقصه عليه ظاهر الكتاب[2] ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله[3] .

ونقل أيضاً بالإسناد عن السلطان أبي يزيد البسطامي أنه قال : لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع[4] في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود وآداب الشريعة[5] .

ونقل في ترجمة أبي سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني بإسناده المعنعن عن الجنيد ، عنه ، أنّه قال : ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أيّاماً فلا أقبل منه إلاّ بشاهدين عدلين : الكتاب والسنة[6] .

وفي ترجمة يحيى بن معاذ الرازي ، وكان نسيج وحده في وقته[7] أنّه قال : كيف يكون زاهداً من لا ورع له،تورّع عما ليس لك،ثم أزهد في ما لك[8] .

وفي ترجمة أبي حفص الحداد أنّه قال : من لم يزن أفعاله وأحواله في كلّ وقت بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خاطره ، فلا تعده في ديوان الرجال[9] .

---

(١) القشيرية ص ١١ .
(٢) في المصدر أو السنة .
(٣) القشيرية ص ١١ .
(٤) في المصدر حتى يرتقى .
(٥) في المصدر : وإداء الشريعة .
(٦) القشيرية ص ١٦ .
(٧) في المصدر : نسيج وحده في وقته .
(٨) القشيرية ص ١٧ .
(٩) القشيرية ص ١٨ .

وفي ترجمة أبي الحسين أحمد بن محمد النوري ، وكان من أقران الجنيد أنه قال : التصوف ترك كلّ حظ للنفس ، وقال : أعزّ الأشياء في زماننا شيئان : عالم يعمل بعلمه ، وعارف ينطق عن حقيقته.وإنّه قال : كانت المراقع غطاء على الدر فصارت[1] مزابل على الجيف وقال أبو أحمد المغازلي : ما رأيت أعبد من النوري قيل ولا الجنيد قال : ولا الجنيد[2] .

وفي ترجمة رويم بن أحمد البغدادي من أجلة المشايخ أنّه قال في وصيته لأبي عبد الله بن خفيف : ما هذا الأمر إلاّ ببذل الروح ، فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا ، وإلاّ فلا تشتغل بترهات الصوفية[3] .

وفي ترجمة أبي عبد الله محمد بن الفضل البلخي أنّه قال : ذهاب الإسلام من أربعة:لا يعملون بما يعلمون ، ويعملون بما لا يعلمون ، ولا يتعلمون ما لا يعلمون ويمنعون الناس من التعلم[4] .

وفي ترجمة يوسف بن الحسين شيخ الري والجبل في وقته ، أنّه قال : رأيت آفات الصوفية في صحبة الأحداث ، ومعاشرة الأضداد ، ورفق النساء[5] .

وفي ترجمة أبي محمد أحمد بن محمد الجريري من كبار أصحاب الجند ، رؤية الأصول باستعمال الفروع ، وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول ، ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلاّ بتعظيم ما عظّم الله تعالى من الوسائط والفروع[6] .

وفي ترجمة إبراهيم الخواص : أنّه قال : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبّر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين[7] .

---

(١) في المصدر : فصارت اليوم .
(٢) القشيرية ص ٢١ .
(٣) القشيرية ص ٢٢ .
(٤) القشيرية ص ٢٢ .
(٥) القشيرية ص ٢٤ وفيه رفق النسوان .
(٦) نفس المصدر ص ٢٥ .
(٧) القشيرية ص ٢٦ .

وفي ترجمة أبي حمزة البغدادي إنّه قال : من علم طريق الحق سهل عليه سلوكه ، ولا دليل على الطريق إلى الله إلا متابعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في أحواله وأفعاله وأقواله[١] .

وفي ترجمة أبي محمد عبد الله بن منازل شيخ الملامية وأوحد وقته ، أنّه قال لم يضيّع أحد فريضة من الفرائض إلّا ابتلاه الله بتضييع السنن ، ولم يبل أحد بتضييع السنن إلّا يوشك أن يبلى بالبدع[٢] .

وفي ترجمة أبي العباس الدينوري أنّه قال : نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها ، وغيروا معانيها بأسامٍ أحدثوها سمّوا الطمع زيادة ، وسوء الأدب إخلاصاً والخروج عن الحق شطحاً ، والتلذذ بالمذموم طيبة ، واتّباع الهوى ابتلاء ، والرجوع إلى الدنيا وصولاً ، وسوء الخلق صولة ، والبخل جلادة ، والسؤال عملاً ، وبذاءة اللسان ملامة ، وما كان هذا طريق القوم[٣] .

وفي ترجمة أبي القاسم ابراهيم بن محمد بن النصر آبادي شيخ خراسان ، قال : سمعت محمد بن الحسين يقول قيل للنصر آبادي إنّ بعض الناس يجالس النسوان ويقول : أنا معصوم في رؤيتهن ، فقال : ما دامت الأشباح باقية ، فإن الأمر والنهي باق ، والتحليل والتحريم مخاطب به ، ولن يجترىء على الشبهات إلّا من هو تعرض للمحرمات وسمعت محمد بن الحسين يقول : قال النصر آبادي : أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة ، وترك الأهواء والبدع ، وتعظيم حرمات المشايخ ، ورؤية أعذار الخلق ، والمداومة على الأوراد ، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات[٤] .

وفي ترجمة الرّود باري إنّه سئل عمن يسمع الملاهي ، ويقول : هي لي حلال لأني قد وصلت إلى درجة لا تؤثر في اختلاف الأحوال ، فقال : نعم ، قد

(١) نفس المصدر ص ٢٦ .
(٢) القشيرية ٢٨ وفيه ألا أوشك أن يبتلي بالبدع .
(٣) القشيرية ص ٣٢ .
(٤) القشيرية ص ٣٢ .

وصل ولكن إلى سقر[١] ! .

وذكر أيضاً في باب ترجمة الشريعة والحقيقة : إنّ الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية ، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول ، وكلّ حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول إلى أن قال : سمعت الأستاذ أبا علي : (قوله) إيّاك نعبد ، حفظ للشريعة وإيّاك نستعين إقرار بالحقيقة واعلم أنّ الشريعة حقيقة من حيث إنّها وجبت بأمره ، والحقيقة أيضاً شريعة من حيث إنّ المعارف به سبحانه أيضاً وجبت بأمره[٢] .

وقال أيضاً في بعض خواتيم تلك الرسالة (فصل) وبناء هذا الأمر وملاكه على حفظ آداب الشريعة ، وصون اليد عن المد إلى الحرام والشبهة ، وحفظ الحواس عن المحظورات وعدّ الأنفاس مع غير الله عن الغفلات ، وأن لا يستحل مثلاً سمسمة فيها شبهة في أوان الضرورات فكيف عند الاختيار ووقت الراحات[٣] .

وقال أيضاً في ذيل ترجمة الولي سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : سمعت محمد بن أحمد النجار ، يقول : سمعت الدقي ، يقول : سمعت أبا بكر الزقاق يقول : كنت مارّاً في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي ، إنّ علم الحقيقة بيان للشريعة ، فهتف بي هاتف كلّ حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر .

إنتهى ما نقلناه عن الرسالة وفي بعض كتب أصحابنا المتصوفين ألحقه أيضاً في تعريف التصوف واشتقاقه ، إنّ التصوف اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد مع مزيد وإضافات ، لا يكون الرجل بدونها صوفياً وإن كان زاهداً أو فقيراً ، ومن المقرّر أنّ الأعمال معدات لدخول الجنة ، والآداب معدّات للقرب من الله ، والصوفية أهل القرب ، فيكون التصوف كلّها آداب ! وإليه يشير ما قيل : طرق العشق كلّها آداب .

وقال أبو حفص النيسابوري : التصوف كلّه أدب ، فلكل وقت أدب ،

---

(١) القشيرية ص ٢٨ .

(٢) القشيرية ص ٤٦ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٠٣ .

ولكلّ حال أدب ، ولكل مقام أدب ، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيّع الآداب فهو بعيد .

وقال أيضاً حسن الأدب الظاهر ، عنوان حسن الأدب الباطن ـ لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لرجل كان يعبث بلحيته في الصلاة : لو خشع قلبه خشعت جوارحه إلى أن قال : وقال الجنيد :(ره) .

عِلم التصوف علم ليس يعرفه إلّا أخو فطنة بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

وفي بعض كلمات المتقدمين من هذه الطائفة أيضاً أنّ الطالبين للحق على أربعة أقسام : أصحاب بحث مع التزام قوانين الشريعة وهم المتكلمون ، وبدونها هم الحكماء المشاؤون ، وأصحاب كشف مع رعاية وظائف عبادات الشرع وقوانينه وهم الصوفية ، وبدونها وهم الحكماء الإشراقيون .

ونقل عن الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير: إنّ سبع مئة من المشايخ قدس الله أرواحهم اتفقت آرائهم على أنّ التصوف استعمال الوقت بما هو أولى ، يريد بذلك عبارة أخرى لما يقولون إنّ الصوفي ابن وقته ، وكذلك الولي ، أو الإشارة إلى مقام الرضى والتسليم الذي هو من جملة مقامات العارفين كما ينظر إليه ما نقله القشيري أيضاً بالإسناد أنّه قيل لمولانا الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام إنّ أبا ذر رحمه الله يقول : الفقر أحبّ إليّ من الغنى، والسقم أحبّ إليّ من الصحة . فقال رحم الله أبا ذر ، أمّا أنا فأقول من اتّكل على حسن اختيار الله له لم يتمنّ غير ما اختاره الله له[١] ثمّ إلى أن قال : وقال بعضهم : التصوّف أوّله علم ، وأوسطه عمل بالقلب والقالب ، وآخره موهبة بالمعارف والحقائق ، وأقول : التصوف ذكر مع اجتماع بأبناء الجنس فإنّهم يعينونه مع اجتماع قلبه وهمّه مع الله سبحانه ، ووجد مع استماع القلب بمعاني المخاطبات الإلّهية المروعة في العبادات ، واستماع لسرّ لطائف الإشارات ، الداعية إلى المشاهدة والملاقاة واتّباع لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة المعصومين عليهم السلام ظاهراً وباطناً وهذا

---

(١) القُشيرية ص ٩٨ .

قول جامع لجميع مراتب التصوف وحاوٍ لجميع جزئياته وتفاصيله .

وقيل إنّه تصفية القلوب عن موافقة البرية في رسومهم ، ومفارقة الأخلاق الطبعية بتبديلها وإزالة الإنحرافات عنها ، وتقويمها على الأوساط من غير إفراط وتفريط ، وإخماد الصفات البشرية بالمجاهدات والرياضيات ومنازلة الصفات الروحانية ، والتشبّه بالملائكة في دوام الطاعة وترك المعصية ، والتعلّم بعلوم الحقيقة التي هي لا تزول بزوال الدنيا ، وهي العلم بالله وبكمالاته واتّباع الرسول (صلى لله عليه وآله وسلم) في الشريعة وموافقة الوصي والولي في الطريقة ، وهي مناط خيره وهذا القول أجمع من الأوّل .

ومن جملة ما ذكره ذلك المتصوف المبرور في ذيل ترجمة حديث سعيد بن المسيب ، عن أنس أنّه قال له رسول الله : يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ، وليس في قلبك غش لأحد فافعل.ثم قال : يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحياني ، ومن أحياني كان معي في الجنة .

فالصوفية المتشرّعون هم الذين أحيوا هذه السنة ، وطهّروا الصدور من الغش الذي هو خلاف النصح ، ومن الغلّ الذي هو الحقد ، وإنّما قدروا على ذلك لزهدهم في الدنيا ومالها وجاهها ، ومحبة المنزلة والرفعة عند الناس ، فيا مسكين لا تطلب المنزلة عند الله وأنت تطلب المنزلة عند الناس فالصوفية المتشرّعون زهدوا في ذلك ، كما قال بعضهم طريقتنا هذه لا تصلح إلّا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل ، فلمّا سقط عن قلبهم محبة الدنيا وحبّ الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس في قلبهم غش لأحد ، وصارت قلوبهم صافية ناصحة مشفقة على الخلائق .

ونقل أيضاً عن الشيخ ذي النون رأيت ببعض ساحل الشام امرأة كانت من العارفات ، فقلت لها : من أين أقبلت ؟ فقالت : من عند أقوام تجافى جنوبهم عن المضاجع ، ذكرتهم بالتيقّظ والجد والعبادة التي هي من أوصافهم ، وما ذكرتهم بأنسابهم لإنقطاع الأنساب يوم القيامة قلت لها وأين تريدين ؟ قالت : إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فقلت صفيهم فأنشأت لي :

قَوم همومهم بالله قد علقت   فما لهم همم يسمو إلى أحد

فمطلب القوم مولاهم وسيدهم يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما إن ينازعهم دنياً ولا شرف من المطاعم واللذات والولد
ولا للبس ثياب فائق أنق ولا لروح سرور حلّ في البلد
إلا مسارعة في إثر منزلة قد قارب الخطو فيها باعد الأمد
فهم رهائن غدران وأودية ترقى الشوامخ تلقاهم مع العدد

إلى أن قال : وأقوال المشايخ في مهية التصوف تزيد على ألف قول ويطول نقلها . ثم إلى أن ذكر في وجه تسمية هذه الطائفة بالصوفية ، وكون اشتقاقها من الصوف ، بناءاً على قاعدة الاشتقاق ، وظاهر ما يتبادر إلى الأنظار ، ورواية أنس بن مالك إنه قال : كان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يجيب دعوة العبيد تواضعاً ، ويركب الحمار غير مستنكف ، ويلبس الصوف غير متكلّف .

وما روي بطريق أهل البيت عليهم السلام أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال : خمسة لا أتركها حتى تكون سنة من بعدي ، أركب الحمار ويردفني آخر ، وأسلّم على الصغير ، وألبس الصوف ، وآكل مع العبيد ، وأجلس على الأرض وآكل عليها . وقال : فمن هذا الوجه ذهب قوم إلى أنّهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة ، لأنهم اختاروا لبس التصوف لكونه أرفق وأسهل مطلباً ، ولكونه لباس الأنبياء عليهم السلام .

ولقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بطريق أهل البيت عليهم السلام أنّه قال : مرّ بالصخرة من الروحاء ـ التي هي كانت بلدة في القديم بين مكة والمدينة والآن موضع بينهما ـ سبعون نبياً حفاة عليهم العباءة ، يؤمون ويقصدون البيت الحرام .

وبطريقهم عليهم السلام أيضاً أنّ عيسى بن مريم كان يلبس الصوف والشعر ، ويأكل من الشجر ، ويبيت حيث أمسى ، وقال الحسن البصري : لقد أدركت سبعين بدرياً كان لباسهم الصوف . وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يوم كلّم الله موسى(عليه السلام)كان عليه جبّة من صوف ، وسراويل من صوف ، وكساء من صوف ، وقلنسوة مدورة من صوف ، ونعلاه من جلد .

وروى السيد بهاء الدين علي بن عبد الحميد النيلي مرسلاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال : سيد العمل الجوع ، وسيد القول الفكر ، وذل النفس لباس الصوف ، عليكم بلباس الصوف تجدون حلاوة الإيمان في قلوبكم ، عليكم بلباس الصوف تجدون قلة الأكل ، عليكم بلباس الصوف يورث في القلب التفكّر ، والتفكّر يورث الحكمة ، والحكمة تجري في الجوف مجرى الدم ، ومن أكثر الفكر قلّ طمعه ، ومن قلّ تفكره ، كثر طمعه وعطب بدنه وقسي قلبه ، والقلب القاسي بعيد من الله ، بعيد من الجنة قريب من النار .

وفي رواية الجمهور أيضاً عن إمامهم البيهقي المشهور نقلاً عن عبد الله بن مسعود إنّه قال : كانت الأنبياء يركبون الحمار ، ويلبسون الصوف ، ويحلبون الشاة ، هذا ، ونقل عن جنيدهم البغدادي المتقدّم كلامه في أمثال هذه الأمور أنّه قال : الصوفي مشتق من الصوف ، والصوف ثلاثة أحرف صاد وواو وفاء ، والصاد صبر وصدق وصفا، والواو ودّ وورد ووفاء ، والفاء فرد وفقر وفناء .

وقال أبو علي الرّود باري : الصوفي من لبس الصوف على الصفا ، وأطعم الهوى ذوق الجفا ، وكانت الدنيا منه على القفا ، وسلك منهاج المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) . وقيل سمّوا صوفية نسبة إلى الصفة التي كانت في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مسقفة بجريد النخل ، يسكنها فقراء المهاجرين، وهم أربع مئة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر يدرسون القرآن بالليل ، ويرضخون النوى بالنهار ، ويحتطبون على ظهورهم ويغزون مع كل سرية ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكرام أصحابه يؤانسونهم ويأكلون معهم ويتعاهدونهم بالمبرات، بحيث نقل أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا أمسى قسّم ناساً منهم بين أناس من أصحابه .

وكان سعد بن عبادة يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين منهم يعشيهم وقد وصل رسول الله يوماً إليهم وشاهد منهم فقرهم ، وطيب قلوبهم في الشدة التي كانت بهم ، فقال : أبشروا يا أصحاب الصفة إن من أمتي من كان على حالكم ووصفكم ونعتكم الذي أنتم عليه إنكم وأنّهم رفقائي في الجنة، وقد رتبهم أبو نعيم

الحافظ في حليته على حروف المعجم ، وذكر من أسماء مشاهيرهم سلمان الفارسي ، وأبا ذر ، وعمّار ، وصهيب ، وبلال ، وأبا هريرة ، وخباب بن الأرت ، وحذيفة بن اليمان ، وأبا سعيد الخدري ، وبشر بن الخصاصية ، وأبو مويهبة مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان هؤلاء أزهدهم وأعلمهم وأعملهم بالكتاب والسنة في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنّهم كانوا يلبسون الصوف وخاطوا ثيابهم بالأغصان الدقيقة من الشجر ، حتى أن بعضهم يعرق في ثوبه فيوجد منه رائحة الضّأن . وقال بعض أهل الثروة ليؤذيني ريح هؤلاء أما يؤذيك ريحهم ؟ يخاطب بذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونقل في وصفهم أنّهم كانوا أضياف الإسلام إلاّ من زلّت قدمه بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومال إلى الدنيا وحطامها كأبي هريرة وصهيب ، والذين ثبتت أقدامهم في مقام الفقر والزهد ، سلمان ، وأبو ذر ، وحذيفة ، وبلال ، وأبو سعيد ، فإنّهم كانوا من السابقين الراجعين إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكانوا يسمّون بالشيعة والصوفي رضي الله عنهم ورضوا عنه .

وقال المفسرون إنّما نزل فيهم قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **الفقراء الذين أحصروا في سبيل الله** ﴾ . الآيات ، وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي إلاّ بناءاً على رعاية الخفة على اللسان ، ولكنه صحيح من جهة المعنى ، لأنّ الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متألفين مصاحبين لله وفي الله قديماً وحديثاً في الربط والزوايا .

وقيل كان هذا الإسم في الأصل صفوياً نسبته إلى الصفا فاستثقل ذلك وجعل صوفياً بتقديم الواو ، وقيل سموا صوفية لوقوفهم في الصف الأول بين يدي الله تعالى بارتفاع هممهم وإقبالهم على الله بقلوبهم .

وقيل إنّ هذه النسبة إلى صوفية ، مثل الكوفي نسبة إلى كوفة ، والصوفة هي المرسة التي لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها ، وذلك لأنّ من الشرط عليهم الخمول البالغ وشدّة التواضع والتواري أيضاً .

وعن السمعاني في كتاب « الأنساب » أنّه قال : اختلفوا في هذه النسبة فمنهم من قال : من الصفا والصفوة ، ومنهم من قال : من بني صوفة وهم جماعة من العرب كانوا يتزهدون ويتقللون من الدنيا فنسب هذه الطائفة إليهم ، قال الجوهري : وصوفة أبو حي من مضر كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج أي يفيضون بهم[1] قلت ولو ثبت هذا فهو عندي من أقرب الوجوه على الظاهر والباطن ، كما لا يخفى على المتتبع في وجوه الأنساب ، وإن ذهب الجمهور إلى الوجه الأول بظواهر ألحاظهم التي لا تحتاج إلى مزيد نظر وإمعان ، غافلين عن كون الشعرية بالفتح إذاً أنسب بتسميتهم بها بناء على ما وجهوا به ذلك الوجه ، كما يظهر وجه ذلك من مراجعة حديث يحيى النبي (عليه السلام) وقميص بدنه المعروف .

وعلى الجملة ، فهذه جملة من عبائر أهل الفن غير المتهمين بشيء من الفرية والأجنبية عن الإصطلاح ، أوردناها هنالك تذكرة وذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد ، مضافاً إلى ما تعرض له بعض فقهاء أصحابنا العرفاء المنصفين ، من الترجمة لهذه اللفظة بما يلائم أيضاً المقصود ، مثل شيخنا الشهيد الأول في مباحث الأوقاف من « الدروس » حيث ذكر في باب مسألة الوقف على الصوفية : إنّهم هم المشتغلون بالعبادة المعرضون عن الدنيا .

وقال : شيخنا حسين بن عبد الصمد الحارثي في كتابه المسمى بـ« العقد الطهماسبي » بتقريب أنّ بعض الملوك والأكابر من أهل الدنيا إذا علت هممهم ، وكثر علمهم بالله ، ولحظتهم العناية الربانية ، تركوا الدنيا وتعلقوا بالله وحده ، كإبراهيم بن أدهم ، وبشر الحافي ، وأصحاب الكهف ، فإنّهم لكمال رشدهم لا يرضون أن يشغلوا قلوبهم بغير الله تعالى لحظة عين ، ومعلوم أنّ أحداً ممن تمثل بهم لم يشبه طريقته طريقة هذا المبتدع المتنازع فيه ، ولا نقل عنه ذهاب إلى زندقة وإلحاد أو حلول وإتحاد أو حركة على وفق الهدى والمراد ، أو إرادة فتنة وفساد ، ودعوى كاذبة بيّنة الفساد بين العباد ، كيف وقد عرفت حقيقة حال كلّ من الأوّلين بأتّم تفصيل .

(١) الصحاح ج ٤ ص ١٣٨٩ .

وأمّا تفصيل قصة أصحاب الكهف فلقد كفيناه بمفاد التنزيل ووحي جبرئيل إلى نبي الله الجليل عنهم ، وحسب الإشارة إلى رفعة درجاتهم في الغاية ، وبلوغهم مبالغ أكابر رجال المعرفة والدراية ، قوله تبارك وتعالى خطاباً إلى أشرف أنبيائه وأكمل أوليائه وأصفيائه (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿ **إنّهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربّنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قُلنا إذاً شططاً** ﴾[١] وقوله عزّ من قائل ﴿ **لو اطّلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولَمُلِئت منهم رعباً** ﴾[٢] .

وفي القاموس أنّ أسماء أصحاب الكهف إمّا هي : مكسلمينا ، أمليخا ، مرطوكش نوالس، سانيوس بطنيوس، كشفوطط، وإمّا هي : مليخا، مكسينا[٣] مرطوس ، بوانس[٤] ، اربطانس ، أونوس كيد[٥] ، سلططنوس. وإمّا هي ، مكسلمينا تمليخا[٦] ، مرطونس ، بينونس ، ساربونس ، كفشططوس ، ذو نواس وأمّا هي : مكسلمينا ، أمليخا ، مرطونس ، بوانس ، سارينوس ، يطنوس ، كشفوطط.وإمّا هي : مكسلمينا ، تمليخا ، مرطونس ، بينونس ، سارينوس ، ذا نوانس ، كشيططنونس .

والظاهر من الآية المباركة ، والأخبار الكثيرة ، إنّ عدتهم لم تتجاوز السبعة وكان ثامنهم كلبهم الذي كان باسطاً ذراعيه بالوصيد ، وهو من أهل الجنة مع تسعة أخر من الحيوانات العجم هنّ : ناقة صالح ، وعجل ابراهيم ، وكبش اسماعيل ، وحية موسى ، وحوت يونس ، وحمار عزير ، ونملة سليمان ، وهدهد بلقيس ، وبراق محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في حديث علي أمير المؤمنين (عليه السلام) أو هو مع حيوانين آخرين هما ، حمار بلعم بن باعور الذي

---

(١) سورة الكهف : الآية ١٢و١٣ وصدر الآية هكذا : نحن نقص عليك نبأهم بالحق .

(٢) سورة الكهف : الآية ١٧ .

(٣) التاج مكسلمينا ، مثل الأول .

(٤) التاج : نوانس .

(٥) التاج : كند .

(٦) التاج : مليخا .

كان عنده اسم الله الأعظم فأراد أن يدعو على قوم موسى بأمر فرعون خارجاً على حماره فلم يطعه الحمار في المشي إلى محل الدعا إلى أن قتله من شدّة الضرب ، والذئب الذي كان في الأمم السالفة فأكل ولد شرطي ظالم وأحزن أباه الملعون فيه فشكر الله تعالى ذلك منه كما في رواية شيخنا الصدوق رحمه الله عن مولانا الرضا (عليه السلام) أو حمار بلعم مع ذئب يوسف (عليه السلام) ، الذي اتهمه أخوته بأكله كما في رواية أخرى عنه (عليه السلام) وعن ابن عباس إنّه قال في ذيل ترجمة ﴿ **قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل** ﴾ ، أنا من ذلك القليل وقال : هم : مكسلمينا ، وتمليخا ، ومرطونس ، وبينوس ، وسارينوس ، ودريونس ، وكيسوطينونس ، وهو الراعي الملحق بهم وكان تمليخا رئيسهم ، وهو صاحب قول : ﴿**قالوا ربكم أعلم بما لبثتم**﴾وقول﴿**وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلاّ الله**﴾ودقيانوس اسم مخدومهم وملك زمانهم وقصتهم طويلة ترشد صاحب المواد القابلةوالذوق السليم إلى مقامات العارفين ، ومنازل السائرين ، كمثل أصحاب الرقيم وحكاية ما بين العالم والكليم ، الواقعة أيضاً في سورة الكهف من القرآن الكريم .

وعليه فمتى فرض أن يكون لفظة الصوفية علماً عند القوم لمن كان من أمثال هؤلاء الأرواح الصافية فلا مشاحة في الإصطلاح ، ولن يستطيع أبداً أحد ممن لم يستطع منهم صبراً ، وهو من القشرية الظاهريين ، رداً على طريقتهم الحقة ، بل يا ليته كان لكلّ من المجتهدين في العلوم الظاهرية مثل اجتهادات هؤلاء وشمة من فوائح تلويحات أصحاب الولاء ، كيف لا وقد عرفت من الكتاب المبين ، أس ذلك المنصب الرفيع وأساسه وفي أحاديث أهل البيت المعصومين أيضاً ، كل ما يرفع لك إلباسه ، ويزول عنك بأسه ، ويروح أنفاسه ، وناهيك صريحاً في إفادة ذلك المعنى وهو قليل من كثير وحزمة من بيدرها الكبير ، بما نقل عن الشيخ مقداد بن عبد الله السيوري الفقيه في شرحه على الباب الحادي عشر أنّه سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الصوفي ، فقال : الصوفي من لبس الصوف على الصفا ، وجعل الدنيا خلف القفا ، وسلك طريق المصطفى ، واستوى عنده الذهب والحجر والفضة والمدر ، وإلاّ فالكلب الكوفي ، خير من ألف صوفي ، وفي بعض المواضع المعتبرة نسبة هذا الكلام إلى جنيد البغدادي بزيادة : وعاش مع

الناس على الوفاء ، بعد الأوّل وإسقاط واستوى عنده إلى آخر ، وبما رووه عن صحيفة مولانا الرضا (عليه السلام) إنّه قال : إنّ لله تبارك وتعالى شراباً لأوليائه إذا شربوا سكروا ، وإذا سكروا طربوا ، وإذا طربوا طابوا ، وإذا طابوا ذابوا ، وإذا ذابوا خلصوا ، وإذا خلصوا وصلوا ، وإذا وصلوا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم .

وفي بعض المواضع عن الصادق (عليه السلام) بزيادة : وإذا طربوا طلبوا ، وإذا طلبوا وجدوا ، وإذا وجدوا تابوا ، وإذا تابوا آبوا ، وإذا آبوا ذابوا ، وإذا ذابوا خلصوا إلى آخره وبسائر ما نقله ابن أبي جمهور العارف الفقيه أيضاً في كتابه « المجلى » و« غوالي اللآلي » من الأخبار الكثيرة في هذا الباب .

ومن جملتها النبوي المحكي عن كتاب « بشارة المصطفى لشيعة المرتضى » أيضاً وهو أنّه قال : (صلى الله عليه وآله وسلم) : الشريعة أقوالي ، والطريقة أفعالي ، والحقيقة حالي ، والمعرفة رأس مالي ، والعقل أصل ديني ، والحبّ أساسي ، والشرف مركبي ، والعلم سلاحي ، والحلم حاجبي ، والتوكل زادي ، والصناعة كنزي ، والخوف رفيقي ، والصدق منزلي ومأواي والفقر فخري ، وبه أفتخر على سائر الأنبياء .

ومنها ما نقله من القدسيات في خصوص أمر العشق مثل ما روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : قال الله تبارك وتعالى : من أحبني عرفني ، ومن عرفني عشقني ، ومن عشقني قتلته ومن قتلته فعلي ديته ، وأنا ديته .

وعن كتاب مقامات الخواجه نصير الدين الطوسي أنّ في الحديث من عشق وعفّ وكتم ومات فقد مات شهيداً .

وفي الرسالة القشيرية نقلاً عن السري السقطي إنّه كان يقول : مكتوب في بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى:إذا كان الغالب على عبدي ذكري عشقني وعشقته .

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه حديث أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : بادروا إلى رياض الجنة . فقالوا : وما رياض الجنة . فقال حَلَقُ

الذكر[١] .

وفيه أيضاً قال : تذاكر الناس عند الصادق (عليه السلام) أمر الفتوة ، فقال : تظنون أنّ الفتوة بالفسق والفجور إنّما الفتوة والمروّة طعام موضوع ونائل مبذول بشيء معروف وأذى مكفوف فأمّا تلك فشطارة وفسق ، ثم قال : ما المروّة ؟ فقال الناس : لا نعلم قال : المروّة والله أن يضع الرجل خوانه بفناء داره . والمروّة مروّتان : مروة في الحضر ومروّة في السفر ، فأمّا التي في الحضر فتلاوة القرآن ولزوم المساجد ، والمشي مع الإخوان في الحوائج ، والنعمة ترى على الخادم أنها تسر الصديق وتكبت العدو[٢] .

وفي رواية للصدوق أيضاً بالإسناد عن الصادق (عليه السلام) إنّها كما قاله أمير المؤمنين لمحمد بن الحنفية : قراءة القرآن ومجالسة العلماء والنظر في الفقه والمحافظة على الصلوات في الجماعات وفي رواية بدل الثاني وصحبة أهل الخير وأمّا التي في السفر فكثرة الزاد وطيبه وبذله لمن كان معك وكتمانك على القوم أمرهم بعد مفارقتك إيّاهم وكثرة المزاح في غير ما يسخط الله .

وفي الكافي بإسناده المعتبر عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) إنّه قال : إذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حبّ الله.وكان عند أهل الدنيا ، كأنّه خولط وإنّما خالط القوم حلاوة حبّ الله ، فلم يشتغلوا بغيره[٣] .

وفيه أيضاً بالإسناد عن راوي الأصل إنّه قال : رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) عليه قميص غليظ خشن تحت ثيابه ،وفوقها جبّة صوف ، وفوقها قميص غليظ ، فمسستها فقلت جعلت فداك إنّ الناس يكرهون لباس الصوف فقال : كلاّ كان أبي محمد بن علي يلبسها ، وكان علي بن الحسين يلبسها ، وكذلك في انتهاء خرقة المشايخ إلى ولي الله المطلق بنص جماهير أرباب الفنّ ، ثم انتهائه إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكيفية أنّه ألبسها الله تبارك وتعالى إيّاه في ليلة المعراج كما في الحديث .

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٢٩٢ .
(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٩٢ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ١٣٠ .

وفي حديث كميل بن زياد العارف من كمّل أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وقصة سؤاله إيّاه عن الحقيقة ، وجوابه (عليه السلام) له بما لا يدركه إلّا المنشرح صدره بالإيمان .

وفي حديث الإمامية أيضاً أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان إذا يضيق صدره من غليان أسرار المعارف الربانية فيها ! يذهب إلى خارج البلد ، ويدلي رأسه الشريف في القنوات والآبار ، ويظهر مكنون ضمائره النفيسة فيها ، وإلى ذلك يشير قوله (عليه السلام) :

وفي الصدر لبانات إذا ضاق بها صدري
نكت الأرض بالكف وأبديت لها سري
فمهما تنبت الأرض فذاك النبت من سري

وفي رواية « جامع الأخبار » المنقولة عن الحسين بن علي (عليه السلام) أنه قال : كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء على العبارة والإشارة ، واللطائف ، والحقائق ، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء وغير ذلك من الأحاديث المستفيضة بل المتواترة معنىً في هذا الباب وخصوصاً ما أورد منها في كتاب « مصباح الشريعة » المنصوص على كونه من كلمات مولانا الصادق (عليه السلام) من أوّله إلى آخره كفاية وأي كفاية للإستدلال بها على هذا المرام . وقال سيدنا زين العابدين (عليه السلام) بنقل الفريقين عنه قدمائهم ومتأخريهم شعراً :

إني لأكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو جهلٍ فيفتتنا
وقد تقدّم في هذا أبو حسن إلى الحسين ووصى قبله الحسنا[1]
يا رب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي : أنت ممن تعبد الوثنا!
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وقال أيضاً والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد آخا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهما فما ظنّكم بسائر الخلق .

---

(١) وفي رواية :

وقد تقدمنا قبلها أبو حسن مع الحسين ووصى قبلها الحسنا

وقال مولانا الباقر (عليه السلام) : ولاية الله أسرها الله إلى جبرئيل وأسرها جبرئيل إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأسرها محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي (عليه السلام) ، وأسرها علي (عليه السلام) إلى من شاء الله ثمّ أنتم تذيعون ذلك . من الذي أمسك حرفاً سمعه ؟ إلى غير ذلك مما سوف يدلك على حقية هذه الطريقة في الجملة ، وتأتيك في ذيل بياننا الأسانيد سلسلة المشايخ وتفصيل فرقهم الحقة والباطلة ، نبذة من سيرهم وآدابهم وطرائقهم المتشتتة التي لم تذكر بعد في هذه الترجمة ، ومبدأ بروز مذهبهم المختلف فيه وذكر من كتب هذا الفن أو في الرد عليه من الفريقين كتاباً ، ونظائر ذلك من مهمات المرحلة في ترجمة أبي يزيد البسطامي بعون الله العزيز .

وأمّا إذا فرض أن يكون هذه اللفظة علماً ـ والعياذ بربنا المجيد ـ لشياطين العصر الذين هم في حوانيت الكر والتلبيس على العوام ، وأشقياء بلباس الأتقياء سخروا الأنعام ،وهم غيلان الشريعة والإسلام ، وقطّاع طريق المؤمنين ، والدعاة إلى نحلة الملحدين ، شعارهم الفتنة والفساد ، ودثارهم الزندقة والإلحاد ، ودينهم البدعة وترك الصلاة وزينتهم اللعب والرقص مع اللهاة ، وهمتهم قبل ظهور اللحية فعل المعلمين ، وبعد ظهورها إطاعة المعلمين ، افتخارهم بصحبة الظلمة ، ومباهاتهم بتحصيل الخرقة واللقمة ، شغلهم عبادة البطن والخوض في حديث الباطل ، ومدارهم على الخيانة والإفتراء على كل بريء كامل ، عادتهم الوقاحة وقلّة الحياء وعبادتهم النغمات والغناء ، حلو أسرارهم الهمز واللمز ، وحالهم العواء وإظهار السكر ، قد صاروا غرباء من أحكام الدين ، وأدباء بآداب اللوطيين ، جعلوا الدنيا الفانية جنتهم ، ونبذوا أمر الله وراء ظهورهم ، واشتغلوا بالمجادلات الكلامية ، والهذيانات الفلسفية ، وجعلوها وسيلة للشهرة والجاه ، فأعرضوا عن حقائق علوم الملة والدين ، ودقائق أسرار الكتاب والسنة ، وإن نالوا منصباً لم يشبعوا من الرشا ، وإن خذلوا عبدوا الله على الرياء ، كما ورد في الصحيح عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب قال : كنت مع[1] الهادي علي بن محمد (عليه السلام) في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري وكان رجلاً بليغاً وكان له منزلة

(١) عند خ ل .

عنده (عليه السلام) إذ دخل المسجد جماعة من الصوفية يعني من أمثال فرقهم الباطلة الموصوفين وجلسوا في ناحية مستديراً وأخذوا بالتهليل فقال (عليه السلام) : لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخداعين فإنهم حلفاء الشياطين ، ومخربو قواعد الدين ، يتزهدون لإراحة الأجسام ويتهجدون لصيد الأنعام يتجوعون عمراً حتى يديخوا[1] للإيكاف حمرا ، لا يهللون إلّا لغرور الناس ، ولا يقللون [الغذاء][2] إلّا لملاء العساس ، واختلاف قلب الدفناس[3] يتكلمون الناس بإملائهم في الحب ، ويطرحون بأداليلهم في الجبّ ، أورادهم الرقص والتصدية ، وأذكارهم الترنّم والتغنية ، فلا يتبعهم إلّا السفهاء، ولا يعتقدهم إلا الحمقاء ، فمن ذهب إلى زيارة أحدهم حياً أو ميتاً فكأنما ذهب إلى زيارة الشيطان وعبدة الأوثان ، ومن أعان أحداً منهم فكأنما أعان يزيد ومعاوية وأبا سفيان ! فقال له رجل من أصحابه (عليه السلام) وإن كان معترفاً بحقوقكم : قال : فنظر إليه شبه المغضب ، وقال : دع ذا عنك من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا ، أما تدري أنهم أخسّ طوائف الصوفية ، كلّهم مخالفونا[4] وطريقتهم مغايرة لطريقتنا وإن هم إلّا نصارى ومجوس هذه الأمة ، أولئك الذين يجتهدون في إطفاء نور الله بأفواههم ﴿ **والله متمّ نوره ولو كره الكافرون** ﴾[5] .

وروى أيضاً شيخنا البهائي زيد بهائه في كتابه الكشكول قال : قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تقوم الساعة على أمتي حتى يخرج قوم من أمتي يحلقون للذكر رؤوسهم ويرفعون أصواتهم بالذكر يظنون أنهم على طريق ابراهيم بل هم أضلّ من الكفار لهم شهقة كشهقة الحمار ، وقولهم كقول الفجار ، وعملهم عمل الجهال وهم ينازعون العلماء ليس لهم إيمان وهم معجبون بأعمالهم ليس لهم من عملهم إلّا التعب انتهى[6] .

---

(١) ديخها أي أذلها وقهرها .

(٢) الزيادة من سفينة البحار .

(٣) الدفناس : الغبي والأحمق .

(٤) السفينة : من مخالفينا .

(٥) سفينة البحار ج ٢ ص ٥٨ .

(٦) نقله في السفينة ج ٢ ص ٥٨ مع اختلاف يسير فليراجع .

وفي مواعظ إنجيل المذكورة في تحف العقول:وما أكثر العلماء وليس كلهم ينتفع بما علم،وما أوسع الأرض وليس كلّها تسكن،وما أكثر المتكلمين ، وليس كلّ كلامهم صدق ! فاحتفظوا من العلماء الكذبة الذين عليهم ثياب الصوف منكّسوا رؤوسهم إلى الأرض يزودون به الخطايا ، يرمقون من تحت حواجبهم كما ترمق الذئاب ، وقولهم يخالف فعلهم ، وهل يجتني من العوسج العنب ، ومن الحنظل التين ، وكذلك لا يأثم قول العالم الكاذب إلاّ زوراً ، وليس كل من يقول يصدق بحق الحديث .

هذا وبالجملة فإن جعلنا الصوفية عبارة عمن أخبر عن صفاتهم الرذيلة الشيطانية في كلمات رؤساء هذا الدين ، وأحاديث الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فإيّاك إيّاك من معاشرتهم ، والميل إليهم والكون معهم والتشبه بهم والدخول في زمرتهم ، فإنهم شياطين الإنس بل إخوان الشياطين على يقين ، وكذا إذا جعل تصوفهم عبارة عن التعرف بين الخلائق بالرهبانية ، والتحرف عن الشرايع الإيمانية ومتابعة التيوس اللحيانية، ومطاوعة النفوس الشهوانية ، وتحليق الرؤوس الشيطانية ، واقتباس العكوس الظلمانية ، واقتناص الحظوظ الجسمانية ، واستعمال الألفاظ الجيلانية ، والترقص بالحركات الميلانية ، والإنسلاخ من جلود الإنسانية ، ومجانبة العلوم الروحانية ، كما نشاهد ذلك من صوفية هذه الأزمان ، بل أخبرنا بهم كذلك في علائم آخر الزمان ، حيث ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بنقل جماعة من المتقدمين أنّه قال في جملة وصيته لأبي ذرّ الغفاري:يا أبا ذر يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم يرون الفضل بذلك على غيرهم أولئك يلعنهم ملائكة السماء والأرض[١] .

وعن شيخنا المفيد رحمه الله أيضاً أنّه روى بإسناده الصحيح عن الحسين بن سعيد قال : سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن الصوفية فقال : لا يقول أحد بالتصوف إلاّ خدعة أو ضلالة أو حماقة ، وزاد في طريق آخر وأمّا من سمى نفسه صوفياً للتقية فلا إثم عليه وفي طريق ثالث وعلامته أن يكتفي بالتسمية[٢] .

---

(١) انظر سفينة البحار ج ٢ ص ٥٧ .

(٢) راجع سفينة البحار ج ٢ ص ٥٩ .

وبإسناده الصحيح أيضاً عن مولانا الرضا (عليه السلام) قال من ذكر عنده الصوفية ولم ينكرهم بلسانه أو قلبه فليس منا ومن أنكرهم فكأنما جاهد الكفار بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[١] .

فواأسفا على خراب دين الله بهم ، وتباب أمر الله بكسبهم وضعف الإسلام بقوتهم وهوان الإيمان بهونهم وإن هم إلّا أعداء الدين ، وأضداد الفقهاء والمجتهدين ، ينكثون على الدوام ما غزلوا ويعكسون لدى العوام ما عقلوا ، كما أن قدماءهم الملعونين بالسنة الأئمة المعصومين (ع) كانوا أبداً على طرف النقيض منهم والتنقيض لجميل ما عنهم ، بل متواجهين بالنّقض فيهم ، والرفض لما في أيديهم ، حسب ما عرفته من ترجمة الحسن البصري .

وما ورد أيضاً في حقّ سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي في أبواب المعيشة من كتاب الكافي وغيره مطابقاً في المعنى لما ذكره شيخنا البهائي في كتابه الكشكول نقلاً عن بعض التواريخ أنّه دخل ذلك الملعون على مولانا الصادق (عليه السلام) فوجد عليه جبة خزّ ، فقال :

ليس هذا من لباس آبائك يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فرفع الصادق (عليه السلام) [ذيل][٢] الجبة وإذا تحتها قميص صوف فقال : [له][٣] هذا للناس وهذا لله ، ثم رفع ذيل جبة سفيان وكانت من صوف وتحتها قميص رقيق من قطن ، فقال له : وأما أنت فهذا للناس وهذا لله[٤] .

وقال أيضاً في الكشكول قيل لبعض الصوفية : ألا تبيع مرقعتك هذه ، فقال : إذا باع الصياد شبكته فبأي شيء يصطاد ؟![٥] .

ولما أن كان خذلان الله تعالى متوجهاً إلى الزمر الباطلة من تلك الطائفة ، ولم يوفقوا لإصابة الحق بمتابعة الصراط المستقيم ، ومنهاج الشرع القويم ، بل اتبعوا

---

(١) راجع سفينة البحار ج ٢ ص ٥٧ .

(٢، ٣) الزيادة من الكشكول .

(٤) الكشكول ص ٥٢٠ .

(٥) الكشكول ص ٢٥٢ .

السبل المتطرفة دائماً لطلب الشهرة في المخالفة ، فتفرق بهم عن سبيل الله الشارع الحكيم والحمد لله لم يُرَوا أبد الآبدين إلّا بين مفرط في حقوق أولياء الله المقربين . ومنتسب إلى غير أصفيائه المنتجبين وناقل عن كلّ غنم غيرهم لم تعرف الهر من البر ، مع أنّ كلماتهم الطيبات في مراتب الحكمة والعرفان ، دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق ، وبين مفرّط في شأنهم ، غال في حبهم ، ضال في حقهم ، هالك من أجلهم ، مثل صاحب العنوان ومحي الدين العربي ونظائرهم الكثيرين وخير الأمور أوسطها الذي هو صراط الذين أنعم الله عليهم ﴿ **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ ولنعم ما وقع في روعي الفاتر على سبيل الإرتجال إشارة إلى جهة هذا التفصيل حيث عملت :

فلو كان التصوّف مثل ما هم ... عليه فالتعوذ عنه بالتي
جفاء لا صفاء في وفاء ... وأهواء تراكم في الجبلة
لها بعد عن المطلوب حقاً ... كبعد بين صنعاء والإبلة
وإن يقصد به أدب وحال ... تحال به النفوس المستبلة
فذاك الفيض والمفضال من لم ... يدم إلّا وفيه منه بلة

وذلك أنّ بمعونة هذه البلة السماوية والنداوة العرشية يسهل وصول العبد إلى كل منزلة ومقام ، وقبول القلب لما هو من فيوضات أولى البصائر والإفهام ويتم علوق العواطف الربانية إلى صفحات الأذهان ولصوق الموائد السبحانية بألواح ضمائر أهالي الخير والبر والإحسان ، ويصير الأمر إلى البصيرة بعلم الإخلاص ومعرفة آفات النفس ومذام الأخلاق المنتهية إلى غير درجات الرضوان ، ولذا قيل من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء العاقبة ، وأنشد بعض أولي الألباب في صفة العارفين وهو من لطائف الأشعار :

وسافر أهل الجود في طلب المجد ... وحثوا مطايا الشوق في مخلص القصد
وراموا لعزم السير في طلب العلى ... ففازوا بطيب الوصل من دوحة المجد
هم القوم هاموا فاستقاموا على الثرى ... لهم همم تسموا إلى العلم الفرد
إذا ما دعوا يوماً لكشف مُلمة ... رأيت الفتى النشوان كالأسد الورد
بحار الحيا والعلم والحلم والتقى ... ونار السخا والعز والشكر والحمد
كنوز الصفا والعشق والصدق والولا ... لهم من بحار الغيب ورد على ورد

عليهم سلام الله ما هبت الصبا قبيل ابتسام الصبح في طالع السعد

ولبعضهم أيضاً وهو الشيخ أبو سعيد الخرّاز وقد سمع منه في آخر نفسه يقول :

حنين قلوب العارفين إلى الذكر وتذكارهم وقت المناجاة للستر
أديرت كؤوس للمنايا عليهم فاغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي السكر
همومهمُ جوالة بمعسكر به أهل ود الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم في الأرض قتلى بجبة وأرواحهم في الحجب نحو العلى تسري
فما عرّسوا إلاّ بقرب حبيبهم وما عرّجوا عن مس بؤسٍ ولا ضرّ

رجعنا إلى ما كنا فيه من البدو وهو حلج الحلاّج ، والعجب أنْ كل من كان له أدنى فائحة من نسيم الجنة ، ورائحة من شميم الكتاب والسنة ، لم يذكره إلاّ بسوء الرأي وفساد العقيدة ونهاية التزوير والمهارة في فنون التسخير والتغرير ، إمامياً كان أم سنياً ، وظاهرياً كان أم صوفياً وكان ذلك لأنّه اختص بقبائح أمورٍ في هذه الشريعة لم يعهد مثلها لأحدٍ من المتصوفة الإسلاميين .

منها : أنّه أظهر الدعاوى الشديدة من عند نفسه وأيّة دعاوٍ مع أنّ الإدعاء وطلب الشهرة من أقوى نواقض هذا الفن بنصوص أربابه النحارير ففي بعض المواضع أنه ادعى الربوبية والعياذ بالله العظيم مراراً كثيرة .

وفي بعضها أنّه ادعى قطبية الأرض وعلوم الغيب ، والإتحاد مع الله تعالى شأنه العزيز .

وفي بعضها أنّه لما ورد قم كان مدعياً لرؤية مولانا الصاحب (عليه السلام) والنيابة عنه والبابية له .

فلم يتهنأ له فيها العيش فخرج منها إلى مكة المشرفة وهو يدعى الإمامة لنفسه وقطبية الأرض ، ثم لما دخل مكة المعظمة زاد في طنبور ملعنته نغمة إلى داعية الربوبية ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون ، ولذا قال بعض متأخري فقهائنا[١] في

(١) هو الفقيه الفاضل الاقا محمد علي بن الآقا محمد باقر البهبهاني في شرحه على المفاتيح « منه » .

فـوأتح بعض مصنفـاته عنـد ذكره لـذلك الـرجل بتقـريب : ولا يخفى أنّ اعتـذار الغزالي للحلّاج ينفع جميع الكفار والملحدين والمرتدين حتى فـرعون اللعـين وكأنّـه من أمثال هذه من الخرافات !

وقال الفاضل المولى صدر الشيرازي في تفسيره لسورة البقرة : إنّ فرعون كما هو المشهور كان من أهل الفـكر والبحث ، وقد لقّب بأفلاطون القبط إلى أن قال : ولهذا قال عند الغرق ﴿ **آمنت أنّه لا إله إلّا الله الذي آمنت به بنو إسرائيل** ﴾ .

ومنها أنه كان يذيع ما حمل من الأسرار ولا يصبر عن تضييع ما أودع تجربة له من جواهر الآثـار لينال بـه العزة في قلوب المـريدين ويشتهـر بالكـرامة بـين السفلة المستفيـدين ، مـع أنّ ذلـك أيضـاً في التصـوف أمـر ممنـوع ، وغلط غـير مشروع لإنجراره إلى الفتنة والضلال ، وخراب أساس الشرايع عند الجهال قـال الله تبارك وتعالى حكاية عن حقيقة أحوال أهل تلك الحال : ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونـه** ﴾[1] الآيـة وفي الحديث إنّ إفشـاء الأسرار ليس من سنن الأبرار ، ويـا ليته كـان مذيعـاً لخصـوص أسرار الصـوفيـة ، ولم يكن يخـون الله ورسـولـه والأئمـة المعصـومـين عليهم السلام في أمانـاتهم المخفية ، لينسلخ من آيـات الله فيتبعه الشيـطان فيصير من الغاوين والهالكين ألَم ير إلى الذين كانوا من قبله قد ادعـوا الولايـة لأهل البيت عليهم السلام فوقعوا في تيه الضلالة بالغلوّ وإذاعة الأسرار ، وترك التقية والمخالفة للحقّ من جهة الإفراط ، والخروج عن طريقة الأوساط ومتابعة الأبالسة الدنيويـين في مخالفة الأئمـة الأمجاد عليهم السـلام ، إلى أن صدر منهم اللعن عليهم والـبراءة منهم ، والمنع عن مجالستهم والرخصة في مقاتلتهم سراً فـأتاهم العـذاب من حيث لا يشعرون وخصوصاً السبعة منهم الملعونين عـلى ألسنة أئمتنـا بالخصـوص وهم : المغـيرة ، وبنان ، وصـائد النهـدي والحـارث الشـامي ، وعبـد الله بن الحـارث ، وحمـزة بن عمّار الـزبيـدي ، وأبـو الخـطاب بن مقـلاص الملعـون رئيس الخـطابيـة الملاحدة ، وقـد بلغوا في مـرتبة الـولاية للشيـاطين إلى حيث كـان يـوحـون إليهم العظائم من الأمور ويتممون الزينة لأقاويلهم الفاسدة في محلة المحنـة للخلائق من

---

(١) سورة النساء : الآية ٨٢ .

دار الغرور ، وفيهم نزلت قوله تعالى : ﴿ قُل هل أنبّئكم على من تنـزّل الشياطين تنزّل على كُلّ أفّاك أثيم ﴾ كما نقله الكشي من علماء رجال أهـل الحق عن الصادق المصدق (عليه السلام) في حديث آخر أنّه (عليه السلام) ذكـر عبد الله بن سبـأ والمختـار ابن أبي عبيدة والحارث الشامي وبنان ثم ذكر المغـيرة وبزيعـاً والسري وأبا الخطاب ومعمراً وبشار الأشعري وحمزة اليزيدي وصائد النهدي فقال لعنهم الله فإنّا لا نخلو من كذاب يكذب علينا أو عاجز الرأي كفانا الله مؤونة كل كذّاب وأذاقهم حرّ الحديد[1] إلى غير ذلك من الأخبار المتضافرة الواردة في المنع عن إذاعـة الأسرار وتأويل الآية والأخبار .

ومنها أنّه لم يمت إلاّ وقد ظهر منه خلافات وانكشف منه خرافات ، بحيث لم يبق لأحـد من العقلاء شـك في فساد عقيـدته وبـطلان طريقتـه مثل غـالب أولئك الملاحدة الملعونين ، والحمد لله رب العالمين .

وذلك أنّ شيخنا الأقدم المفيد رضوان الله تعالى عليـه قد عمـل في الردّ عـلى الحلاجية كتاباً .

وفتح الصدوق ابن بابويـه القمي في كتاب اعتقـاداته الحقـة إلى كفر أولئـك باباً .

ورفع شيخنا الطوسي أيضاً في كتـاب الغيبة والإقتصـاد عن وجه هـذا المرام حجاباً ونقاباً ، حيث عدّه في الأخير من السحرة الكافـرين ، وقال في الأول ومنهم يعني ومن الكذابين الملعـونين بلسـان أهل البيت عليهم السـلام لإدعائهم الـرؤية والبابية من بعد الغيبة الكبرى ووفاة خاتمة السفراء المقربـين هو الحسـين بن منصور الحلاج أخبرنا الحسين بن ابراهيم عن أبي العباس أحمـد بن علي بن نـوح ، عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري قـال : لما أراد الله أن يكشف أمـر الحلاّج ويـظهـر فضيحتـه ويخـزيـه وقـع لـه أنّ أبـا سهـل اسماعيل بن علي النوبختي إلى آخر ما ذكرناه في ترجمة أبي سهل المذكور ، ثم قال : وأخبرني جماعة عن أبي عبد الله الحسـين بن علي بن الحسـين بن بابـويه أنّ الحـلاج

(١) رجال الكشي ص ٢٥٨ ، ومجمع الرجال ج ٥ ص ١١٣ .

صار إلى قم وكانت قرابة أبي الحسن يستدعيه ويستدعي أبا الحسن ويقول : أنا رسول الإمام (عليه السلام) ووكيله ، فلما وقعت مكاتبته في يد أبي ـ رحمه الله ـ خرقها وقال لموصلها إليه ما أفرغك لجهالات فقال له الرجل وأظن أنّه ابن عمته أو ابن عمه : فإن الرجل قد استدعانا فلم خرقت مكاتبته وضحكوا منه وهزئوا به ثم نهض إلى دكانه ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه ، قال : فلما دخل إلى الدار التي كان فيها دكانه نهض له من كان هناك جالساً غير رجل رآه جالساً في الموضع ، فلم ينهض له ولم يعرفه أبي ، فلما جلس وأخرج حسابه ودواته كما يكون للتجار ، أقبل على بعض من كان حاضراً فسأله عنه ، فأخبره فسمعه الرجل يسأل عنه ، فأقبل عليه وقال له:تسأل عني وأنا حاضر ! فقال له أبي:أكبرتك أيها الرجل وعظمت قدرك أن أسألك فقال له : تخرق رقعتي وأنا أشاهدك تخرقها فقال له أبي : فأنت الرجل إذاً ! ثم قال:يا غلام برجله وبقفاه أخرج من الدار هذا العدو لله ولرسوله ، ثم قال له : أتدعي المعجزات ؟ عليك لعنة الله أو كما قال فاخرج بقفاه فما رأيناه بعدها بقم انتهى .

وذكره العلامة في خلاصة رجاله هكذا : الحسين الحلاج بن المنصور ظهر ببغداد وكان أعجمياً وادّعى أنّه الباب وظفر به الوزير علي بن عيسى فضربه ألف عصا وفصّل أعضائه ولم يتأوّه وكان كلّما قطع منه عضو قال :

وحرمة الود الذي لم يكن   يطمع في إفساده الدهر
ما قد لي عضو ولا مفصل   إلّا وفيه لكم ذكر

وقال في فوائد ذلك الكتاب أنّه من الكذابين ، وذكر الشيخ له أقاصيص هذا وذكر الشيخ محمد بن موسى الشهير بحاجي مؤمن الخراساني أصلاً ، الشيرازي مولداً ، الإصفهاني منشأً ومسكناً صاحب اليد الطولى في مراتب الولاية والعرفان وكان من تلامذة مولانا المجلسي الأوّل ، وصاحب الذخيرة والفيض المرحوم ، وكثير من فقهاء تلك الطبقة في الشرعيات ، ومن مريدي مشايخ كثيرين من العرب والعجم منهم : الشيخ محمد علي المؤذّن ، والمير محمد شريف المشهدي ، والسيد كاسب الدين البغدادي من مشايخ القاذرية : في كتابه الموضوع لتفاصيل قواعد الصوفية وأساس أرباب المعرفة والسلوك مشحوناً بذكر أربعة عشرة منهاجاً ، من جملة مناهجه التسعة والسبعين في ذكر النبي (صلى الله

عليه وآله وسلم) وأهل بيته المعصومين عليهم السلام ، وكثير من الأدلة والنصوص على عظيم ولايتهم بالخصوص ، وهو كتاب كبير لم يكتب مثله أبداً في هذا الباب فقال في باب الورع منه بعد جعله على ثلاث درجات : هي تجنّب القبائح وحفظ الحدود ، والتورع عن كلّ داعية تدعو إلى شتات الوقت والتعلّق بالتّفرق وعارض يعارض الجمع مستشهداً على كلّ أولئك بالعقل والأخبار ، وكلمات المتصوفين الأبرار فانظروا أيُّها السالكون إلى هذه الأقوال من الأنبياء والمعصومين ، والمشايخ المتقدمين والمتأخرين ، وتمسكوا بها واحترزوا من أقوال أرباب الإلحاد والإضلال ، فإنها مصايد الشيطان وموائد الخذلان ، ومن جملة أولئك المفتونين قوم يقولون بالحلول ، خذلهم الله ويزعمون أنّ الله تعالى يحلّ فيهما ويحلّ في أجسادهم يصطفيها ويسبق إلى فهومهم معنى قول النصارى في اللاهوت والناسوت فإنّ النصارى قالوا : لا هوتية الحقّ نزلت في عيسى (عليه السلام) ، فقالوا بالحلول ، ومنهم من يستبيح النظر إلى المستحسنات إشارة إلى هذا الوهم وهم قوم يقولون بالشاهد ، وسمعت من بعض الأصحاب أنّ بعضاً من هؤلاء القوم كان ضيفاً لي وكان لي مملوك أمرد ذو صورة حسنة ، فلمّا رآه قام وسجد لذلك المملوك فكفر في دعوى المعرفة ، ويتخايل له أنّ من قال كلمات في بعض الغلبات الشوق قد باح بها ما كان مضمراً لشيء مما زعموه من الحلول ، مثل قول الحلاّج « أنا الحق » وما يحكى عن أبي يزيد من قوله « سبحاني ما أعظم شأني » حاشا لله أن يعتقد في أبي يزيد إنّه قال ذلك على سبيل الحكاية من الله تعالى وهذا ينبغي أن يعتقد في الحلاج قوله ذلك إلى أن قال : وكذلك الحسين بن منصور الحلاّج قد اشتهر منه لفظة الإتحاد وأضمر طريقته فيها وأكثر المشايخ ردّوا عليه ، ولم يقبلوا منه ظاهر تلك الطريقة ومن المشايخ منْ قبلها ولكن أوّلها وبيّن مقاصده كالشيخ أبي القاسم فارس بن عيسى البغدادي الذي يروى عن المنصور ، واشتهر بصحبته وخلافته ، والإمام محمد الغزالي وصاحب « كشف المحجوب » وقال الغزالي في كتبه يعبر بالسنة عن حالة استيلاء الحقّ سبحانه على الشخص وفنائه فيه بالإتحاد على سبيل التجوُّز ويعني به الإستغراق وقال بعض المشايخ : الإتحاد : هو ظهور الحق عزّ وعلا على العبد يعزله عن التصرّف وينوب منابه ، ثم إلى أن قال : وفي أنساب السمعاني أنّه قال الشيخ محمد بن حفيف الشيرازي : الحسين بن منصور

الحلاّج عالم ربّاني وقال ضياء الدين أخوه بن الحسين المذكور : ومولد والدي الحسين بالبيضاء من فارس ونشأ بتستر وتلمّذ بسهل بن عبد الله سنين ، ثم قدم بغداد وقال : صحب الجنيد وأبا الحسين النوري وعمرو بن عثمان المكي والمشايخ مختلفون فيه ، إلى آخر ما ذكره في الأنساب .

ثم قال في حاشية هذا الموضع من ذلك الكتاب أقول وبالله التوفيق : والذي أعتقد فيه يعني الحلاّج الرد عليه وعلى أصحابه ، لأنّ كل حقيقة ردته الشريعة فهي مردودة كما حققناه سابقاً وقد ردّ عليه كبار المشايخ المتقدمين والمتأخرين كالجنيد والشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي رئيس المحدثين المتألهين وشيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي والشيخ الطبرسي والشيخ المفيد والسيد المرتضى علم الهدى والشيخ جمال الدين المطهر الحلّي والسيد ابن طاووس صاحب المقامات والكرامات ، والشيخ أحمد بن فهد الحلي المتأله شيخ المتأخرين رضي الله عنهم ، وكلّهم اتفقوا على أنّه من المذمومين وبعضهم على أنّه خرج من الناحية توقيع بلعنه وأنت إذا تأملت أدنى تأمّل وجدت أكثر من ينتمي إلى الحلاّج ويعتقد رأيه قائل بالحلول والتجسيم ، والتشبيه والزندقة ، وترك الشرايع والأحكام ، والأمر والنهي ويدعي الوصول إلى أعلى مرتبة العرفان والتوحيد ، والإباحة وينفي الحلال والحرام كالفرقة المزدكية المشتركة المجوسية « انتهى » .

وقد ذكر الشيخ محبّ الدين أبو الوليد محمد بن محمد بن الشحنة الحنفي في كتاب تاريخه الموسوم بـ « روض المناظر في علم الأوائل والأواخر » وهو مختصر لطيف في بيان سوانح كل سنة بخصوصها من لدن زمن أنبياء بنى إسرائيل إلى سنة ثلاث وثماني مئة ، فقال : إنّ في سنة تسع وثلاث مئة قتل حسين منصور الحلاّج كان يخرج فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس ويمدّ يده في الهواء ومعها دراهم وعليها مكتوب قُل هو الله أحد يسميها دراهم القدرة ويخبر الناس بما صنعوا في بيوتهم ويتكلّم بما في ضمائرهم وفتن به خلق كثير واختلفوا فيه اختلاف النصارى في المسيح ، وكان يصوم الدهر ويفطر على ماء وثلاث عضات من قرص ، قدم خراسان إلى العراق وصار إلى مكة وجاور بها سَنة ثم عاد إلى بغداد فالتمس حامد الوزير من المقتدر أن يسلمه إليه ، وجدّ الوزير في قتله واستنطقه عدة مجالس بحضرة العلماء آخرها إنّه ظهر منه بخطه كتاب يتضمن أنّ من لم يمكنه الحج إذا

أفرد في داره بيتاً نظيفاً ولم يدخله أحداً فطاف حوله أيام الحج وفعل ما يفعله الحاج ، ثم جمع ثلاثين يتيماً وأطعمهم أجود الطعام في ذلك البيت وكساهم وأعطى كل واحد منهم سبعة دراهم كان كمن حج .

فقال القاضي أبو عمرو للحلّاج : من أين لك هذا ؟ فقال من كتاب « الأخلاص » للحسن البصري فقال القاضي : كذبت يا حلال الدم قد سمعناه بمكة وليس فيه هذا ، فطالبه الوزير بكتابه خطّه أنّه حلال الدم أياماً ، ويمتنع ، ثم أجابه وكتب بإباحة دمه ووافقه جماعة من العلماء فقال الحلاج : ما يحلّ لكم دمي وديني الإسلام ومذهبي السنة ولي فيها كتب موجودة فالله الله في دمي .

وعن تاريخ حبيب السير أنّه قال بعد ذكره لهذه الواقعة بالفارسية إلى قوله : ومذهبي السنة وتفضيل الخلفاء والعشرة المبشرة[1] ولي في السنة كتب موجودة تكون عند الوراقين، فالله الله في دمي، ولم يزل يردد هذا وهم يكتبون خطوطهم حتى استكملوا ما أرادوا ونهضوا من المجلس فحمل الحلاج إلى السجن وكتب الوزير إلى المقتدر بالله الخليفة فهرست الوقائع فصدر منه الجواب بعيد ساعة : بأنّ قضاة البلد إذا كانوا قد أفتوا بقتل الرجل فليسلم إلى صاحب الشرطة ، وليتقدّم إليه يضربه ألف سوط ، فإن هلك وإلّا يضربه ألفاً آخر ويضرب عنقه ، فسلّمه الوزير إلى الشرطي وأخبره بما رسم به المقتدر ، وقال : فإن لم يتلف بالضرب فيقطع يده ثم رجليه ثم تجزّ رقبته وتحرق جثته ، وإن خدعك وقال : أنا أجري لك الفرات ودجلة ذهباً وفضة فلا تقبل ذلك منه ، ولا ترفع العقوبة عنه ، فتسلّمه الشرطي ليلاً فأصبح يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاث مئة ، فأخرجه إلى باب الطاق وكان يتبختر في قيوده ، واجتمع عليه من العامة خلق كثير لا يحصون فضربه الجلّاد ألف سوط ، فلم يتأوّه شيئاً بل قال للشرطي لما استوفى ستّ مئة : دعني إليك فإنّ لك عندي نصيحة تعدل فتح قسطنطنية الروم ، فقال له : قد قيل لي إنّك تقول هذا الكلام وأكثر منه وليس إلى رفع السياط عنك سبيل ، فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعة ثم جزّ رأسه وأحرق جثته بالنار ، ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة ونصب رأسه على الجسر ، واتفق أن ارتفع ماء

(١) لم نجد هذا النص الذي نقله المؤلف عن « حبيب السير » في ترجمة الحلاج فليراجع .

دجلة في تلك السنة كثيراً فادعى بعض أصحابه أنّ ذلك ببركة ما ألقى فيها من الرماد وتواعدوا في أنفسهم أيضاً على السر أنّه سيعود إليهم بعد أربعين يوماً من ذلك التاريخ وادّعى بعضهم أنّه لم يقتل بل ألقى شبهة على عدوٍ له فقتل ، وبعضهم أنّ حبابات الشطّ كانت بعد ورود ذلك الرماد عليه يتشكّل بشكل « أنا الحق » وبعضهم أنّ دماءه المتقاطرة على وجه الأرض كانت تنتقش بصورة الله ﴿ سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً ﴾ .

ثمّ إنّ في تاريخ « روض المناظر » أنّه قتل وحرق بالنار ونصب رأسه ببُغداد قال وقد ترجمه الذهبي في عدة أماكن ! من كتبه وكذا الخطيب وغيره ترجمة قبيحة وأنّه كان ساحراً مشعبذاً حلولياً والله أعلم « انتهى » .

وأكبر ما قد نقل في حقه وبه لا يبقى بعد لأحد من الأنبياء والحجج المعصومين عليهم السلام معجزة ومقام ، هو ما ذكره السيد الأمير الداماد في رواشحه السماوية من أنّ الحلّاج كان إذا دخل شهر رمضان ويرى هلاله ينوي صيام تمام الشهر نية واحدة، ثم لا يفطر بشيء بعد ذلك إلى انقضاء الشهر غافلاً أنّه من ترهات ما أسند إلى غير هذا الرجل من صوفية أهل السنة الملاحدة الملاعين .

ونظير ذلك ما نسبه الجامي في كتاب « نفحاته » المترع من تلك الأباطيل المزخرفة المنبعثة عن السكر أو الخرافة أو الجنون ؛ إلى الشيخ عبد القادر الخبيث الملعون ، من أنّه كان في أيام الرضاعة لا يمص ثديي أمّه في نهار شهر رمضان أبداً بحيث اشتبه عليهم الفطر في سنة فرجعوا إليه فرأوه لا يمص ، فعرفوا أنّ ذلك اليوم كان من الشهر[1] وما أكثر خرافة ذلك الرجل وأظلم قلبه وأشدّ حمقه حيث لم يتفطن بأنّ هذه المنزلة الجليلة مع أنّها لم تسند إلى أحد من الأنبياء عليهم السلام من قبل ، لو سلمت فيه بنحو من الليميائيات والشعبذات فلا تجامع كون أكثر أيام الرضاع سنتين لأنّ مثل تلك العادة المشتهرة المجربة منه المرجوع إليها في الشبهات لا بد وأن يكون تحققها في ضمن سبع أو ست أو لا أقلّ في خمس من السنين ، وهو إذا ذاك كان بمنزلة عجل كبير ، يتكلم بين الناس بأصوات الحمير ، وحيث كانت

---

(١) نفحات الأنس ص ٥٠٧ .

الرضاعة بهذه المثابة فليكن لبث أبي حنيفة أيضاً في بطن أمه احتراماً لحياة مالك بن أنس أربع سنين وإنّ الله لا يهدي القوم الفاسقين .

وأمّا صدور مثل هذه النسبة عن المير السمي فـأمّا هـو مبني على الإيـراد دون الإعتقاد أو لما ورد في النبوي المشهور من أن حبك الشيء يعمي ويصمّ كما تـرى قد ظهر أضعاف ذلك أيضاً من معـاصره الشيخ البهـائي عفـا الله عنا وعنـه وكذا عن أبيـه عن الشيخ رجب الـبرسي وابن جمهور الأحسـائي والمـولى محمـد تقي المجلسي والمـولى محسن الكاشي والقـاضي نور الله التسـتري والشيخ أحمـد البحراني وأمثـال أولئك من عرفاء المجتهدين .

وفي أوائل المجلدة الثالثة من كتاب الكشكـول قال : لمـا قدّم الحـلاج للقتل قـطعت يده اليمنى ، ثم اليسرى ، ثم رجله ، فخـاف أن يصفر وجهـه من نـزف الدم فأدنى يده المقطوعة من وجهه ، ولطخه بالدم ، ليخفي إصفراره ، وأنشد :

لم أسلم النفس لـلإسقام تبلغهـا ... إلا لعلمي بـأن الـوصـل يحييهـا
نفس المحب عـلى الآلام صابـرة ... لعـل مسقمهـا يـومـاً يـداويها

فلما شيل إلى الجذع قال :

يا معين الفناء عليّ أعنّي على الفناء .

ثم جعل يقول :

مـالي جفيـت وكنـتُ لا أجفـى ... ودلائـل الهِجـران لا تخـفـى
وأراك تمـزجـني وتشربـني ... ولقـد عهـدتـك شـاربي صرفـا

فلما بلغ به الحال أخذ يقول :

لـبيـك يـا عـالمـاً سري ونـجـوائي ... لبيـك لبيـك يـا فقـري[1] ومغنـائي
أدعـوك بـل أنت تـدعـوني إليـك فهـل ... نـاجيت إيـاك أو نـاجيت إيـائي
حُـبي لمـولاي أضـنـاني وأسـقـمني ... فكيـف أشكـو إلى مـولاي مـولائي
يـا ويـح روحي من روحي ويـا أسفي ... عـليّ مـني فـإني أصـل بـلوائـي[2]

« انتهى » .

(١) في المصدر : يا قصدي .
(٢) الكشكول ص ٢٥١ .

وفي تاريخ حمد الله المستوفي قال:لما قتل الحلاّج خرجت أخته مكشوفة الرأس من بيتها فقيل لها استري وجهك عن الرجال فقالت : كيف ولا أرى إلاّ نصف رجل على الصليب .ثم قال:وذلك لأنّه لم يحفظ السر الذي أودعوه حتى قضى عليه بما قضى .

وفي وفيات الأعيان نقلاً عن أبي بكر بن ثوابة القصري أنّه قال : سمعت الحسين بن منصور وهو على الخشبة يقول :

طلبت المستقر بكل أرضٍ فلم أر لي بأرضٍ مستقرا
أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حرا[١]

وسيأتي إن شاء الله في ذيل ترجمة القاضي البيضاوي تتمة تتعلق بهذا المقام وعن بعض كتب التواريخ إنّ شيخه الجنيد أيضاً كتب في الإستشهاد عليه أنّ الرجل في ظاهر حاله يستحق القتل ، وعن بعضها التنظر في ذلك لكون وفاة الجنيد قبل قتله بكثير ، وفيه نظر لاحتمال كون صدور ذلك منه أيّام تغيره عليه ، كما عرفته من قبل ، ويؤيده أيضاً ما نقل من شدة إنكار الشيخ أبي يعقوب إسحاق بن محمد النهر جوري من كبار أصحاب السوسي وعمرو المكي والجنيد على طريقته وبالجملة فبعد ذلك كله لم يبق مجال لاعتذار صاحب المجالس الناحت للشيعة عن هفوّاته الباطلة ، بشيء من الوجوه ، ولو سلم أنّه أخرجه بذلك عن حد النصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام فقد أدخله أيضاً في حد الشرك بالله الذي هو مذهب الغلو والإلحاد ، ومقالة أهل الحلول والإتحاد ، وهو أشدّ لديهم من العداوة معهم بنص أنفسهم المعصومين عليهم السلام،مضافاً إلى أنه لو كان بمكانة منهم لنقل عنهم شيئا أو ذكر فضلا أم ورد فيه مدح في شيء من الأخبار كما نراه بالنسبة إلى سائر شيعتهم الخالصة المتشرعة الأخيار ، وإن دخلوا في

= قلت : وللحسين بن منصور أيضاً هذه الأبيات فيما نقله بعض الثقاة :

كانت لقلبي أهواء مفرغة فاستجمعت إذا رأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى إذ كنت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلاً بذكرك يا ديني ودنيائي

« منه » .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٠٥ .

زمرة أرباب التصوف والزهاد ، ﴿وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد﴾ ثم لو شئت زيادة بصيرة بأحوال وأباطيل الملاحدة من هذه الطائفة فعليك بمراجعة رسالة شيخنا الحر العاملي الموضوعة للتشنيع عليهم ، وتحذير أهل الإسلام من إتباعهم وبيان جملة من قبائح أفعالهم فإنّها البالغة حدّ الكمال في هذا الباب ، وكذلك كتاب مولانا محمد طاهر القمي المعاصر له المشنع على المولى محسن الفيض الكاشي صاحب الوافي ، في ميله إلى هذه الطائفة بل المكفر إياه من هذه الجهة ، ورسالتي الشيخ علي بن الشيخ محمد الشهيدي ، والمولى اسماعيل الخاجوئي بالعربية والفارسية في تخطئتهم وتنفير قلوب عوام الناس عنهم ، وغير ذلك ، ممّا يستفاد لك من تضاعيف مصنّفات الشيعة ، وأهل السنة والجماعة ، فإنّهم في الحقيقة مصداق قوله تعالى : ﴿ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾ ومنكرون لأساس الشريعة الغراء ، أعاذنا الله وجميع المؤمنين والمؤمنات من متابعة أهوائهم وسلوك سبيلهم آمين رب العالمين .

٢٦٢

الشيخ أبو عبد الله حسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان الهمداني(*)

الأصل ، البغدادي المنشأ ، الحلبي المسكن والخاتمة ، المعروف بابن خالويه النحوي اللغوي ، كان في درجة أبي الطيب اللغوي المشهور أعني عبد الواحد بن علي الحلبي ، وكان أيضاً بينهما مناقشة ونقار ، كما ذكره صاحب « طبقات النحاة » وذكره ألنجاشي أنّه كان عارفاً بمذهبنا مع علمه بعلوم العربية واللغة والشعر ، وله كتب منها « كتاب في إمامة علي (عليه السلام) وقال صاحب « مجالس المؤمنين » بعدما ذكر أنّ النجاشي عده من جملة فضلاء الإمامية العارفين بالعربية : ولذا كان

(*) له ترجمة في أنباه الرواة ج ١ ص ٣٢٤ ، البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٩٧ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٥٢٩ ، تنقيح المقال ج ١ ص ٣٢٧ ، شذرات الذهب ج ٣ ص ٧١ ، طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٦٩ ، العبر ج ٢ ص ٣٥٦ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٢٦٧ ، مجالس المؤمنين ص ٢٤٠ ، مجمع الرجال ج ٢ ص ١٧٤ ، مرآة الجنان ج ٢ ص ٣٩٤ ، المزهر ج ٢ ص ٤٢١و٤٦٦ ، معجم الأدباء ج ٣ ص ٤ ، نزهة الألباء ص ٣١١ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٣٣ ، يتيمة الدهر ج ١ ص ١٢٣ .

صـدراً في أبـواب ملوك آل حمـدان ومن تصـانيفـه « كتـاب الآل » في إمـامـة أمـير المؤمنـين (عليه السـلام) وكتاب مستحسن القـراءة والشواذ ، وكتـاب في اللغة ، وكتاب « اشتقاق الشهور والأيام » وفي « تـاريخ اليـافعي » أنّه دخـل بغداد وأدرك جلة العلماء بهـا مثل : ابن الأنبـاري وابن مجاهـد المقري وأبي عمـرو الزاهـد وابن دريد اللغوي وقرأ على أبي سعيـد السّيرافي يعني بـه المتقدّم ذكـره وانتقل إلى الشـام واستوطن حلب ، وصار بها أحد أفراد الدهر واشتهر في سائر فنون الأدب والفضل وكانت الرحلة إليه من الآفاق وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه ، وله كتاب كبير سمّاه « كتاب ليس » يدلّ على اطلاع عـظيم منه ، كـما ذكره بعضهم وبناءه فيه عـلى ذكر مـا ليس في كلام العـرب من كذا وكـذا[1] قيل : وعمـل عليه بعضهم كتاباً سـماه كتاب « الميس » بـل استدرك عليـه أشياء قلت : ومن جملة مـا نقل عن كتاب « ليس » المذكور ليس في كلام العرب مؤنّث غلب على المذكـر ، إلاّ في ثلاثة أحرف الأول في التساليخ فيكتبون لثلاث مضين ، وثلاث إن بقين بإثبات إنّ الشرطية لعدم تيقن بقائها لجـواز كون الشهـر ناقصـاً ، وكذا يكتب في النصف لخمس عشرة ليلة خلت ، لا لنصف خلا ، لأنك لست على يقين من إنّـه النصف وتقول : صمت عشراً ولا تقول عشرة مع أنّ الصـوم لا يكون إلاّ بـالنهار ، وكـذا تقول : سرت عشراً لا عشرة .

الثاني : إنّك تقول : الضّبع العرجاء للمؤنث والمذكر .

الثالث : إنّ النفس مؤنثة ويقال : ثلاثـة أنفس على لفظ الـرجال ولا يقـال ثلاث أنفس هذا وله أيضاً كتاب لطيف سمّاه « كتاب الآل » ذكر في مفتتحه تفصيل مداليل هذه اللفظة وإنّها تنقسم إلى خمسـة وعشرين قسماً ومـا أقصر فيه ثم أخـذ في تفصيل أسماء الأئمة الإثنى عشر من آل محمد الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعـين وأسماء آبـائهم وأمهاتهم وتـواريخ مـواليدهم ووفيـاتـهم وله أيضـاً كتـاب « المرغش »[2] في اللغة ، كما ذكره صاحب « البغية » وكـأنّه الـذي تقدّم من كـلام

---

(١) مجالس المؤمنين ص ٢٤٠ .

(٢) في أنباه الرواة والبغية : الأطرغش ، يقـال أطرغش المـريض أطرغشـاشاً ؛ إذا بـرىء وأطرغش من مرضه ، إذا قـام وتحرك ومشى ومهـر مطرغش : ضعيف تضـطرب قوائمه، وأطـرغش القوم : إذا غيثوا وأخصبوا .

النجاشي ، وكتاب « الإشتقاق » وكتاب « الجمل » في النحو ، وكتاب « القراآت » وهو غير كتابه الذي سماه « السبع في القراآت السبع » وكتاب « إعراب القرآن » وهو مشتمل على إعراب ثلاثين سورة منه كما في « البغية » وكتاب « المقصور والممدود » وكتاب « المذكر والمؤنث » وكتاب « الألفات » وكتاب « شرح مقصورة ابن دريد » وكتاب « الأسد » وكتاب « إشتقاق خالويه » وغير ذلك .

والظاهر أنّ هذه اللفظة من الألفاظ العجمية المعمولة معها معاملة سيبويه ، ونفطويه ودرستويه ، وأمثالهم الكثيرين ، أو الخال منه عربي وأريد به شيء من معانيه المتكثرة لمناسبة إياه .

وأمّا ضبطه : فهو بفتح الخاء الموحدة ، وبعد الألف لام وواو مفتوحتان كما ذكره ابن خلّكان في « وفيات الأعيان » وفيه أيضاً أنّه قال دخلت يوماً على سيف الدولة بن حمدان فلمّا مثلت بين يديه قال لي : أقعد فتبينت بذلك إعتلاقه بأهداب الأدب ، واطّلاعه على أسرار كلام العرب ، قال : وإنّما قال ابن خالويه هذا ، لأن المختار عند أهل الأدب ، أن يقال للقائم : إقعد ، وللنائم أو الساجد : إجلس ، وعلّله بعضهم بأن القعود هو الإنتقال من العلو إلى السفل والجلوس بخلافه ، ولهذا قيل لنجد : جلساء لارتفاعها وقيل لمن أتاها : جالس ، ومنه قول مروان بن الحكم لما كان والياً بالمدينة يخاطب الفرزدق :

قُل للفرزدق والسفاهة كاسمها   إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

أي : اقصد الجلساء وهي نجد ، وهذا البيت من جملة أبيات ولها قصة طويلة ، وهذا كله وإن جاء في غير موضعه ولكن الكلام شجون ـ إلى أن قال ـ وله مع أبي الطيب المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة ، ولولا خوف الإطالة لذكرت شيئاً منها ، وله شعر حسن فمنه قوله :

إذا لم يكن صدر المجالس سيداً   فلا خير فيمن صدرته المجالس

وكم قائل ما لي رأيتك راجلاً   فقلت له من أجل أنّك فارس

إلى أن قال : وكانت وفاة ابن خالويه في سنة سبعين وثلاث مئة بحلب رحمه الله انتهى[١] .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤

وفي « طبقات النحاة » بعد ذكر نسب الرجل كما أوردناه : أبو عبد الله الهمداني إمام اللغة والعربية وغيرهما من العلوم الأدبية ، دخل بغداد طالباً سنة أربع عشر وثلاث مئة وقرأ القرآن على ابن مجاهد ، والنحو والأدب على ابن دريد ونفطويه وأبي بكر الأنباري وأبي عمر الزاهد ، وسمع الحديث من محمد بن مخلد العطار وغيره وأملى الحديث بجامع المدينة ،وروى عنه المعافى بن زكريا وآخرون . ثمّ سكن حلب ، واختص بسيف الدولة بن حمدان وأولاده ، وهناك انتشر علمه وروايته ، وله مع المتنبي مناظرات وكان أحد أفراد الدهر في كلّ قسم من أقسام العلم والأدب ، وكانت الرحلة إليه من الآفاق ، وقال له رجل : أريد أن أتعلم من العربية ما أقيم به لساني ، فقال : أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو ما تعلّمت ما أقيم به لساني ، توفى بحلب سنة سبعين وثلاث مئة قال الداني في « طبقاته » عالم بالعربية ، حافظ للغة ، بصير بالقراءة ، ثقة مشهور روى عنه غير واحد من شيوخنا منهم عبد المنعم بن عبيد الله ، والحسن بن سليمان وغيرهما(١) ثم ذكر بيته المذكورين قبل ، وفي ترجمة اسماعيل بن عبّاد عدّه غير كتاب «الآل» من تصانيفه المتقدّم ذكرها أيضاً .

وقال بعد ذلك وهذه فائدة رأيت أن لا أخلي منها هذا الكتاب ورأيت في « تاريخ حلب » لابن القديم بخطّه ، قال: رأيت في جزء من « أمالي » ابن خالويه : سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة ، هل تعرفون اسماً ممدوداً وجمعه مقصور ؟ فقالوا : لا ، فقال لابن خالويه : ما تقول أنت ؟ قلت : أنا أعرف اسمين قال ما هما ؟ قلت : ما أقول لك إلاّ بألف درهم لئلاّ تأخذه(٢) بلا شكر ، وهما : صحراء وصحارى ، وعذراء وعذارى ، فلما كان بعد شهر أصبت حرفين آخرين ذكرهما الجرمي في كتاب « التنبيه » وهما : صلفاء وصلافي ، وهي الأرض الغليظة وخبراء وخبارى وهي أرض فيها ندوة ثم بعد عشرين سنة وجدت حرفاً خامساً ذكره ابن دريد في « الجمهرة » وهو سبتاء وسباتي ، وهي الأرض الخشنة ثم كلام صاحب « البغية »(٣) .

---

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٢٩ .

(٢) في البغية : تؤخذ .

(٣) البغية : ج ١ ص ٥٣٠ .

وقال أيضاً في ترجمة سعيد بن سعيد الفارقي أبي القاسم النحوي ، قال ابن العديم أديب فاضل ، عارف بالعربية ، له مصنفات منها « تقسيمات العوامل وعللها » و« تفسير المسائل المشكلة » في أوّل « المقتضب » للمبرّد قرأ على الربعي وسمع بحلب من ابن خالويه قتل في الموكب عند بستان الخندق بالقاهرة سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة[1] .

ثم ليعلم أنّ ابن خالويه قد يطلق أيضاً على الشيخ القاضي أبي الحسن علي بن محمد بن يوسف بن مهجور الفارسي الذي ذكر النجاشي في حقه : أنه شيخ من أصحابنا ثقة سمع الحديث فأكثر ابتعت أكثر كتبه ، له كتاب « عمل رجب » وكتاب « عمل شعبان » وكتاب « عمل رمضان »[2] وقد عدّه بعضهم من مشايخ النجاشي أيضاً ، وإن تنظر فيه صاحب « الرياض » فلا تغفل .

٢٦٣

(الأديب الكامل أبو محمد الحسين بن أحمد بن يعقوب الهمداني)[*]

المعروف بابن الحائك النحوي قال : صاحب « البغية » كان نادرة زمانه في النحو واللغة والأخبار بالطب وله شعر.صنّف «المسالك والممالك» « عجائب اليمن» « جزيرة العرب ، وأسماء بلادها وأوديتها » وغير ذلك مات في سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة إنتهى[3] .

وهو غير القاضي أبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بالزوزني وإن كان هو أيضاً إمام عصره في النحو واللغة والعربية كما في « البغية » لأنه مات في سنة ست وثمانين وأربع مئة[4] .

وكذلك هو غير الحسين بن أحمد بن بطويه أبو عبد الله النحوي الذي ذكره

(١) البغية ج ١ ص٤ ٥٨٤ .
(٢) مجمع الرجال ج ٤ ص ٢٢٤ .
(*) مر ترجمته باسم « حسن » في ص ٩١ فراجعه .
(٣) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٣١ .
(٤) ترجمته في أنباه الرواة ج ١ ص ٣٢٠ بغية الوعاة ج ١ ص ٥٣١ ، تلخيص ابن مكتوم ص ٦١ .

صاحب « معجم الأدباء »[١] أمّا المراد بجزيرة العرب فهو على ما يحضرني الآن جزيرة أندلس المغرب المشتملة على بلاد كثيرة أشير إلى جملة منها في ذيل ترجمة بعض الأحامدة المتقدمين .

٢٦٤
الحسين بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين الرافقي

النحوي المعروف بالخالع ، قال الصفدي : كان من كبار النحاة ، أخذ عن الفارسي والسيرافي ، ويقال أنّه من ذرية معاوية ، وكان من الشعراء صنّف « الأمثال » « تخيلات العرب » « شرح شعر أبي تمام » « صناعة الشعر » « الأودية والجبال والرمال » وغير ذلك كذا ذكره صاحب « البغية »[٢] .

وهو غير الحسين بن محمد بن الحسين أبي عبد الله الصوري الضراب النحوي الذي نقل في حقه أيضاً أنّه كان في وقته نحوي البلد ، وله حال واسعة ومذهبه حسن في السنة ، حج فدخل على رجل يقرىء ، فأبى أن يأخذ عليه ، فقال له : إن كنت تقرىء لله فخذ عليّ وإن كنت تقرىء للدنيا فمعي ما أعطيك ، فأذن له ، فلما قرأ الفاتحة فسرها له ، وذكر ما فيها من الإعراب ، فقام من مكانه ، وجلس بين يديه ، وقال أنت أحق مني بهذا الموضع ، حدّث عن يوسف الميانجي وعنه أبو زكريا عبد الرحيم البخاري الحافظ[٣] .

وهو أيضاً غير الحسين بن محمد بن أحمد بن علي العنسي اليحصبي المعروف بالغبناطي اللغوي النحوي الراوي عن أبي جعفر بن البادش وغيره[٤] .

وغير الحسين بن محمد بن نائل القرطبي أبي بكر الشاعر الأديب المتصرف في العربية والغريب[٥] .

---

(١) ترجمته في بغية الوعاة ج ١ ص ٥٢٩ ، معجم الأدباء ج ٤ ص ٣ .

(٢) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٣٨ .

(٣) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٣٨ .

(٤) بعدها في البغية ج ١ ص ٥٣٨ مات سنة ستين وخمسمأة وقد قارب السبعين .

(٥) ولد سنة ست وتسعين ومئتين ومات سنة اثنتين وسبعين وثلاث مئة « بغية الوعاة » ج ١ ص ٥٣٩ ، تاريخ علماء أندلس ج ١ . . وفيه : محمد بن حسين بن قابل .

وغير الحسين بن محمد التعمري بفتح الميم المعروف بالخماش من تلامذة محمد بن علي المحلي كما ذكره أبو حيّان[١] .

وغير أبي الفرج الحسين بن محمد النحوي المعروف بالمستور[٢] .

وغير الحسين بن محمد التميمي العنبري أبي عبد الله الداروني القيرواني الإمام في اللغة والشعر كما عن الزبيدي قال ومات سنة اثنين وأربعين وثلاث مئة[٣] .

٢٦٥

الشيخ أبو عبد الله الحسين بن علي النمري اللغوي البصري

صاحب التصانيف الكثيرة ، قال صاحب الطبقات : له شعر وكان أديباً لغوياً صنّف « أسماء الفضة والذهب » و« معاني الحماسة » و« الخيل » و« الملمّع » وكان بالبصرة ، مات سنة خمس وثمانين وثلاث مئة[٤] .

وهو غير الحسين بن علي بن عبد الله الأمدي المؤدب أبي عبد الله النحوي الذي نقل في حقه عن ابن النجار أنّه حدّث بكتاب الحجة للفارسي عن أبي الحسن الربعي عنه ، وقرأ على ابن الحمامي ومات في جمادي الآخرة وقيل في رجب سنة ست وستين وأربع مئة[٥] .

وغير الحسين بن علي بن محمد أبي الطيب النحوي الملقب بالتّمار من جملة مشايخ أحمد بن محمد الجرجاني وتلامذة محمد بن أيوب الرازي[٦] .

---

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٤٠ وفيه تعمر بفتح المثناة من فوق وسكون المهملة وفتح الميم قبيلة من البربر .

(٢) بغية الوعاة ص ٥٤٠ معجم الأدباء ج ٤ ص ٩٥ .

(٣) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٤٠ طبقات اللغويين والنحويين ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ واسمه هناك « الداروني وهو أبو محمد حسن بن محمد التميمي العنبري » .

(٤) بغية الوعاة ج١ ص ٥٣٧ .

(٥) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٣٦ .

(٦) ترجمته في أنباه الرواة ج ١ ص ٣٢٤ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٥٣٦ ، تاريخ بغداد ج ٨ ص ٧٠ تلخيص ابن مكتوم ص ٦٢ .

وغير الحسين بن علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعي النحوي من جملة مشايخ أبي الكرم المبارك بن فاخر الآتي ذكره في ذيل ترجمة أخيه الحسين ابن الدبّاس[(١)] .

وغير الشيخ حسام الدين الحسين بن علي السفياني الحنفي العالم الفقيه النحوي الجدلي الذي أخذ عن عبد الجليل بن عبد الكريم صاحب « الهداية » وغيره [الدرر] وهو أوّل من شرح الهداية وله أيضاً « شرح المفصّل » ذكر في أوّله أنّه قرأ على حافظ الدين البخاري سنة ست وسبعين وستّ مئة[(٢)] .

وغير الحسين بن علي بن الوليد النحوي الشاعر الذي مدح عضد الدولة بن بويه الديلمي وشعره رثّ كما في طبقات النحاة[(٣)] .

٢٦٦
الأديب العجيب ، المتوحد الوهاج ، أبو عبد الله حسين بن أحمد بن الحجاج[(*)]

الملقّب بابن الحجاج هو الشاعر الماهر الكاتب المحتسب الشيعي الأمامي النيلي البغدادي المتصنع المشهور ، وكان من شعراء أهل البيت المتجاهرين وقد قرأ على ابن الرومي ، وكان من بلاد العجم كما عن « معالم » ابن شهر آشوب

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٣٧ .
(٢) في البغية ج ١ ص ٥٣٧ السغناقي الحنفي ذكره وعبد الحي الكندي في طبقات الحنفية ص ٦٢ باسم(الحسن بن علي السغناقي) وقال نسبته إلى سنغاق بكسر السين المهملة وسكون العين المعجمة ثم نون بعدها ألف بعدها قاف : بلدة في تركستان .
(٣) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٣٧ .
(*) له ترجمة في الأمتاع والمؤانسة ج ١ ص ١٣٧ ، أمل الآمل ج ١ ص ٨٨ بهجة الأمال ج ٤ ص ٢٠٠ تاريخ بغداد ج ٨ ص ١٤ تنقيح المقال ج ١ ص ٣١٨ رياض العلماء ، سفينة البحار ج ١ ص ٢٢٢ شذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٦ ، الغدير ج ٤ ص ٨٨ الكنى والألقاب ج ١ ص ٢٥٦ ، معالم العلماء ص ١٤٩ معجم الأدباء ج ٤ ص ٦ معاهد التنصيص ج ٢ ص٦٢ ، مجمل فصيحي ج ٢ ص ١٠٧ ، المنتظم ج ٧ ص ٢١٦ النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٠٤ وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٢٦ يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٠ .

المازندراني وفي « أمل الآمل » : أنّه كان فاضلاً شاعراً أديباً إمامي المذهب ، وله ديوان كبير جداً عدة مجلدات ، ويظهر من شعره أنّه من أولاد الحجاج بن يوسف الثقفي ، وهو ينافي كونه من بلاد العجم ، إلاّ أنّ يكون ولد فيها ، أو يكون الثقفي من غلمانهم لا منهم ، كما يظهر من بعض الأخبار ، ومن شعره قوله :

وشعري سخفة لا بد منه ... وقد طبنا وزال الإحتشام
وهل دارٍ تكون بلا كنيف ... فيمكن عاقلاً فيها المقام

وقوله :

وهذي القصيدة مثل العروس ... موشحة بالمعاني الملاح
ولا بد للشعر من سخفة ... ولا بد للدار من مستراح

إلى أن قال : وقوله :

وابرص من بني الزواني ... ملمع أبقع اليدين
قلت وقد لجّ[1] بي أذاه ... وزاد ما بينه وبيني
يا معشر الشيعة الحقوني ... قد ظفر الشمر بالحسين

وكان معاصراً للرضي والمرتضى « انتهى »[2] .

وفي « محاضرات الراغب » قال : ودعي ابن الحجاج إلى دعوة مع جماعة فتأخر عنهم الطعام ، فقال لصاحب الدعوة :

يا ذاهباً في داره جائياً ... من غير معنى لا ولا فائدة
قد جنّ أضيافك من جوعهم ... فاقرأ عليهم سورة المائدة[3]

قلت : ومن شعر أبن الحجاج أيضاً في الحث على اعتبار الوقت قوله :

خُذ الوقت أخذ اللص واسرقه واختلس ... فوائد بالطيب أو بالتطايبِ
ولا تتعلل بالأماني فإنها ... عطايا أحاديث النفوس الكواذب

ومنه في هجو المتنبي :

---

(١) في الأصل بح .

(٢) أمل الآمل ج ٢ ص ٨٨ .

(٣) محاضرات الراغب ج ٢ ص ٦٣٧ ويتيمة الدهر ج ٢ ص ٨٢ .

يا ديمة الصفح صبي ... على قفا المتنبي
وأنت يا ريح بطني ... على عذاريه هبي
ويا قفاه تقدم ... واقعد قليلاً بجنبي
وإن صفعتك ألفاً ... فلا تقولن حسبي

قال : وله في بعض الكتاب :

رأيت شيخاً رقيعاً ... للصفح فيه بقية
مستعرباً نبطياً ... ويشتهي العجمية
فقلت ذقنك في استي ... هذا من العربية
وريش توباب كوني ... هذا من الفارسية
أوَلا قد فبح بوطى ... هذا من النبطية
هذي لغات ثلاث ... صحيحة مستوية

وله أيضاً :

النيّك بالتمييز لا وجه له ... فلا تكن تيساً شديد البله
إيّاك أن تعدو شيئاً ترى ... ونكِ ولو كلباً على مزبلة[1]

ومن جملة حكاياته الغريبة الدالة على غاية جلالة قدره ، وعظم منزلته عند أهل بيت العصمة عليهم السلام ، بنقل السيد الجليل الفاضل زين الدين علي بن عبد الحميد النجفي الحسيني ، صاحب كتاب « الأنوار المضيئة » وكتاب « الغيبة » وغيرهما في كتابه الموسوم بـ « الدر النضيد في تعازي الإمام الشهيد » أنّه كان في زمان ابن الحجاج رجلان صالحان يزدريان بشعره كثيراً ، وهما محمد بن قارون السيبي وعلي بن الزرزور السوراثي ، فرأى الأخير منهما ليلة في الواقعة ، كأنّه أتى إلى روضة الحسين (عليه السلام) وكانت فاطمة الزهراء حاضرة هناك ، مسندةً ظهرها إلى ركن الباب الذي هو على يسار الداخل ، وسائر الأئمة إلى مولانا الصادق عليهم السلام أيضاً جلوس في مقابلها في الزاوية [التي][2] بين ضريحي

(١) محاضرات الأدباء ج ٣ ص ٢٤٤ .
(٢) الزيادة من رياض العلماء .

الحسين عليه السلام وولده علي الأكبر الشهيد متحدثين بما لا يفهم .

ومحمد بن قارون المقدّم قائم بين أيديهم ، قال السورائي : وكنت أنا أيضاً غير بعيد عنهم ، فرأيت ابن الحجاج ماراً في الحضرة المقدسة ، فقلت لمحمد بن قارون : ألا تنظر إلى الرجل كيف يمر في الحضرة ، فقال : وأنا لا أحبه حتى أنظر إليه قال سمعت الزهراء بذلك ، فقالت له مثل المغضبة : أما تحب أبا عبد الله ؟ أحبوه فإنّه من لا يحبه ليس من شيعتنا ، ثم خرج الكلام من بين الأئمة عليهم السلام بأن من لا يحب أبا عبد الله فليس بمؤمن .

ومنها أيضاً رواية ذلك السيد الجليل رحمة الله تعالى عليه كيفية ما اتفق في أيام حياة سيدنا الأجل المرتضى ، حين نهاه عن إيراد سخف تغزلاته في باب أمير المؤمنين (عليه السلام) وتفصيل ذلك أنّ السلطان مسعود بن بويه الديلمي لمّا بنى سور مشهد النجف الأشرف ، وفرغ من تعمير القبّة الزاكية ، وتجصيص خارجها وداخلها ، دخل الحضرة الشريفة وقبل القبة المنيفة ، وجلس على حسن الأدب ، فوقف أبو عبد الله المذكور بين يديه ، وأنشد قصيدته التي أوّلها :

* يا صاحب القبة البيضاء على النجف * على باب الحضرة ، فلما وصل إلى الهجاء التي فيها أغلظ له السيد ونهاه أن ينشد ذلك في حضرة الإمام (عليه السلام) ، فانقطع عن الإيراد ، فلما جنّ عليه الليل ، رأى الإمام في المنام وهو يقول : لا ينكسر خاطرك ، فقد بعثنا المرتضى علم الهدى ، يعتذر

ـ حكاية لطيفة ـ وقال صاحب الأمل في ديل ترجمة الشيخ ناصر بن ابراهيم البويهي العاملي العيناثي الذي هو من تلامذة الشيخ ظهير الدين الذي هو والد شيخنا الشهيد الثاني رحمه الله ، بعد سبته إليه الرسالة الجيدة في علم الحساب وحواشي قواعد العلامة وغيرها : قد وجدت بخط بعض علمائنا نقلاً عن خط الشهيد الثاني أن ناصر البويهي ، هو الشيخ الإمام المحقق ناصر بن ابراهيم البويهي الأصل ، الإحسائي المنشأ العاملي الخاتمة كان من أجلاء العلماء والمحققين الفضلاء خرج من بلاده إلى بلاد الشام المذكورة فطلب بها العلوم ثم أدركه الأجل المحتوم في سنة الطاعون سنة ثلاث وخمسين وثماني مئة وهو من أعقاب ملوك بني بويه ملوك العراقين والعجم ، وهم مشهورون وكان الصاحب بن عباد من وزرائهم (وهم الذين) بنوا الحضرة الشريفة الغروية على مشرفها السلام بعد إحراقها وعمروا لأنفسهم تربة في مقابلة أمير المؤمنين (عليه السلام) تعرف الآن بقبور السلاطين وهذا معنى قوله في كنية البويهي ، انتهى .

« منه ره »

إليك ، ولا تخرج إليه فقد أمرناه أن يأتي دارك فيدخل عليك ، ثم رأى السيد في تلك الليلة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة جلوس حوله ، فوقف بين أيديهم فسلّم عليهم فلم يقبلوا عليه ، فعظم ذلك عنده ، فقال : يا موالي أنا عبدكم وولدكم ومولاكم ، فبما استحققت هذا منكم ؟ فقالوا : بما كسرت خاطر شاعرنا أبي عبد الله ابن الحجاج فتمضي إلى منزله وتعتذر إليه وتمضي به إلى ابن بويه وتُعرفه عمّا ينتابه فقام المرتضى من ساعته ومضى إليه ، فقرع عليه باب حجرته ، فقال : يا سيدي ، الذي بعثك إليّ أمرني أن لا أخرج إليك وقال كذا ، فقال : نعم ، سمعاً وطاعة لهم ، ودخل عليه معتذراً ومضى به إلى السلطان وقصّ القصة عليه كما رأياه فكرّمه وأنعم عليه وأمره بإنشاد القصيدة في تلك الحال فقال :

يا صاحب القُبّة البيضاء على النجفِ ... من زار قبرك واستشفى لديك شفي
زُوروا أبا الحسن الهادي لعلكم ... تحظون بالأجر والإقبال والزلفِ
زُوروا لمن تسمع النجوى لديه فمن ... يزره بالقبر ملهوفاً لديه كفي
إذا وصلت فاحرم قبل تدخله ... ملبياً واسعَ سعياً حوله وطفِ
حتى إذا طفت سبعاً حول قبّته ... تأمّل الباب تلقا وجهه فقفِ
وقُل : سلام من الله السلام على ... أهل السلام وأهل العلم والشرفِ
إني أتيتك يا مولاي من بلدي ... مستمسكاً من حبال الحق بالطرفِ
راجٍ بأنك يا مولاي تشفع لي ... وتسقني من رحيق شافي اللهفِ
لأنّك العروة الوثقى فمن علقت ... بها يداه فلن يشقى ولم يخفِ
وإنّ أسماءك الحسنى إذا تليت ... على مريض شفي من سقمه الدنفِ
لأنّ شأنك شأن غير منتقص ... وأنّ نورك نور غير منكسفِ
وأنّك الآية الكبرى التي ظهرت ... للعارفين بأنواع من الطرفِ
هذي ملائكة الرحمن دائمة ... يهبطن نحوك بالألطاف والتحفِ
كالسطل والجام والمنديل جاء به ... جبريل لا أحد فيه بمختلفِ
كان النبي إذا استكفاك معضلة ... من الأمور وقد أعيت لديه كفي
وقصة الطائر المشوي عن أنس ... تخبر بما نصه المختار من شرفِ
والحب والقضب والزيتون حين أتوا ... تكرُّماً من إله العرش ذي اللطفِ
والخيل راكعة في النقع ساجدة ... والمشرفيات قد ضجّت على الجحفِ

بعثت أغصان بانٍ في جموعهم ... فأصبحوا كرمادٍ غير منتسفِ
لو شئتَ مَسْخهم في دورِهم مُسخوا ... أو شئت قلت لهم: يا أرض انخسفي
والموت طوعك والأرواح تملكها ... وقد حكمت فلم تظلم ولم تجفِ
حلأت من قد هفت في الغار مهجته ... وظل مدمعه جارٍ بمنذرفِ
لا قدّس الله قوماً قال قائلهم : ... بخٍ بخٍ لك من فضلٍ ومن شرفِ
وبايعوك بخمّ ثم أكدها ... « محمد » بمقال منه غير خفي
عاقوك واطرحوا قول النبي ولم ... يمنعهم قوله : هذا أخي خلفي
هذا وليكم بعدي فمن علقت ... به يداه فلن يخشى ولم يخفِ
فقلدوها أخا تيم فقال لهم ... يا ويلكم اقبلوا قولي فلست أفي
لي ماردٍ يعتريني لا أطيق له ... رداً فيخدعني بالقول والعنفِ
حتى إذا ما ادّعاه الموت نص على ... شيطانه يا له من ماردٍ خلفِ
فصيّر الأمر شورى خدعة ودها ... وحيلةً وهو أمرٌ منه غير خفي
وثالث القوم أبدى في الورى بدعاً ... وأصبحت ملّة الإسلام في تلفِ
لا خير في آل حرب مع عدي ولا ... في آل تيم ولا في شيخها الخرفِ
ظلّوا فكانوا عكوفاً في ظلالهم ... مثل الكلاب مكبّات على الجيفِ
كم بدعةٍ ظهرت من جورهم فبدا ... منها الفساد من الأصلاب والنُّطفِ
شاعت بدايعهم في الناس فارتكبوا ... فعل اللواطِ وشربَ الخمرِ من سَرَفِ
فذاك عن أنسٍ يروي وذاك أبي ... هرٍ وذلك يروي رأي مختلف
فذاك يأتي بما لم يأتِ ذاك وذا ... مُخالف للّذي قد جاء في الصحفِ
فالشافعي يرى الشطرنج من أدبٍ ... وابن حنبل فيما قال لم يَخَفِ
يقول إنّ إلّه العرش ينزل في ... زي الأنام بقد اللين والهيفِ
في زيّ أمرَد نضرِ الخضرِ منهضِمٍ ... الحشا طليق المحيا وافر الرّدفِ
على حمار يصلي في المساجد قد ... أرخى ذوائبه منه على الكتفِ
يمشي بنعلين من تبر شراكها ... در ويخطر في ثوبٍ من السّلفِ
هذا ولا يبتدي عند الصلاة ببسـ ... ـم الله وهي أتت في مبدأ الصُّحُفِ
وقول نعمان في شربِ المدام بأنّ ... لا حدّ فيه ولا إثم لمقترفِ
وعنده القول في أخذ الحريرة أو ... وطء الأجيرة رأي غير مختلفِ

أهكـذا كـان في عهـد النبي جـرى ... ابن لنـا يـا عمي إن كـنت ذا نـصفِ
ومـالـك قـال لـوطـوا بـالغـلام ولا ... تخشـوا مقـالـة من قـد جـاء بـالسُّخفِ
مُحـلّلاً أكـل لحم الـكلبِ مبـتـدعـاً ... مُخـالـفـاً للذي يـروي عـن السّلفِ
فـقـول كـل إمـام مـن أئـمـتـهـم ... مـاضي العـزيمـة في زيـغ وفي جنفِ
قُـل لابن سكـرة ذي البخـل والخـرفِ ... عن ابن حجّـاج قـولاً غـير منحـرفِ
يـا ابن البغايـا الزواني العـاهـرات ومن ... سـلقلقيـاتهم قـد حـضن مـن خلفِ
يـا من هجـا بضعـة الهـادي لئن نشبت ... كفـاي منـك عـلى تمكـين منتصـفِ
لا وردنّـك يـا مـن بـظر زوجـتـه ... شبيـه عـذق قـريظ يـابسِ الحشفِ
مـوارد الحتف إن أمكنت سـوف تـرى ... تـوسـلي بـالإمـام الحـجـةً الخـلفِ
الـقـائم الـعـلم المـهـدي نـاصرنـا ... وجـاعـل الشرك في ذل مـن الـتـلفِ
من يمـلأ الأرض عـدلاً بعـدمـا ملئت ... جـوراً ويقمـع أهـل الـزيـغ والحيفِ
سقى البقيـع وطوسـاً والـطُّفُـوفَ وسـا ... مـرا وبغـداد والمـدفـون بـالنجفِ
من مهـرق مغـدق صب غـدا سجـا ... مغـدودق هـاطـل مستهـطف وكفِ
خُـذهـا إليـك أمـير المؤمنـين بـلا ... عـيب يشـين قـوافيـهـا ولا سخـفِ
مـن القـوافي الـتي لـو رامهـا خـلَف ... صفعت بـالمـائـع الجـاري قفـا خلفِ
تـنـفـي ولاء عـلي يـا ابـن زانـيـة ... وتـبـتـغي بـدلاً مـن أحسـن الـسلفِ
لا أبـتـغي بعـتـيـق مـن أبي حـسـن ... ولـو بليت بسـوء الكيـد والحـرفِ
فـاستحلهـا من فتى الحجـاج بيت ثنا ... يـشـق كـل فـؤادٍ كـافـرٍ دَنِـفِ
بـحب حـيـدرة الكـرار مـفتـخـري ... بـه شرفـت وهـذا مـنـتـهـى شـرفِ

هـذا(١) وقد ذكـره ابن خلكان المؤرخ العـامي في كتابـه « الـوفيـات » بهـذا العنوان : أبو عبد الله الحسين بن أحمـد بن الحجاج الكـاتب الشاعـر المشهور ، ذو المجون والخلاعة ، والسخف في شعره ، كان فرد زمانه في فنّه فإنّـه لم يسبق إلى تلك الطريقة ، مع عذوبة الألفاظ وسـلامة شعـره من التكلف ، ومدح الملوك والأمـراء والوزراء والرؤسـاء وديوانـه كبير أكـثر ما يـوجد في عشر مجلدات ، والغـالـب عليه الهزل ، وله في الجد أيضاً أشياء حسنة ، وتولى حسبة بغداد وأقام بها مدة ، ويقـال

(١) رياض العلماء .

أنّه عُزل بأبي سعيد الإصطخري الفقيه الشافعي ، وله في غزله أبيات مشهورة ، لا حاجة إلى إثباتها ها هنا ويقال أنّه في الشعر في درجة امرىء القيس، وأنّه لم يكن بينهما مثلهما لأنّ كل واحد مخترع طريقة ، ومن جيّد شعره هذه الأبيات :

يا صاحبي استيقظا من رقدة ... تُزري على عقل اللبيب الأكيسِ
هذي المجرة والنجوم كأنّها ... نهر تدفق في حديقة نرجسِ
وأرى الصبا قد غلست بنسيمها ... فعلام شرب الراح غير مغلّسِ
قوما اسقياني قهوة رومية ... من عهد قيصر دنّها لم يمسسِ
صرفاً تُضيف إذا تسلّط حكمها ... موت العقول إلى حياة الأنفسِ

ومن شعره :

قال قوم : لزمت حضرة حمدٍ ... وتجنّبت سائر الرؤساء
قلت ما قاله الذي أحرز المعـ ... ـنى قديماً قبلي من الشعراء
يسقط الطير حيث يُلتقط الحبّ ... وتغشى منازل الكرماء

وهذا البيت الثالث لبشار بن برد وقد ضمنه شعره ، وتوفي يوم الثلاثاء ، السابع والعشرين من جمادي الأخرة، سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة، بالنيّل وحمل إلى بغداد ودفن عند مشهد موسى بن جعفر (عليه السلام) ورثاه الشريف الرضي أخو المرتضى بقصيدة من جملتها :

نعوه على حسن ظني به ... فللّه ماذا نعى الناعيانِ
رَضيعٍ ولاء له شعبة ... من القلب مثل رضيع اللبانِ
وما كنتُ أحسب أن الزمانُ ... يفلُّ مضارب ذاك اللسانِ
بكيتك لِلشُّرَّدِ السّائراتِ ... تعانق[1] ألفاظها بالمعاني
ليبك الزمان طويلاً عليك ... فقد كنت خفّة روح الزمانِ

والنيل بكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام وهي قرية على الفرات بين بغداد والكوفة خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم[1] .

(١) في الوفيات : تعلق .
(٢) الوفيات ج ١ ص ٤٢٦ .

٢٦٧
الوزير الكبير أبو القاسم حسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد(*)

ابن يوسف بن بحر بن بهرام بن المرزبان بن ماهان بن باذان بن ساسان بن الحرون بن بلاش بن جاماس بن يزد جرد بن بهرام جور المعروف بالوزير المغربي نسبة إلى الجهة المغربية من بغداد ، لولاية أحد أجداده الذي هو أبو الحسن علي بن محمد بها ، كما عن بعض المجاميع وأمّه فاطمة بنت أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن جعفر النعماني من مشايخ الشيعة صاحب كتاب « الغيبة » وله كتب منها : كتاب « خصائص علم القرآن » كتاب « اختصار علم المنطق » كتاب « اختصار غريب المصنف » « رسالة في القاضي والحاكم » كتاب « الإلحاق بالاشتقاق » كتاب « اختيار شعر أبي تمام » و« اختيار شعر البحتري » و« اختيار شعر المتنبي والطعن عليه » توفي يوم النصف من شهر رمضان سنة ثماني عشرة واربع مئة كما عن فهرست النجاشي وفيه من الإشارة إلى إمامية الرجل وكونه من سليل الأماجد ، وأهل المنزلة في العلوم ما لا يخفى .

وله أيضاً « ديوان الشعر » و« النثر » و« مختصر إصلاح المنطق » وكتاب « الإيناس » وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة ، ويدل على كثرة اطلاعه ، وكتاب « أدب الخواص » وكتاب « المأثور في ملح الحدود » وغير ذلك كما ذكره ابن خلكان وقيل أنّه وجد بخط والد الوزير المعروف بالمغربي على ظهر « إصلاح المنطق » الذي اختصره ولده أبو زيد[1] ما مثاله : ولد سلمه الله تعالى ، وبلغه مبالغ الصالحين في أول وقت طلوع الفجر ، من ليلة صباحها يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحجة ، سنة سبعين وثلاث مئة ، واستظهر القرآن ، وعدة من الكتب المجردة ، في النحو واللغة ، ونحو خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر القديم ، ونظم الشعر

(*) له ترجمة في : أعتاب الكتاب ص ٢٠٦ ، شذرات الذهب ج ٣ ص ٢١٠ ، العبر ج ٣ ص ١٢٨ ، الكنى والألقاب ج ٣ ص ٢٨٦ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٣٠١ ، مجالس المؤمنين ص ٤٣٨ ، معجم الرجال ج ٢ ص ١٨٩ ، مرآة الجنان ج ٣ ص ٣٢ ، معجم الأدباء ج ٤ ص ٦٠ ، المنتظم ج ٨ ص ٣٢ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٦ وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٢٨ .

(١) في الوفيات : ولده الوزير .

وتصرف في النثر وبلغ من الخط إلى ما يقصر عنه نظراؤه ، ومن حساب المولد ، والجبر ، والمقابلة ، إلى ما يستقل بدونه الكاتب ، وذلك كله قبل استكماله أربع عشر سنة واختصر هذا الكتاب فتناهى باختصاره ، وأوفى على جميع فوائده ، حتى لم يفته شيء من ألفاظه ، وغيّر من أبوابه ما أوجب التدبير تغييره للحاجة إلى الاختصار ، وجمع كلّ نوع إلى ما يليق به .

ثم ذكرت له نظمه بعد اختصاره فابتدأ به ، وعمل منه عدة أوراق في ليلة .

وكان جميع ذلك قبل استكماله سبع عشرة سنة ، وأرغب إلى الله سبحانه في بقائه ، ودوام سلامته انتهى [كلام والده] ومن جملة أشعار الوزير المذكور :

أقول لها والعيس تحدج للسُّرى ... أعدي لفقدي ما استطعت من الصبرِ
سأنفق ريعان التبيبة آنفاً ... على طلب العلياء أو طلب الأجرِ
أليس من الخسران أن لياليا ... تمر بلا نفع وتحسب من عمري

ومن شعره أيضاً :

أرى الناس في الدنيا كراع تنكرت ... مراعيه حتى ليس فيهن مرتع
فماء بلا مرعى ومرعى بغير ماء ... وحيث ترى ماء ومرعى فمسبع

وله في غلام حسن الوجه حلق شعره :

حلقوا شعره ليكسوه قبحاً ... غيرةً منهم عليه وشحاً
كان قبل الحلاق ليلاً وصبحاً(١) ... فمحو ليله وأبقوه صبحاً

ولما ولد للوزير المذكور ولده أبو يحيى عبد الحميد كتب إليه أبو عبد الله محمد بن أحمد ، صاحب ديوان الجيش بمصر أبياتاً منها :

قد اطلع الفأل منه معنى ... يدركه العالم الذكيُّ
رأيت جد الفتى علياً ... فقلت جدُّ الفتى عليُّ

وكان الوزير المذكور من الدهاة العارفين :

ولما قتل الحاكم صاحب مصر أباه ، وعمّه ، وأخويه ، هرب الوزير ووصل

(١) في الوفيات : كان صبحاً عليه ليل بهيم .

إلى الرملة ، واجتمع بصاحبها المتغلب عليها حسان بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي وبنيه ، وبني عمه ، وأفسد نياتهم على الحاكم المذكور ، ثم توجه إلى الحجاز ، وأطمع صاحب مكة في الحاكم ومملكة الديار المصرية ، وعمل في ذلك عملاً قلق الحاكم بسببه ، وخاف على ملكه وقصته في ذلك طويلة .

ثم إنّه توجه إلى ديار بكروورز لسلطانها أحمد بن مروان الكردي ، وأقام [عنده][١] إلى أن توفي في ثالث عشر رمضان سنة ثماني عشرة وأربع مئة ، وقيل ثمان وعشرين والأول أصح ، وكانت وفاته بميّافارقين ، وحمل إلى الكوفة بوصية منه ، وله في ذلك حديث يطول شرحه ، ودفن فيها في برية النجف الأشرف[٢] مجاور مشهد مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان قتل أبيه وعمّه وأخويه في الثالث من ذي القعدة سنة أربع مئة هذا[٣] .

وقد اختلف أرباب اللغة في اشتقاق الوزارة على قولين ، أحدهما أنّها من الوزر بكسر الواو ـ وهو الحمل ـ فكأن الوزير قد حمل عن السلطان الثقل ، وهذا قول ابن قتيبة والثاني : أنها من الوزر بالتحريك وهو الجبل الذي يعتصم به لينجي من الهلاك ، وكذلك الوزير معناه الذي يعتمد عليه السلطان ،ويلتجيء إلى رأيه ، وهذا قول أبي اسحاق الزجاجي[٤] .

وقيل إنّه من الأزر الذي هو بمعنى الظهر ، يقال : آزرني فلان على أمري أي كان لي ظهراً ، ومنه المئزر ، لأنه يشدّ على الظهر ، والإزار لأنّه يسبل على الظهر والتأزير التقوية ويمكن أن يكون ازرَ ووزر مثل ارخ وورخ وأكد ووكد قال امرؤ القيس :

بمنجيةٍ قد أُزر الضال بيتها مصمّ جيوش غانمين وجنب

وفي الوفيات : أنّ أول من وقع عليه اسم الوزير وشهر بالوزارة ولم يكن من قبله يعرف بهذا النعت ، لا في دولة بني أمية ولا غيرها من الدول : هو الوزير أبو

---

(١) الزيادة من الوفيات .

(٢) الوفيات : ودفن بها في تربة مجاورة لمشهد . . .

(٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٢٨-٤٣٣ .

(٤) وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٤٦ .

سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني مولى السبيع وزير أبي العباس السفاح أوّل خلفاء بني العباس وكان يدعى بوزير آل محمد فلما قتل عمل في ذلك سليمان بن المهاجر البجلي :

إنّ المساءة قد تسرّ ، وربما كان السرور بما كرهت جديرا
إن الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزيرا[1]

٢٦٨

الشيخ الرئيس ومصدر التأسيس أبو علي حسين بن عبد الله بن سينا(*)

بكسر السين المهملة وإشباع الياء والنون الممالة إلى الألف المقصورة كما ضبطه ابن خلكان أصله من أفشنة بخارى .

وذكر تلميذه الشيخ أبو عبيد الجوزجاني كما في « تلخيص الآثار » قال : حدثني أستاذي أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا أنّ أباه كان من بلخ ، انتقل إلى بخارى في زمن نوح بن نصر الساماني ، وتصرف في الأعمال وتزوج بأفشنة فولدت منها ، وطالعي السرطان والمشتري والزهرة فيه ، والقمر وعطارد في السنبلة ، والمريخ في العقرب ، والشمس في الأسد ، وكان المشتري في السرطان على درجة الشرف والشعري مع الرأس على درجة الطالع ، وكانت الكواكب في الحظوظ ، قال فلما بلغت سن التمييز : سلمني إلى معلّم القرآن : ثم إلى معلّم الأدب ، فكان كلّ شيء قرأه الصبيان على الأديب ، أحفظها والذي كلفني أستاذي : « كتاب الصفات » و« كتاب غريب المصنّف » ثم « أدب الكاتب » ثم « إصلاح المنطق » ثم « كتاب العين » ثم « شعر الحماسة » ثم « ديوان ابن الرومي » ثم « تصريف المازني » ثم « نحو سيبويه » فحفظت تلك الكتب في سنة

---

(١) نفس المصدر .

(*) له ترجمة في : آثار البلاد ص ٢٩٩ ، تاريخ الحكماء ص ٤١٣ ، تاريخ حكماء الإسلام ص ٢٧ ، حبيب السير ج ٢ ص ٤٤٣ ، سلم السموات ، عيون الأنباء ص ٤٣٧ ، الكنى والألقاب ج ١ ص ٣٢٠ ، لغت نامه ألف ص ٦٤١ ، مجالس المؤمنين ص ٣٣٠ ، مرآة الجنان ج ٣ ص ٤٧ ، نامه دانشوران ج ١ ص ٨٩ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٥ .

ونصف ، ولولا تعويق الأستاذ لحفظتها بدون ذلك ، وهذا مع حفظي وظائف الصبيان في المكتب فلما بلغت عشر سنين كان الناس في بخارى يتعجبون مني ، ثم شرعت في الفقه فلمّا بلغت اثنتي عشرة سنة كنت أفتي في بخارى على مذهب أبي حنيفة ، ثم شرعت في علم الطب ، وصنّفت « القانون » وأنا ابن ستّ عشرة سنة ، فمرض نوح بن نصر الساماني فجمعوا الأطباء لمعالجته فجمعوني أيضاً معهم ، فرأوا معالجتي خيراً من معالجات كلّهم ، فصلح على يدي ، فسألت أن يوصي بخازن كتبه أن يعيرني كل كتاب طلبت ففعل فرأيت في خزانته كتب الحكمة من تصانيف أبي نصر بن طرخان الفارابي ، فاشتغلت بتحصيل الحكمة ليلاً ونهاراً حتى حصّلتها ، فلما انتهى عمري إلى أربع وعشرين كنت أفكّر في نفسي ما كان شيء من العلوم أنّي لا أعرفه[١] انتهى .

وذكر صاحب « روضة الصفا » أنّ والد أبي علي المذكور كان من عمّال بلخ وتزوّج بامرأة من الرساتيق اسمها ستارة ، فولد أبو علي منها في سنة ست وسبعين وثلاث مئة وولد محمود منها بعد خمس سنين ، فارتحل أبوه إلى بخارى وجعله في المكتب ، فلما بلغ عشراً فرغ من أصول العربية وقواعد الأدب ، وكان أبوه بعد فراغه من الأشغال الديوانية يطالع أخوان الصفا ، وكذا أبو علي في بعض الأحيان ، وكان في بخارى بقّال يسمّى بمحمود المسّاح ، له يد في الحساب والجبر والمقابلة ، فقرأ عنده بأمر أبيه الحساب ، وقرأ عند الحكيم أبي عبد الله الناتلي[٢] المذكور اسمه في « تاريخ الحكماء » قسم المنطق وكذا اقليدس والمجسطي ، وكان قد أضافه أبوه في داره ، ثم اشتغل بالطبيعي والإلهي ثم بعد ذلك بالطبّ فبلغ بقليل من الزمان مرتبة لم يبلغها أحد قبله ، وكان يحضر مجلسه الأطباء الحذاق ، ومع هذا كان يتردّد إلى مجلس اسماعيل الزاهد لقراءة الفقه والأصول ، ولم يكن في آن فارغاً من المطالعة والكتابة ، وقليلاً من الليل يهجع ويراعي شرائط قواعد المنطق في تحصيل المطالب ، وإذا تردّد في مسألة يتوضأ ويعزم جامع البلد ، فيصلي فيه ركعتين بالخشوع ، ويشتغل بالدعاء والإستعانة إلى أن ترتفع شبهته ، وكان

---

(١) راجع آثار البلاد في ذيل ترجمة أفشنة ص ٢٩٩ .

(٢) ناتلة بكسر التاء المثناة من فوقها ، ولام ، ويقال بغيرها « ناتل » مدينة بطبرستان .

يأتي الليل إلى الوثاق ويهيء السراج ويشتغل بالقراءة والكتابة وإذا غلبه النوم شرب قدحاً من الخمر ، ولم يكن أحد من حكماء الإسلام شرب قبله بل حكماء قبل الإسلام من اليونانيين لم ينسبوا إلى هذا الأمر الشنيع وكان أبو علي يبالغ في إجراء الشهوة ، وأكثر الحكماء بعده اقتدوا به في اتباع الملاذ النفسانية فصاروا بعد وفاتهم كأن لم يكونوا قطّ .

وحكى أنّ الأمير نوح بن منصور السّاماني كان قد عرضه مرض في تلك الأيام عجز عنه الأطباء ، فرجعوا إلى الشيخ فعالجه فأفاد فجعله ملازم بابه ، وهو أوّل حكيم لازم باب الحكام وأرباب الحكم ، وجعله محرماً لخزانة كتبه فدخلها واستفاض منها بكلّ خير من المتقدمين والمتأخرين الفارابي وغيره ، فاتفق أن ألقى النار فيها وكبت سائر الكتب ، واتّهم أبو علي بأنه ألقاها ليسند التحقيقات إلى نفسه ، فلما بلغ اثنتين وعشرين سنة توفي أبوه ، ووقع تزلزل عظيم في دولة آل سامان فتوجّه أبو علي إلى خوارزم وكان في ملازمة خوارزمشاه علي بن مأمون كثير من الحكماء والعلماء ، مثل أبي سهل المسيح وأبي ريحان البيروني ، وأبي الخير الخمار وغيرهم ، فقرر لأبي علي المعيشة واتفق أن جرى بينه وبين أبي منصور الأديب الإصفهاني كلام في اللغة فقال له أبو منصور أنت من الحكماء وهذه مسألة من اللغة يحتاج إلى السماع وأنت ما تتبعته .

فتأثر الشيخ من هذا الكلام ، واشتغل بدرس ومطالعة اللغة ، فصار في زمان قليل ماهراً فيها ، وأنشد قصائد ثلاثاً ، ورسائل ثلاثاً ، وأدرجها ألفاظاً غريبة ، وكتبها على قراطيس بالية ، وجلّدها جلداً عتيقاً فأراها علاء الدولة أبا منصور بأمره في المجلس ، وكان أبو علي يقول له في كلّ لغة مشتبها هذه مذكورة في كتاب كذا ، فعرف أبو منصور أنها منه واعترف بفضيلته في جميع الفنون واستعفاه ، ولما عرف آثار الموت تاب إلى الله من جميع المناهي ، وتصدّق بأمواله على الفقراء وأعتق مماليكه ، وختم القرآن ، ومات بعد ثلاثة في جمعة شهر رمضان سنة سبع وعشرين وأربع مئة وقال بعض الفضلاء في تاريخه :

حجت حق أبو علي سينا در شجع آمد از عدم بوجود
در شصا كسب كرد جمله علوم در تكز كرداين جهان بدرود

ثم قال بعد ذكره لهذه الجملة ، وقال الشيخ في آخر الشفاء ليس لنا دليل عقلي على وجوب حشر الأجساد كما لا دليل لنا على امتناعه ، ولكنه لما أخبر به الصادق المصدق (ع) نصدّقه فيما أخبر به ولهذا يلزم حبس اللسان عن الطعن فيه قال :

وقال كنت مأيوساً من معرفة علم ما بعد الطبيعة إلى أن وجدت كتاباً من الفارابي ففزت بمعرفة ما يئست منه وسجدت لله شكراً مرات وتصدّقت بمقدار الوسع انتهى .

وأقول فلو ثبت ما نسب إليه من الفسق والفجور وشرب الخمور فهو من جهة كون النفس إلى ما خلق منه أميل كما يستفاد من الأخبار وذلك لكون أبيه كما عرفته من رؤساء الديوان ومردة الشيطان ، ومنه سمّي هو أيضاً بالرئيس كما سمّى سمينا الداماد بالداماد ولم نر إلى الآن من كان أبوه كذلك إلاّ وقد رجع إلى أصله في زمن من الأزمان لا محالة ، كما جرّبناه مراراً . هذا .

وقد ذكره ابن خلّكان المؤرخ أيضاً في كتاب تاريخه فقال وكان أبوه من أهل بلخ وانتقل منه إلى بخارى وتولى العمل بقرية من قراها وولد الرئيس أبو علي بها وكذلك أخوه ، ثم انتقل إلى بخارى.وانتقل الرئيس بعد ذلك في البلاد واشتغل بالعلوم وحصّل الفنون ، وكان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصنيفه ، وصنّف كتاب «الشفاء» في الحكمة و« النجاة » و« الإشارات » وغير ذلك وله رسائل بديعة منها رسالة « حي بن يقظان » ورسالة « سلامان وابسال » و« رسالة الطير » وغيرها وتقدّم عند الملوك وخدم علاء الدولة بن كاكويه ، وعلت درجته عنده ، وهو أحد فلاسفة المسلمين وله شعر فمن ذلك قوله في النفس :

هبطت إليك من المحل الأرفع	ورقاء ذات تعززٍ وتمنعِ
محجوبة عن كل مقلة عارف	وهي التي سفرت فلم تتبرقعِ
أنفت فما ألفت[1] فلما واصلت	ألفت مجاورة الخراب البلقعِ
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى	ومنازلاً بفراقها لم تقنعِ

(١) خ ل أنست .

حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها من ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت بين المعالم والطلول الخضّع
تبكي وقد نسيت عهوداً بالحمى بمدامع تهمي ولمّا تُقلع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدت تغرّد فوق ذروة شاهق والعِلمُ يرفع كل من لم يرفع
وتعود عالمةً بكل خفية في العالمين فخرقها لم يرقع
فهبوطها إن كان ضربة لازب لتكون سامعةً بما لم تسمع
فلأي شيء أهبطتْ من شاهقٍ[1] سام[2] إلى قعر الحضيض الأوضع
إن كان أهبطها الإله لحكمة طويت عن الفطن[3] اللبيب الأروع
إذ عاقها الشرك الكثيف فصدّها قفص عن الأوج الفسيح الأربع[4]
فكأنما برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

ومن المنسوب إليه أيضاً ولا أتحققه قوله :

اجعل غذاءك كل يوم مرة واحذر طعاماً قبل هضم طعام
واحفظ منيك ما استطعت فإنه ماء الحياة يُراق في الأرحام

وينسب إليه أيضاً البيتان اللذان ذكرهما الشهرستاني في أوّل كتاب « نهاية الأقدام » وهما :

لقد طِفت في تلك المعاهد كلها وسيّرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلّا واضعاً كف حائرٍ على ذقنٍ أو قارعاً سنّ نادمِ

وفضائله كثيرة مشهورة وكانت ولادته في سنة سبعين وثلاث مئة وتوفي بهمدان في سنة ثمان وعشرين وأربع مئة ، وحكي شيخنا عزّ الدين أبو الحسن علي بن الأثير في تاريخه الكبير أنّه توفي بإصفهان والأوّل أشهر ، وكان الشيخ كمال الدي بن يونس يقول إنّ مخدومه سخط عليه واعتقله ، ومات في السجن وكان ينشد :

---

(١) خ ل : شامخ .
(٢) خ ل : عال .
(٣) ح ل : الفذ .
(٤) خ ل : الأرفع .

رأيت ابن سينا يعادي الرجال وفي السجن مات أخسّ الممات
فلم يشف ما ناله بـ(الشفاء) ولم ينج من موته بـ(النجاة)

هذا[١] وله أيضاً في معنى ما ورد عن علي (عليه السلام) أنّه قال خصلتان لا شيء أحسن منهما : الإيمان بالله والنفع للمسلمين ، وخصلتان لا شيء أقبح منهما : الشرك بالله ، والإضرار بخلقه ، قوله :

كُن كيف شئت فإنّ الله ذو كرمٍ فما عليه بما تأتيه من باسِ
سوى اثنتين فلا تقربهما أبداً الشرك بالله ، والإضرار بالناس

وله أيضاً في تعريف الحواس الظاهرة والباطنة بالفارسية :

سمع وبصر است وشمّ وذوقست ومساس
مجموع حواس ظاهر اى معجز ناس
پس مشتركه مخيله فكرت ووهم
با حافظه‌دان تو پنج باطن زحواس

وله أيضاً في المعرفة :

كسرا بكمال وكنه ذاتت ره نيست بر فعل تو ميكنند ذات تو قياس

وله أيضاً :

در معرفت چه نيك فكرى كردم معلومم شد كه هيچ معلوم نشد

وله أيضاً :

معشوق جمال مينمايد شب وروز كو ديده كه تا برخورد از ديدارش

وله أيضاً بالعربية :

إعتصام الورى بمعرفتك عجز الواصفون عن صفتك
تُب علينا فإننا بشر ما عرفناك حق معرفتك

هذا وقال شيخنا الكفعمي رحمه الله في باب ما ينفع من لسع العقارب والحيّات وسائر المؤذيات : وقال ابن سينا في النشادر شعراً :

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٤١٩ ـ ٤٢٤ .

فـريحـة تـقـتـل الأفـاعـي — وللهـوام والـدبيب السـاعـي
ووزن مـثـال إذا مـا شربـا — مـع وزنـه من الـرجيـع أنجبـا
وخـلص السـميـم مـن ممـاتـه — من بعد يأس الإنس من حياته(١)

ونقل عنه أيضاً صاحب الإثني عشرية لصاحب الزكام هذه الرباعية :

في أوّل الـنـزلـة فـصـدٌ وفي — أواخـر الـنـزلـة حمـام
بـيـنهـما مـاء شـعـير بـه — صحّت مـن النـزلـة أجسـام

وفي بعض المـواضع أنّـه كان مـاهراً في جميـع العلوم والـواضحـة والغـريبـة والحكمية والرسمية بأقسامها ، وكـان ينكر من أوّل أمـره علم الكيمياء بحيث قـد تعرض لإبطاله كما هو حقه في كتاب « الشفاء » ولكنه كتب في أواخر الأمر رسالة في صحته سمّاه « حقائق الأشهاد » كما في الكشكول .

وفي بعض تـواريخ البـلاد وغيره حكـاية أنّ الـدولة السـامانيـة لما انقـرضت وصـارت النعمة لبني سبكتكـين ، فولى السلطان محمـود المعظم تكلّم عنـده بعض حسـدة الشيخ أبي عـلي المذكـور في مـذهبـه ، فـأرسـل السلطان في طلبـه إلى والي الخوارزم ، فهرب هو من بخارى إلى نـواحي خراسـان وطبرستـان ، وعزم خـدمة الأمـير شمس المعالي قـابـوس ابن وشمگـير ، فصـار من المعـظمـين لـديـه طـول حكومته .

ثمّ لما اختلّ أمر استرآباد بابتلاء الأمير المذكور توجّه إلى أرض الجبـال لخدمـة آل بويه الـديلميين ، وورد بهـا على ملكـة الزمـان زوجة فخـر الدولـة ، فصار من حُسن الإتفاق له أن عرض في ذلك البين بولـدها السلطان مجـد الدولـة عارض من الماليخوليا الصعبة العلاج ، فتصدّى الشيخ لمعالجته بما قد كتب عنه فحصل له عند ذلـك الـبيت وقع عـظيم وأصابـه منهم الخـير الكثـير ، وكتب هنـاك أيضـاً بـاسم السلطان المذكور كتاب المعاد ، ثم لما ورد القاصد إليهم بتوجه السلطان محمود إلى المملكة وظهر بذلك الفتـور في نظامهـا انتقل الشيـخ إلى نواحي قـزوين وهمدان ، فاستوزره بها شمس الدولة ابن بويـه أخو مجـد الدولـة ، وكان صـاحباً لهمـدان ،

---

(١) المصباح ص ٢٢٤ .

فبقي في وزارته أيضاً مدة . ثم لما انتهى الأمر إلى ولده الملقّب بتاج الدولة لم يقبل وزارته بل استتر عنه لبعض من كان يحسد عليه من قوّاد ذلك الباب إلى دار رجل من أشراف البلد ، واشتغل فيها باتمام كتاب(الشفاء) ، وكان يكتب منه كل يوم خمسين ورقاً من غير مراجعة إلى كتاب ، حتى استكمل منه مباحث الإلهي والطبيعي .

وكتب أيضاً في السر إلى الأمير علاء الدولة بن كاكويه صاحب إصفهان وابن خالة ملكة الزمان مظهراً له العزيمة إلى صوبه العالي ، فاطّلع عليه تاج الدولة ، فسعى في طلبه إلى أن ظفر به فحبسه في بعض القلاع فبقي في ذلك الحبس أيضاً أربعة أشهر مشغولاً بتصنيف كتاب « الهداية » ورسالة « حي بن يقظان » وكتاب « القولنج » وكتاب « الطير » وكتاب « الأدوية القلبية » وغير ذلك إلى زمان توجه علاء الدولة إلى همدان وتحصّن الأمر بالحبس نفسه في تلك القلعة ، ثم رجوعه بعد برهة إلى إصفهان وطمأنينة خواطر تاج الدولة من ذلك فأخرجه معه إلى البلد وأنزله داراً من العلويين قد صنّف فيها كتاب « منطق الشفاء» ثم توجه منها بلباس المتصوفة مع أخيه الشيخ محمود المولود بعده بخمس سنين ، وجماعة من تلامذته وأصحابه إلى إصفهان .

فلمّا قربوا منها خرج إلى استقباله أركان الدولة العلائية ، مع الخلع الفاخرة، والمراكب الباهرة ، وأنزلوهم المنازل الحسنة وأفادوا لهم من كل شيء ، ثم لما دخل الشيخ على مجلس السلطان علاء الدولة وأصيب منه أتمّ التبجيل طلب منه الحضور لديه في ليالي الجمعات مع سائر العلماء وأهل الأدب ، فأجابوه إلى ذلك .

وقد كتب الشيخ في هذا البين كتابه الموسوم بـ « الحكمة العلائية » وكأنّه ما يلقب في الفارسية بـ « دانش نامهٔ علائي » وفرغ أيضاً من تتمة مباحث الشفاء وخصّ كلّ يوم منه بمزيد كرامة وتعظيم إلى أن توجّه السلطان محمود الغزنوي وابنه السلطان مسعود ثانياً إلى العراق ، وذلك في سنة عشرين وأربع مئة فخاف هو والأمير علاء الدولة على أنفسهما وانصرفا إلى حدود سابور مختفين بها إلى أن عاود السلطان وخلّف ولده المذكور بإصفهان للحكومة فأشخص عند ذلك الأمير علاء الدولة إلى حضرة السلطان مسعود ولده بالهدايا والتحف الفاخرة يستعطفه

إلى نفسه ، فقبلها منه وأعطاه الأمان وولاه الحكومة بإصفهان مثل الأول ورجع هو نفسه ، فكان علاء الدولة بها إلى أن استقلّ فيها ثانية الحالة فصدر منه تقصير هوان في الخدمة ، فأقبل إليه في هذه الكرة بجنود غير معدودة ، وهزمه وسبى أخته فاغتّم الشيخ من ذلك وكتب إليه أنّ هذه المرأة من أحسن أكفائك لو نكحتها لصار إليك البلد بطيب الأنفس فأعجب السلطان كلامه وأجابه إلى النكاح .

ثمّ لّما عزم علاء الدولة على الخروج عليه غضب غضباً شديداً وكتب إليه يهدّده بأن أختك بيدي ولسوف أجعلها بأيدي من شئت ، فاضطرب العلاء من تلك الرسالة والتمس من الشيخ حيلة في الأمر ، فكتب الشيخ أنّ هذه حرمتك اليوم ولو طلقتها فمطلّقتك فليكن غيرتك عليها أكثر من غيرة أخيها بكثير ، فانتبه السلطان وانتهى مما كان يريده ، وأرسلها إلى أخيها بجهاز عظيم .

ثمّ لما توفى السلطان محمودو وعاود ولده المسعود إلى خراسان وكان قد فوّض أمر العراق إلى الأمير أبي سهل الحمدوني جرت في همدان بينه وبين العلاء في ذلك البين وقعات ، فانهزم العلاء وهجم أبو سهل على إصفهان في تلك الكرة ونهب العسكر وفيها نهبوه سائر كتب الشيخ وأسبابه ، بحيث قد نقل أنّه لم يبق بعد ذلك من أبكار أفكار الشيخ غير ما جدّد تصنيفه من ظهر القلب على حذو ما تلف منه ، فاتفقت كرة أخرى من العلاء على أبي سهل المذكور بإصفهان .

وتعرّض لدفع بعض من قصد الدولة وفي هذه الكرة عرض الشيخ فتور في الجسد لزمه من كثرة المباشرة ، وانجرّ إلى حدوث قولنج فيه شديد ، فأخذ في معالجة نفسه حتى أنّه حقن نفسه يوماً ثماني مرات حرصاً على الحياة وتمكيناً من الفرار لنفسه لو احتيج إليه ، فلحقه منها سحج وجرح في بعض الأمعاء ، ومعه لم يدع خدمة السلطان ، وخرج معه إلى ذلك الخارج وكان يعالج نفسه في الطريق إليه وزمان المحاربة معه ويزاد بكلّ ما يرد عليه مرضاً وفتوراً إلى أن قوي القدر وعمي البصر ، فاستدخل بعض فتيته الخائنين ببعض قطعاته الخائفين منه جزءاً من الأفيون في معجونٍ كان قد عمله الشيخ لنفسه فلما شربه تغيّرت عليه الحال ، فحملوه إلى البلد وعالج نفسه من تلك الصدمة أيضاً إلى أن قدر على المشي ، وكان لا يستطيع القيام قبله ، ففرح بقدرته على الخروج مع العلاء وكونه في الموكب

غافلاً أنّ في تلك الحركة كان هلاكه ، فلما خرج عادت أمراضه وفسد أغراضه واشتدّ سوء حاله ، إلى أن ورد ماء همدان ، فوجد من نفسه فتوراً في الجوارح وسقوطاً من القوى ، وأحسّ بعلامات الموت ، فبئس من الحياة وترك العلاج وبقي كذلك أيضاً أياماً إلى أن مات وفي بعض المواضع المتقدّمة أنّه صنف في إصفهان مصنّفات أخر والتمس علاء الدولة منه رصداً جديداً وحوّل محاويجه بالخزانة ، فربطه فلم يتمّ لكثرة العوائق .

ويقال : إنّ أكثر فقهاء العامة في زمان هذا الشيخ جروا على تكفيره لما قد برز منه في كتاب الشفاء من القول بقدم العالم ونفي جسمانية المعاد وأمثال ذلك ، وقد اعتذر عنه بعض الطائفة بأنّ مقصده لما كان في ذلك الكتاب تحرير مطالب المتقدمين لم يمكن الإيراد به عليه ، بخلاف ما أورده في الإشارات ، فإنّه الصادر عن حقيقة ما في قلبه ، وخال عن أمثال ما ذكر من الكفريات بل مصرح بخلافه ولنعم ما قال بالفارسية في حق نفسه :

كفر چه منى گزاف وآسان نبود محكم تر از إيمان من إيمان نبود

در دهر چو من يكى وآن هم كافر پس درهمه دهر يك مسلمان نبود

وقد يسند إليه أيضاً الذهاب إلى استحلال المدام للأنفس الكاملة والمواد القابلة بشروط مقررة زعماً منه أنّ بسقيه إنّما يتقوى ما في الجبلة ، ويتحرّك ما في الغريزة ، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً ، كما قال المثنوي :

باده نى برهر سرى شر ميكند آنچنان را آنچنانتر ميكند

قيل ولهذا لم يكن له عند الحكماء عظيم موقع ، ولا اعتمد على تحقيقاته في الفنّ ولا أدخل في درجات المعلّمين إليه ولا أسند إليه أم عنه فيما استتبعناه إلى الآن .

وقال شيخنا البهائي فيما نقل عنه صاحب المجمع في مادة سين ولم يذكر فيها غيره قال الشيخ العارف مجد الدين البغدادي ، قال رأيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المنام فقلت ما تقول في حق ابن سينا فقال هو رجل أراد أن يصل إلى الله بلا واسطتي فحجبته هكذا بيدي فسقط في النار .

وقد بالغ سميّنا المجلسي ـ رحمه الله ـ أيضاً في البحار وغيره في تخطئة هذا

الرجل وقال أنّه صرّح في رسالة « المبدأ والمعاد » بعقلانية اللّذات الأخروية ولكنه في كتاب الشفاء وكل الأمر في المعاد الجسماني إلى صاحب الشريعة تقية من علماء الإسلام .

وأصرّ صاحب الدر المنثور أيضاً على تخطئة الإمام الغزالي المشهور وأنّه لم يستبصر في أواخر عمره أيضاً ، نعم في المحكى عن كتاب فصل الخطاب أنّ الشيخ أبا علي المذكور تاب في آخر عمره وتصدق على الفقراء كثيراً وردّ المظالم إلى أهلها وختم القرآن في كل ثلاثة أيام ، وذكر اليافعي في تاريخه أنّه اشتغل بالتنسّك وأدركه الله مع سابغ عنايته وواسع رحمته .

وعندي أنّ الرجل مضافاً إلى ما فيه من الفضيلة كان يجري على مذاهب أهل السنة كما سبق لك من كلام نفسه ولذكرهم إيّاه في تراجمهم بأتّم قبول وعدم تحقيق له في الإمامة أو تصنيف في فقه الإمامية مع أنّه كان من أهل ذلك معتضداً بأنّه لو كان من أهل الورع في التحصيل وأصحاب الهداية والنجاة ، لما ابتلى بخدمة أبواب الظالمين من الملوك ، ولا قال بحلية الخمور ولا ارتكب شيئاً من الفجور ، كما لم يعهد لأحد من علماء الشيعة أبداً شيء من ذلك ، ويضلّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء .

نعم في كتاب « المجالس » أنّه ولد على فطرة التشيّع والإيمان مستشهداً بملازمته للملوك الشيعة دون غيرهم ، وكذا باشتراطه الأفضلية في خليفة الزمان ، وثبوت النص والإجماع عليه وخصوصاً التنصيص ، كما يشير إلى ذلك ما ذكره في نبؤات كتاب الشفاء من أن رأس الفضائل فقه وحكمة وشجاعة ومن اجتمعت له معها الحكمة النظرية فقد سعد ومن فاز مع ذلك بالخواص النبوية كاد أن يصير ربّاً إنسانياً ، يحلّ عبادته بعد الله تعالى ، وهو سلطان العالم الأرضي وخليفة الله فيه إلى غير ذلك مما قد بالغ في اشتراطه في الخلافة وليس يشكّ عاقل في عدم وجود شيء منها في الثلاثة كيف وإجماع المسلمين على صدور ألفاظ اعتراف الثاني بالعجز والجهالة ممّا لا ينكر ، ومنها قوله سبعين مرة لولا علي لهلك عمر ، مضافاً إلى ما نقل عن الشيخ الموصوف من التشبيه العجيب حيث يقول علي بين الخلق كالمعقول بين المحسوس ، ومن شعره في مديح أمير المؤمنين (عليه السلام) بالفارسية :

بـــر صفحـــهٔ چهـــرههـــا خط لم يـــزلی معكـــوس نـــوشتـــه است نـــام دو عـــلی
بـك لام ودو عين بـا دو يـاى معكـوس از حـاجب وعـين وأنف بـا خطّ جـلی

ومن الرباعيات له أيضاً :

تـا بـادهٔ عشق در قـدح ريختـهانـد وانـدر پی عشق عـاشق انگيختـهانـد
در جـان وروان بـوعـلی مهـر عـلی چـون شـير وشكـر بهم در آميختـهانـد

وفي كتـاب « سلّم السموات » للشيـخ أبي القاسم بن الشيـخ أبي حامـد بن الشيخ أبي نصر الحكيم الشيرازي الكازروني ، عند ذكره لهذا الرجل : كان تلميذاً لتصانيف الفارابي ، وأستاداً للحكماء الإسلاميين ، ولم ينتفع أهل الحكمة النظرية والأطبـاء بعد ارسـطاطاليس وأفـلاطون الإلهي من أحـد مثل مـا انتفعوا من آثـاره وتعليقـاته ولـذا لقّبوه بـالشيخ الـرئيس ، وقـد خـالف الفـارابي في بعض المـطالب الحكمية مثل مفهوم القضية الذهنية وجالينوس في بعض المسائل الـطبية مثـل قولـه بـأن جراحـة السلّ لا تقبـل الإلتيام لأنّها في عضـو متحـرك وهي الـريـة ، والتيـام المتحرّك لا يتيسّر إلاّ بالسكون ، فنقضه بسلّ الغنم فإنّ التيامه أمر محسوس .

وذكر البيهقي في تاريخه أنّ الشيخ أصلح كثيراً في الأهوية المختلفة والأمكنـة المتباعدة جراحة السـلّ وعالجهـا بالـورد المقنّد واللّبن الحليب ، ومـذهبه كمـذهب أرسطاطاليس وأكثر الحكماء المشّائين أنّ حقيقـة الواجب تعـالى شأنـه وجود خـاص متعـينّ بذاتـه المقدسـة ، وصفاتـه الكماليـة التي هي عين ذاته مثـل العلم والقـدرة والحياة والإرادة ، وهو من إدراك كمالاته الذاتية في لذة سرمـديّـة ،وكما أنّـه يتحصّل شعاع الشمس من نفس الشمس ظهر من نور حقيقة ذلك الوجود الأقدس بمقتضى علمـه وإرادتـه جـوهـر مجـرّد محيط بجميـع المـوجـودات التي هي تحت الملكـوت الأعظم ، إحاطة العلّة بمعلولها وهو الذي يسمّونه بالعقل الأوّل والمعلول الأوّل .

وذكـر بعضهم أنّه ظهـر من هذا المعلول الأوّل جـوهران أحـدهما مجـرّد وهو العقـل الثـاني ، والآخـر مـادي وهـو فلك الأفـلاك المحيط بجميـع السمـوات والأرض ، وهكـذا ظهر من كـل عقل عقـل وفلك إلى أن انتهى الأمـر إلى العقـل العاشر فصارت العقول عشرة ، والأفلاك تسعة ، والعقل العاشر عندهم هـو مبدأ العناصر والعالم السفلي ، ويسمونه بالعقل الفعال ثم لم يظهر جـوهر عقـلي من هذا

العقل إلّا أنّه متى حدث في مادة استعداد تعلّق نفسه بها أفيض عليها من هذا العقل نفس ، فعند الشيخ عدد العقول عدد مجموع الأفلاك بزيادة واحد آخر هو العقل الفعال وحركات الأفلاك عند الشيخ وسائر المشائين إرادية ، والأفلاك والكواكب بجملتها عندهم أصحاب شعور وإرادة كما ينسب إلى الشيخ في هذا المعنى قوله :

جعل وخنفساء ومور زبون همه جان دارو اين فلك بيجان !

واعتقدوا في كل فلك أيضاً وجود روحانيات كثيرة ، ونفوس قدسية غير محصورة وهذا الطبقة من الحكماء قائلون بحياة النفوس البشرية وبقائها بعد مفارقتها الأبدان ، ويقولون بالثواب والعقاب الروحانيين وأنّها يجري بمقتضى أعمالها في الدنيا إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً إلى أن قال :

وقد تمسك الشيخ في رسالة له كتبها في الصلاة بالأدلة النقلية والإعتراف بالنبوة ، وسائر أركان الدين ظاهر من سائر مؤلفاته وله في العلوم العقلية تصانيف مشهورة مثل « الشفاء » و« الإشارات » و« القانون » و« عيون الحكمة » و« التعليقات » و« الموجز الكبير » وله أيضاً في العلوم الغريبة مؤلفات مثل «كنوز المعزمين » و« رسالة في عمل التأليف والتبغيض » وتعليقات متفرّقة في خواص الأعداد ، وقد صحّ بعضها بتجربة المؤلف وقد انتهى بعض مسائل الهيئة والنجوم التي استند فيها بطلميوس الحكيم وغيره بأدلة الظنون عنده إلى درجة الحس واليقين ، مثل كون الشمس في الفلك الرابع ، والزهرة في الثالث كما يقول إني رأيت الزهرة كهالة على وجه الشمس ، وله في علم التعبير معرفة تامة ، وينقل عنه صاحب التعبير القادري كثيراً . هذا ومن جملة مصنفات الرجل أيضاً سوى ما ظهر لك من البين كتابه الكبير المشهور المسمى بـ « القانون » قانون الشفاء في علم الطب ومتعلقاته من أحوال الأدوية والأغذية وخواصها ومنافعها وكتاب كبير له في تعبير الرؤيا جمع فيه بين طريقتي العرب واليونانيين ، هدية إلى بعض أمراء زمانه وكأنّه علاء الدولة المتقدّم ذكره ، ومنها رسالة في تحقيق اسم الباري تعالى ورسالة له في « العشق » كما في الكشكول وممّا ذكره فيها بنقله أيضاً هو أنّ العشق سار في المجردات والفلكيات والعنصريات والمعدنيات والنباتات والحيوانات حتى أنّ

أرباب الرياضي قالوا الأعداد المتحابة واستدركوا ذلك على أقليدس وقالوا فاته ذلك ، ولم يذكر وهي المئتان والعشرون عدد زائد على أجزاء أكثر منه وإذا جمعت كانت أربعة وثمانين ومئتين بغير زيادة ولا نقصان ، والمئتان أربعة وثمانون عدداً ناقصاً، أجزاؤه أقلّ منه، وإذا جمعت كانت جملتها مئتين وعشرين فكل من العددين المتحابين أجزاء مثل الآخر فالمئتان والعشرون لها نصف وربع وخمس وعشر ونصف عشر وجزء من أحد عشر وجزء من اثنين وعشرين وجزء من أربعة وأربعين وجزء من خمسة وخمسين وجزء من مئة وعشرة وجزء من مئتين وعشرين وجملة ذلك من الأجزاء البسيطة الصحيحة مئتان وأربعة وثمانون ، والمئتان والأربعة والثمانون ليس لها إلّا نصف وربع وجزء من أحد وسبعين ، وجزء من مئة واثنين وأربعين ، وجزء من مئتين وأربعة وثمانية وثمانين فذلك مئتين وعشرون فقد ظهر بهذا المثال تحاب العددين وأصحاب العدد يزعمون أنّ ذلك خاصيّة عجيبة في المحبة مجرّب انتهى .

وفي بعض مصنّفات مولانا أحمد النراقي ره ، أنّه قد كان بين هذا الشيخ وبين الشيخ أبي سعيد ابن أبي الخير الزاهد المتصوّف المشهور مكاتبات ومراسلات تكلّم كل منهما فيما كتبه على مشربه ومذاقه ولم تخل من لطف غير أنّا أعرضنا عن الذكر لجملتها حذراً عن التطويل ، وفي آخر بعض ما كتبه الشيخ هكذا :

وليعلم أنّ أفضل الحركات الصلاة وأفضل السكنات الصوم وأفضل البرّ العطاء ، وأزكى السير الإحتمال وأبطل السعي المراآة ، وخير العمل ما صدر عن خالص النية وخير النيّة ما خرج عن حباب علمه ، والحكمة أمّ الفضائل ، ومعرفة الله أوّل الأوائل ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ ، أقول هذا وأستغفر الله وأتوب إليه وأستكفيه وأسأله أن يقرّبني إليه إنه سميع مجيب ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله أجمعين .

ورأيت في تاريخ حمد الله المستوفى : إنّ الرجلين تلاقيا في موضع فلما افترقا سئل كل منهما عن صاحبه ، فقال الشيخ أبو سعيد ما أنا أراه هو يعلم ، وقال الشيخ أبو علي ما أعلمه هو يراه قلت : وفيما ذكراه إشارة إلى درجات علم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين ، وبعبارة أخرى يقين الخبر ويقين الدلالة ويقين المشاهدة ، وبتقرير ثالث مكاشفة في الإخبار ومكاشفة بإظهار القدرة ومكاشفة

القلوب بحقائق الإيمان ، وكلّ من الألفاظ الثلاثة بمعنى نفس اليقين ، إلاّ أن علم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان ، وعين اليقين ما كان بحكم البيان ، وحق اليقين ما كان بنعت العيان ، ومثل لذلك بمن علم ماهيّة النار مثلاً بالتعريف وبمن رآها بالعين ، وبمن تأثّر بها نفسه فعلم اليقين لأرباب العقول وعين اليقين لأصحاب العلوم ، وحقّ اليقين لأصحاب المعارف ، وللكلام في الإفصاح عن هذا مجال وتحقيقه يعدو إلى ما ذكرناه فاقتصرنا على هذا القدر على جهة التنبيه .

ثمّ ليعلم في مثل هذا الموضع : أن لمحمد بن أحمد بن عامر البلوى الطرطوشي السلمي المؤرخ اللغوي الأديب صاحب كتاب التشبيهات في اللغة وغيره كتاباً سماه «الشفاء في الطب» وكان من علماء الخمسين وخمس مئة وللحكيم صدر الدين علي الفاضل الكامل الطبيب الحاذق الجيلاني ثم الهندي أيضاً كتاب « الشفاء العاجل » ألّفه في مقابلة « برء الساعة » الذي هي لمحمد بن زكريا الطبيب الرازي المعروف وأجوبة المسائل الطبية الكثيرة وله أيضاً كتاب « شرح القانون الكبير » الذي هو للشيخ أبي علي بن سينا المذكور وكان معاصراً للسيّد الأمير أبي القاسم الفندرسكي المشهور ، واشتهر أنّه لما لاقاه السيد المذكور في بلاد الهند حين اشتغال هذا الحكيم بتأليف شرح القانون قال السيد : كان لي اعتقاد عظيم بالشيخ أبي علي بن سينا ولما رأيت هذا الحكيم تغيّر عنه اعتقادي وذلك لأني إذا رأيت كتب الشيخ سيّما الشفاء والقانون يظهر لمؤلفها فضل عظيم ولما شاهدت الحكيم المذكور واطّلعت على كيفيّة تأليفه لشرحه المزبور وأخذه وجمعه من الكتب الآخر مع عدم قوة فكره وشدّة تصرفه وقلّة معرفته علمت أنّ الشيخ كان أيضاً كذلك .

٢٦٩
الشيخ أبو عبد الله حسين بن موسى بن هبة الله الدينوري النحوي اللغوي المعروف بالجليس(*)

له كتاب في النحو سمّاه « ثمار الصناعة » ينيف على ثلاثة آلاف بيت محتوٍ

(*) له ترجمة في بغية الوعاة ج ١ ص ٥٤١ ، هدية العارفين ج ١ ص ٣١٠ وفيه أنه توفى سنة تسعين

على أكثر مطالب النحو والصرف وتقسيماتها وعللها في جميل طريقة ، وجيّد تقرير ، رأيت منها في هذه الأواخر نسخة جيّدة الخط في الغاية عتيقة جداً ، قد أنيف تاريخ كتابتها على ثمانين وخمس مئة .

وقال صاحب « البغية » مع تتبعه المعروف عند ذكره لهذا الرجل ، أكثر أبو حيان في التذكرة من النقل عنه ، وذكره الشيخ مجد الدين في « البلغة » فقال له كتاب « ثمار الصناعة » في النحو قلت نقل عنه ابن مكتوم في تذكرته أنّه قال فيه : علل النحو المشهورة أربعة وعشرون علّة : علّة سماع ، علّة تشبيه ، علّة استغناء ، علّة استثقال ، علّة فرق ، علّة توكيد ، علّة تعويض ، علّة نظير ، علّة نقيض ، علّة حمل على المعنى ، علّة مشالكة ، علّة معادلة ، علّة قرب ومجاورة ، علّة وجوب ، علّة جواز ، علّة تغليب ، علّة اختصار ، علّة تخفيف ، علّة دلالة حال ، علّة أصل ، علّة تحليل ، علّة إشعار ، علّة تضاد ، علّة أولى .

وقد بيّنتها مشروحة ممثلة في تذكرتي ، ثمّ في الطبقات الكبرى ، ناقلاً لذلك من كلام ابن مكتوم وأبي حيان وغيرهما ، وللجليس هذا ذكر في جمع الجوامع انتهى[1] وفي هكذا الكلام منه دلالة على أنّه لم يظفر بنسخة كتاب « ثمار الصناعة » أصلاً ، ولا اطّلع على أكثر مما ذكره من أحوال مصنّفه المذكور ، وإنّما أشار إلى شيء من الفتاوى المنقولة عنه ، في كتاب « جمع الجوامع » الذي هو متن همع هوامعه المشهور .

ثمّ ليعلم أنّ الدينوري نسبته إلى بلدة كانت في القديم على رأس مرحلة من شرقي مدينة كرمانشاهان ، وهي الآن قرية من القرى وكأنّها استقريت بتمدن تلك البلدة أيضاً على التدرج كما هو شأن كثير من الأطراف ، بل شيمة هذه الدنيا الفانية في نظر الإنصاف ، وضبط اسمها المذكور كما عن السمعاني المؤرخ بفتح الدال المهملة والياء المثناة من تحتها الساكنة ، والواو المفتوحة ، ثم الراء[2] على وزن كنكور الذي هو أيضاً اسم لبعض قرى تلك النواحي ، وذكر ابن خلّكان أنّ

---

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٤١ .

(٢) الأنساب ص ٢٣٨ .

دالها مكسورة لا غير ، وكأنّها حينئذٍ بالأشباع ثمّ قال وهي بلدة من بلاد الجبل عند قرميسين خرج منها خلق كثير[١] وأقول فمن جملة من خرج منها من العلماء والعرفاء : هو الشيخ أبو محمد عبد الله بن قتيبة اللغوي المشهور ، وسهيمه في العلم والأدب أبو حنيفة الدينوري الآتي إليهما الإشارة في عنوان الأوّل إن شاء الله .

ومنهم : الشيخ أبو علي النحوي أحمد بن جعفر الدينوري المتقدّم ذكره في ترجمة صهره ووالد زوجته ثعلب المشهور ، ومنهم : الشيخ أبو الحسن علي بن محمد ابن سهل الدينوري من كبار المشايخ ، صاحب الهيبة العظيمة ، كما عن أبي عثمان المغربي ، وهو غير الشيخ أبي الحسن علي بن سهل الصوفي الإصفهاني المدفون بها أيضاً في محلة الطوقچي ، قريباً من قبر الصاحب ابن عبّاد ، وكان من أقران الجنيد وأصحاب النخشبي ومن في طبقته كما في رسالة القشيري[٢] .

ومنهم الشيخ أبو بكر محمد بن داوود الدينوري المعروف بالدُّقي بضم الدال المهملة والقاف المشددة المكسورة ، وهو أيضاً من المشايخ ، وكذا ممشاذ الدينوري ، ومنهم : الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري الذي هو من أصحاب الجريري وابن عطا ويوسف بن الحسين وكان قد ورد بنيسابور وأقام بها مدة ، وكان يعظ الناس ويتكلم على لسان المعرفة ثم ذهب إلى سمرقند ومات بها بعد الأربعين وثلاث مئة ومن كلامه : أدنى الذّكر ما تنسى دونه .

٢٧٠
حسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الملقب بمحيي السنة(*)

نسبته هذه على خلاف القياس في النسبة إلى بلدة بخراسان بين مرو وهراة ،

---

(١) راجع الوفيات ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٢) له ترجمة في الرسالة القشيرية ص ٢٣ وذكر أخبار إصفهان ج ٢ ص ١٤ وفيه أنه توفي سنة سبع وثلاث مئة .

(*) له ترجمة في : البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٩٣ ، تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٢٥٧ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ٤٨ ، طبقات الشافعية ج ٧ ص ٧٥ ، العبر ج ٤ ص ٣٧ ، الكنى ج ٢ ص ٨٨ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٢٣ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٠٢ .

يقال لها بغ ، وبغشور بفتح الباء الموحدة والغين المعجمة الساكنة [وبعدها الشين المعجمة] وبعدها واو ساكنة ثم راء كما نقل عن السمعاني في كتاب « الأنساب » وكان هذا الشيخ إماماً بارعاً عديم النظير في علم التفسير وأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان معاصراً لحجة الإسلام الغزالي كما ذكره صاحب « تلخيص الآثار » .

وقال صاحب « الوفيات » في مادته أنّه كان فقيهاً شافعياً محدثاً مفسراً بحراً في العلوم تفقه على القاضي حسين بن محمد الذي هو من تلامذة القفال المروزي وصنّف في تفسير كلام الله تعالى ، وأوضح المشكلات من قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وروى الحديث ، ودرّس ، وكان لا يُلقي الدرس إلّا على الطهارة ، وصنّف كتباً كثيرة .

منها كتاب « التهذيب » في الفقه وكتاب « شرح السنة » في الحديث ، و« معالم التنزيل » في تفسير القرآن الكريم وكتاب « المصابيح » و« الجمع بين الصحيحين » وغير ذلك وتوفى في شوال سنة عشر وخمسمأة بمروروذ ودفن عند شيخه القاضي حسين بمقبرة الطالقان وقبره مشهور هناك .

أقول قد رأيت كتاب « مصابيح » البغوي الموصوف ، وكتب جماعة من الطائفة ينقلون عنها الأحاديث في مقامات ، وهو كتاب حديث جيّد في معناه معتمد على نقله مرقاه ذكر فيه الأحاديث الصحاح والحسان من النبويات بالخصوص أصولياتها وفروعياتها ، ويعني بالصحاح ما أخرجه الشيخان أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري ، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، في جامعيهما أو أحدهما ، وبالحسان ما أورده أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني وأبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي وغيرهما من الأئمة في تصانيفهم ، وأكثرها صحاح بنقل العدل عن العدل ، غير أنّها لم تبلغ غاية شرط الشيخين البخاري ومسلم في علو الدرجة من صحة الأسناد وإذ أكثر الأحكام ثبوتها بطريق حسن ، وما كان فيها من غريب أو ضعيف يشير إليه ويعرض عن ذكر ما كان منكراً أو موضوعاً ، كما صرّح بذلك كله في ديباجة كتابه الموصوف ، وهو يشبه « من لا يحضره الفقيه » من كتب أخبارنا في حذف الأسانيد وإسناد الخبر إلى راوي

الأصل ، ويزيد على عشرة آلاف بيت في ظاهر التخمين ، وفيه يوجد الخبر من كل باب ، وله شروح متعددة ، سمّي بعضها بالمفاتيح وبعضها بالكاشف عن أسرار السنن ، وهو للحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي المتقدم ذكره .

وقد كتبه من بعد شرحه (الكشاف) إلّا أن شرح كشافه في أربعة أجزاء كتاب ينيف على ثمانين ألف بيت ، وهذا الشرح منه يقرب من نصف ذلك في ظاهر التخمين وللشيخ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب المعاصر له المساهم إيّاه في العلوم أيضاً شرح علّقه قبل على هذا الكتاب بإشارته كما استفيد فلا تغفل .

ثم ليعلم أن من جملة ما روى في كتاب « المصابيح » صحيحاً بنص المصنّف ، وأنا أحببت إيراده هنالك تشديداً لقلوب المؤمنين وتبريداً لأفئدة أهل الحق والدين ، ما نقله في باب مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن سعد إبن أبي وقاص ، قال : قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) : أنت مني بمنزلة هارون من موسى (ع) إلّا أنّه لا نبي بعدي .

وقال علي (عليه السلام) والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، أنّه لعهد النبي الأمي إليّ أن لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق ، وعن سهل بن سعد رحمه الله أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال يوم خيبر لأعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحبّ الله ورسوله ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يرجون أن يعطاها فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الحديث .

ومن الحسان عن عمران بن حصين أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال أنّ علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن . وعن زيد بن أرقم عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال من كنت مولاه فعلي مولاه وعن حبشي بن جنادة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلام) علي مني وأنا من علي ولا يؤدي إلّا أنا أو علي . وعن ابن عمران قال آخى رسول الله بين أصحابه فجاء علي (عليه السلام) تدمع عيناه فقال آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنت أخي في الدنيا والآخرة ، غريب .

وعن أنس قال كان عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طير فقال أللّهم آتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير فجاء علي (عليه السلام) وأكل معه ، غريب . وعن علي (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنا دار الحكمة وعلي بابها ، غريب . وفي مناقب أهل البيت (عليهم السلام) أيضاً من الصحاح سعد بن أبي وقّاص قال لما نزلت هذه الآية ﴿ ندع أبنائنا وأبنائكم ﴾ دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال أللّهم هؤلاء أهل بيتي .

وعن عائشة قال خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي (عليه السلام) فأدخله ثم جاء الحسين (عليه السلام) فأدخله معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي (عليه السلام) فأدخله ، ثم قال : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ ومنها أيضاً في حديث أن رسول الله قال لفاطمة (عليه السلام) وهي تجزع على فراقه ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين . وعن المسود بن مخرمة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني وفي نسخة فمن أبغضها أبغضني . وفي رواية يريبني ما رابها ويؤذيني من آذاها .

وعن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) خطيباً بما يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم الثقلين أوّلها كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي .

وعن البراء قال رأيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والحسن بن علي (عليه السلام) على عاتقه يقول أللهم إني أحبه فأحبه ، وعن أبي هريرة قال : خرجت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في طائفة من النهار حتى

أتى خباء فاطمة فقال أثم لكع أثم يعني حسيناً فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كلّ واحد منها صاحبه ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أللهم إني أحبه فأحبه وأحبّ من يحبه . قال ومن الحسان عن أبي سعيد رضي الله عنه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

وروى عن عائشة أنّها سئلت أيّ الناس كان أحبّ إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت : فاطمة فقيل من الرجال قالت : زوجها وعن سلمان رضي الله عنه قال دخلت على أمّ سلمة وهي تبكي فقلت ما يبكيك؟ قالت : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تعني في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت ما لك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال شهدت قتل الحسين آنفاً ، وعن يعلى بن مرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحبّ حسيناً حسين سبط من الأسباط وعن علي (عليه السلام) قال الحسن أشبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما بين الصدر إلى الرأس والحسين (عليه السلام) أشبه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان أسفل من ذلك .

وعن أسامة بن زيد قال طرقت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات ليلة في بعض الحاجة فخرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت من حاجتي قلت : ما هذا الذي أنت مشتمل عليه ، فكشفه فإذا الحسن والحسين على وركيه فقال هذان إبناي وإبنا ابنتي أللهم إني أحبهما وأحبّ من يحبهما ، وفي باب المصافحة من الصحاح قال قبّل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع : إنّ لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحداً ، فنظر إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال من لا يَرحم لا يُرحم ، وفي مناقب قريش منه من الصحاح قال وعن جابر بن سمرة قال سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة ، كلهم من قريش ، قال وفي رواية لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليهم إثني عشر خليفة كلهم من قريش .

وفي روايـة لا يزال أمـر الناس مـاضيـاً مـا وليهم اثنـا عشر رجـلاً كلهم من قـريش وفي بـاب أشراط السـاعـة منـه قـال وعن عبـد الله بن مسعـود قـال قـال النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) لا تذهب الـدنيا حتى يملك العـرب رجل من أهـل بيتي يواطىء اسمـه إسمي وفي رواية وإسم أبيـه إسم أبي يملأ الأرض قسـطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

وعن أم سلمـة قالت : سمعت رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) يقول : المهدي من عترتي من أولاد فاطمـة . وعن أبي سعيد الخـدري قال : قـال رسـول الله(صلى الله عليـه وآله وسلم) المهـدي مني أجلى الجبهـة أقنى الأنف يملأ الأرض قسـطاً وعدلاً كـما ملئت ظلماً وجوراً ، يملك سبـع سنين إلى غـير ذلك من الأخبار الكثيرة الواردة فيه الظاهرة في حقيّة اعتقادات الإمامية حجـة الله على أهـل الخلاف ، وله المنّة والحمد لله على كل حال ، هذا .

ومن جملة ما ذكره أيضاً في مناقب عمر بن الخطاب من الصحاح عندهم وأنا مورده لك كي تنبّـه على غـاية خـرافة هؤلاء القـوم ونهاية حمقهم وعـماهم عن الحق والـدين وخـروجهم عنهـما من حيث لا يشعـرون في تعصبهم عـلى خلفـائهم القاسطين ، وشدة بلادة من تصدى لوضع الأخبار في مناقبهم وغفلته عما لزمته من الإستخفـاف بسيّد المـرسلين وهتك حـرمات أفضـل النبيين (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) هو ما نقله عن بريدة قال خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض مغازيه فلمّا انصرف جاءت جارية سوداء فقـال يا رسـول الله أني كنت نذرت أن ردّك الله صـالحـاً أن أضرب بـين يـديـك الـدفّ وأتـغـنى فـقـال لهـا رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) إن كنت نـذرت فـاضربي ، وإلاّ فـلا ، فجعلت تضرب فدخل أبـو بكر وهي تضرب ثم دخـل علي (عليـه السلام) وهي تضرب ثم دخـل عثمان وهي تضرب ثم دخـل عمر فـألقت الـدف تحت أستهـا ثم قعدت عليه ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) أن الشيطان ليخـاف منك يا عمر ، وأظهر له الواقعة .

وعن عـائشة قـالت كان رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) جـالسـاً فسمعنـا لغطاً وصـوت صبيان فقـام رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) فإذا

حبشية تزفن (أي ترقص) والصبيان حولها فقال يا عائشة تعالي فانظري فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه فقال لي أما شبعت فجعلت أقول لا . لأنظر منزلتي عنده إذ طلع عمر ، فانفضّ الناس عنها فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّي لأنظر شياطين الجنّ والإنس قد فروا من عمر ، قال فرجعت ، ولنعم ما قيل بالفارسية في هذا المعنى :

روزى بعمر رسيد شيطان در راه بگريخت از او تا كه نگردد گمراه
ميرفت عمر زپيش وشيطان مى گفت لا حول ولا قوة إلا بالله

وآخر حديث ختم به الكتاب وهو في باب ثواب هذه الأمة ، ومن الحسان على الإصطلاح ما نقله عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل أمتي مثل المطر الذي لا يدرى أوّله خير أم آخره .

٢٧١

الفاضل العميد فخر الكتاب أبو اسماعيل حسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين الإصفهاني المنشى المعروف بالطغرائي(*)

صاحب القصيدة المعروفة بلامية العجم التي أولها :

أصالة الرأي صانَتني عن الخَطَلِ وحلية الفضل زانتني لدى العطَلِ

وهي طويلة تنيف على ستين بيتاً أودعها كلّ غريبة ، وهي من مختار الشعر ونقاوته التي أذعن لها كل ماهر غطريف ، وقد شرحها جماعة من العلماء منهم : الصلاح الصفدي المتبحر المشهور . وفي « الأمل » أنّه كان فاضلاً عالما صحيح المذهب ، شاعراً أديباً ، قتل بالظلم وقد جاوز ستين سنة ، وشعره في غاية الحسن ، ومن

(*) له ترجمة في : أعيان الشيعة ج ٢٧ ، ص ٧٦ ، أمل الآمل ج ٢ ص ٩٥ ، تأسيس الشيعة ص ٢٢٣ ، الذريعة ج ٤ ص ٦٣ وج ٦ ص ٢٩ وج ٩ ص ٨٤٦ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ٤١ ، الكنى ج ٢ ص ٤٤٩ ، معجم الأدباء ج ٤ ص ٥١ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٣٨ ، هدية العارفين ج ١ ص ٣١١ .

جملته لاميّة العجم المشتملة على الأداب والحكم ، وهي أشهر من أن تذكر ، وله ديوان شعر جيّد ومن شعره قوله :

إذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً فكن عبداً لخالقه مطيعاً
وإن لم تملك الدنيا جميعاً كما تهواه فاتركها جميعاً
هما نهجان من نسك وفتك يحلّان الفتى الشرف الرفيعا

وقوله :

يا قلب مالك والهوى من بعد ما طاب[1] السلو وأقصر العشّاق
أو ما بدا لك في الإفاقة والأولى نازعتهم كاس الغرام أفاقوا
مرض النسيم وصحّ والداء الذي تشكوه لا يرجى له إفراق
وهدا خفوق البرق[2] والقلب الذي تطوى عليه أضالعي[3] خفاق[4]

هذا وقد ذكر ابن خلّكان أنّه كان غزير الفضل ، لطيف الطبع ، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر، ثم نقل عن العماد الكاتب أنّه قال في وصفه درج كتاب تاريخه للدولة السلجوقية أنّه كان ينعت بالأستاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل ولما جرى المصاف بينه وبين أخيه السلطان محمود بالقرب من همدان وكانت النصرة لمحمود ، فأوّل من أخذ الأستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود ، فأخبر به وزير محمود ، وهو الكمال نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السميرمي ، فقال الشهاب أسعد وكان طغرائياً في ذلك الواقعة نيابة عن النصير الكاتب : هذا الرجل الملحد يعني الأستاذ ، فقال وزير محمود من يكن ملحداً يقتل ، فقتل ظلماً ، وقد كانوا خافوا منه ، لإقبال محمود عليه لفضله فاعتمدوا قتله بهذه الحجة ، وكانت هذه الواقعة سنة ثلاث عشرة وخمس مئة ، وقد جاوز الستين وفي شعره ما يدل على أنّه بلغ سبعاً وخمسين سنة لأنّه قال وقد جاءه مولود :

---

(١) في الأمل : طال .
(٢) في الأمل : النجم .
(٣) في الأمل : ضمت عليه جوانحي خفاق .
(٤) أمل الآمل : ج ٢ ص ٩٥ .

هذا الصغير الذي وافى على كبري أقـرّ عيني ولكن زاد في فكـري
سبع وخمسون لو مرّت على حجرٍ لبَـانَ تأثـيرها في صفحـة الحجـرِ

والله أعلم بما عاش بعد ذلك ، رحمة الله عليه ، قال والطغرائي بضمّ الطاء المهملة وسكون الغين الموحدة[١] وفتح الراء وبعدها ألف مقصورة هذه النسبة إلى من يكتب الـطغرى وهي الـطُرة التي تكتب في أعلى الكتب فـوق البسملة [بالقلم الغليظ][٢] ومضمونها نعوت الملك الـذي صدر الكتـاب عنه وهي لفـظة أعجمية والله أعلم . إنتهى[٣] . وأقـول أنّ من أقوى الإمـارات لتشيّع هـذا الرجـل نسبـة الإلحاد إليه حسداً عليه ، وقتله بتهمة الخروج عن الـدين ظلماً وعدوانـاً ، كما هـو من دأب العامة العمياء ، بـالنظر إلى كـلّ من أحسوا منه بخصوصيـة ولاء لأهـل البيت (عليهم السلام) فاتهموه بأمثال ذلك ، وشفوا صدورهم منه بقتله ، قاتلهـم الله وأخزاه .

وقد يقال أنّ الطغرائي المـذكور كـان له في حـلّ رموز الكيميـا اليد الـطولى والسابقة الأولى وله فيها تصانيف عديدة ومن شعره :

أمّـا العلوم فقـد ظفَـرَت ببغيتي منهـا فـما احتـاج من أن أتعلما
وعـرفت أسرار الحقيقـة كلهـا علماً أنـار لي البهـيم المـظلما
ودريت هرمس سر حكمته الذي أضحى بهـا علم الغيوب مترجما

٢٧٢

الشيخ أبو عبد الله حسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي البدري البغدادي(*)

الملقّب بالبارع الدبّاس ، كـان نحوي زمـانه ولـه ديوان شعـر واضرّ في آخر

---

(١) المعجمة .

(٢) الزيادة من الوفيات .

(٣) الوفيات ج ١ ص ٤٣٨ ، ٤٤٢ .

(*) لـه ترجمة في : أنبـاه الـرواة ج ١ ص ٣٢٨ ، بغيـة الـوعـاة ج ١ ص ٥٣٩ ، خـريـدة القصـر ج ١

عمره كما في بحار الأنوار نقلاً عن خطّ محمد بن علي الجباعي من أجداد شيخنا البهائي رحمه الله تعالى وعن الصفدي أنّه كان نحوياً لغوياً مقرياً حسن المعرفة بصنوف الأداب وقراءة القرآن ، وهو من بيت الوزارة وبينه وبين ابن الهبّارية مداعبات ، وصنّف في القراآت ، روى عنه ابن عساكر وابن الجوزي ، وقرأ القرآن على أبي علي بن البناء وغيره ، وسمع من القاضي أبي يعلى وغيره ، وكان فاضلاً عارفاً بالأدب وله شعر في الغاية وأضرّ بآخره وفي الوفيات أنّه كان منعوتاً بالبارع وهو الشاعر المشهور الأديب النديم البغدادي ، النحوي اللغوي المقري وكان حسن المعرفة بصنوف الآداب وأفاد خلقاً كثيراً ، خصوصاً بإقراء القرآن الكريم ، وهو من بيت الوزارة ، فإن جدّه القاسم كان وزير المعتضد والمكتفى بعده ، وهو الذي سمّ ابن الرومي الشاعر ، وعبيد الله [كان وزير المعتضد أيضاً ، وسليمان بن وهب تغني شهرته عن ذكره ، كان أجداده من كتاب معاوية ويزيد وسائر بني أمية الغاوية ، وكتب هو نفسه للمأمون الرشيد وهو ابن أربع عشرة سنة ، وكتب لأتياخ ثمّ لأشباس . ثم ولى الوزارة للمعتمد على الله وله ديوان رسائل ، وكان أخوه الحسن بن وهب يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيّات ، وولي ديوان الرسائل ، وكان أيضاً شاعراً بليغاً مترسلاً فصيحاً وله ديوان رسائل أيضاً وكان هو وأخوه الحسن من أعيان عصرهما إلى أن قال] وكان البارع المذكور من أرباب الفضائل وله تصنيفات حسان وتآليف غريبة ، وديوان شعر جيّد ، وكان بينه وبين الشريف أبي يعلى بن الهبارية مداعبات لطيفة ، فإنّهما كانا رفيقين ومتّفقين في الصحبة ، فاتّفق أن البارع المذكور تعلّق بخدمة بعض الأمراء وحج فلما عاد حضر الشريف ، إليه مراراً فلم يجده ، فكتب إليه قصيدة طويلة دالية يعاتبه فيها ويشير إلى أنّه تغير عليه بسبب الخدمة وأوّلها :

يا ابن ودّي وأين مني ابن ودّي   غيرت طرفه الرياسة بعدي

ولولا ما أودعها من السخف والفحش لذكرتها ، فكتب إليه البارع المذكور جوابها وأطال فيه وضمّنها أيضاً شيئاً من الفحش وأوّلها :

= ص ٨٥ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ٦٩ ، معجم الأدباء ج ٤ ص ٨٨ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣٦ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٣٦ .

وصلت رقعة الشريف أبي يعلى فحلّت محلّ لُقياه عندي
فتلقيتها بأهلاً وسهلاً ثم ألصقتها بطرفي وخدّي
وفضضت الختام عنها فما ظنّك بالصّاب إذ يشاب بشهد
بين حلو من العتاب ومُرّ هو أولى به وهزل وجدٍ
وتجنّ علي من غير جرم بملام يكاد يحرق جلدي

ثم ذكر أبياتاً أخر منها وقال ونقتصر من [هذه] القصيدة على هذه الأبيات ففيها سخف لا يليق ذكره ، وغيره مما لا حاجة إليه ، وكانت ولادته في صفر سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة، وتوفي يوم الثلاثاء سابع عشرة جمادي الآخرة سنة أربع وعشرين وخمس مئة والدبّاس صفة من يعمل الدّبس أو يبيعه والبدري نسبة إلى البدرية وهي محلة ببغداد كان يسكنها البارع المذكور[1] وكان للبارع أيضاً أخ فاضل من قبل أمه يدعى بالمبارك بن الفاخر بالجيم ابن محمد بن يعقوب أبي الكرم النحوي ولد سنة ٤٤٨ وكان قيماً بالنحو ، عارفاً باللغة ، قرأ النحو على ابن برهان كما في البغية وإن استشكل فيه بعضهم من جهة منافاة مولده لذلك ، لأن جوابه يعرف مما أسلفناه لك في ترجمة بني برهان الكثيرين في باب أحمد ، قيل وسمع الحديث من القاضي أبي الطيب الطبري وغيره وجرحه الناس ورموه بالكذب والتزوير وادّعاء سماع ما لم يسمعه ، والتساهل إذا أخذ خطّه على كتاب ويقصد بذلك اجتلاب الطلاب لأن النفوس تميل إلى هذا الباب ، وله « كتاب المعلم » في النحو و« شرح خطبة أدب الكاتب » ، وكان يقوم لطلبته ويكرمهم وكان الخطيب التبريزي ينكر ذلك عليه وينشد :

قصّر في العلم وازرى به من قام في الدرس لأصحابه

ومات ابن الفاجر المذكور في سنة خمس مئة كما في الطبقات ، وفيه أيضاً أن البارع لقب عبد الكريم بن علي بن الطفال والحسين بن محمد الدباس ولا ثالث لهما فلا تغفل .

(١) الوفيات ج ١ ص ٤٣٥ ، ٤٣٧ .

٢٧٣
الإمام الأريب والحافظ العجيب أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني(*)

صاحب اللغة والعربية والحديث والشعر والكتابة والأخلاق ، والحكمة والكلام وعلوم الأوائل ، وغير ذلك ، فضله أشهر من أن يوصف ووصفه أرفع من أن يعرف ، وكفاه منقبة أنّ له قبول العامة والخاصة ، وفيما تحقق لـه من اللغة خاصة وكان من الشافعية كما استفيد لنا من فقه محاضراته ، وفي بعض الكتب أنّه اختلف في تشيعه وكأنّه لما يتراءى من تقويته جانب الحقّ في بعض مصنفاته ، وأنت خبير بأنّ مثل ذلك لو كان دليلاً على حقيّة الرجل لما وجد للباطل بعد مصداق ، كيف ولما يوجد بحمد الله لأشد النواصب إلى الآن مصنّف لم يكن فيه شيء من مديح أهل البيت ، وشطر من مثالب مخالفيهم بالكناية أو التصريح ، وإذن فالمرجع في تشخيص المذهب الحق إلى الموافقة لأهله في جملة الضروريات والإقتفاء لأثارهم المحمودة في أصول المذهب وفروعه لا غير ، نعم في كثرة روايته عن أهل البيت المعصومين عليهم السلام وتعبيره عن سيّدنا الإمام الهمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دائماً بأمير المؤمنين المطلق ، وعدم نقله عن سائر الخلفاء مهما استطاع ، هداية المتدرب الفطن إلى رشده وهدايته إن شاء الله فلا تغفل .

وفي كتاب « البغية » بعد الترجمة له بعنوان المفضل بن محمد الإصفهاني أبو القاسم الراغب صاحب المصنفات ، كان في أوائل المئة الخامسة ، له « مفردات القرآن » و« أفانين البلاغة » و« المحاضرات » وقفت على الثلاثة ، وقد كان في ظني أنّ الراغب معتزلي ، حتى رأيت بخطّ الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من القواعد الصغرى لإبن عبد السلام ما نصه : ذكر الإمام فخر الدين الرازي في « تأسيس التقديس » في الأصول أنّ أبا القاسم الراغب من أئمة السنة .

(*) له ترجمة في : بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٩٧ ، تاريخ حكماء الإسلام ص ١١٢ ، رياض العلماء ، سفينة البحار ج ١ ص ٥٢٨ ، الكنى والألقاب ج ٢ ص ٢٦٨ .

وقرنه بالغزالي قال : وهي فائدة حسنة ، فإن كثيراً من الناس يظنون أنّه معتزلي[1] انتهى ولم يزد على ما نقلناه ، وذلك لعدم بصيرته بحال الرجل كما عرفته ، وستعرف أيضاً من اشتباهه الكثير في اسمه ونسبه وطبقته ، وقد ذكره صاحب « معجم الأدباء » كما نقل عنه بهذه الصورة : الحسين بن محمد الراغب الإصفهاني أحد أعلام العلم بغير فنّ من العلوم أدبيها وحكميها له كتاب تفسير القرآن قيل وهو كبير .

قلت ولما أظفر عليه ، ثم أنّ له من بعد ذلك من المصنّف المشهور والمؤلف الذي هو بالخير مذكور كتاب « المفردات » في تحقيق مواد لغات العرب المتعلّقة بالقرآن في مجلّدتين تبلغان ثلاثين ألف بيت في ظاهر ما يقاس : وإنّما ألفه في مقابلة كتاب تفسيره للمركبات كما عرفت ، وله كتاب سمّاه « تحقيق البيان في تأويل القرآن » يشير إليه في خطبة « الذريعة » وكتاب « الذريعة » في علوم الأخلاق والمواعظ الحسنة والآداب بالفارسية ، على طريقة الأخلاق الناصري وأحسن منه ، ويذكر فيه أيضاً حكايات من كليلة ودمنة ، ومما رأيته فيه من الأشعار الرائقة قوله :

ز صد هزار محمد كه درجهان آيد   يكى بمنزلهٔ جاه مصطفى نشود
وگرچه عرصهٔ عالم پراز على گردد   يكى بعلم وسخاوت چه مرتضى نشود
جهان اگرچه زموسى وچوب خالى نيست   يكى كليم نگردد يكى عصا نشود

وكتاب في « الإيمان والكفر » بديع الطرز حسن الفوائد قيل ويظهر منه أنّه كان أشعري الأصول ، وله أيضاً كتاب آخر في تفصيل مراتب ترقّيات الإنسان مشتمل على ثلاثة وثلاثين باباً ممّا يتعلق بأمور المبدأ والمعاد سمّاه « تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين » عندنا منه نسخة عتيقة ، وله أيضاً كتاب « المحاضرات » كبير جداً اسمه معه يزيد على عشرة مجلدات ! وفيه من نوادر الحكم والحكايات الطريفة ، والعوائد المستطرفة اللطيفة ما لا يوجد في غيره من كتاب .

ومن لطائف ما ذكره فيه وحقيق بأن لا أخلي هذا الكتاب منه ليأتي بفضل الله تبارك وتعالى جامع كلّ خير ، قوله في باب الشعر والشعراء : قال

---

(١) بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٩٧ .

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لحسان أهجهم وروح القدس معك ! وقد مدحه غير شاعر فحباه وأجازه ، وكان أبو بكر وعمر وعلي (عليهم السلام) شعراء ولما قال الجعدي فيه (ص) :

بلغت السماء نجدة وتكرّما[١] وأنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أين فقال إلى الجنة فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) لافض فوك ! وقال أبو الغطريف الأسدي عن جدّه قال : عدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مرضه الذي مات فيه ، فسمعته يقول : لا بأس بالشعر لمن أراد انتصافاً من ظلم ، واستغناء من فقر ، وشكراً على إحسان .

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إعطاء الشعر من بر الوالدين[٢] وقال في ذيل ذلك الباب وكتبت إلى أبي القاسم بن أبي العلاء أبياتاً أستعير منه شعر عمران بن حطان وضمنتها أبياتاً لبعض من امتنع من إعارة الكتب إلاّ بالرهن ، وأبياتاً عارضها بها أبو علي بن أبي العلاء في مناقضته فقلت :

يا ذا الذي بفضله أضحى الورى مفتخرة
أصبحت يدعوني إلى أشعار عمران شره[٣]
فليعطنيها منعماً عاريةً لأشكره
مقتفياً والده ألبس ثوب المغفرة
عارض من أنشده إذ رام منه دفتره
هذا كتاب حسن قدّمت فيه المعذرة
حلفت بالله الذي أطلب منه المغفرة
أن لا أعير أحداً إلاّ بأخذ التذكرة
بنكتة لطيفة أبلغ منها لم أره
فقال والقول الذي قد قاله وحبّره :

(١) في المحاضرات : بلغنا السما عن جدنا وجدودنا .
(٢) المحاضرات ج ١ ص ٧٩ .
(٣) شعر ابن حطان شره .

من لم يعر دفتره ضاقت عليه المعذرة
يقبح في الذكر وفي السماع أخذ التذكرة
ما قال ذاك الشعر إلّا ماضغ للعذرة
فامنن بها مصطفياً سلوك طرق البررة

فأجابني بأبيات منها :

حبّر شعراء خلتني أنشر منه خبره
يديرني فيه على خليقةٍ مستنكرة
مُستنزل عن عادةٍ عودتها مشتهرة
أن لا أعير أحداً لا رجلاً ولا امرأة
لا أقبل الرهن ولا يذكر عندي تذكرة
ولو حوت كفي بها فضل الرضا والمغفرة
كان لشيخي مذهب من مذهبي أن أهجره
خالفت فيه رسمه معقباً ما أثره
ولو لقاني[1] والدي من بيته في المقبرة
يروم سطراً لم يجد ما رامه «ولم يره»[2]

ثم قال : والغرض في ذلك ما قاله أبو القاسم لا ما خاطبته به ، وأعوذ بالله أن أكون ممن يزري بعقله بتضمين مصنفاته شعر نفسه[1] .

ومن جملة ذلك قوله في باب الكذب إذا أردت أن تعرف عقل الرجل فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون ، فإن أنكره فهو عاقل ، وإن صدّقه فهو أحمق ، ومن الأكاذيب المتناهية أنّه تكاذب أعرابيان فقال أحدهما : خرجت مرة على فرس فإذا أنا بظلمة فيمّمتها حتى وصلت إليها ، فإذا قطعة من الليل فانبهتها ، فما زلت أحمل عليها حتى اصطدتها ! فقال الآخر : رميت ظبياً مرة بالسهم ، فعدل الظبي

(١) أتاني .
(٢) وسطره .
(٣) المحاضرات ج ١ ص ١١٩ .

فعدل السهم خلفه ، ثم علا فعلا السهم ، ثم انحدر [فانحدر] السهم حتى أصابه ! وقال رجل لرؤبة الشاعر : إن حدثتني بحديث لم أصدقك عليه فلك عندي جارية .

فقال : أبق غلام لي يوماً ، فاشتريت [يوماً] بطيخة فلما قطعتها وجدته فيها ، فقال : قد علمت ! فقال دبر لي فرس فعالجته بقشور الرمان ، فنبت على ظهره شجرة رمان تثمر كل سنة ، فقال علمت ! فقال لما مات أبوك كان لي عليه ألف دينار ، فقال كذبت يا ابن الفاعلة ! فأخذ الجارية ، وقال بعضهم كان لأبي منقاش اشتراه بعشرين ألف درهم فقيل له : أكان من جواهر أو كان مكللاً به ، فقال لا ولكن إذا نتف به شعرة بيضاء عادت سوداء[1] .

ومن جملة حكاياته قال : وصلّى رجل بأربعة نفر يقال له يحيى فأكثر اللحن في قل هو الله أحد ، فلما فرغ قال أحدهم :

أكثر يحيى غلطاً في قُل هو الله أحد

فقال الثاني :

قام يصلي ذائباً[2] حتى إذا أعيا قعد

فقال الثالث :

كأنّما لسانه شدّ بحبلٍ من مسد

فقال الرابع :

يزحر في محرابه زحير حُبلى للولد[3]

قال وقرأ إمام إذا الشمس كورت ، فلما بلغ قوله فأين تذهبون ، ارتج عليه ، فأخذ يكرره وخلفه أعرابي فأخذ بمشكة وصفعه وقال : أما أنا فأريد كلواذي وهؤلاء الكشاخنة لا أعرف مقصدهم ، وصلى رجل بقوم فجعل يردد ﴿**أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي**﴾، فقال أعرابي : أهلكك الله وحدك! وقرأ الرشيد

(١) المحاضرات ص ١٢٤، ١٢٥ .

(٢) قاعداً .

(*) بولد .

يوماً[١] ومالي لا أعبد الذي فطرني فارتج عليه فأخذ يردد ذلك[٢] وابن أبي مريم بقربه في الفراش فصاح[٣] لا أدري والله لم لا تعبده ؟ فضحك الرشيد حتى قطع صلاته[٤] .

قال وقيل بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال ، وسمع الحسين[٥] رجلاً يقول التعلم في الصغر كالنقش في الحجر فقال : الكبير أجود فهماً[٦] لكنه أشغل قلباً وقيل : من لا يتعلم في حال الصغر[٧] هان في حال الكبر وقال الشاعر :

هل الحفظ إلّا للصبي ؟ فذو النهي   يمارس أشغالاً يشرّد بالذكر[٨]

ونظر رجل إلى فيلسوف يؤدب شيخاً فقال : ما تصنع ؟ قال : اغسل حبشياً لعلّه يبيض[٩] وسئل الشعبي عن مسألة فقال لا أدري فقيل أما تستحي من ذلك[١٠] وأنت فقيه العراقين فقال إنّ الملائكة لم تستحي إذ قالت : ﴿ **سبحانك لا علم لنا إلّا ما علمتنا**[١١] **إنّك أنت العليم الحكيم** ﴾ وسئل رجل عن شيء فقال : لا أدري ولا أدري نصف العلم ، فقيل له : فقله مرتين تحز العلم كله وقال آخر مثل ذلك فقيل له لكن أبوك بالنصف الآخر تقدّم[١٢] وقيل في ذم معلّم الصبيان :

كفى المرء نقصاً أن يقال بأنّه   مُعلّم صبيان وإن كان فاضلاً

---

(١) ليلة .
(٢) يردده
(٣) فقال .
(٤) المحاضرات ح ١ ص ١٤١ .
(٥) الحسن .
(٦) أوفر عقلاً .
(٧) من لم يتعلم في الصغر .
(٨) المحاضرات ج ١ ص ٤٧ .
(٩) المحاضرات ج ١ ص ٤٨ .
(١٠) ألا تستحي من قولك هذا .
(١١) المحاضرات ج ١ ص ٥٠ .
(١٢) المحاضرات ج ١ ص ٥٠ .

وقيل :

إن المعلّم حيث كان معلّم ولو أبتني فوق السماء سماء[١]
من علم الصبيان صبوا عقله حتى بني الخلفاء والأمراء
لو كان علّم ساعة من دهره أو كان علّم آدم الأسماء

وكلّف اسماعيل بن علي عبد الله بن المقفع أن يجلس مع ابنه في كل أسبوع يوماً فقال : أتريد أن أثبت في ديوان النوكى ؟[٢] ولبعضهم في الحث على تفقد أحوال المؤدب :

إنّ المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه واصبر لجهلك إن جفوت معلماً[٣]

قرأ صبي على معلّم : ﴿**فاخرج منها فإنك رجيم**﴾فقال: ذاك أبوك الكسحان فقرأ[٤]﴿**وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين**﴾ وأخذ يكرر ويقف فقال : عليك وعلى أبويك[٥] فقال الصبي : ليس على أبويك ولكن[٦] عليك[٧] وقال : وفد سعيد بن عبد الله[٨] على هشام وهو صبي وضيء الوجه ، فبعث به هشام إلى عبد الصمد مؤدّب [ولده] الوليد ليؤدبه ، فراوده عن نفسه ،فخرج من عند المؤدب مغضباً ، ودخل على هشام وهو يقول :

إنّه والله لولا أنت لم يَنج مني سالماً عبد الصمد

وقال ولم فقال شعراً :

إنّه قد رام مني خطة لم يرمها قبله مني أحد

قال وما ذاك قال :[٩]

(١) المحاضرات ج ٢ ص ٥٣ .
(٢) المحاضرات ج ١ ص ٥٢ .
(٣) المحاضرات ج ١ ص ٥٣ .
(٤) وقرء آخر .
(٥) والديك .
(٦) ليس فيه على والديك ولكنه عليك هل ألحقه به ؟
(٧) المحاضرات ج ١ ص ٥٤ .
(٨) عبد الرحمان .
(٩) فقال : وما ذاك ؟ فقال :

رام جهــلاً بي وجهــلاً أنــه[١]   يـولج العصفـور في خيس الأسد

فطرد عبد الصمد من داره[٢] قال يعقوب الدورقي إنّ الله تعـالى أعان عـلى عرام الصبيان بـرقاعـة المعلمين[٣] وقـال سهل بن هـارون : لم أر قاضيـاً ولا عدلاً معلم كتاب ، لا في تافه حقير ولا في ثمن خطير ، وقال الشاعر :

وكيف يرجى العقل والرأي عند من   يروح على أنثى ويغدو على طفل ؟

وقال آخر :

أنـت ألحـى مـعـلم وطـويـل   حسبُنـا ربّنـا ونعم الـوكيـل[٤]

وقـال الجاحظ : المعلمـون عـلى ضربـين منهم من ارتفعـوا عن تعليم أولاد العـامة إلى تعليم أولاد الملوك والمرشحين للخـلافـة ، كـالكسـائي ، وقـطرب ، وحمـاد ، وعبد الصمـد فهؤلاء لا يجوز عليهم الحـماقـة ، وإنّ لكـل قـوم حـاشيـة وسفلاً[٥] .

وقال صبي لمعلّمه : إني رأيت في المنام كأني مـطلي بعذرة وأنت مـطلي بعسل فقال هذا عملك السوء ، وعملي الصالح ألبسنا الله تعالى . فقال الصبي : فاسمع تمام الرؤيا وكنت تلحسني وأنا ألحسك فقال : أعزب لعنك الله[٦] قال : ومما جـاء في علوم الأمم ورموز العرب قيل : الأداب[٧] عشرة ، ثلاثة شهر جـانية : الـطبّ والهنـدسـة والفـروسيـة ، وثـلاثـة أنـوشروانيـة : ضرب العـود ولعب الشـطرنـج والصوالج[٨] ، وثلاثة عربية : الشعر والنسب وأيّام الناس ، وواحد يربو على كل

= إنـه قـد رام مـني خـطة لم يـرمـهـا قـبـلـه مـني أحـد

قال وما ذاك ؟ فقال : رام جهلاً الخ .

(١) بأبي .

(٢) المحاضرات ج ١ ص ٥٤ .

(٣) عرامة الصبيان بحماقة المعلمين .

(٤) المحاضرات ج ١ ص ٥٥ .

(٥) وجهالاً وسفهاء . المحاضرات ج ١ ص ٥٥ .

(٦) قبحك الله .

(٧) علوم الأدب .

(٨) وضرب الصوالجة .

ذلك مقطعات الحديث والسمر وما يتعاطاه الناس في المجالسات ، وقال في علوم الفرس : لهم العقول والأحلام والسياسة العجيبة وترتيب الأمور والعلوم ، والمعرفة بالعواقب[١] ولهم من اللغات ما لا يحصى كثرة ، كالزّمزمية والفهلوية والفارسية والخراسانية والجبلية[٢] وقال في اليونانيين أنّهم ذوو أذهان فارغة ولم[٣] يشتغلوا بمكاسب الآلات والأدوات والملاهي التي تكون جماماً[٤] ولهم القيامات[٥] والأسطرلابات وآلات الساعات[٦] والبركار ، وأصناف المزامير والمعازف والطبّ والحساب والهندسة ، وآلات الحرب كالمناجيق والعرادات وكانوا أصحاب حكمة ولم يكونوا عملة[٧] .

وقال في باب أمام يطيل صلاته قال عثمان بن أبي العاص آخر ما عهد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إذا أممت قوماً فأخف بهم الصلاة وصلّى بعض العلماء صلاة خفيفة فقيل له : ما هذه الصلاة فقال أغالب به شيطاني ، ورأى أبو حنيفة رجلاً يصلي ولا يركع فقال : يا هذا لا صلاة لك بغير الركوع فقال : إني رجل عظيم البطن فإذا ركعت حبقت فأيها خير ، صلاة بلا ركوع أو صلاة بضراط وقال أبو العينا لابن مكرم قم وصلّ فقال قد جمعت بينهما بالترك وقال في مقام ذكره للأجوبة الحاضرة كان بعض أمراء بغداد يقال له كوتكين أصابه قولنج وأمره الطبيب بالحقنة فقال وما الحقنة فوصفها إلى أن قال وتوضع الأنبوبة في الإست فانتفخت أوداج الأمير وظهرت آثار الغضب في وجهه ، وقال في إست مَن ، فخاف الطبيب وقال في إستي أيها الأمير ، وقال أيضاً في مقام آخر وكان بإصفهان رجل يقال له الكتاني في أيام أحمد بن عبد العزيز وكان أحمد يتعلم منه الإمامة فاتفق أن طلعت عليه أم أحمد يوماً وقالت يا فاعل جعلت ابني رافضياً فقال

---

(١) بعواقب الأمور .
(٢) المحاضرات ج ١ ص ١٥٢ .
(٣) بارعة ولا .
(٤) جماماً للنفوس .
(٥) القبانات .
(٦) الرصد .
(٧) المحاضرات ج ١ ص ١٥٢ .

الكتاني : الرافضي يصلي كل يوم إحدى وخمسين ركعة وابنك لا يصلي في أحد وخمسين يوماً ركعة واحدة ، قلت وفي هذه الحكاية تصديق وتقوية لما ورد عن أهل البيت عليهم السلام بطرق متعددة أن من علامات المؤمنين خمساً ، صلاة الإحدى وخمسين والتختم باليمين وتعفير الجبين وزيارة الأربعين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله على هذه المفاخرة للشيعة الإمامية كثّر الله تعالى أمثالهم وقال في باب الصبر ونظر رجل إلى امرأة بالبصرة فقال ما رأيت مثل هذه النضارة ، وما ذاك إلا من قلة الحزن ، فقالت إني لفى حزن ما شاركني فيه أحد أنّ زوجي ذبح شاة في يوم الأضحى ولي صبيان كدرّتين فقال أكبرهما للأصغر تعال لأريك كيف ذبح أبي الشاة فقال نعم ، فأخذه وذبحه وانتهينا إليه متشحطاً بدمه ، فلما وقع العويل خاف الإبن وهرب إلى الجبل فرهقه الذئب فأكله وتبعه الأب في طلبه فاشتد به الحر فمات عطشاً ، فأفردني الدهر منهم كما ترى فقيل لها : كيف صبرت ؟ فقالت : لو وجدت في الحزن دركاً ما اخترت عليه وقال أيضاً أوّل من عقد البيعة لغيره أبو بكر لعمر وعقد معاوية البيعة لابنه يزيد المعروف[1] ولما قعد للبيعة دخل رجل فقال : إعلم أنك لو لم تولّ هذا أمور[2] المسلمين لأضعت[3] فقال للأحنف لم لا تقول ؟ فقال : أخاف الله إن كذبت ، وأخافك إن صدقت ! فقال جزاك الله عن الإسلام خيراً[4] قال وقيل إنّ البوم أراد التزوج وكان الهدهد دلالاً فأتاه وقال : إنهم ضمنوا لك خمس قرى عامرة وخمس غير عامرة[5] .

فقال لا حاجة لي في العمران ! فقال : خذها فولايتها إلى امرأة وما تولّت امرأة أرضاً إلّا خربت فقبلها وقال صدقت[6] قال وجاءت امرأة إلى قاض فقالت مات زوجي وترك أبويه وولداً وامرأة وأهلاً وله مال فقال لأبويه الثّكل ولولده اليتم ولامرأته الخلف ولأهله القلّة والذلّة والمال يحمل إلينا حتى لا يقع بينكم

---

(١) البيعة ليزيد ابنه وهو معروف .

(٢) أمر .

(٣) لأضعتهم .

(٤) المحاضرات ح ١ ص ١٦٢ .

(٥) وخمس قرى غامرة .

(٦) المحاضرات ج ١ ص ١٨٢ .

الخصومة[١] وقال المأمون يوماً ليحيى بن أكثم يعرّض به من الذي يقول :

قاض يرى الحد في الزناء ولا يرى على من يلوطُ من بأسِ

فقال يا أمير المؤمنين هذا هو الماجن أحمد بن نعيم الذي يقول :

أميرنا يرتشي وحاكمنا يلوط والرأس شر ما رأس
لا أحسب الجور ينقضي وعلى الأمة والٍ من آل عباس

فقال ينبغي أن ينفي هذا الرجل إلى السند[٢] وقال آخر :

ألا لله درك أي قاضٍ سبته المرد بالحدق المراض

ودخل يحيى يوماً على المأمون وبين يديه غلام صبيح فقال يا يحيى استنطقه وامتحنه ، فقال له يحيى : ما الخبر ؟ فقال بطلاقة لسان الخبر خبران أيها القاضي خبر في الأرض وهو أنّك لوطي وخبر في السماء وهو أنّك مأبون ، فقال المأمون : فأيهما أصح فقال خبر السماء لا يكذب فخجل يحيى وانقطع[٣] .

وجاءت امرأة برجل إلى قاض تطلب نفقتها منه فقال الزوج : أيها القاضي أنّها مغنية ومتى كانت نياحة فنائحة ومالي كسب فقال إلزمي نفقته يا فاعلة ، فقالت : وهل في الحكم هذا فقال نعم ، لو كنت مكانه لنكتك وأخذت جزرك فقال الرجل فديتك يا جوهرة القضاة فافعل الساعة أيضاً .

قال وشكا رجل إلى سهل بن هارون عداوة رجل فقال : العداوة تكون من المشاكلة والمناسبة والمجاورة واتّفاق المسامع[٤] فمن أيّها معاداته لك ؟ وقال رجل لآخر إنّي أخلص لك المودة فقال : قد علمت ، قال : كيف علمت وليس معي من الشاهد إلّا قولي ؟ قال : لأنّك لست بجار قريب ، ولا بابن عم نسيب ، ولا بمشاكل في صناعة وسئل بعضهم عن بني العم فقال : هم أعداؤك وأعداء أعدائك ولهذا باب في الأقارب[٥] .

---

(١) المحاضرات ح ١ ص ١٩٨ .
(٢) المحاضرات ج ١ ص ١٩٨ .
(٣) المحاضرات ج ٣ ص ٢٥١ .
(٤) اتفاق الصنائع .
(٥) المحاضرات ج ١ ص ٢٥١ .

وقال في هجو القبائل روى أنّ رجلاً عطش في مفازة فانتهى إلى خباء فعدت صبية فأقبلت بماء ولبن فسألها عن قبيلتها ، فقالت : من بني عامر ، فقال : الذي يقول فيهم الشاعر :

لعمرك ما تبلى سرابيل[1] عامر　　من اللؤم ما دامت عليها جلودها

فتغيرت[2] الصبية وكسرت الإناءين وقالت يا عمّاه : ممن أنت ؟ فقال : من تميم قالت الذي يقول فيهم الشاعر * تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا .

فقال :[3] لا أنا من باهلة فقالت :

إذا ولدت حليلة باهلي　　غلاماً زاد في عدد اللئام

فقال بل أنا من أسد[4] فقالت :

ما سرّني إنّ أمي من بني أسد　　وإنّ لي كل يوم ألف دينار

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم　　قالوا لأمهم بولي على النار

فقال بل من عبس[5] فقالت :

إذا عبسية ولدت غلاماً　　فبشرها بلؤم مستفاد

فقال بل من قين فقالت :

إذا قينية عطست فنكها　　فإن عطاسها سبب الوداق

فقال بل من كلب فقالت :

إذا كلبية خضبت يداها　　فزوّجها ولا تأ من زناها

فقال : من ثقيف فقالت :

أضلّ الناسبون أبا ثقيف　　فما لهم أب إلاّ الضلال

فقال بل من خزاعة فقالت :

---

(١) سرائر .

(٢) فتعثّرت .

(٣) بل .

(٤) بني أسد .

(٥) بل أنا من بني عبس .

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت … بـزّق خمـر وأثـواب وأبـراد

فقال بل من جرم فقالت :

إذا مـا اتقى الله الفتى وأطاعـه … فليس به بأس وإن كان من جرم

فقال بل من حنيفة فقالت :

أكـلت حـنـيـفـة ربهـا … زمـن التـقـحـم والمجـاعـة

فقال من عبد القيس فقالت :

عـلامة عبـد القيس لا ينكـرونها … أعـاصـير من فسـو عليهم تفـتر

فضجر الرجل وقال أنا من إبليس فقالت :

عـجبـت من إبـليس في تـيـهتـه … وخبث مـا أظـهـر من نـيتـه
تـاه عـلى آدم في سـجـدة … فـصـار قـواداً لـذريـتـه

فقـال اعفيني ، فقـالت : إلى لعنـة الله إذا نـزلت بقـوم فـلا تجحـد إحسـانهم[١] . . ومن جملة مـا حكـاه قـال : وقـال أبـو الحسن عـلي بن أحمـد بن العباس (ره) لم يظلم أحدكما ظلم أهل الرساتيق[٢] لأنهم غرسوا الخشب وليست تكسـراً لكل[٣] عـلى ظهورهم[٤] بـل يعدل بـالأكثر إلى غـير هذا الـوجه وذكـر أنّ عمر بن الخطاب روى عن النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) أنّه قـال : الأكراد جيل من الجن كشف عنهم الغطاء وإنما سموا الأكـراد لأن سليمان (عليـه السلام) لما غزا الهند سبى منهم ثمانين جاريـة ، وأسكنهن جزيـرة فخرجت الجنّ من البحر فواقعوهن فحمل منهن أربعون جارية ، فأخبر سليمان بذلك فأمـر بأن يخـرجن من الجـزيرة إلى أرض فـارس ، فولـدن أربعين غـلاماً فلما كـبروا[٥] أخذوا في الفسـاد وقطع الطرق ، فشكوا ذلك إلى سليمان فقال أكردوهم إلى الجبال ، فسمّـوا بذلـك

(١) المحاضرات ح ١ ص ٣٤٢ .
(٢) الرستاق .
(٣) تكسر الأعلى .
(٤) المحاضرات ج ١ ص ٣٥١ .
(٥) كثروا .

الأكردا[١] وقال : قام رجل في أيام صفّين إلى معاوية فقال اصطنعني فقد قصدتك من عند أجبن الناس وأبخلهم وألكنهم : فقال : من الذي تعنيه ؟ فقال : علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

فقال : كذبت يا فاجر ، أمّا الجبن فلم يكن قطّ في فئة إلاّ غلبت ، وأما البخل فلو كان له بيتان بيت من تبر وبيت من تبن لأنفق تبره قبل تبنه ، وأمّا اللكن فما رأيت أحداً يخطب مثله : ليس محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) أحسن من علي [إذا خطب] فقم قبحك الله ومحا اسمه من الديوان[٢] .

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمير المؤمنين : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيٰ بعدي قال بلى : قال : فأنت كذلك وقال : علي مني وأنا منه وهو ولي كلّ مؤمن بعدي ، وأخذ بيده فقال أللهم وال من والاه وعاد من عاداه وابغض من أبغضه وانصر من نصره ، واخذل من خذله .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) النظر إلى علي (عليه السلام) عبادة أي إذا برز يكبر الناس فيقولون : لا إله إلا الله ما أحلمه[٣] ما أعلمه ما أشجعه ما أشرفه[٤] وذكر أيضاً حديث منع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الشيخين عن تزوّج فاطمة (عليها السلام) وأجابته أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ذلك وكيفية المزاوجة بينهما بطوله[٥] .

وقال : وعن أنس قال قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : إن خليلي ووزيري وخليفتي وخير من أترك من بعدي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة لقد زوّجتك سيداً في الدنيا والآخرة لا يبغضه إلاّ منافق وقال (صلى الله عليه وآله

---

(١) المحاضرات ج ١ ص ٣٥١ .
(٢) المحاضرات ج ٢ ص ٣٨٧ .
(٣) أجله .
(٤) المحاضرات ج ٤ ص ٤٧٧ .
(٥) راجع المحاضرات ج ٤ ص ٤٧٧ .

وسلم) ألحق مع علي وعلي مع الحق لن يزولا حتى يردا علي الحوض[١] قال وسأل بعض أهل العراق ابن عمر عن قتل الذباب فقال : يا أهل العراق تسألونني عن المحرم من قتل الذباب وقد قتلتم ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي قال (ص) فيه وفي أخيه[٢] هما ريحانتاي[٣] من الدنيا .

وقال عمر بن عبد العزيز يوماً وقد قام من عنده علي بن الحسين (عليه السلام) : من أشرف الناس ؟ فقالوا أنتم فقال : كلا أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفاً ، من أحبّ الناس أن يكونوا منه ولم يحبّ أن يكون من أحد وذكر الحسن والحسين عليهما السلام فقال : بخّ بخّ ما تقول في غلامين حسن خلقهما الجليل وناغاهما جبرئيل ، وولدا بين التنزيل والتحليل[٤] والتأويل هل لهذين من عديل جدهما الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمهما البتول وأبوهما القتول[٥] .

وقال عن ابن عباس قال : كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة ، وعمر علي بغل وأنا على فرس ، فقرأ آية فيها ذكر علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال : أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان علي فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر فقلت في نفسي : لا أقالني الله أن أقلت[٦] فقلت أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين وأنت وصاحبك اللذان وثبتما وانتزعتما منّا الأمر دون الناس، فقال: إليكم يا بني عبد المطلب أما أنّكم أصحاب عمر بن الخطاب فتأخرت وتقدّم هنيهة فقال : سر لا سرت فقال : أعد علي كلامك فقلت : إنّما ذكرت شيئاً فرددت عليك جوابه ، ولو سكت سكتنا، فقال : إنّا والله ما فعلنا الذي فعلناه عن عداوة ولكن استصغرناه ، وخشينا أن لا تجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها .

---

(١) المحاضرات ج ٤ ص ٤٧٨ .
(٢) وقد قال رسول الله (ص) .
(٣) ريحانتي .
(٤) التجليل .
(٥) المقبول ، المحاضرات ج ٤ ص ٤٧٩ .
(٦) إن أقلته .

قال فأردت أن أقول : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره فتستصغره أنت وصاحبك ؟ فقال : لا جرم فكيف ترى والله ما نقطع أمراً دونه ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه[١] :

وقال في باب من يملح بشتم كبير قال أبو الأشعث الهمداني وقد سرق له أضحية :

يا سارق الكبش رجلاه وجبهته ... في صدع أمك بالقرنين والذنب
هلا سرقت جزاك الله لعنته ... من الموالي ولم تسرق من العرب[٢]

وحكى عن يهودي بإصفهان أنّه كان إذا أتاه جندي فيقول : يا أخا القحبة يقول لنا : لما سمعت صوتك علمت أنك هو ، وقال له غلامه أنّ هذا يقول يا ديوث فقال : الديوث أي شيء ها هنا يعرّض به وقال له إنسان : أمرأتك قحبة فقال أليس أخت لك أليس أم لك وقال له إنسان امرأتك قحبة فقال حلاّ ليهود[٣] أي أنّها امرأتك[٤] قال وحكى أن سلمويه طبيب المأمون ، وكان قد أسنّ وذهب بصره ، وكان متى يدخل على المأمون يتكىء على صبية تقوده .

فدخل عليه يوماً فلما قام المأمون قام هو ، ثم رجع فرجع سلمويه إلى عنده[٥] واتكأ على تلك الصبية ، فقال للمأمون : هذه الصبية كانت بكراً وخرجت من عندك الساعة ، وعادت ثيّباً فاستخبرها فقالت : إنّ العباس بن أمير المؤمنين دعاني إلى نفسه لما خرجت فافتضني فقال له المأمون : كيف علمت ذلك ؟ فقال كنت أخذت مجستها فوجدتها قوية ، ثم جسّست فوجدت نقصانها ، فعلمت ذلك ، فتعجب المأمون من حذقه[٦] قيل كان طالوت دبّاغاً فآتاه الله الملك على رغم من كره، وداوود راعى غنم فأتاه الله المُلك والحكمة ، وموسى راعياً أجيراً

(١) المحاضرات ج ٤ ص ٤٧٨ .
(٢) المحاضرات ج ٢ ص ٤١٨ .
(٣) حلالت هوذا .
(٤) المحاضرات ج ٢ ص ٤١٩ .
(٥) حضرته .
(٦) المحاضرات ج ٢ ص ٤٢٦ .

لشعيب ، وعيسى صياد سمك ، وهذا من باب أن تتبع فتكثر[١] .

وقال في ذمّ الحاكة قيل : الحمق عشرة أجزاء تسعة في الحاكة ، ومرّ على أمير المؤمنين (عليه السلام) رجل يسعى فقيل له[٢] إلى أين ؟ فقال : إلى البصرة في طلب العلم ، فقيل[٣] ويلك أتترك علياً وتطلب العلم بالبصرة ، فقال أمير المؤمنين ما صناعتك ؟ قال نسّاج فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) من مشى مع حائك في طريق ارتفع رزقه ، ومن كلّم حائكاً لحقه شؤمه ، ومن اطّلع في دكانه أصفرّ لونه ، فقال قائل : لم يا أمير المؤمنين وهم إخواننا؟فقال (ع)إنهم سرقوا نعل النبي (ص) وبالوا في فناء الكعبة ، وهم تبع الشيطان وشيعة الدجّال ، وسراق عمامة يحيى بن زكريّا ،وجراب الخضر ، وعصا موسى ، وغزل سارة ، وسمكة عائشة من التنوّر ، واستدلتّهم مريم فدلوها على غير الطريق[٤] فدعت عليهم أن يجعلهم الله سخرية وأن لا يبارك في كسبهم ، وقال له حائك[٥] دلّني على عمل أتواضع به ، فقال له : ما عمل أوضع من عملك وقيل[٦] شهادة الحائك تجوز مع عدلين[٧] وفي ذم النداف قال رجل لنداف : لو وضعت إحدى رجليك على حراء ، والأخرى على طور سينا ثم أخذت قوس قزح تندف الغيم[٨] في جياب الملائكة ما كنت إلا ندافاً وقال الصاحب ـ رحمه الله ـ :

قُل لإبن ماشادة[٩] الفقيه ... يا آنف الناس من أبيه
جمعت ضدين في مكانٍ : ... صنعة حلج وفرط تيه[١٠]

---

(١) المحاضرات ج ٢ ص ٤٦٠ .
(٢) فقال له .
(٣) فقال :
(٤) طريق .
(٥) وقال حائك لعالم دلني . .
(٦) من عملك فالزمه وقال :
(٧) المحاضرات ج ٢ ص ٤٦٠، ٤٦١ .
(٨) تندف به قطن الغمام .
(٩) ماسوية .
(١٠) المحاضرات ج ٢ ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ .

وفي ذم الإسكاف : قيل لمجنون : ما تقول في إسكاف مات وترك أختاً وأماً فقال : ميراثه للكلاب ، ونفقته على الدبّاغين ، وليس لأخته ولا لأمّه إلاّ نثر التراب وتخريق الثياب[1] وفي كليلة : خمسة نفر المال أحبّ إليهم من أنفسهم : المقاتل بالأجرة وراكب البحر للتجارة ، وحفّار البئر والقناة والإسراب والمدل بالسباحة ، والمخاطر على السمّ قال وقال رجل من الكناسين لآخر : ويحك ألا تعجب من فلان يزعم أنّه كنّاس بن كنّاس! فقال قل له يا ابن الخبيثة ما لك والكنس قد والله بغضوا إلينا هذا العمل اف وتفّ من النوكى وجاء أمس ويقول ، إنّا كنّا أما والله لو شهدنا ونحن نكنس المطابق والسجون فلا نخطيء إذا ما قدرنا بزنبيل واحد ولا نتحاشى من الدخول في كنفها علم من الكنّاس بن الكنّاس[2] قال ومرّ المأمون متنكراً وإذا كنّاس يقول قد سقط المأمون من عيني منذ قتل أخاه فبعث إليه ببدرة وقال له أن رأيت أن ترضى عني فعلت : وقال في مذمّة الفقر : وما من خصلة تكون للغني مدحاً إلاّ وتكون[3] للفقير ذمّاً : إذا كان حليماً قيل بليداً ، وإن كان شجاعاً قيل هو أهوج وإن كان لسناً قيل مهذار ولقد صدق من قال :

إنّ ضرَطَ الموسر في مجلس قالوا له ؛ يرحمك الله !
أو عَطَس المفلس في مجلس سبّ وقالوا فيه ما ساه
فمضرط الموسر عرنينه ومعطس المعسر مفساه

قال حسان :

ربّ حلم أضاعه عدم الما ل ،وجهل غطّى عليه النعيم[4]

ومن كلام ابن الرومي يطلب الجاه دون المال :

أريد مكاناً من كريم يصونني وإلاّ فلي رزق بكلّ مكان

وقال أيضاً ورد أعرابي تمّار بالكوفة فقال :

رأيتك في النوم أطعمتني قواصر من تمرك البارحة

(١) المحاضرات ج ٢ ص ٤٦٣ .
(٢) المحاضرات ج ٢ ص ٤٦٤ .
(٣) ولا تكون .
(٤) المحاضرات ج ٢ ص ٥٠٣ .

فقلت لصبيانـنـا أبشروا ... بـرؤيـا رأيت لكم صـالحة
قـواصر تـأتـيـكـم بـكـرة ... وإلاّ فـتـأتـيـكـم رائـحـة
فـقـال نـعـم أنّها حـلوة[1] ... ودع عـنـك لا إنّها مـالحـة

فأعطاه قوصرة تمر وقال أحبّ أن تتركني من هذه الرؤيا فإنّ رؤيا يوسف صدقت بعد أربعين سنة[2] وقال قيل : في التوراة مكتوب من صنع المعروف[3] إلى غير أهله كتبت له خطيئته وقال بزرجمهر : المصطنع إلى اللئيم كمن طوق الخنزير تبراً ، وقرط الكلب درّاً ، وألبس الحمار وشياً ، وألقم الحية شهداً ، وقال أبو نخيلة :

متى تُسد معروفاً إلى غير أهله ... رُزئت ولم تظفر بحمد ولا أجرِ

وقال آخر :

وَمَن وَضَع[4] المعروف في غير أهله ... يُلاقي الذي[5] لاقى مجير ام عامِرِ[6]

سأل أعرابي شيخاً من بني أمية وحوله مشايخ فقال : أصابتنا سنة ولي بضعة عشرة بنتاً فقال الشيخ : وددت أن الله ضرب بينكم وبين السماء صفائح من حديد[7] فلا يقطر عليكم[8] قطرة وأضعف بناتك أضعافاً ، وجعلك بينهنّ مقطوع اليد والرجل ما لهنّ كاسب سواك ، ثم صفر بكلب له فشدّ عليه وقطع ثيابه فقال السائل : والله ما أدري ما أقول لك ، إنّك لقبيح المنظر سخيف المخبر ، فأعضك الله ببطون أمهات من حولك . ودخل رجل إلى محمد بن عبد الملك فقال : لي بك سببان : الجوار وسوء الحال ، وذلك داع إلى الرحمة .

فقال : أما الجوار فبين الحيطان ، وأما الرحمة من أخلاق النسوان والصبيان

---

(١) فقل لي : نعم إنها حلوة .
(٢) المحاضرات ج ٢ ص ٥٥٤ .
(٣) معروفاً .
(٤) يصنع .
(٥) كما .
(٦) المحاضرات ج ٢ ص ٥٩٠ .
(٧) صفائح حديد .
(٨) عليك .

أخرج عني ، فما مضى أسبوع إلا نكب[١] ومن طرائف ما أورده في نبش القبور قال : قال عمرو بن هاني الطائي : بعثني أبو غانم المروزي على نبش قبور بني أمية فانتهيت إلى قبر هشام فاستخرجته صحيحاً وما فقدت منه شيئاً إلاّ طرف أنفه ، إلاّ أنّه كان كرمة فأحرقناه ثم استخرجنا سليمان من أرض دابق فلم نجد إلاّ صلبه وجمجمته وأضلاعه ، واستخرجنا مسلمة فبقي جمجمته وكذلك كان عبد الملك ، ووجدنا معاوية كخط أسود كأنّ رماد ولم يوجد في قبر يزيد الأعظم واحد ، وما وجد من عظامهم أحرق وقال في الجبن قال خالد ابن صفوان لجاريته : أطعمينا جبناً فإنّه يشهي الطعام ، ويدبغ المعدة ويهيّج الشهوة فقالت : ما عندنا فقال : ما عليك فإنّه يقدح في الإنسان ويلين البطن وهو من طعام أهل الذمة فقال بعض جلسائه[٢] بأي القولين نأخذ ؟ فقال : إذا حضر فبالأول وإذا غاب فبالثاني وكتب كسرى إلى واليه : ابعث إلي بشرّ الناس على شرّ الدواب[٣] مع شرّ طعام ؟ فبعث إليه بخوزى على خنزير مع جبن .

إنّما الجبن آفة الجسم سُقماً ... وعلى القلب كربة الأوهام
بذّلوها بلقمتي سكباج ... أو شواء مفصل عن عظام[٤]

وفي العنب قيل : أجود العنب ما غلظ عموده واخضر عوده وسبط عنقوده وقال أبو حنيفة الدينوري عن بعض أهل دمشق : إنّه وزن حبة عنب مجلوبة من قرية يقال لها قرية العنب وكان وزنها عشرة دراهم ، وإنّ العنقود منها يملأ السلة قال ابن الرومي :

ورازقي مخطّف الخصورِ ... كأنّه مخازن البلورِ
قد ضمنت مسكاً إلى السطورِ ... وفي الأعالي ماء ورد جوري
لم يبق منه وهج الحرورِ ... إلاّ ضياء في ظروف نورِ
لو أنّه يبقى على الدهورِ ... قرّط آذان الحسانِ الحورِ[٥]

---

(١) فما مضى عليه أسبوع حتى نكب ، المحاضرات ج ٢ ص ٦٠٥ .
(٢) أصحابه .
(٣) بشر إنسان على شر دابة .
(٤) المحاضرات ج ٢ ص ٦١٦ .
(٥) المحاضرات ج ٢ ص ٦٢٢، ٦٢١ .

وفي المشمش : قال طبيب لرجل يغرس مشمشاً : ما تصنع ؟ قال أغرس شجرة تثمر لي ولك ، فأخذ هذا المعنى ابن الرومي فقال :

إذا ما رأيت الدهر بستان مشمش   تعلّم يقيناً أنه لطبيب
يغلّ له ما لا يغلّ لأهله   يغلّ مريضاً حمل كلّ قضيب

وقال آخر :

كأنّها بوتقة أحميت   يجول فيها ذهب ذائب[(١)]

وقيل في العسل أن أجوده الذهبي الذي إذا قطرت على الأرض منه قطرة استدارت كالزيبق ، ولم تختلط بالتراب وقيل[(٢)] ما يلطخ على الفتيلة ثم توقد فيها النار فتعلّق ، وكتب هشام إلى عامله إبعث إليّ بعسل من عسل خدار ، ومن النحل الأبكار من المشتار الذي لم تبلغه النار[(٣)] وقيل لرجل ما تشتهي ؟ قال : جنى النحل وجنى النخل فقال[(٤)] أيّها أحبّ إليك ؟ فقال : أشفاهما وأنقاهما وأبعدهما من الداء ، وأدناهما من الشفاء جعله الله في الجنان اللطيف بلا تفل والخفيف بلا ثقل »[(٥)] وقال في الأولوان : قال أفلاطون الصبغ الشقايقي والروايح الزعفرانية تسكن الغضب ، والصبغ الياقوتي والروايح الوردية والنرجسية تجزل السرور ، وإذا قرنت اللون الأحمر الى اللون الأصفر تحركت القوة العشقية ، وإذا قرنت الأصفر إلى الأسود تحرّكت القوة الشوقية ، وإذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية ، وإذا مزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها ، وقال في باب أطعمة العرب كانت العرب لم تعرف طيّبات الأطعمة ، وإنما كان طعامهم اللحم يطبخ بماء وملح ، حتى أدرك معاوية الأمارة فاتخذ ألوان الأطعمة . وكانت بنو أسد يأكلون الكلاب ولذلك قال الفرزدق :

إذا أسدي جاع يوماً ببلدة   وكان سميناً كلبه فهو آكله[(٦)]

---

(١) المحاضرات ج ٢ ص ٦٢٥ .
(٢) أجوده ما يلطخ .
(٣) لم تقربه نار .
(٤) فقيل له .
(٥) المحاضرات ج ٢ ص ٦١٨ .
(٦) المحاضرات ج ٢ ص ٦٢٦ .

وكان أحدهم يتناول الشعر المحلوق فيجعله في حفنة من الدقيق ثم يأكله مع ما فيه من القمّل . ولذلك قال شاعرهم :

بني أسد جاءت بكم قمّلية بها باطن من داء سوءٍ وظاهرِ

ومن طعامهم الفظّ وهي عصارة الكرش ، وقيل لأعرابي ما تأكلون ؟ فقال : نأكل ما دبّ ودرج إلاّ أم حبين فقال : لتهنّ أمّ حبين العافية قال أبو نواس :

ولا تأخذ عن الأعراب طعماً[1] ولا عيشاً فعيشهم جديبُ
دَع الألبان يشربها رجال رقيق العيشِ عندهم[2] غريبُ
بأرض[3] نبتها عشر وطلح وأكثر صيدها ضبُع وذئبُ
إذا راب الحليب فبُل عليه ولا تُحرج فما في ذاك حوبُ
فأطيب منه صافية شمول يطوفُ بكأسها ساقٍ أديبُ
يمدّ[4] لك العنان إذا حساها ويفتح عقد تكتّه الدبيبُ
وذاك العيش لا عيش البوادي وذاك العيش لا اللبن الحليبُ[5]

وقيل لحكيم ما تقول في الماء ؟ فقال : هو الحياة ويشركني فيه الحمار ، قيل : فاللبن قال ما رأيته إلا ذكرت أمي واستحييت ، قيل : فالخمر قال : تلك السادة القادة شراب أهل الجنة ، وكان رؤبة الشاعر يأكل الفأر فقيل له ألا تستقذره ؟ فقال هو والله يأكل فاخر متاعنا . وبنو تميم يعيّرون بأكل الضبّ قال أبو نواس :

إذا ما تميمي أتاك مفاخراً فقل : عدّ عن ذا كيف أكلك للضبّ[6]

وقعد رجل في سفينة مع يهودي معه ، سلّة قديد ، فاستولى الرجل عليها

---

(١) في الديوان : لهوا .

(٢) في الديوان : بينهم .

(٣) بلاد .

(٤) في الديوان : يجر .

(٥) في الديوان :

فهذا العيش لا خيم البوادي وهذا العيش لا اللبن الحليب

(٦) المحاضرات ج ٢ ص ٦٢٧ .

فأخذ يأكلها حتى لم يبق إلا عظيات ، فلما أراد الخروج منها ، رأى اليهودي السلة فارغة ، فسأل عن ذلك فقيل أنّ هذا الرجل أكل ما فيها ، فولول وقال : أكلت أبي ! فسألنا عن ذلك ، فقال : أبي كان أوصاني بأن يدفن بيت المقدس فلما مات قد دنا لحمه ليسهل حمله فأكله هذا[١] وقال في باب المتطفلين : قال طفيلي : إذا لم أدع ولم أجيء وقعت وحشة ثم أنشد :

نزوركم لا نؤاخذكم[٢] بجفوتكم   إنّ الكريم إذا لم يستزر زارا

ولبعضهم أحسن الأشياء إن خفت من الأقوام جفوة طرحك الحشمة عنهم وتجيء من غير دعوة ، وقال طفيلي كبيرنا أبو هريرة كان يتطّفل على معاوية في الطعام وعلى علي (عليه السلام) في الصلاة وقال أبو الجهم :

كم لطمة في حرّ وجهك صلبةٍ   من كفّ بواب سفيهٍ ضابطِ

حتى وصلت قتلت أكلة ضيغم   متضمّخ بدم وأنف ساقطِ

فسمعها طفيلي فقال نعم من طلب عظيماً خاطر بعظيم[٣] وقال في باب الطمع قيل هو أطمع من أشعب وهو بالباء الموحدة ، وذلك أنّه : قيل له ما بلغ من طعمك ؟ قالّ ما زفت عروس إلا رششت بابي[٤] طمعاً أن يحمل إلى داري ، وما سارّ أحد آخر إلاّ ظننت أنّه يأمر لي بشيء ، ورأى طفيلي آخر فقال له : هلاّ حضرت دعوة فلان ؟ فقال : كنت أستحيي ، فقال : لا تجتمع التطفل والحياء . أما سمعت قول الشاعر :

لا تستحين من القريب   ولا من الفظّ البعيد

ودع الحياء فإنّما   وجه المطفّل من حديد[٥]

وقيل لطفيلي ما تحفظ من القرآن ؟ قال قوله تعالى : **﴿وإذ قال موسى لفتاه آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾** وقيل لآخر إشتر لنا لحماً فقال : لا

(١) المحاضرات ج ٢ ص ٦٢٧ .
(٢) لا نكافئكم .
(٣) المحاضرات ج ٢ ص ٦٣٩ .
(٤) إلا كنست بابي ورششته :
(٥) المحاضرات ج ٢ ص ٦٣٩ .

أحسن الشراء ، فقيل له : أوقد النار . فقال أنا كسلان[١] فلما طبخ القدر قيل له تعال وكُل فقال أخجل أن أكثر مخالفتكم . وقال في باب الثّقل قال ابن سيرين مكتوب في كتاب سوء الأدب إذا أتيت منزل قوم فلا ترض بما يأكلون ، وسلهم[٢] ما لا يجدون وكلّفهم[٣] ما لا يطيقون واسمعهم[٤] ما يكرهون فإن لم يضربوك[٥] فإنّهم يستاهلون[٦] ودخل ثقيل على ابن أبي البغل فأطال الجلوس فلما خرج الناس ، قال : هل من حاجة ؟ فقال لا فانتظره ساعة ، ثم قال ما اسمك فقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله فقال لحاجبه : خذ بيد أبي عبد الله محمد بن عبد الله واطرده إلى لعنة الله[٧] . وفي باب السماع قال : اجتمع في بعض الخانات أعمى ومفلوج واقطع ، فقيل للأعمى : غنّ فغنى .

إني رأيت عشية النّفر   حوراً نفين عزيمة الصبر

فقيل كيف رأيت وأنت أعمى ؟ وقيل للمفلوج غنّ فقال :

إذا اشتد شوقي وهاج الألم   عدوت على بابكم في الظُلَم

قال فقيل للمفلوج : كيف تعدو ؟ لا تكذب . وقيل للأقطع : هات فقال :

شبكت كفي على رأسي وقلت له   يا راهب الدير هل مرّت بك الإبل

, فقاللوا أنت أكذبنا وأجودنا [غناء][٨] :

وقال في وضع الشطرنج قيل إنّما وضعها فيلسوف لملك رام أن يرى الحرب وتدابيرها في خفض ودعة ، فلما وضعه له أعجب به الملك فقال له : أقترح ما شئت وسل ما تمنيت ، فقال أولني لأوّل من بيوته درهماً ، ثم أضعفه في الثاني ثم في

---

(١) بعده في المحاضرات : فقيل له اطبخ قال لا أحسن الطبخ فلما عرف الطعام ، قيل له تقدم فكل فقال أكره أن أكثر (الخ) .

(٢، ٣، ٤) وسألتهم ، وكلفتهم ، وأسمعتهم .

(٥) يخرجوك .

(٦) فإنهم لذلك مستأهلون .

(٧) المحاضرات ج ٢ ص ٧٠٢ .

(٨) المحاصرات ج ٢ ص ٧٢٣ .

الثالث إلى أن ينتهي إلى آخر البيوت ، فاستقل الملك ذلك وقال : رأيتك حكيماً في وضعك ذلك ، فاستحقرتك في مقترحك ، فقال : إنّي يقنعني ما سألت إن وفيت لي : فقام رأس وزرائه فقال : أيها الملك إنّه لا يفي مُلكك ولا مالك بما أقترح ، فقال كيف : فعملوا به حساباً فإذاً هو عشرة آلاف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف، وأربع مئة وستة وأربعين ألف ألف ألف ألف ألف ألف وسبع مئة ألف ألف ألف وستة آلاف ألف وخمس مئة ألف وإحدى وخمسين ألفاً وستّ مئة وستة عشر ، فقال الملك : لا ندري أيما أعجب الشطرنج أم الأمنية ، والشطرنج كلمة فارسية هشت رنگ وقال مرّ أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوم يلعبون به فقال :﴿**ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟**﴾ ولم يأمرهم أن يرفضوه قيل : وإنّما قال لهم ذلك لأنّها كانت على صور الأفراس والفيلة[1] ولبعضهم في مذمته :

لعب الشطرنج شؤم فاجتنبها يا مشومُ
إنّما عدت لقومٍ شأنهم شأن عظيم
ملك يجبي إليه أو وزير أو نديم
هبك فيها ألعب الناس فماذا يا حكيم

وكان أهل المدينة إذا خطب إليهم من يلعب بالشطرنج لم يزوّجوه ويزعمون أنه أحد الضربين[2] قال ومما جاء في آلات القمار أسماء القداح تسمى القداح الأزلام والأقلام ، وهي عشرة ، سبعة ذات خطوط قد نظّم أساميها الصاحب ـ رحمه الله ـ في قوله :

إن القداح أمرها عجيبُ الفذّ والتوأم والرقيبُ
والحلس ثم النافس المصيب والمصفح المشتهر النجيبُ
ثم المعلى خطّه الرقيب هاك فقد جاء بها الترتيب

والمصفح يسمى المسبل والرقيب يقال له الضرب ، والإغفال التي لا خطوط لها السفيح والمنيح[3] والوغد[4] ، وقال في أصناف الناس : قال معاوية

(١) المحاضرات ج ٢ ص ٧٢٥ .
(٢) إحدى الضرتين . المحاضرات ج ٢ ص ٧٢٦ .
(٣) المنيح والفسيح .
(٤) المحاضرات ج ٢ ص ٧٢٥ .

للأحنف : صف لي الناس وأوجز ، فقال رؤوس رفعهم الحظّ ولباب[١] عظّمهم التدبير ، وأعجاز شهرهم المال ، وأذناب أتحفهم الأدب ، ثم الناس بعدهم البهائم[٢] إن جاعوا ساموا ، وإن شبعوا ناموا ، وقال سلمان الفارسي : الناس أربعة أصناف آساد وذئاب وثعالب وضأن فأمّا الآساد فالملوك ، وأمّا الذئاب فالتجار ، وأمّا الثعالب فالقراء المخادعون ، وأمّا الضأن فالمؤمن ينهشه كل من يراه ، وقال امرؤ القيس :

عصافير وذؤبان ودود وأجرأ من محلّجة الذئاب[٣]

قال وقال الجاحظ : لكل صنف من الناس ضرب من النسك ، فنسك الخصي غزو الروم ولزوم الرباط بطرسوس ، ونسك الخراسان في الحج ، ونسك المغنى كثرة التسبيح والصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع شرب النبيذ ، ونسك الرافضي إظهار ترك النبيذ وزيارة المشاهد ، ونسك السوادي ترك شرب المطبوخ ، ونسك المتكلم رمي الناس بالجبر والتعطيل والزندقة ، ونسك المخنّث أن يصير دلّال النسوة وقيل إذا نسك الشريف تواضع ، وإذا نسك الوضيع تكبر ، قال وذم العباس بن الحسين رجلاً فقال هو فتى يعدّ[٤] في صداقته ما يتوثّب به في عداوته ، وقال شاعر في معناه :

إحذر أخوة كل من شاب المرارة بالحلاوة
يحصي الذنوب عليك أيام الصداقة للعداوة

وقال آخر :

ولا خير في ودّ امرىءٍ متكارهٍ عليك ولا في صاحب لا توافُقه

وقال علّان الوراق رأيت العتابي[٥] يأكل خبزاً على[٦] الطريق فقلت له أما

(١) وكواهل .

(٢) بهائم .

(٣) وآخر من مجلجلة الذئاب المحاضرات ج ٣ ص ٢٨ .

(٤) يترصد .

(٥) قال علان العتابي رأيت كلثوماً

(٦) في .

تستحي تأكل عند هذا الخلق[١] فقال لو كنت في دار فيها بقر وأنت جائع أكنت تأكل عندها ؟ فقلت نعم ، فقال هؤلاء بقر وإن شئت أريتك دلالة ذلك ، انظر فقام ووعظ وجمع قوماً ثم قال : روى من غير وجه أنّ من بلغ لسانه أرنبة أنفه أدخله الله الجنة ، فلم يبق أحد إلا أخرج لسانه فنظر هل يبلغه[٢] قال ومن شعر العباس بن الأحنف في المحبة :

أستغفر الله إلاّ من محبّتكم فإنّها حسناتي يوم ألقاهُ
فإن زعمت بأنّ الحب معصية فالحب أحسن ما يعصى به اللهُ

وقال بعض الصوفية :

دع الحبّ يصلي بالأذى منْ حبيبه فكل الأذى ممن يحب سرورُ
تراب قطيع الشاه في عين ذئبها إذا ما تلا آثارهن ذرورُ

وما أحسن ما قال المتنبي :

سهاد أتانا منك في العين عندنا رقاد وقلام رعى سر بكم ورد

وقال في الحث على التزويج أيام الشباب : خرج ملك من ملوك العجم ذات يوم فإذا بشيخ يعمل في أرض له فقال له أيّها الشيخ لو أدلجت فيكون لك من يكفيك ؟ فقال : أيها الملك أدلجت ولكن أضللت الطريق[٣] فقال له أكتم ما قلنا حتى أراك فقال لوزير له ما معنى قول رجل قيل له كذا فأجاب بكذا ؟ وقد أنظرتك حولاً ، فأخذ الوزير يسأل الناس فلم يدروا حتى عرف الشيخ فسأله ، فقال : إنّ الملك قال لي هذا وأجبته ولكن أمرني أن لا أخبر به أحداً حتى أراه . فبذل له عشرة آلاف درهم فقال عني هلاّ تزوّجت صغيراً فيكون لك اليوم من يكفيك ، فقال قد فعلت ولكن لم يتّفق فعاد إلى الملك فأخبره بذلك ، فدعا بالشيخ وقال : ألم أقل لك لا تخبر بهذا أحداً حتى أراك ، فقال ما أخبرت حتى رأيتك عشرة آلاف مرة يعني أخذت عشرة آلاف درهم على كل صورتك ، فقال :

---

(١) تأكل بحضرة الناس .
(٢) المحاضرات ج ٣ ص ٢٩ .
(٣) أدلجت ولكن القضاء لم يدلج .

زه فأخذ بذلك أربعة آلاف درهم أخرى[١] قال وقال يحيى بن أكثم لشيخ بالبصرة: بمن اقتديت في جواز المتعة ؟ فقال : بعمر بن الخطاب فقال كيف هذا وعمر كان أشد الناس فيها ؟ قال : لأنّ الخبر الصحيح قد أتى أنه صعد المنبر فقال أنّ الله ورسوله أحلاّ لكم متعتين وإنّ أحرّمهما عليكم وأعاقب عليهما فقبلنا شهادته ولم نقبل تحريمه[٢] .

وقال لقمان : شيئان لا يحمدان إلاّ عند عاقبتهما : الطعام والمرأة فالطعام لا يحمد حتى يستمرأ والمرأة لا تحمد حتى تموت وفي المثل لا تحمدنّ أمة عام شرائها ولا حرة عامة نكاحها وقال وهب بن منبّه قد عاقب الله النساء بعشر خصال : بشدّة النفاس والحيض ، وجعل ميراث اثنتين ميراث رجل ، وشهادتها شهادة رجل واحد ، وجعلها ناقصة الدين والعقل لا تصلي أيام . . .[٣] لا تسليم على النساء ، وليس عليها جمعة ولا جماعة ، ولا يكون منهن نبي ولا تسافر إلا بولي[٤] وروى أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سمع على المنبر[٥] أنّ بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا فتاتهم علي بن أبي طالب ألا فلا آذن ثمّ لا آذن [ثلاثاً] إلاّ أن يحبّ علي أن يطلق ابنتي وينكح فتاتهم أن فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها[٦] وقال في ذمّ طول اللحية : قال الجاحظ : ما طالت لحية رجل إلاّ تكوسج عقله .

ألم تر أن الله أعطاك لحية   كأنّك منها بين تيسين قاعدُ

وقال ابن الرومي :

إذا عرضت للفتى لحية   وطالت فصارت إلى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا   بمقدار ما زيد في لحيته

وعرض على الرشيد خيل مصر فمر به أفراس كثيرة وسمها الجنيدي فسأل

(١) المحاضرات ج ٣ ص ٢٠٠ مع تصرف .
(٢) المحاضرات ج ٣ ص ٢١٤ .
(٣) بياض في الأصل .
(٤) المحاضرات ج ٣ ص ٢١٩ .
(٥) صعد المنبر يوماً فقال .
(٦) المحاضرات ج ٣ ص ٢٣٣ .

عنه فقيل : هو صاحب الأفراس فاستحضره فإذا هو لحياتي أحمق ، فقال الرشيد ما أحسن هذه اللحية[١] .

فقال هي للخليفة يقبلها هدية[٢] وقال في اختلافات أهل الكتاب النصارى أربعة أصناف النسطورية واليعقوبية والملكانية واللاهوتية وهم الصقالبة قالت النسطورية وهي منسوبة إلى نسطور الأسكندراني : عيسى كلمة الله وروحه حلّت في بطن مريم بطبيعة لاهوتية ويقولون إن الله ليس بجسم ويقولون : في عيسى روحان قديم ومحدث وقالت الملكانية وصاحبهم توفليس حلت الكلمة في بطن مريم بطبيعة لاهوتية وقالوا في عيسى نفس مخلوقة وقالوا الله اسم لثلاثة معان أب وابن وجوهر ثالث وهو روح القدس وقالت اليعقوبية وهم منسوبون إلى يعقوب شاعر لهم : عيسى كلمة الله وكلمة الله لا لحم ولا دم ثم نزل في بطن مريم لينقذ الناس فاتخذ من لحمها هيكلاً فصارت الكلمة لحماً ودماً فذلك اللحم والدم هو الإبن اللاهوتي وقد كان لا في مكان ثم صار في مكان وكلهم يتأولون مذهبهم للفظة زعموها في الإنجيل والكلمة صارت لحماً ودماً . وجلس المأمون يوماً وبحضرته المتكلمون والجاثليق فأقبل المؤبد فقال الجاثليق أتحبّ يا أمير المؤمنين أن أضحكك من المؤبد ؟ .

فقال : نعم فلما جلس أقبل عليه الجاثليق فقال يا أمير المؤمنين هذا يزعم أنّ الجنة بباب حرامة فلما أكثر جماعها كان أقرب إلى الجنة فقال المؤبد ما كنا نفعل ذلك حتى أخبرنا أن إلهكم خرج من ثم فأخجله وضحك حتى فحص برجله .

وقال أيضاً تنبأ رجل في زمن المأمون فقال أنا ابراهيم الخليل فأحضره المأمون فقال إنّ ابراهيم ألقي في النار فصارت برداً وسلاماً فهل نلقيك فيها لنعرف معجزتك فقال هات غير هذا فقال ائتني بمثل براهين موسى وعيسى فقال جئتني بالطامة الكبرى فقالوا ما لك معجزة فقال سألتهم وقلت أنّكم توجهوني إلى شياطين فاعطوني حجة وإلا لم أذهب فقال جبرئيل أخذت في الشوم الساعة أذهب أولاً

(١) ما أحسن هذه الأفراس .

(٢) المحاضرات ج ٣ ص ٣١٤ .

وأنظر ما يقولون فضحك المأمون وقال هذا محرور هاج به السوداء فخلى سبيله .

قال وقال بعضهم تعلمت من أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثة أحاديث ونصفاً الأوّل إذا ابتلت النعال فالصلاة في الرّحال والثاني ليس من البر الصيام في السفر والثالث إذا حضر الصلاة والعشاء فابدأوا بالعشاء ونصف الحديث حبّب إلى من دنياكم النساء والطيب وقد قال وقرة عيني في الصلاة [وأنا أقول وسخنة عيني في الصلاة] .

وقال في أحوال جماعة من الحيوان أنّ الضفدع إذا أبصر النار تحير ولم يعق والخنفساء في إست الحمار غشي عليه فلا يفيق حتى يخرج وكل حيوان غذى بالنتن فإنه يموت بالطيب والذباب إذا غرق في الماء مات وإذا دفنته في التراب حي والزنبور إذا غرق في الزيت مات ويحيا بالخل والأسد إذا رأى قربة منفوخة انهزم واللبوة تضع ولدها وقيل تضعه شبلاً ميتاً فيأتيه أبوه في الثالث فينفخ في منخره فينبعث وتضع الذئبة ولدها لحماً لا صورة له ثم تلحسه حتى يستوي ، من لسعته العقرب فأدخل في إسته قطعة جليد برىء مكانه والمرأة إذا لدغتها فجومعت برئت ، زبد الجمل الهائج يذهب العقل إذا مدّ على باب شعرة من ذئب فهو عتيق لم يدخله بعوض ما دامت الشعر ممدودة الحمار إذا أكل خرؤ الثعلب مات والفارة إذا أكلت المردار سنج ماتت إذا حف الكلب فدهن إسته ذهب حفه .

والثور إذا دهن إسته لم يخف القنفذ لا ينام الفهد لا يسهر الغداف إذا خرج فرخه هرب منه لأنّه يخرج أبيض فيجتمع عليه البعوض لزهومة رائحته فيبتلع منها ما يقيمه إذا رأت الحية إنساناً عرياناً هربت منه النمل لا تتولد من تزواج لكنه يلقى في الأرض شيئاً يسيراً فيصير بيضاً ثم يتصور هذا ولبعضهم في الكناية عن عداوة المرء لما جهل :

أيها العائب سلمى   أنت عنها كثعالة

رام عنقوداً فلما   أبصر العنقود طاله

قال هذا حامض   لما رأى أن لا يناله

هذا ومن شعر أبي القاسم الراغب أيضاً بنص نفسه في كتابه الموصوف الذي التقطنا عنه هذه الجملة هذان البيتان :

(١) المحاضرات ج ٤ ص ٧٠٦ .

عـات كـأيّـام الحيـاة أعـده   لألقى بـه بـدر السماء إذا حضر
فـإن أخذت عيني محـاسن طرفـه   دهشت لما ألقى فتهلكني الحصر

وكـانت وفاتـه كما في تـاريخ أخبـار البشر معبّـراً عنـه بـالشيـخ أبي القـاسم الإصفهـاني أحد الحفّـاظ سنة خمس وستـين وخمس مئة وذلـك قبـل وفـاة جـار الله الزمخشري والظاهر أنّها اتفقت ببغداد دون إصفهان والله العالم .

٢٧٤
القـاضي أبـو عـلي الحسـين بن عبـد العـزيـز بن محمـد القـرشي القهـري الأندلسي(*)

الغرناطي الموطن البلنسي الأصل الجياني المولـد المعروف بـابن أبي الأحوص ومرة بابن النـاظر ، الحـافظ الأديب المقري النحـوي ، الفقيه المحـدث المشهور ، كـان من تلامـذة أبي الربيـع وأبي سالم وأبي القـاسم وأبي الـطيلسـان وأبي الحسن الغـافقي وابن الكواب وعلي بن جابر بن عـلي المعرّف بـأبي الحسن الدبّـاج الأشبيلي اللحمي الحافظ المقري النحوي المشهور ، وعمر بن محمد الأشبيلي الملقب بشلّوبين الأكبر ، وغير أولئك ، وكان من أهل الضبط والإتقان في الرواية ، ومعرفة الأسانيد ، نقاداً ذاكراً للرجال ، حـافظاً للحـديث والتفسير ، شـديد العنـاية بـالعلم ، مكبّاً عـلى تحصيله وإفادته حريصاً على نفع الطلبة .

ولـه من المصنفات كتـاب في القراءات ، وكتـاب سماه « بـرنامـج » وكتـاب « المسلسلات » وكأنّه نظير مـا ألّفه الشيـخ جعفر بن أحمـد بن علي القمي الإمـامي المتقدم ذكره ، وكتـاب « شرح المستصفى » و« شرح الجمل » و« شرح الأربعـين » سمعها منه أبو حيان النحوي المشهور ، وكان مولده سنة ثلاث وست مئة ، ومـات بغـرناطـة التي هي من بلاد أنـدلس المغرب ، حسب في بـاب الأحمدين سنـة تسع وتسعـين[1] وست مئة كـما عن ابن الزبـير أو سنة السبـع مئـة الكـاملة من الهجـرة

(*) له ترجمة في : بغية الوعاة ج ١ ص ٥٣٥ قضاة الأندلس ص ١٢٧ .
(١) في البغية سبعين .

المقدسة كما عن ابن عبد الملك[1] ومن شعره الذي نقله الحافظ السيوطي وهو بديع في طرزه قوله :

رغبت عن الدنيا لعلمي أنها ... محل حياة المرء فيه بلاغ
وقد لاح في فؤادي شيب على الردى ... دليل وفيه ما أردت بلاغ
وأمّلت من مولاي نظرة رحمة ... يكون بها مني إليه بلاغ
فأحظى إذا الأبرار قيل لهم غداً ... هلموا إلى دار النعيم فراغوا
رأيت بنيها ما رمتهم سهامها ... فطاشت ولا حمّ الحمام فراغوا
فعجت إلى دار البقاء بهمتي ... فعندي عنها راحة وفراغ[2]

٢٧٥

الحبر الحافظ المفيض المتبحر الداري كمال الدين مولانا حسين بن علي الواعظ الكاشفي البيهقي السبزواري(*)

كان جامعاً للعلوم الدينية عارفاً بالمعارف اليقينية كاشفاً عن الأسرار العرفانية واقفاً على السرائر الأفنانية ، معلماً في مضامير الغرائب من العلوم ، ومسلّماً في التفسير والحديث والرياضي والنجوم ، عادم العديل في إرشاد الخلائق بحسن التقرير ، وفاقد البديل في إرفاد السلائق جودة التحبير ، هاجر في مبادىء أمره إلى محروسة هراة ولازم سلطانها الأمير علي شير المشهور بأحسن السمات ، فكان يذكر بها الناس كل صبيحة من الجمعات في مسجد أميرها المذكور ، ويبكر كل ثلاثاء منه وأربعاء إلى مدرستها السلطانية ومزار ميرها المشهور ، ويقوم للناس في الخمائس عند حظيرة السلطان أحمد ويروم للإيناس بنفسه الأحد وما حول الأحد تزوّج في تلك الأيام بها على أخت المولى عبد الرحمن الجامي فاتهم بسببه عند أهل

---

(١) في البغية ، وقال ابن عبد الملك سنة ثمانين .

(٢) البغية ج ١ ص ٥٣٥، ٥٣٦ .

(*) له ترجمة في أعيان الشيعة ج ٢٧ ص ٥٠، الذريعة ج ٩ ص ٨٩٩ ، رجال حبيب السير ص ١٩٠ ، رشحات عين الحياة خ روز روشن ص ٦٦٩ ، رياض العلماء سبك شناسى ج ٣ ص ١٩٦ ، الكنى والألقاب ج ٢ ص ١٠٥ ، گلستان مسرت ص ٣٩٠ مجالس المؤمنين ص ٢٣٥ مجالس ، النفائس ، هفت إقليم .

بلده الذين هم كانوا من كلّ متصلب أمامي ومن غرائب ما ذكره صاحب « مجالس المؤمنين » وهو من متعلّقات هذا المقام والدلالات الواضحة على استسعاد الرجل بسعادة الإلهام ، هو أنّه لما راجع سبزوار المحمية بعد زمن توقّفه بالهراة ، أراد أهلها التجربة لحقيقة حاله ، والإستكشاف عن طريقته ومنواله ، وهو على منبر جامعهم الكبير يعظ الناس ويذكر لهم الأحاديث ، حتى إذا بلغ حديث أن جبرئيل الأمين نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اثنى عشر ألف مرة :

فقام إليه واحد من مشايخهم يريد تخجيله وفضيحته ، وقال له : فأخبرنا يا شيخ كم مرة نزل على أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فأطرق ملياً من دهشة ما لقي ، ثمّ ألهم أن قال نعم إنّما نزل عليه الروح أربعة وعشرين ألف مرة فقال له الرجل وهل تقول ذلك من غير دليل ؟ .

فقال : لا بل الدليل عليه أنّه (ع) كان باباً لمدينة علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحكمته كما ورد في النصوص ومن قدم إلى مدينة عدداً فلا بد أن يكون ورودها على باب تلك المدينة مثلي ذلك العدد ، فتعجّب القوم من حسن مجادلته ولم يتعاملوا بعد معه إلاّ بخير ، قلت : وفي حديث الشيعة أنّه (عليه السلام) نزل على إبراهيم (عليه السلام) خمسين مرة وعلى موسى أربع مئة مرة وعلى عيسى عشرة مرات وعلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعة وعشرين ألف مرة ويناسب ذلك ما روي عن مولانا الباقر (عليه السلام) .

أنّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً ، وكان عند آصف بن برخيا وزير سليمان حرف واحد فتكلم به فخسف الأرض ما بينه وبين سرير بلقيس ، حتى تناول السرير بيده ، وعندنا من الإسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده ، وعن الصادق (عليه السلام) أنّه قال أعطي عيسى بن مريم حرفين كان يعمل بهما ، وأعطي موسى أربعة أحرف وأعطي ابراهيم ثمانية أحرف وأعطي نوح ثلاثة عشر حرفاً ، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً وأعطي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اثنتين وسبعين حرفاً ، هذا ومن جملة مصنّفاته الكثيرة التي لا تحصيها عدداً وأكثرها بالفارسية كتاب التفسير الكبير المسمّى بـ « جواهر التفسير » مشتملاً على فوائد جمّة في المقدمات لا يكاد توجد في

غيره ومقاصد عالية في الضمن وأحاديث نادرة ولطائف نكات تهوي إليه أفئدة أولى الأبصار .

ويظهر من مجلده الأول الذي ناهز خمسين ألف بيت على الظاهر مع أنه لم يتجاوز الجزء الخامس من القرآن الكريم أنّه لو تم لبلغ ثلاث مئة ألف من الأبيات ، ولكنه لم يتعدّ ذلك المقدار الذي هو موجود بين أظهرنا كما أفيد ، ومنها تفسير آخر له يدعى بـ « مختصر الجواهر » في نحو من عشرين ألف بيت إلى آخر القرآن وكتاب آخر له سماه بـ« المواهب العلية » وهو أيضاً في التفسير وكتاب في تفسير سورة يوسف بالخصوص على التّفصيل بلسان أهل العرفان وكتاب « روضة الشهداء » في مقاتل أهل البيت عليهم السلام وظنّي أنّه أوّل كتاب صنّف في هذا الشأن ملمعاً بالنظم والإنشاء الفاخرين على ذلك النهج الحميد فتلقاه أهل الذكر لمصائب المظلومين بالقبول وأنشدوه على رؤوس المنابر .

ثمّ سمّوا أولئك وكذا كلّ من تبعهم بعد في ذلك على التدريج « بروضة خوان » لقرائتهم إيّاه ثم توسع في اللقب بالنسبة إلى كلّ من يذكر مصائبهم على المنابر إلى الآن كما يقال لكلّ من يذكر للناس الغزوات والوقائع « بحمله خوان » مع أنّ « الحملة الحيدرية » التي نظمها الفاضل الآميرزا رفيعاً القزويني واحد من كتب ذلك الشأن ، وكتاب « الأنوار السهيلي » في تدابير الحكم والآداب بألسنة الحيوانات كبير ، كتبه باسم الأمير شيخ أحمد المشتهر بالسهيلي وهو تلخيص وتوضيح لما نثره الشيخ أبو المعالي نصر الله بن محمد بن عبد الحميد من نظم الرودكي الشاعر المشهور له بإشارة نصر بن أحمد الساماني وسمّاه بـ« كليلة ودمنة » وكان قد ترجمه قبل من العربية إلى الفارسية غيرهما وترجمه أولاً من البهلوي إلى العربي الشيخ عبد الله بن المقفع الأديب المشهور في زمان خلافة المنصور ومن الهندي إلى البهلوي بعض حكماء دولة أنو شيروان العادل وأصله لبعض حكماء الهند ، وكانوا يضنون بخروجه عن مملكتهم ، فنقل أن بعض الأذكياء الفطنين كتبه بماء البصل لئلا يعرف .

ثم لما بلغ ممكلة إيران أظهر كتابته بالنار ، فانتشرت نسخه بعد . وكتاب الأخلاق المحسني » وكتاب « مخزن الإنشاء » فيما يكتب بالفارسية إلى طبقات

الناس ، وكتاب « فضل الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكتاب اختيارات النجوم سماه « ألواح القمر » وكتاب « الأربعين في أحاديث الموعظة » وكتاب له في شرح أسماء الله الحسنى سماه « المرصد الأسنى » وكتاب له في « الأدعية والأوراد المأثورة » وكتاب له « علم الحروف » وكتاب « الأسرار القاسمي » في السحر وعلوم الطلسمات وأمثال ذلك ، وكتاب « السبعة الكاشفية » يتضمن وسائل سبع في علم النجوم وكتاب « بدائع الأفكار في صنائع الأشعار » وله أيضاً كتاب في « شرح مثنوي المولى الرومي » وكتاب آخر في لبّه وثالث في لبّ لبّه وكتاب سمّاه « التحفة العلية » يشتمل على كثير من أسرار الحروف وغير ذلك وفي « مجالس المؤمنين » أنّه كان مائلاً إلى الشعر ، ومن جملة ما أنشده بالفارسية قصيدة له في مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) يذكر فيها هذين البيتين :

ذريّتي سؤال خليل خدا بخوان   وز لا ينال عهد جوابش بكن ادا
گردد تو را عيان كه إمامت نه لايقست   آنرا كه بوده بيشتر عمر در خطا

وهما أصرح دليل على تشيعه لأن الإستدلال بهذه الآية على اشتراط العصمة في الإمام مشهور بين الشيعة الإماميين هذا ، وقد توفي بالهراة المحروسة في حدود سنة عشر وتسعمأة كما عن كتاب « حبيب السير » وفي « تاريخ أخبار البشر؛ » وذلك بعد جلوس الشاه اسماعيل الصفوي الأول على سرير السلطنة بأربع سنين .

ثمّ إنّ لهذا الفاضل ولداً عالماً عارفاً جامعاً متبحراً يدعى بالمولى فخر الدين الصفي علي بن الحسين بن علي الكاشفي قال صاحب « رياض العلماء » بعد ما ذكره في القسم الأول من كتابه المذكور ، وقد كان هو أيضاً مثل والده من أكابر العلماء وله معرفة تامة بعلم الجفر والحروف والأعداد والعلوم الغريبة أيضاً ولكن والده أكثر علماء وأوفر حظاً منه في سائر العلوم وكان هو من علماء دولة السلطان شاه طهماسب الصفوي ، وله من المؤلفات كتاب « لطائف الطواف » بالفارسية في القصص والحكايات الظريفة ، وعندنا نسخة منه وكتاب« حرز الآمان من فتن الزمان » في علم أسرار الحروف وخواصها ومنافعها و« خواص آيات القرآن وآثارها » ورأيت نسخة منه ببلاد سجستان وهو كتاب جامع كامل في معناه غريب وله أيضاً رسالة في اختصار كتاب « الأسرار القاسمي » لوالده رأيتهما في بعض البلاد وكتاب « أنيس العارفين » بالفارسية في المواعظ والنصائح وتفسير الآيات

والأخبار والقصص والحكايات الغريبة ، إلى أن قال ثمّ لا يخفى أن هذا المولى أيضاً شيعي إمامي مثل والده ، والدليل عليه من وجوه منها : ما قاله في أوّل « حرز الأمان » المذكور ما حاصله أنّ مباحث هذا الكتاب لما كانت من جملة العلوم المنسوبة إلى آل العباء والأئمة الإثنى عشر عليهم الصلاة والسلام لا جرم جعلت مبنى المقالات والأبواب فيها على الخمس التي هي عدد آل العباء وجعلت فصول تلك الأبواب التي في أثناء هذا الكتاب مبنية على إثني عشر التي هي عدد الأئمة الأجلة الإثني عشر .

وقال المولى علي بن الحسين المذكور في صدر ذلك الكتاب أيضاً بالفارسية ، ما معناه ملخصاً أن علم الحروف من جملة العلوم الكلية ، ومشتمل على علوم كثيرة جليلة شريفة ، ويترتب على العلم بذلك منافع لا تحصى وفوائد لا تستقصى ، وكفى في علامة كرامة الحروف كونها مخزن الأسماء المكنونة الإلّهية ، ومكمن المعارف المخزونة الغير المتناهية .

فقد قال الشيخ شرف الدين أبو العباس البوني في كتاب شمس المعارف أن الحروف أعلام للأعلام وأسرار للأحكام ، ويظهر منه السرّ الأعظم ويسمع منها الكلام المجيد وأنّ المتكلمين في هذا العلم طائفتان : إحداهما أهل الحقيقة والثانية أهل الخاصية ، أما بحث الطائفة الأولى أعني أهل الحقيقة وهم أعلى وأكبر فهو من حيثية معاني الحروف ، وأرواحها وحقائقها ومن حيث استخراج العلوم الغامضة منها ، فإن كلّاً من صنوف المعارف وفنون العلم سواء كانت متعلقة بالحضرة الإلّهية ، أو بالمراتب الإمكانية وكلّ ما يحدث في تلك المراتب يمكن أن يستنبط من الحروف ، كما فعل بعض أهل هذا الفنّ فإنّه جعل حروف إسم كلّ واحد ولقبه منشأ الإستخراج فاطّلع على أكثر وقائع ذلك الشخص وسوانح أحواله .

وقد ألف كبراء هذه الطبقة في هذا العلم الشريف كتباً ومصنفات مثل « الجفر الكبير » و« الجفر الجامع » و« الجفر الخابية » ومن رسائل المتأخرين في ذلك « السجنجل » و« المحبوب » و« الدائرة السبية » و« كشف المعاد في تفسير أبي جاد » و« كتاب الألفين » وغير ذلك .

وأما بحث الطائفة الثانية أعني أهل الخاصية وهم أكثر وأظهر فهو من حيثية

خواص الحروف والكلمات والأرقام والأشكال لها بحسب وجودها اللفظي الذي يسمى الطريق الكلامي ، أو بحسب صورتها من الصور الرقيمة التي تسمى الطريق الكتابي .

ومقصود هذه الطائفة أن أحداً إذا قرأ في وقت معين وعدد معلوم وزمان خاص ، مثلاً الحروف الفلانية أو الكلمة الفلانية أو الآية الفلانية ، أو السور الفلانية ، ثلاث مرات مثلاً ، أو كتبها أو أمسكها معه أو دفنها في موضع أو محاها وشربها أو كتبها في موضع يظهر له خاصية كذا ، ومنفعة كذا ، بحسب المراتب الدنيوية ، أو المدارج الأخروية ، وأكثر الناس الذين لهم توجّه إلى هذا العلم غرضهم هو إدراك الآثار والخواص للحروف والكلمات والأرقام والأشكال لأجل جر نفع أو دفع ضرر ما نذكره في هذه الرسالة إنّما هو من جملة المجربات لأهل الخاصية .

ثمّ قال أيضاً ما معناه من أن أعاظم علماء هذا الفن الجامعين لتينك الطبقتين الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن علي القرشي البوني صاحب كتاب « شمس المعارف » الأكبر والأصغر والتعليقة الكبرى والصغرى ، و« اللمعة النورانية واللمحة الروحانية » و« ختمات السور القرآنية » و« ألواح الذهب » وغيرها من مؤلفاته وكلّ مؤلفاته في هذا الفن وفي غيره معتبرة معتمدة موثوق بها وخاصة كتاب « شمس المعارف » والختمات ونحن ننقل أيضاً منه كثيراً في هذا الكتاب .

ومنهم الشيخ محيي الدين محمد بن علي العربي صاحب كتاب « المدخل في علم الحروف » وهو من كمّل هاتين الطبقتين من أهل الحقيقة والخاصية .

ومنهم الشيخ تقي الدين عبد الله بن علي بن حسن النجيبي صاحب كتاب « اللحمة في حقائق الحروف » وهو من جملة الكتب النفيسة في حقائق الحروف ومعانيها ومنهم الشيخ أبو حامد محمد الغزالي صاحب كتاب « السر المصون والجوهر المكنون » في خواص حروف مرتبة الآحاد التي مدرجة في اللوح المثلث وهو أيضاً من كبار هاتين الطبقتين من أهل الحقيقة والخاصية .

ومنهم الشيخ عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليمني اليافعي صاحب كتاب

« الدر النظيم في منافع القرآن العظيم » إلى أن قال :

ومنهم الشيخ محمد بن ابراهيم التميمي الكازوني صاحب كتاب « خواص القرآن » وهو كتاب معتبر إلى أن قال :

ومنهم الشيخ فخر الدين الرازي صاحب كتاب « لوامع البيان » في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا .

ومنهم مولانا يعقوب الحرجي صاحب « رسالة خواص أسماء الله » ومنها رسالة لبعض تلامذة ابن عباس الموسومة بكتاب « سر الآيات » وقد جمعه من أقوال ابن عباس ونحن ننقل منه كثيراً في كتابنا هذا إلى غير ذلك من الكتب والرسائل المعتبرة الكثيرة من مؤلفات الحكماء المتقدمين والعلماء المتأخرين التي ننقل منها الفوائد والخواص في كتابنا هذا مثل كتاب يعماديوس الحكيم .

وهو كتاب عجيب غريب مشتمل على تولدات الحروف وحقائقها وطبائعها وخواصها ومنافعها وهو من كبار تلامذة المعلم الأول أرسطو الذي كان من جملة الحكماء و« كتاب اسكندر » ومنها « كتاب الهياكل والتماثيل » للحكيم أبي بكر بن علي بن وحشة المشهور بابن وحشة وهو كتاب معتبر عند علماء هذا الفنّ جداً ومنها رسالة الشيخ نجيب الدين حسين السكاكي في خواص الحروف ومنها النسخ والرسائل المختصرة المعتبرة للسيد حسين الأخلاطي وتلاميذه ولا سيما الشيخ الكامل خواجة ضياء الدين ترك وهو أيضاً من كبار هاتين الطبقتين من أهل الحقيقة والخاصية ومنها كتاب « الدرة المكنونة » من مؤلفات بعض أكابر هذا العلم وهو مشتمل على غرائب خواص الحروف وله اعتبار تام عند هذه الطائفة .

ومنها كتاب « حلّ قواعد الجفر الكبير » تأليف بعض تلامذة السيد حسين الأخلاطي المذكور ، ومنها خمسة كتب من تأليفات والدي وهي كتاب « جواهر التفسير » وكتاب « تفسير المواهب العلية » وكتاب « التحفة العلية» وكتاب « المرصد الأسني في استخراج الأسماء الحسنى » وكتاب « لوائح القمر » ونحن ننقل في كتابنا هذا من هذه الكتب المفصّلة ، ومن أوّلها إلى آخرها وغير ذلك من الكتب ، انتهى .

٢٧٦
الفاضل المتبحر القاضي الإمام حسين بن معين الدين الميبدي(*)

نسبته إلى قصبة « ميبد » وهو بفتح الميم وسكون الياء المثناة التحتانية ثم الباء الموحدة المكسورة ، وبعدها الذال المعجمة المبدلة من المهملة في أغلب مواضع التعريب ، قرية كبيرة بقرب مدينة يزد على رأس عشرة فراسخ منها تقريباً لأهله يد باسطة في نسج البساطات القطنية الضخمة المجلوبة منها إلى سائر البلاد ، وكانت من البلاد المشهورة قديماً ، ولذا ذكر صاحب « القاموس » أنّ ذلك الإسم على وزن « ميسر » بلد قرب يزد .

وقال في يزد أنه إقليم وقصبته أي مدينته العظمى كثّة بين شيراز وخراسان وقد خرج منها جماعة من العلماء والمحدثين منهم : هذا الرجل ، وكان من أعاظم متأخري فضلاء العامة ومتكلميهم البارعين وصوفيتهم المتشرعين ، صاحب مصنّفات كثيرة في فنون شتى منها : كتابه المعروف الموسوم بـ[شرح] « الهداية الأثيرية » في الحكمة والكلام ، وقد شرحه جماعة .

ومنها : شرحه المشتهر على « كافية ابن الحاجب » كتبه بالتماس بعض أعزّة أحبائه وذكر في أوّله أنّه اقتبس في سائر المواضع المهمة عن شرح نجم الأئمة الشيخ الإمام الرضي حشره الله مع النبي والولي .

وقال : وكلّما أطلقَ فيه الشيخ فهو المراد ، ومنها : شرحه على « شمسية المنطق » ولم أره . ومنها : شرحه الفارسي الكبير على « ديوان أمير المؤمنين » (عليه السلام) وقد ضمنه فوائد لا تحصى وجعل في أوّله فواتح سبع يذكر فيها قواعد المتصرّفة ويشير إلى نبذ من عقائدهم المرضية ورسومهم وآدابهم وحكايات أحوالهم ، ومراتب ترقّيات النفوس والإنسان الكبير والصغير ، وجملة ما يتعلق بذلك من مسائل الحكمة والرياضي والكلام وأودع السابعة شطراً وافياً من مناقب أمير المؤمنين وفضائله الباهرة ومعجزاته ، ومكارم أخلاقه ومحامد سياقه ، منها جملة

(*) له ترجمة في أعيان الشيعة ج ٢٧ ص ٢٨٢ ، تحفه سامي ص ٤٨ ، روزروشن ص ٢١٣ ، الذريعة ج ٩ ص ٢٥٤ ، سبك شناسى ج ٣ ص ٢٢٥ ، هفت إقليم ص ١٧٤ .

ما هو بهذه الصورة : وروى الترمذي عن أنس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال : رحم الله علياً أللهم أدر الحق معه حيث دار ، وما أحسن أنه يخرج من الحروف النورانية المقطعة الواقعة على أوائل السور القرآنية بعد انحذاف مكرراتها : عليٌّ صراط حق نمسكه .

اى مصحف آيات الهى رويت وى سلسلهٔ أهل ولايت مويت

سر چشمهٔ زندگى لب دلجويت محراب نماز عارفان ابرويت

وهو مبدأ سلسلة جميع الأولياء ، وقال (عليه السلام) في حق هذا الطائفة : هم قوم هجم بهم الخلق على حقيقة الأمر فباشروا أرواح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه .

وسأله كميل عن الحقيقة فقال : ما لك والحقيقة ؟ قال أولست صاحب سرك ؟ قال : بلى ، ولكن يترشح عليك ما يطفح مني ، قال : أو مثلك يخيّب سائلاً ! فقال : الحقيقة كشف سبحات الجلال، من غير إشارة ، قال زدني بياناً فقال : محو الموهوم مع صحو المعلوم قال : زدني بياناً ، فقال : جذب الأحدية لصفة التوحيد قال: زدني بياناً، فقال هتك الستر لغلبة السر، قال: زدني بياناً، فقال : نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره ، قال : زدني بياناً فقال أطفأ السراج فقد طلع الصبح .

وكان (عليه السلام) مطلعاً على الجفر وهو ثمانية وعشرون جزءاً وكل جزء منها ثمانية وعشرون صفحة ، وكل صفحة منها ثمانية وعشرون سطراً ، وكل سطرٍ منها ثمانية وعشرون بيتاً ، وقد رقم في كل بيت منها أربعة حروف أوّلها بعدد الجزو ، والثاني بعدد الصفحة ، والثالث بعدد السطر ، والرابع بعدد البيت فجعفر مثلاً في البيت العشرين من السطر السابع عشر من الصفحة الثامنة عشر من الجزء الثالث .

من مثله كان ذا جفر وجامعة له يدون سر الغيب تدويناً

وكان خلفائه الوارثون له يستخرجون من ذلك الجفر أحوال العالم وقد بايع المأمون العباسي الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في سنة إحدى ومئتين

وكتب على ذلك عهداً منه ، ثم سأل الرضا (عليه السلام) أن يكتب كتاباً مثله ، فكتب (عليه السلام) على ظهر كتاب مأمون : الجامعة والجفر يدلان على ضدّ ذلك وما أدري ما يفعل بي ولا بكم أن الحكم إلاّ لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ، لكن امتثلت أمر أمير المؤمنين وآثرت رضاه والله يعصمني وإياه .

وقال في خاتمة الفواتح : فالأن نشرع في شرح الأبيات المحكمة المباني والغايات، وتوضيح لغاتها أوّلاً ثم نشير إلى نكاتها العربية ثانياً ، ثم تفسير الآيات بعيون ألفاظها ونورد رباعياً فارسياً في ترجمة كل بيت على طبقة ونفصّل أيضاً في ذيل حكايات الحوادث وأراجيز الحروب القصص المتعلقة بالمقام ، وأوّل ما ذكره وفسّره من أشعار ذلك الديوان المبارك هو هذه :

الناس من جهة التمثال أكفاءُ	أبوهم آدم والأم حواءُ
وإنّما أمهات الناس أوعية	مستودعات وللأحساب آباءُ
فإن يكن لهم من أصلهم شرفٌ	يُفاخرون به فالطين والماءُ
وإن أتيت بفخر من ذوي نسب	فإنّ نسبتنا جود وعلياءُ
لا فضلَ إلاّ لأهل العلم إنّهم	على الهدى لمن استهدى أدلاءُ
وقيمة المرء ما قد كان يُحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداءُ
فقم بعلمٍ ولا تبغي له بدلاً	فالناس موتى وأهل العلم أحياءُ

هذا والظاهر أنّ الديوان المبارك من جمع الفاضل الإمام أبي الحسن بن علي بن أحمد بن محمد الضجكردي الأديب النيسابوري[1] وسمّاه كتابه « تاج الأشعار وسلوة الشيعة » وقد كان مقارباً لعصر سيدنا الرضي صاحب كتاب « نهج البلاغة » وله أيضاً في نعت الكتاب المذكور أبيات رائقة ، كما أفيد .

وقال سمينا المجلسي في مقدمات بحاره : وكتاب « الديوان » إنتسابه إليه (عليه السلام) مشهور وكثير من الأشعار المذكورة فيه مروية في سائر الكتب ، ويشكل الحكم بصحة جميعها ، ويستفاد من « معالم » ابن شهر آشوب أنّه تأليف

---

(١) ويأتي في باب المحمدين نسبة جمع الديوان المبارك إلى الشيخ قطب الدين الكيدري شارح كتاب « نهج البلاغة » فليلاحظ « منه » .

علي بن أحمد الأديب النيسابوري من علمائنا ، والنجاشي عدّ من كتب عبد العزيز بن يحيى الجلودي « كتاب شعر علي (عليه السلام) » ، انتهى .

ومن جملة ما أورده الشارح المذكور في نعت الديوان المبارك هو هذه الرباعية بالفارسية :

إين نظم كه نعت أو فزونست ز فكر دارد بجهان ميان هر طائفه ذكر
با إين همه تاكنون بهر بيت شريف بودند عروسان معاني همه بكر

وهذه القطعة في وصف منشدها الإمام (عليه السلام) :

بسكه تابد مهر حيدر هر دم از سيماى من
آسمانرا سرفرازى باشد از بالاى من
چون سخن گويم ز معراجش كه آن دوش نبى است
پاى در دامن كشد فكر فلك پيماى من
بهر وصافى أو سر تا قدم گشتم زبان
تا نگردد غير مدحش ظاهر از أجزاى من
طبع من تا گشت چون دريا ز فيض مرتضى
ابر گوهربار جويد فيض از درياى من
گر نبودى ذو الفقار مهر او در دست دل
لقمه‌اى كردى مرا اين نفس اژدرهاى من
خاك راهش در دو چشم من بجاى سرمه است
نيك ديدم آفرين بر ديدهٔ بيناى من
نى من تنها بمهرش سرفرازى ميكنم
غير از اين هرگز كسى نشنيد از آباى من
اى صبا در گردنت خاكم ببر سوى نجف
بعد مردن چون فرو ريزد زهم أعضاى من

وكذلك هذا الرباعي بالفارسية :

من خود چه كسم كه در شمارى باشم يا در صف أهل دل سوارى باشم
مقصود همين است كه درشأن على گويم سخنى چند و بكارى باشم

وصورة خط المصنّف في أواخر شرحه الموصوف بهذه الصورة :

تمام شد اين أرقام پريشان ، بيمن همّت درويشان ، در تاريخى رفيع الشأن ، فيض نشان ، صفر تسعين وثمانمأة از هجرت خاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) موافق اسفند سنۀ ستّ وأربعمأة جلالي كه زمان قران برجيس و كيوانست در عقرب ، وأوان اجتماع سبعه سيّاره است غير بهرام در آن برج سعادت انجام اميد آنكه از غير محرم محفوظ ، و از نظر درويشان محظوظ باشد ، و در آخرت واسطۀ خلاص ونجات و رابطۀ رفعت درجات شود .

إنّ النبي محمداً ووصيه   وابنيه وابنته البتول الطاهرة
أهل العباء وأنّني بولائهم   أرجو السلامة والنجا في الآخرة
وأرى محبة من يقول بفضلهم   سبباً يجير من السبيل الجائرة
أرجو بذاك رضا المهيمن وحده   يوم الوقوف على ظهور الساهرة

ثم أنّه ذكر قطعة أخرى في التوسل بأهل البيت عليهم السلام وختم به كتابه . وأنت خبير بأنّه لا دلالة في أمثال ذلك على شيعية الرجل بل براءته من النصب والعداوة كما لم يدعها فيه أيضاً من الأصحاب ولو سلّم فمعارضتها بما هو صريح في تسننه وهو أكثر من كلّ ذلك بكثير . منها : ما ذكره في باب اختلافات الأمة في مسائلهم الشرعية بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أنّها كانت تتسع دائرتها ويتزايد المجتهدون إلى أن استقر الأمر على مذاهب الأئمة الأربعة وكان **أولهم** : أبو حنيفة نعمان بن ثابت ولد في سنة ثمانين وكلّف بالقضاء مرتين فلم يتقبّل لأنّ سلطان الوقت لم يكن عنده متّصفاً بشرائط الإمامة وضربوه أوّلاً في الكوفة مئة سوط في عشرة أيام كلّ يوم عشرة أسواط .

ثمّ وقع في حبس المنصور ببغداد وتوفّي فيه في سنة خمسين ومئة وكان قد دعا أمير المؤمنين (عليه السلام) لأبيه ثابت بالبركة فيه وفي ذريته .

وثانيهم : مالك بن أنس بن مالك ولد في سنة خمس وتسعين وتوفي في المدينة سنة تسع وسبعين ومئة وكان الشافعي تلميذه .

وثالثهم : الإمام الشافعي وهو محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافع بن سائب بن عبد بن يزيد بن هاشم بن المطلب ، وكان قد أسلم سائب في

يوم بدر ولقي شافع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في صغره ، وولد الشافعي في يمن أم غـزّة أم عسقلان في سنـة خمسـين ومـئة وتـوفي بمصر في رجب سنـة أربـع ومئتين ، قـال الشيخ عـلاء الدين السمنـاني في كتاب « العـروة » أنّ رجال الغيب يصلّون في هذا الزمان على مذهب الشافعي : ونقل الشيخ محيي الـدين بن العربي في البـاب الخامس والثـلاثين بعـد الثلاث مئـة من فتوحـاته أنّ الشـافعي كـان من الأوتاد الأربعة .

والرابع هو أحمد بن محمد بن حنبل وقد ولد ببغداد في سنة أربع وستّين ومـئة وتوفى بها في سنة إحدى وأربعين ومئتين ، ثم قال : وأمّا مذاهب الشيعة فهي جهة مطاعن أراذلها في شـأن الصحابـة ولعن سفلتهم عليهم مردودة ، وآثـارهن من بين الجمهـور من المسلمـين مفقـودة ،. وقـال ابن الأثـير في كتـاب النبـوة من « جـامـع الأصول » المذاهب المشهورة في الإسلام التي عليها مدار المسلمين في أقطار الأرض مذهب الشافعي ، وأبي حنيفة ، ومالك ، وأحمد ، ومذهب الإمامية .

وعين أيضاً أنّ مجدد مذهب هؤلاء عـلى رأس المئة الثـانية هـو علي بن مـوسى الرضا (عليه السلام) وذلك لظنّه أنّ حديث من يجـدّد لم يختص بشخص واحد ، ولكلّ من المذاهب عـلى رأس كلّ مـئة منه من يجـدّد ، وأعدل طـوائف الشيعة هم أصحاب زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام ، فإنّهم قالوا علي أفضل الصحابـة إلاّ أنّ الخلافة فوّضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينيـة راعوهـا من تسكين نائرة الفتنة وتطييب قلوب عامة الخلق ، انتهى .

ولا يخفى أنّ هذا الرجـل غير الفـاضل المـولى أمير حسـين بن محمد الحسيني النيسابوري المعمائي الذي هو أيضاً من الشعراء الماهرين والعرفاء الكابرين في طبقة صاحب العنوان وكان من تلامذة مولانا الجامي أيّام مقامته بالهـراة ومن المستفيدين من بـركات أنفـاسـه ولـه كتـاب طـريف في فنّ المعمّى جـامـع لمقـاصـده وشقـوقـه ومصطلحاته وحزب وافر غير معدود من الأشعار الواردة على الأسماء المعميّات كتبـه بإشارة السلطان أمير علي شير الهروي المشهور ، وذكر اسمه المذكور في مفتتح كتابه المسطور بطريق التعمية على هذا الوجه :

مهر وماه عـالمى دراوج رفعت كرده جـا   مـاه وانجم رابخاك ر هگـذارت التجـا

ثم أورد الدعاء لحضرة المير يمد الله تعالى على العالمين ظلال جلاله إلى يوم الدين في ضمن معميّات ستّة هي هذه :

حضرة مير :

ای شده مفتوح درهای بهشتت بر ضمیر
در ضمیرت عرصهٔ عالم متاعی بس حقیر

مد الله :

وقف شد دولت تمام أوّل بر آنخاك قدم
نیست ثانی تو ای دین پرور گردون سریر

تعالى :

تا که باشد مشرق ومغرب بر اطراف فلك
آفتاب ومشتری بادا تو را فرمان پذیر

على العالمين :

شد گدای آستانت زان بود بالای چرخ
شاه أنجم را علم پی در پی ای روشن ضمیر

ظلال جلاله :

دل زتعظیم وجلال از هر طرف بر خاك راه
دید خلقی را بر آن درگه زأهل داروگیر

إلى يوم :

روی آیینه همی خواهد ز مهر و مه دلش
زآن بخاك فرش کویت روی ساید چرخ پیر

الدين :

سر کشانرا أبا « شفیعی » روی سوی آن در است
جسته خاك آستانت هم امیر وهم وزیر

وقد ظهر من هذا الفرد الأخير كغيره أنّ الرجل كان من أعاظم الشعراء وصاحب أشعار كثيرة في مراتب شتى وأنّ تخلّصه « الشفيعي » على وزن

« البديعي » فلا تغفل ثمّ إنّه قال ولما كانت أكثر معميات هذا الكتاب من بركات أنظار وثمرات أفكار حضرة جامع الحقائق والفضائل ومظهر فيض الله الكامل الشامل يعني به الفاضل « الجامي » المتقدّم إلى استرشاده منه وتلمّذه لديه الإشارة كان التصريح بجميل لقبه المشهور خارجاً عن قانون الأدب فلا جرم يكون التعبير لنا عنه بطريق التعمية والإيماء وذكر المعمّى !للفظة « جامى » هكذا :

ز خود بگسسته و وارسته از غير   بشهر لا مكان دل بسته از سير

إشارة إلى رفعة درجاته في مراتب المعرفة والخلوص ، وحلّ ذلك أن الشهر هو اللام فإذا بدّل لاءه بالمكان الفارسي الذي هو « جا » وعقد له قلب السير الذي هو حرف الياء يصير كذلك وله أيضاً في التضاعيف معمى للفظة جامي هكذا :

صفحة ايام هر روزى بنو با صد نمود   از سواد خامهٔ او زيورى بر خود فزود

لأنّ سواد لفظة خامه هي جامه فإذا زيد على زيه وريه اللذين ركب عنهما لفظة « زير » التي هي بمعنى « التحت » وهو كناية عن حرف آخره الذي هو الهاء بمعنى أنّه كرّر عدداً بحساب أبجد حصل له الياء أيضاً .

وله أيضاً باسم الجامي :

اى بفيض تو « اميد » أهل عرب را چه عجم
نااميد آنكه بود عارى ازاين لطف وكرم

والمراد بـ « أميد » العرب هو لفظة « رجاء » وبـ « أميد » العجم لفظته فإذا اتّصلا وعرياً من المشتمل عليهما صار كذلك .

وله أيضاً باسم محمدي :

اى « شفيعى » ز دل خويش بسى خون خوردى
رفت پاى دلت از جا غم دل چون خوردى

وله باسم علي :

هر كس چه من بخاك در آن بت چگل   افكند خويشرا ز بَر و زير يافت دل

وله باسم حيدر :

ميان لشكر بسيار و غمها   دلم را شايد از آتش علمها

وله باسم وصي :

عجب كز تماشاى آن روى گلگون دل از دور يابد نصيبى بقانون

أي من غير بقاء النون والباقي ظاهر :

وله باسم حسيني :

در حديث آنى كه ثاني مسيحت گفته‌اند معجز عيسى عبارات فصيحت گفته‌اند

وله باسم مهدي :

اى خوش آن كشته كه آيد روزى بر سر مرقد وى دل سوزى

وحلّ ذلك أنّه إذا صار على رأس « مر » لفظة « ق » تحصل لفظة « مه » بالفارسية والباقي واضح .

وله باسم حسن :

وصلش من گدار مشكل شود ميسّر رخسار گل بهر خس ننمايد آن صنوبر

والمراد بوجه گل گافه فإذا اتّصل بـ« هر » صار گهر ، وخس إذا لم يظهر جوهره وكذا لفظة آن صنوبره وجد المطلوب .

وله باسم حسين :

هست او را خالها مشكين بروى سيمگون

بر مه او خال زيبا لايقست از حد برون

وباسم اسماعيل :

بعد يكسال ساقيا سينه سر زدم از شراب پارينه

وقد ذكر الفاضل الناظم في ذيل معماة هذا ، إنّ من لفظة « قيا » و« سي » إنّما أريد ما يركّب منها وهو كلمة « قياسي » فلفظة « سا » السابقة عليه إذا لم تكن قياساً يكون سماعياً وخيال هذا المعمى من بركات ضمير مقرّب الحضرة السلطانية أيد الله تعالى ظلال معدلته وقد نظم بإشارته هذا . وللمولى مير حسين المذكور أيضاً تعمية تسعة وتسعين من أسماء الله الحسنى في رسالة منفردة كلها على زنة أربع فاعلات ، منها وهو باسم الله :

نيست حدّ خامه از نام إله دم زدن ، بايد زبان دارد نگاه

وباسم الرحمن :

نيست دل محرم هم آن لب را دگر حرفى از نامش مدد يابد مگر

وباسم الرحيم :

درج نامش هر طرف درى فشاند جوهرى فرد خرد بيخود بماند

وباسم الملك :

در دلى كآورده سوى وى گذار كرده پنهان گنج درّ شاهوار

وباسم القدوس :

خالق بى أوّل و بى آخر است مهر او از جملهٔ أشيا ظاهر است

وباسم السلام :

مهر او از رخ نقاب انداخته بهر او هر سو دلى سر باخته

هذا وقد أشار صاحب « الرياض » إلى نبذة من فضائل هذا الرجل في ذيل ترجمة المولى شرف الدين علي اليزدي المعمائي أيضاً صاحب شرح قصيدة البردة النبوية وغيره من المصنفات الكثيرة في زمن السلطان أمير تيمور گوركان فقال : واعلم أنّ هذا الرجل كان من أكابر علماء الشيعة الإمامية ولكن ابتلى على نهج أضرابه ببليّة التقيّة وهو رحمه الله فائق في أكثر الفنون ولا سيما في علوم الإنشاء والمعمى واللغز ، بل هو مبدع ذلك . قال بعض علماء هذا العلم من متأخري العامّة في رسالته وأمّا واضع هذا الفن ومدوّنه ابتداء فهو مولانا شرف الدين علي اليزدي صاحب التاريخ المشهور الذي سماه « ظفر نامه » يتضمن سير تيمور وفتوحاته .

وكان مقرباً عنده منظوراً بعين الجلال والتعظيم وتاريخ إكمال كتابه المذكور « صنفت في شيراز » وكان منشياً بليغاً شاعراً فصيحاً فاق أهل عصره في فنّ الإنشاء مع المشاركة في الفنون العلمية وله عدة مؤلفات منها « كنه المراد في الوقف والأعداد » دوّن علم المعمى وألّف فيه رسالة طويلة الذيل سماها « الحلل المطرّز في المعمّى واللغز » .

توفي عام ثلاثين وثماني مئة ولا زال فضلاء العجم يقتفون أثره ويوسّعون دائرة

هذا الفن ويتعمّقون فيه إلى أن ألف فيه مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي عدة رسائل ، قد دوّنت وشرحت وكثر فيه التصنيف ، إلى أن تبع في عصره مولانا أمير حسين المعمائي النيسابوري ، فأتى فيه بالسحر الحلال وفاق فيه لتعمقه ودقة نظره وغوصه ، كافة الأقران والأمثال ، وكتب فيه رسالة يكاد تبلغ حدّ الإعجاز ، أتى فيها بغرائب التعمية والألغاز ، بحيث أنّ مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي ، مع جلالة قدره ودقة نظره لما اطّلع على هذه الرسالة قال لو اطّلعت على هذا قبل الآن ما ألّفت شيئاً في علم المعمّى ، ولكن سارت الركبان برسائلي فلا يفيد الرجوع عنها ، وارتفع شأن مولانا مير حسين بسبب علم المعمى مع تفننه في سائر العقليات ودقة نظره ، فصار سلاطين خراسان وملوكها ووزراؤها وأعيانها يرسلون أولادهم إليه ليقرأوا رسالته عليه إلى أن توفى في عام اثنتي عشرة وتسع مئة وذلك بعد وفاة مولانا جامى بأربعة عشر عاماً ، انتهى .

وسوف تعرف إن شاء الله في مادة الخليل بن أحمد العروضي أنه أوّل من وضع المعمي وكذلك في مادة أبي الأسود الدئلي .

ثمّ إنّه نقل عن الجاحظ اللغوي المشهور أنّه كان يقول : ليس المعمّى بشيء قد كان كيسان مستملي أبي عبيدة يسمع خلاف ما يقال ، ويكتب خلاف ما يسمع ويقرأ خلاف ما يكتب ، وكان أعلم الناس باستخراج المعمّى ، وكان النّظام مع قدرته على أصناف العلوم يتعسّر عليه استخراج أخفّ نكتة من المعمّى ، انتهى .

وعن المولى محمد أمين الإستر آبادي المحدث الذي هو من أعاظم أصحابنا أنّه قال في كتابه الموسوم بـ « دانش نامه شاهى » بالفارسية ما صورته هكذا : چند چيز است كه از بابت اين است كه آدمى كاه دانى را تفحص كند بجهت آنكه سوزن بجويد در آن از آ نجمله يكى معمّاست .

والإنصاف أنّ هذا الأمر كما ذكره المولى المذكور، والمعمّى ليس من فنون أهل الضنة على أعمارهم ولا يزيد الرجل إلّا اعوجاجاً في سليقته وسقماً في جبلته وهما من أشدّ الأشياء ضرراً بمن يريد التأمل في أدلة الفقه والأصول هذا ، ثمّ إنّ في « تاريخ أخبار البشر » أنّ وفاة المولى مير حسين المذكور كانت بهراة المحروسة في حدود سنة أربع وتسع مئة فليلاحظ[1] .

(١) قال صاحب « أحسن التواريخ » في وقائع سنة أربع وتسع مئة : وفي هذه السنة توفي أمير حسين =

وأمّا السيد الأمير سيد حسين الجفري الأخلاطي فهو غير الرجلين جميعاً ونسبته إلى أخلاط الذي هو في بعض المواضع بسقوط الهمزة علم لمدينة كبيرة هي قصبة بلاد أرمنية وقاعدتها ذات خيرات واسعة وثمرات يانعة أهلها مسلمون ونصارى وكلامهم العجمية والأرمنية والتركية كما في « تلخيص الآثار » وكان هذا السيد صاحب أيد باسطة في علم الحروف ومراتب الجفر والتكسير وله كتاب كبير في الجفر حاوٍ لقواعده واصطلاحاته ، مستجمع لضوابطه واشتقاقاته ، ينيف على عشرة آلاف بيت وفي أواخره شطر واف من الطلسمات وبيوت الأعداد والعزائم المجربة في كشف الأمور ، وعندنا أيضاً رسالة مختصرة منه في لبّ ذلك العلم كما مرت الإشارة إليه أيضاً في الترجمة المتقدمة ، فلا تغفل .

٢٧٧
الشيخ أبو القاسم حماد بن أبي ليلى سابور بن المبارك بن عبيدة الديلمي(*)

الكوفي مولى بني بكر بن وائل المعروف بالراوية ، كان من أعلم الناس بأيام العرب ، وأخبارها ، وأشعارها ، وأنسابها ولغاتها ، وهو الذي جمع السبع الطوال وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستر بره ، فيفد عليهم وينال منهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ، وقال له الوليد بن يزيد الأموي يوماً وقد حضر مجلسه : بما استحققت هذا الإسم فقيل لك الراوية ؟

فقال : بأنّي أروي لكلّ شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعترف أنّك لا تعرفه ولا سمعت به ثمّ لم ينشدني أحد شعراً قديماً

= المعمائي بمرض الإسهال ودفن في قبة المدرسة الإخلاصية وقال بعض الشعراء في تاريخه :

مظهر خُلق حسن مير حسين | كه اجل كرد ورا قطع حيات
كرد رحلت بسوى خلد برين | يافت از حادثه دهر نجات
نور رحمت چو براو نازل شد | « نور رحمت » شودش سال وفات

(*) له ترجمة في : الأغاني ج ٥ ص ١٦٤ (ط بولاق) خزانة الأدب ج ٤ ص ١٢٩ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٣٥٢ ، المزهر ج ٢ ص ٤٠٦ ، المعارف ص ٥٤١ ، معجم الأدباء ج ٤ ص ١٣٧ ، نزهة الألباء ص ٣٥ نور القبس ص ٢٦٩ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٤٨ .

ولا محدثاً إلا ميزت القديم من المحدث ، فقال له : فكم مقادر ما تحفظ من الشعر ؟ فقال : كثير ولكني أنشدك على كلّ حرف من حروف المعجم مئة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعراء الجاهلية دون شعراء الإسلام قال : سأمتحنك في هذا وأمره بالإنشاد فأنشد حتى ضجر الوليد .

ثمّ وكّل به من استخلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه ، فأنشده ألفين وتسع مئة قصيدة للجاهلية وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمئة ألف درهم .

وقد ذكر ابن خلّكان بعدما أورد في حقه ما أوردناه قصة له مع هشام بن عبد الملك تدلّ على نهاية تبحّره واطّلاعه وفي آخرها أنه قال : أحسنت يا حمّاد اسقيه يا جارية فسقته ، ثم قال : يا حماد سل حاجتك فقلت : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم ، قلت : إحدى الجاريتين ، قال : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما وأنزله في داره . ثم نقله إلى دار أعدّها له فوجد فيها جاريتين وكلّ ما لهما وكل ما يحتاج إليه ، فأقام عنده مدة ووصله بمئة ألف درهم وأخبار حمّاد نوادره كثيرة وكانت وفاته سنة خمس وخمسين ومئة ومولده في سنة خمس وتسعين للهجرة وقيل أنّه توفى في خلافة المهدي ، وتولى المهدي الخلافة في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومئة وتوفي ليلة الخميس لسبع بقين من المحرم سنة تسع وستين ومئة للهجرة بقرية يقال لها الوذ من أعمال ما سبذان وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة :

وأكرم قبر بعد قبر محمد نبي الهدى قبر بما سبذان
عجبت لايدٍ هالت الترب فوقه ضحى كيف لم ترجع بغير بنان

وكان حماد المذكور قليل البضاعة من العربية ، قيل أنّه حفظ القرآن الكريم من المصحف فصحفّ في نيف وثلاثين حرفاً رحمه الله تعالى[1] .

أقول كان هذا الرجل بعينه هو حماد بن هرمز أبي ليلى الذي ذكره الزبيدي في طبقة الأولى من اللغويين الكوفيّين كما في طبقات النحاة :

ولكنه غير أبي عمر وحماد بن يونس بن كليب الكوفي الملقب بعجرد الشاعر وكان من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ونادم الوليد بن يزيد الأموي وقدم

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٤٨ .

بغداد في أيام المهدي بينه وبين بشار بن برد أهاج فاحشة وله فيه كلّ معنى غريب لولا فحشتها لذكرت شيئاً منها ، وكان ماجناً ظريفاً خليعاً متهماً في دينه بالزندقة ، ويحكى أنّه كان بينه وبين أبي حنيفة مودة ثم تقاطعا ، ثم بلغه عنه أنّه ينتقصه فكتب إليه :

إن كان نسكك لا يتم بغير شتمي وانتقاصي
فاقعد وقم بي كيف شئت مع الأداني والأقاصي
فلطالما زكيتني وأنا المصر على المعاصي
أيام نأخذها ونعطي في أباريق الرصاص

ومن شعره أيضاً قوله :

فأقسمت لو أصبحت في قبضة الهوى لأقصرت عن لومي وأطنبت في عذري
ولكن بلائي منك إنّك ناصح وإنّك لا تدري بأنّك لا تدري

وأخباره أيضاً كأشعاره مشهورة وتوفى بعد حماد الأول بست سنين كما في وفيات الأعيان(١) .

٢٧٨

المولى العماد والقدوة الأستاذ ، حماد بن سلمة بن دينار(*)

الفقيه اللغوي النحوي المتوطّن ببغداد مولى ربيعة بن مالك الإمام المشهور إمام الحديث ، وشيخ أهل البصرة في العربية ، كما ذكره صاحب « البغية » ذكره السّيرافي المتقدم ذكره كما نقل عنه في نحاة البصريين ، فقال : لا أعلم أحداً من

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥١ : وفيه أنه توفي سنة إحدى وستين ومأة .

(*) له ترجمة في أنباه الرواة : ج ١ ص ٣٢٩ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٥٤٨ ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٩ ، تقريب التهذيب ج ١ ص ١٩٧ ، تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١١ ، الجواهر المضيئة ج ١ ص ٢٢٥ ، حلية الأولياء ج ٦ ص ٢٤٩ ، شذرات الذهب ج ١ ص ٢٦٢ ، صفة الصفوة ج ٣ ص ٣٧٣ ، مرآة الجنان ج ١ ص ٣٥٣ ، المعارف ص ٥٠٣ ، معجم الأدباء ج ٤ ص ١٣٥ ، ميزان الاعتدال ج ١ ص ٥٩٠ ، النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٥٦ ، نزهة الألباء ص ٤٠ ، نور القبس ص ٤٧ .

البصريين أخذ عنه شيئاً من النحو وإسمه حماد غيره وسئل يونس أيّما أسنّ أنت أو حمّاد ؟ فقال حماد ومنه تعلّمت العربية ، وقال الجرمي : ما رأيت أفصح منه ، وكان يقول من لحن في حديثي فقد كذب علي وكان سيبويه يستملي عليه يوماً فقال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما أحد من أصحابي إلاّ وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء ، فقال : يا سيبويه ليس أبو الدرداء فقال حماد لحنت يا سيبويه ، فقال : لا جرم لأطلبنّ علماً لا تلحنني فيه أبداً ثم لزم الخليل إنتهى كلام السّيرافي وذكره الزبيدي في « طبقات النحويين » كما في « طبقات النحاة » وقال : قال أحمد بن سلمة : كان حمّاد بن سلمة يمرّ بالحسن البصري في الجامع فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلّم منهم . وقال الذهبي كان إماماً رأساً في العربية فصيحاً بليغاً كبير القدر صاحب سنة ، شديداً على المبتدعة زاهداً حجة روى له مسلم والأربعة وتوفي سنة سبع وستين ومئة . فقال بعضهم :

يا طالب النحو ألا فابكه   بعد أبي عمرو وحمّاد

(انتهى)

والمراد بأبي عمرو المذكور هو أبو عمرو بن العلاء الآتي ترجمته في باب الزاي المعجمة من هذا الكتاب إن شاء الله ثم إنّ في بعض المواضع المعتبرة حكاية عجيبة عن حمّاد المذكور يعجبني إيرادها في مثل هذا الموضع وهو أنّه قال : قال مقاتل بن صالح : كنت عند حمّاد بن سلمة وإذاً ليس في بيته إلاّ حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ! ومطهرة يتوضأ منها فبينا نحن عنده إذ دق داق الباب ففتح وإذاً هو محمد بن سليمان أحد الخلفاء فدخل وجلس ثم قال ما لي إذا رأيتك امتلأت رعباً قال حمّاد : لأنّه (عليه السلام) قال إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله تعالى هابه كل شيء فإن أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كل شيء ثم عرض عليه أربعين درهماً في صرة فقال تأخذ وتستعين بها ، قال : أرددها على من ظلمته ، قال والله ما أعطيتك إلاّ ممّا ورثته ، قال لا حاجة فيها ، قال : تأخذها وتقسّمها ، قال : لعلّي إن لم أعدل في القسمة فأواخذ بها ، وإن عدلت في القسمة يقول بعض من لم يرزق منه شيئاً لم يعدل في قسمتها فيأبى ثم فازوها عني .

٢٧٩
الشيخ أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب الخطابي البستي(*)

نسبته إلى بست بضم الباء الموحدة وهي مدينة كثير الأشجار والأنهار من بلاد كابل واقعة بين هراة وغزنة ، كان من ولد زيد الذي هو أخو عمر بن الخطاب ، واسمه حمد بفتح الحاء وقيل : اسمه أحمد وهو من أغلاط العامة كما عن السمعاني . وقال ابن السمعاني : كان حجة صدوقاً رحل إلى العراق والحجاز ، وجال خراسان وخرج إلى ما وراء النهر وتفقه بالقفّال الشاشي وغيره ، وأخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد واسماعيل الصفّار وألّف في فنون ، وروى عنه أبو عبد الله الحاكم وخلق ، كما ذكر صاحب البغية وذكر ابن خلّكان أنّه كان فقيهاً أديباً محدّثاً له التصانيف البديعة منها « غريب الحديث » وكتاب « معالم السنن » في شرح سنن أبي داوود، وكتاب « أعلام السنن » في شرح البخاري ، وكتاب « الشجاج » .

قلت : ولا يبعد كونه كتاب « العزلة » التي نسبه إليه أيضاً صاحب الطبقات وكتاب « شأن الدعاء » وكتاب « إصلاح غلط المحدثين » وغير ذلك. سمع بالعراق أبا علي الصفار وأبا جعفر الرزاز وغيرهما وروى عنه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري ، وعبد الغفار الفارسي ، وأبو القاسم بن أبي سهل الخطابي وغيره ، وقال أبو القاسم المذكور : أنشدنا أبو سليمان لنفسه :

ما دمت حياً فدار الناس كلهم فإنّما أنت في دار المدارات
من يدرِ داري ومن لم يدرِ سوف يرى عمّا قليل نديماً للندامات

وذكره صاحب يتيمة الدهر وأنشد له :

(*) له ترجمة في : الأنساب ج ٥ ص ١٥٨ ، أنباه الرواة ج ١ص ١٢٥، بغية الوعاة ج ١ ص ٢٤٦ ، البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٣٦ ، تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٠٩ ، خزانة الأدب ج ١ ص ٢٨٢ ، شذرات الذهب ج ٣ ص ١٢٧ ، طبقات الأسنوي ج ١ ص ٤٦٧ ، طبقات السبكي ج ٣ ص ٢٨٢ ، مرآة الجنان ج٢ ص ٤٣٥ ، معجم الأدباء ج ٢ ص ٧٢ وج ٤ ص ١٤١ ، المنتظم ج ٦ ص ٣٩٧ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٩٩ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥٣ ، يتيمة الدهر ج ٤ ص ٣٣٤ .

وما غمّة الإنسان في شقه النوى ولكنها والله في عدم الشكل[١]
وإني غريب بين بست وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وأنشد له أيضاً :

شر السباع العوادي دونه وزر والناس شرهم ما دونه وزر
كم معشرٍ سلموا لم يؤذهم سبع وما ترى بشراً لم يؤذهم بشر

وذكر له أشياء غير ذلك وكان يشبه في عصره بأبي عبيد القاسم بن سلام علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتسديداً وتأليفاً وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة بمدينة بُست المذكور رحمه الله تعالى ،انتهى .

وهو غير حمد بن محمد بن عبد الله بن فورجة البروجردي الذي نسبته إلى بروجرد بضم الأولين وكسر الثالث[٢] اسم بلدة بقرب همدان طيبة خصبة ، كثير المياه والأشجار والفواكه والثمار أرضها تنبت الزعفران كما في « تلخيص الآثار » وقد يذكر هذا بعنوان محمد بن حمد بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فورجة بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المهملة وفتح الجيم وهو كما عن صاحب « معجم الأدباء » أديب فاضل مصنّف له « الفتح على أبي الفتح » و« التجني على ابن جنّي » يرد فيه على ابن جني في شرح شعر المتنبي وذكره الشيخ مجد الدين السراجي في كتابه « البلغة في أئمة اللغة » وهو كتاب لطيف ، سماه : حمد بن محمد ، وقال : نحوي لغوي له « الفتح على أبي الفتح» و« التجني على ابن جني » مولده في ذي الحجة سنة ثلاثين وثلاث مئة وقال الثعالبي هو من أهل إصفهان المقيمين بالري ، المتقدمين في الفضل المبرزين في النظم والنثر كان موجوداً في سنة سبع وعشرين وأربع مئة ومن شعره :

أيها القاتلي بعينيه رفقاً إنّما يستحق ذا من قلاكا
أكثر اللائمون فيك عتابي أنا واللائمون فيك فداكا
إنّ لي غيرة عليك من إسمي إنّه دائماً يُقبّل فاكا

---

(١) في طبقات الأسنوي والسبكي : وما غربة الإنسان في شقة النوى .

(٢) وتقدمت ترجمة بروجرد أيضاً في ذيل ترجمة الفاضل المعاصر ملا أسد الله ـ رحمه الله تعالى ـ منه .

وهذا يؤيّد أنّ اسمه حمد كما في « طبقات النحاة » وهو أيضاً غير حمد بن حميد بن محمود أبو محمد الدنيسيري النحوي الذي سمع من ابن الجوزي وجماعة وكان فقيهاً فاضلاً كامل المعرفة بالنحو قليل الرغبة في الدنيا ومن شعره :

روت لي أحاديث الغرام صبابتي بإسنادها عن بانة العلم الفردِ
عن الدمع عن طرفي القريح عن الجوى عن الشوق عن قلبي الجريح عن الوجد

ومات كما عن الصفدي بعد نقله لما ذكره بميّافارقين المتقدّم ذكرها ، في رجب سنة اثنتين وثلاثين وست مئة .

٢٨٠
الشيخ الكامل المجرد أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي(*)

المعروف بالزيّات مولى آل عكرمة بن ربعي التميمي ، كان أحد القرّاء السبعة ، وعنه أخذ أبو الحسن الكسائي القراءة ، وأخذ هو عن الأعمش ، وإنّما قيل له الزيات لأنّه كان يجلب الزيّت من الكوفة إلى حلوان ، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة ، فعرف به ، وتوفي سنة ستّ وخمسين ومئة بحلوان ، وحلوان بضم الحاء المهملة وسكون اللاّم وفتح الواو وبعده الألف والنون وهي مدينة في آخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل ، كذا ذكره إبن خلّكان .

وأقول مرادهم بالقرّاء السبعة في كلّ موضع يذكرونه هم أئمة القراءات السبع المشهورة الذي ينتهي إلى مذاهبهم المتفرّدة في تنظيم كلام الله وتنقيط المصاحف ، وتجويد القراءة من جهة الإعراب ومباني البناء وملاحظة الممدود والإدغامات والوقف والوصل وأمثال ذلك من أمر القراءة المعتبرة المتفق على أجزائها وكفايتها بل نزول روح الأمين بجملتها وتواترها بوجوهها السبعة عن

(*) له ترجمة في : تاسيس الشيعة ص ٣٤٧ ، تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٧ ، شذرات الذهب ج ١ ص ٢٤٠ ، العبر ج ١ ص ٢٢٦ ، مرآة الجنان ج ١ ص ٣٣٢ ، المعارف ص ٢٣٠ ، النشر ص ١٦٦ ، نور القبس ص ٢٦٨ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥٥ .

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند قاطبة أهل الإسلام كما صرّح بذلك جماعة من الفقهاء الأعلام ، معتضداً بغير واحد من النبوي الوارد في هذا المعنى .

مثل حديث الخصال الذي فيه أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : أتاني آتٍ من الله ، فقال : إنّ الله عزّ وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : يا رب وسّع على أمتي فقال : إنّ الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف[1]

وقد أمرنا بطريق أهل بيت الوحي والتنزيل أيضاً أن نقرأ القرآن كما يقرأ الناس ، وأشهر ما استقرت عليه قراءة الناس هو هذه السبع المستندة إلى أولئك السبعة المشهورين المعتمد على قراءاتهم ولكلّ منهم أيضاً راويان يكون لأحدهما الترجيح على صاحبه غالباً فمنهم أبو عمارة المذكور الذي هو صاحب العنوان ، ويروي عنه خلق ، وخلاد بواسطة سليم على ما يظهر من الحرز اليماني ، ونقل عن خطّ الشهيد الأول رحمه الله تعالى أنّه كتب في بعض إجازاته نقلاً عن الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد بن الحداد الحلي أنّ الكسائي قرأ القرآن المجيد على حمزة ، وقرأ حمزة على مولانا الصادق (عليه السلام) وقرأ على أبيه وقرأ على أبيه وقرأ على أبيه وقرأ على أمير المؤمنين وقرأ على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليهم أجمعين .

ومنهم : أبو بكر عاصم بن أبي النجود بفتح النون وضم الجيم واسمه بهدلة الحنّاط الكوفي ، أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش ، ويروي عنه رجلان أحدهما : شعبة المشهور بأبي بكر بن عياش ، وثانيهما حفص المكنى بأبي عمرو البزاز ، وهوابن سليمان بن المغيرة الكوفي الأسدي ، ويظهر من « الشاطبية » وشرحها أنّه أرجح من شعبة باتقانه وضبطه القراءة على عاصم .

ومنهم : الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله النحوي ويروي عنه حفص الدوري وأبو الحارث .

---

(١) الخصال ص ٣٥٨

ومنهم : نافع بن عبد الرحمن بن ابي نعيم ، ويروي عنه عيسى الملقّب بـ قالون ، وعثمان الملقّب بـ ورش .

ومنهم : عبد الله بن كثير ويروي عنه أحمد البزي ومحمد الملقّب بـ القُنبُل بالواسطة ومنهم : أبو عمرو بن العلاء المازني النحوي ويروي عنه يحيى السوسي وكذلك ابن الدوري الذي روى عن الكسائي بعده .

ومنهم : عبد الله بن عامر بن زيد بن تميم بن ربيعة الشامي ، ويروى عنه هشام وعبد الله ابن ذكوان مع الواسطة ، وأضبط هذه القراءات السبع عند أرباب البصيرة هي قراءة عاصم المذكور برواية أبي بكر بن عياش ، كما ذكره العلامة في المنتهى حسب ما نقل عنه ، فقال : وأحبّ القراءات إلى قراءة عاصم من طريق أبي بكر بن عياش ، وقراءة أبي عمرو بن العلاء فإنّهما أولى من قراءة حمزة والكسائي لما فيها من الإدغام والإمالة وزيادة وذلك كلّه تكلّف وأمّا القراءات العشر فهي هذه السبع المشهور مع زيادة قراءة أبي جعفر المعروف بالمدني الأول ، ويعقوب البصري ، وخلف ، وقد اختلف الأصحاب في جواز قراءة هذه الثلاثة ، فإن ثبت الإجماع أو التواتر الذي ادّعاه الشهيد الأول على ذلك الجواز الذي هو من الحكم الشرعي ، كما ثبت على جواز السبع المشهورة ، وإن نوقش في تواترها عن صاحب الوحي فيتبعان لا محالة ، وإن قلنا بانحصار الطريق في الظنون المخصوصة التي قام على حجية كلّ منها بالخصوص دليل ، لما قرّرناه في الأصول من قيام الدليل القاطع على حجية أمثال ذلك في الشريعة ، وإلاّ فأنت تعلم أن محض تحقق الشهرة على الجواز أو التواتر المنقول على محض القراءة دون حكمها لا يفيدان إلاّ ظناً بموضوع الحكم الشرعي دون نفسه ، وهو غير معتبر يقيناً حتى عند من يقول بأصالة حجية الظنون ، وكون التعبد بالظن المطلق في زمن غيبة إمام العصر (عليه السلام) فليتأمل .

وقد يطلق على ما عدا السبع المذكورة ، الشواذ ، وقد يقال : إنّ المراد بالشواذ المطروحة هي قراءة المطوعي ، والشنبوذي ، وابن المحيصن الكوفي ، وسليمان الأعمش والحسن البصري ، فإن عدد قراءة الأصل بملاحظة هؤلاء يكون خمسة عشر لا خلاف في حجية سبعة منهم مطلقاً ولا في الثلاثة المكملة للعشرة في

الجملة وأمّا قراءة الخمسة الباقية المشار إليهم وكذا قراءة ابن مسعود المخالفة للجمهور فدون إثبات القرآنية بها فضلاً عن الاجتراء بها في مقام القراءة إشكال عظيم ، لعدم دليل صالح على ذلك أصلاً مضافاً إلى أن الاشتغال اليقيني بالقراءة مستدع للبراءة اليقينية وهي لا تحصل إلاّ بما تحقق القاطع على كفايته ، فإذن الأحوط الإقتصار على القراءات السبع المشهورة ، بل على قراءة عاصم برواية البكر كما نقل عن العلامة ، أو برواية حفص كما هي المتداولة في هذه الأعصار ، فإنّ سواد المصاحف يكتب عليها ، ولا يكتب سائر القراءات إلا بالحمرة ، وأمّا رموز القراءات السبعة ورواتهم الأربعة عشر من طريق المصاحف الشاطبية وألقابهم المعينة المخصوصة بهم فهي بهذه الصورة :

المدني	المكي	البصري	الشامي
ابج	دهو	حطى	كلم
قالون	بزى	دورى	هشام
ب	هـ		ل

الكوفي	الكوفي	الكوفي
نسع	فصق	رشت
شعبة	خلف	أبو الحارث ليث
ص	ص	س

أمّا رواة الثلاثة الباقية فهم ابن وردان ، وابن جمّاز ، ورويس ، وروح ، وإسحاق الوراق ، وإدريس الحداد ، على ترتيب مشايخهم ، ورموز الأوّل مع راوييه بالترتيب ثخذ والثاني مع راويه بالترتيب « ظغش » والثالث لفظة الواو ويذكر راوياه بالإسم ، وأمّا الخمسة الشواذ فرموزهم أواخر ألقابهم المذكورات سوى الحسن ، فإنّ رمزه ثلثي اسمه ، ثم ليعلم أنّه كلما أطلق المدنيان في كتب القراءة ، فالمراد به : نافع وأبو جعفر.والبصريان : فأبو عمرو ويعقوب.والكوفيون : فعاصم وحمزة والكسائي ويدخل معهم خلق لموافقته لهم ، والمكي:فهو ابن كثير ، والحجازيون : فهم مع الأولين والشامي : فهو ابن عامر ، والعراقيون : فهم : البصريون والكوفيون جميعاً .

هـذا ولسوف تـأتي الإشارة إلى تـرجمة أبي عمـرو بن العـلاء في بـاب الـزاي المعجمـة وكذلـك إلى الكسائي في أواسط بـاب العين لـمزيد مـا فيهـما من المـوجب لاختصاصهما بالذكر على حسب التفصيل ، وعدم الاقتصار على الذكر الإجمالي كما فعلناه بغيرهما من المذكورين في هذه الترجمة ، وأمّا الباقون فقد عرفت في هذا المقام مضافاً إلى سائر ما استفيد لك ،أو يستفاد من تضاعيف أبواب هذه العجالة أقـلّ ما يقنع به من الإشـارة إلى أسمائهم وصفـاتهم وضروريات الـطالب لشيء من ألقابهم وسماتهم ، والملتمس من الواقفين على لطائف فوائد نصبنا هذا الذي لا يكاد يضيع عند أرباب المروة دعاء بالخير يبلغني نفعه العاجل والآجل إن شاء الله تعالى .

٢٨١
الشيخ أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي الطبيب(*)

الحاذق الماهر المشهور ، كان إمام وقته في صناعة الطب ، وكان يعرف لغـة اليونانيين معرفة تامة ، وهو الذي عرّب « كتـاب إقليدس » ونقله من لغـة اليونـان إلى لغـة العرب ، ثم جـاء ثابت بن قـرة المتقدم ذكـره فنقّحه وهـذّبـه ، وكـذلـك « كتـاب المجسطي » وأكـثر كتب الحكـماء والأطبـاء ، فـإنّها كـانت بلغـة اليـونـان فعرّبت ، وكان حنين المذكـور أشدّ الجـماعة إعتنـاء بتعريبهـا ، وعرّب غـيره أيضاً بعض الكتب، ولولا ذلك التعريب لما انتفع أحد بتلك الكتب لعدم المعرفـة بلسان اليونان ، لا جرم كلّ كتاب لم يعربـوه باق عـلى حالـه ، ولا ينتفع بـه إلاّ من عرف تلك اللغة ، وكان المأمون مغرماً بتعريبها وتحريرهـا وإصلاحهـا ، ومن قبله جعفر الـبرمكي وجماعـة من أهل بيتـه أيضاً اعتنـوا بها ، لكن عنـاية المـأمـون كـانت أتم وأوفر ، ولحنين المذكور في الطب مصنفات مفيـدة كثيرة ، وكـذا لولـده إسحاق بن حنين وقد كان هو أيضاً أوحد عصره في الطب كما ذكره ابن خلكان .

قال : ورأيت في كتاب « أخبار الأطباء » إنّ حنينـاً المذكـور كان في كـلّ يوم

(*) له ترجمة في. أخبار الحكماء ص ١١٧ ، تاريخ حكماء الإسلام ص ١٦ ، العبر ج١ ص ٢٢ ، عيـون الأنبـاء ص ٢٥٧ ، مختصر تـاريخ الـدول ص٢٥٠ ، مـرآة الجنـان ج ٢ ص ١٧٢ ، لغت نـامـه ح ٨٢٤ وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥٥ .

عند نزوله من الركوب يدخل الحمام فيصبّ عليه الماء ، ويخرج فيلتف في قطيفة ويشرب قدح شراب ويأكل كعكة ويتكىء حتى ينشف عرقه ، وربما نام ثم يقوم ويتبخر ويقدّم له طعامه وهو فروج كبير مسمن قد طبخ زير باجه ورغيف وزنه مائتا درهم ويحسو من المرقة ويأكل الفروج والخبز وينام ، فإذا انتبه شرب أربعة أرطال شراباً عتيقاً ، فإذا اشتهى الفاكهة الرطبة أكل التفاح الشامي والسفرجل(١) .

وكان ذلك دأبه إلى أن مات يوم الثلاثاء لستّ خلون من صفر سنة ستين ومئتين(٢) ونسبة العبادي بالكسر إلى عباد الحيرة وهم بطون عدّة من قبائل شتّى نزلوا الحيرة وكانوا نصارى ، والحيرة بالكسر أيضاً كانت مدينة قديمة للملوك بني المنذر من العرب وقد خربت وبنيت الكوفة في الإسلام على ظهرها في سنة سبع عشرة للهجرة بناها عمر بن الخطاب على يد سعد بن أبي وقّاص(٣) كما أنّه بنى البصرة أيضاً على يد عتبة بن عزوان .

وأمّا اليونان فهو بالضم قرية ببعلبك وأخرى بين بردعة وبيلقان(٤) واليونانيون جيل انقرضوا كما في القاموس ، وكانوا حكماء متقدمين على الإسلام وهم من أولاد يونان بن يافث بن نوح كما في الوفيات قلت : ومن أعاظم أولئك الحكماء المشهورين المشار إلى آرائهم وكلماتهم في مصنفات القوم هو أفلاطون الإلهي الحكيم الكامل المشهور ، والمعلم الأول الذي يدعى بأرسطاطاليس وزير اسكندر بن فيلقوس الرومي وعن كتاب « عجائب البلدان » أنّ يونان كان موضعاً من أرض الروم مشتملاً على مدن وقرى كثيرة وكان منشأ للحكماء الباذخين وهو في الأعصار قد استولى عليه الماء وانطمست آثاره ، ومن عجائب أمزه أنّ من حفظ

(١) عيون الأنباء ص ٢٦٢ .

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥٥ وقال ابن أبي أصيبعة : وكان مولد حنين في سنة مأة وأربعة وتسعين للهجرة ، وتوفي في زمان المعتمد على الله وذلك في يوم الثلاثاء أول كانون الأول من سنة ألف ومأة وثمان وثمانين للإسكندر ، وهو لستّ خلون من صفر سنة مأتين وأربع وستين للهجرة وكانت مدة حياته سبعين سنة .

(٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٨٨ .

(٤) مراصد الإطلاع ج ٣ ص ١٤٨٨ وهي التي تسمى باللغة الفارسية بالكان .

فيه شيئاً لا ينساه أبداً ، وذكر جماعة من التجار إنّا ركبنا البحر فلما بلغنا ذلك الموضع وقع في ذكرنا كلّ شيء نسيناه من قبل وكان قد محي عن خواطرنا والله العالم .





بـــاب

ما أوله الخاء المعجمة من أسماء فقهائنا المنتجبين

٢٨٢
المولى خداوردي بن قاسم الأفشار(*)

فاضل عالم صالح رجالي من أجلّاء تلامذة المولى عبد الله التستري والشركاء في الـدرس مع السيـد الفاضـل المحقق الأمير مصـطفى التفريشي صـاحب « نقـد الرجال » ومن مؤلفاته كتاب « زبدة الرجال » وهو جيد في بـابه ، ينيف عـلى سبعة آلاف بيت ، وعندنا منه نسخة ، ويزيد على تحقيقاته اشتباهـاته ، وقـد أسقط منه أسماء المجاهيل ، بالتمام ككتاب الشيخ أبي علي المتأخر ، وحسب هذا الرجل فخراً وصلاحاً ، إنّه خرّج من بيت لهم يعهد منه إلى الآن أحـد من الفضلاء الأعيـان ، ولم يوجد بعد له من ذلك القبيل ثان ، ونسبته رحمـه الله تعالى عليـه إلى قبيلة أفشار التي هي من أحيـاء التروك وأعـراب بوادي آذربيجـان ، وهم يسكنـون في نـاحيـة دمدم المعروفة ببلدة أومج .

وكان له تصانيف غير ذلك أيضاً فـلا تغفل ، ويشبـه كتاب زبـدته المـذكور كتـاب « إكليل المنهـج » الذي كتبـه الفاضـل الكامـل المتتبع المـاهر مـولانا محمـد جعفـر بن محمد طـاهر الخـراساني المتـوطن بإصفهـان صاحب « رسـالة الـرضاع »

(*) لـه ترجمـة في : تنقيح المقـال ج ١ ص ٣٦٩ ، جامـع الـرواة ج ١ ص ٢٩٤ ، ريـاض العلماء خ ، مصفى المقال ص ١٦٥ ، هدية العارفين ج ١ ص ٣٤٤ .

الفارسية و« كتاب الطباشير » وكتاب يشتمل على عدة من الصحف الأدريسية وغير ذلك ، وكان تاريخ ولادته كما وجدته بخطّه الشريف على ظهر كتاب « الإكليل » في سنة ثمانين وألف ، وذكر في ترجمة نفسه أيضاً أنّه ذكر في كتاب « طباشيره » تاريخ ولادته ووفاته أيضاً وهو عجيب وكتاب إكليله المذكور كبير يزيد على عشرة آلاف بيت وقد وضعه بمنزلة التعليق المكمّل على كتاب « منهج المقال » الذي هو كتاب الرجال الكبير لمولانا ميرزا محمد الإستر آبادي وفيه فوائد جمة قلّما تنضبط في شيء من كتب الرجال وعندنا نسخة الأصل الذي هو بخطّ المؤلف .

وكان قد رسمه في أواسط فتنة الأفغان بدار السلطنة إصفهان وقال في خاتمته بعد أن فرغ من أبواب النسب والألقاب : ثم اعلم إنّ كثير ما ذكره المصنف من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعلامة (ل) ومن أصحاب أمير المؤمنين(عليه السلام)بعلامة (ي)مذكورة على وجه الإهمال فأحببت أن أذكر جملة من أحوالهم وأحوال من في طبقهما ومن يتّبعهما أيضا كل ذلك من كتاب « سير السلف » تأليف الإمام اسماعيل بن محمد بن الفضل الطلحي التيمي الإصفهاني الثقة ، وقد مدح لجميع من ذكر في كتابه مدحاً جليلاً في مواضع ، فجميع ما ذكرناه فهو من هذا الكتاب إختصاراً لا الترجمة ، فإنّها قد قرّرها الإمام أحمد بن محمود اليزدي ، وأنا لا أخرج من ترتيب أختاره لأنّه راعى في ذلك تقديم الأولى بالتقديم على من دونه بحسب الرتبة والفضل والجلالة ، وذكر أوّلاً العشرة المبشرة ، ثم قال : ذكر الصحابة بعد ذكر العشرة على حروف المعجم ، انتهى .

وكذلك صنع صاحب « الإكليل » بعد الفراغ منه فشرع في تبويب رجالين مختصرين آخرين على حسب ما وعده في هذا المقام ، وظنّي أنّه كان من تلامذة مولانا محمد الشهير بسراب ومن في طبقته ، وإنّ قراءة مولانا اسماعيل الخاجوئي المتقدم ذكره أيضاً كان عليه وخصوصاً في فنون الدراية والرجال فليتأمل .

٢٨٣
المولى نجم الدين خضر بن الشيخ شمس الدين محمد بن علي الرازي(*)

الجبلرودي أصلاً ، النجفي مسكناً ، فاضل عالم متكلم فقيه جليل جامع لأكثر العلوم ، من علماء أوائل الدولة الصفوية وتلامذة السيد شمس الدين محمد بن السيد الشريف الجرجاني .

وله كتاب « جامع الدرر في شرح الباب الحادي عشر » كبير ، وشرح آخر منتخب منه سمّاه « مفتاح الغرر » وكتاب « التحقيق المبين في شرح نهج المسترشدين» فرغ من تأليفه بالحلة الشريفة في حدود ثمان وعشرين وثماني مئة بعد ما فارق من خدمة أستاذه المذكور ، وفاز بزيارة أئمة العراق المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، وله أيضاً كتاب « جامع الأصول في شرح ترجمة رسالة الفصول » للمحقق الطوسي رحمة الله تعالى عليه في الكلام ، وكان قد عربها المولى ركن الدين محمد بن علي الجرجاني وكتاب « تحفة المتقين في أصول الدين » وكتاب كاشف الحقائق في شرح رسالة درّة المنطق لأستاذه المذكور ، وكتاب آخر سماه « جامع الدقائق في شرح رسالة غرة المنطق » أيضاً لأستاذه وذكر صاحب « رياض العلماء » أنّه رآهما جميعاً بخط الكفعمي المشهور في بلاد مازندران ، وله أيضاً كتاب « القوانين » كما صرّح به في كتابه الأخير ، وكتاب « حقائق العرفان وخلاصة الأصول والميزان » وكتاب « التوضيح الأنور بالحجج الواردة لدفع شبهة الأعور » ردّاً على كتاب الشيخ يوسف بن المخزوم الواسطي الأعور الناصب في ردّ الإمامية .

كما قد ردّه الشيخ الجليل عزّ الدين حسن بن شمس الدين محمد بن علي المهلبي الحلبي أيضاً بكتاب له سماه « الأنوار البدرية في ردّ شبهة القدرية » إلاّ أنّ شرح صاحب العنوان أتمّ وأحسن منه كما أفيد .

(*) له ترجمة في : أعيان الشيعة ج ٢٩ ص ٢٦٣ ، أمل الآمل ج ٢ ص ١١٠ ، بهجة الآمال ج ٥ ص ٣٣١ ، الذريعة ج ٤ ، ص ٤٩١ وج ٥ ص ٥١ وج ١٣ ص ١٢٠ ، رياض العلماء خ ، هدية العارفين ج ١ ص ٣٤٥ .

٢٨٤
السيد الأصيل والفاضل النبيل خلف بن السيد عبد المطلب بن السيد حيدر ابن السيد محسن بن السيد محمد الملقب بالمهدي بن فلاح الموسوي الحويزي المشعشعي(*)

قيل إنّ المشعشع هو من ألقاب علي بن محمد بن فلاح الذي كان حاكماً بالجزائر والبصرة ، ونهب المشهدين المقدسين وقتل أهلهما قتلاً ذريعاً وأسر من بقي منهم إلى داري ملكه البصرة والجزائر في صفر سنة ثمان وخمس مئة[1] ومن المشهور أنّ طائفة من المشعشعية الغالين يأكلون السيف كما في «الرياض» قال: وقد جاء أحد من جماعتهم في عصرنا إلى حضرة السلطان، وفعل ذلك بحضرة من المتصلين بخدمته[2] ولم أدر ما معنى هذا الكلام .

وبالجملة فهذا الرجل الجليل من أجداد حكّام تلك الناحية ومواليها المشعشعين المعروفين ، وقد كان عالماً فاضلاً ، ومتكلماً كاملاً ، وأديباً ماهراً ، ولبيباً عارفاً ، وشاعراً مجيداً ، ومحدّثاً مفيداً ، بل محققاً جليل المنزلة والمقدار من معاصري شيخنا البهائي ، وله مصنفات :

منها كتاب : « سيف الشيعة » في الحديث وكتاب « حق اليقين » في الكلام ، وكتاب « برهان الشيعة » في الإمامة بالخصوص و« الحجة البالغة » أيضاً في الكلام ، وكتاب آخر أيضاً في المنطق والكلام كبير ، ورسالة في النحو ومنظومة فيه و« شرح دعاء عرفة للحسين » (عليه السلام) و« ديوان شعر عربي » وآخر فارسي وغير ذلك كما في الأمل .

ثمّ إنّ في الرياض نقلاً عن بعض رسائل السيد علي خان بن خلف المذكور إلى الشيخ علي الشهيدي في تفصيل بعض فوائد نفسه وترجمة أحواله وأحوال والده

(*) له ترجمة في . أمل الآمل ج ٢ ص ١١١ ، تنقيح المقال ص ٤٠٢ ، خاتمة المستدرك ص٤٠٧ ، رياض العلماء«خ»، ريحانة الأدب ج ١ ص ٣٥٦ ، سفينة البحار ج ١ ص ٤٠٩ .

(١) كذا في الأصل ، والصحيح كما في الرياض وغيره ثمان وخمسين وثماني مئة .

(٢) في الرياض : فعل ذلك بحضرة الجماعة في خدمته .

المبرور إنّه اجتمع مع الشيخ الفاضل الميرزا محمد الإستر آبادي صاحب الرجال في سفر الحج ، وكان دعاء مولانا الحسين (عليه السلام) عند الميرزا محمد فدعيا به في الموقف ، فقال له والدي: يا سيدنا هذا الدعاء قابل للشرح وينبغي أن تشرحه .

فقال : أنا ألتمسه منك . فقال الوالد هضماً لنفسه : وأنا لست بفارس هذا الميدان فقال : بل أنت أحقّ الناس به ، قال : فقبلت التماسه ولما رجعت إلى الوطن لم يكن لي همّ إلاّ ذلك ، فشرحه كما ينبغي ، وأودعه أسراراً ومعارف جمّة ، فلما أتّمه بعث بنسخة منه إليه ، فأعجب بها كلّ الإعجاب وكان عنده في خزانته إلى أن توفي فانتقلت إلى ورثته وقد طلبت نسختها الأكابر من والدي وانتسخوها وعن الكتاب المشار إليه أيضاً أنّه رحمة الله تعالى عليه صنّف شرحه على الدعاء المذكور المسمّى بـ « مظهر الغرائب » وكذا كتابه المسمى بـ « حق اليقين » في علم الطريقة والسلوك ، وكتاب « الحق المبين » الذي هو في المنطق والكلام ، وكتاب « البلاغ المبين » في الأحاديث القدسية ، وكتاب « النهج القويم » في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) وكتاب : « سبيل الرشاد » في النحو والصرف والأصول وأحكام العبادات بعد ما سلب عنه البصر بجفاء أخيه وازداد نور بصيرته ، وله أيضاً من التصنيفات كتاب « فخر الشيعة » في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) وكتاب « البرهان » في إثبات إمامته (عليه السلام) فيما يزيد على ثلاثين ألف بيت وكتاب « الحجة البالغة » في إثبات إمامته (عليه السلام) بالآيات ونصوص الفريقين ، وكتاب : « سفينة النجاة » في فضائل الأئمة الهداة عليهم السلام وكتاب « سيف الشيعة » في مطاعن أعدائهم وهو أيضاً كبير يقرب من ثلاثة وعشرين ألف بيت ، وكتاب « المودة في القربى » في فضائل الزهراء وأئمة الهدى وإثبات إمامتهم ومعجزاتهم بالنص الصريح وردّ سائر الملل الباطلة الإسلامية وهو أيضاً كبير جداً وكتاب : « خير الكلام في المنطق والكلام وإثبات إمامة كلّ إمام أنام » في نحوٍ من سبعة وعشرين ألف بيت ورسالة « الإثنا عشرية في الطهارة والصلاة » ورسالة « دليل النجاح » في الدعاء وكتاب آخر في الدعاء يضاهي « الدروع الواقية » إلى أن قال :

وكان رحمة الله تعالى عليه زاهداً مرتاضاً يأكل الجشب ويلبس الخشن اقتداءً

بسيرة آبائه ، وكانت عبادته يضرب بها المثل وكان كثير الصيام لم يفته صوم سنة ولا صلاة نافلة ولا ختم كلام الله في ليالي الجمعات قبل أيام عماه ومع هذا كله كان من أشجع أهل زمانه وأشدّهم بأساً وأسدّهم عزماً وأقواهم قلباً بحيث تميد لها الجبال ولا يميد وبعدما توفي رثاه السيد شهاب الدين بقصيدة غراء رائية ضارع بها قصيدة أبي تمام في محمد بن حميد الطائي ومن جملتها هذا البيت :

هُوَ المرءُ يَومَ الحربِ تُثني حِرابُهُ عَلَيْهِ وفي المحرابِ يعرفهُ الذكرُ

ثم قال : ولو عددت مناقبه ومفاخره ومآثره لكانت كتاباً مفرداً ولكن اقتصرنا على ما أوردناه هنا ولعلّنا نقصد بما أوردناه القربة عند الله وعند رسوله والأئمة الأطهار عليهم صلوات الله الملك الغفّار[1] , .

وقال أيضاً في ترجمة ولده السيد علي خان بن خلف المذكور أنّه ووالده من أكابر العلماء وكان له ميل إلى التصوف وقد سبق ترجمة والده وأنّه كان من المعاصرين للشيخ البهائي ، وأمّا ولده هذا السيد فقد توفي في عصرنا وخلّف أولاداً كثيراً وقد أخذت حكومة تلك البلاد من أولاده واحداً بعد واحدٍ إلى هذا اليوم وهو عام سبعة عشر ومئة بعد الألف وكان بعض أولاده أيضاً مشتغلاً بتحصيل العلوم في الجملة وقد استشهد طائفة عزيزة من أولاده وأحفاده وأقربائه في قضية المحاربة التي صارت بين أعراب تلك البلاد وبين بعض أولاده ، التي هو الآن حاكم بها .

وقال الشيخ المعاصر في « الأمل » : كان فاضلاً عالماً شاعراً أديباً جليل القدر له مؤلفات في الأصول والإمامة وغيرها منها « النور المبين » في الحديث أربع مجلدات و« تفسير القرآن » أربع مجلدات ، و« خير المقال » شرح قصيدته المقصورة أربع مجلدات في الأدب والنبوة والإمامة ، و« نكت البيان » مجلد و« ديوان شعر » جيّد وشعر بالفارسية جيد وغير ذلك وهو من المعاصرين[1] .

وقد ذكره صاحب « السلافة » وأثنى عليه وأورد له أشعاراً وقد مدحه شعراء

---

(١) رياض العلماء : وهو أيضاً نقله من الرسالة التي أرسلها السيد علي خان ولد المترجم له للشيخ علي سبط الشهيد الثاني في ترجمة والده .

(١) رياض العلماء .

عصره من أهل بلاده وغيرهم ، ومن شعره قوله من قصيدة :

ولولا حسام المرتضى أصبح الورى وما فيهم من يعبد الله مسلما
وأبناؤه الغرّ الكرام الأولى بهم أنار من الإسلام ما كان مظلما
وأقسم لو قال الأنام بِحبّهم لما خلق الربّ الكريم جهنما
وما منهم إلاّ إمام مُسوّد حسام سطا بحر طمى عارضٌ همى

إلى أن قال صاحب الرياض : وأقول : ومن مؤلفاته أيضاً يعني السيد علي خان بن خلف المشار إليه مجموعة مشتملة على طرائف المطالب التي أوردها في مؤلفاته الأربعة المذكورة وقد انتخبها منها مع جمّ من لطائف سائر المقاصد ، وأرسلها هدية للشيخ علي سبط الشهيد الثاني إلى إصفهان وقد رأيتها في جملة كتبه قدّس سره وهي حسنة الفوائد ، جليلة المطالب ، وأمّا كتابه « النور المبين » فموضوعه إثبات النّص على أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وكان ابتداءً تأليفه فيَ ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين بعد الألف والفراغ منه شهر ربيع الأول سنة بعدها.وله رسالة أخرى قد أرسلها إلى الشيخ علي المذكور وقد صدّر البحث في أولها بذكر كلام السيد الشريف في الجواب عن خبر الغدير وردّ هذا السيد لأجوبة السيد الشريف ، ورسالة أخرى أيضاً في « شرح حديث الأسماء » وأمّا كتاب « خير المقال » فهو في شرح قصائد في مدح النبي الكريم والآل وبلغت كتابته ثلاثة وستين ألف بيت وقد ألّفه في عرض ستّة أشهر ونصف من السنة السابعة بعد تأليف كتاب « النور المبين » وأمّا كتاب « نكتب البيان » فهو مشتمل على أبواب : الأول في تفسير الآيات القرآنية ، وتكلّم فيه بما أغفله المفسّرون والثاني : في شرح الأحاديث المشكلة التي تكلّمت العلماء في شرحها أو لم يتكلم.ومن جملتها شرح حديث الأسماء .

والثالث : في ذكر ما تكلّم فيه مع العلماء السابقين والمعاصرين له في مسائل شتّى وباقي الأبواب في إيراد كلمات حكمية من الأنبياء والأئمة وأهل الفضل والصوفية وفي فنون الأدب من الكلام على فحول الشعراء والإيراد عليهم والإنتصار لهم ، ثم يورد أقسام فنون الشعر من غزل وتشبيب ، ومديح ، وفخر ، ورثاء ، إلى غير ذلك من الحكايات المستطرفة وكانت مدة تأليفه خمسة أشهر من

سنـة أربع وثـمانين بعـد الألف وأمّا تفسـير القرآن فقـد سمّاه « منتخب التفـاسـير » وطريقته فيه أن يذكر أوّلاً كلام المفسرين الذين كانت تفاسيرهم مـوجودة عنـده من « النيسابوري » و« الكشـاف » و« القاضي » و« مجمـع البيان » و« تفسـير العياشي » وعلي بن ابراهيم .

ثم يذكر من فوائد نفسه من ردّ كلامهم أو ممّـا لم يتفطنـوا له ، وكـان ابتداؤه فيه في جمادي الآخرة سنة أربع وثمانـين بعد الألف وقـد وصل في شهـر ربيع الأول سنة سبعة وثمانين بعد الألف إلى تفسير سورة الرحمن كما يظهر من أوّل تلك الرسالة المشار إليها ولست أدري هل وفّق لإتمامه أم لا ؟ وأظن أنّ أكثر فـوائد كتب السيـد نعمـة الله الشوشتري المعاصر قدّس سره مـأخوذة من تصـانيف هذا السيـد الوالي وأمّـا ديـوانــه فقـد سـمّاه « خـير جليس ونعم أنيس » انتهى مـا ذكـره صـاحب « الرياض » رحمة الله تعالى عليه وستأتي الإشارة إلى بعض ما يتعلّق به أيضاً في ذيل ترجمة الشيخ علي نقي الكمرئي الشيرازي إن شاء الله .

٢٨٥
الشيخ خلف بن عسكر الكربلائي (*)

المتوطّن بالحائر المقدس الطاهر حيّاً وميتاً كان من أجـلاء فقهاء هـذه الأواخر ومجتهـديهم ، وعمـد صلحـائهم ومتـورعيهم ، وتلمّـذ عنـد صـاحب « ريـاض المسائل » كثيراً وكان لا يرى في من جاء على أثر أستاذه المذكور كثير فضلٍ ، نعم كان يعجبه كثرة تتّبع سيّـدنا السمي المـرحوم صـاحب « مطالـع الأنوار » كـما ذكره بعض من لاقاه وله شرح على الشرائع وتوفي في العشر الخامس بعـد المئتـين والألف رحمة الله تعالى عليه .

(*) له ترجمة في : الذريعة ج ١٣ ص ٣٢٢ وفيه أنه توفي بـالطاعـون سنة ١٢٤٦ ومعـارف الرجـال ج ١ ص ٢٩٨ وفيه أنه توفي بالوباء المؤرخ بـ« مرغز » سنة ١٢٤٧ في كربلاء .

٢٨٦
الشيخ خليل بن ظفر بن الخليل الكوفي الأسدي(**)

ثقة ورع له تصانيف منها : كتاب « الإنصاف والإنتصاف » كتاب « الدلائل » كتاب « النور » كتاب « البهاء » « جوابات الزيدية » و« جوابات «الإسماعيلية» «جوابات القرامطة»، ذكره الشيخ منتجب الدين في فهرسته وقال: أخبرنا بهذه الكتب شيخنا السعيد جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد الخزاعي ، عن والده ، عن جده ، عنه وعلى ذلك فهو في طبقة شيخنا الطوسي رحمة الله تعالى عليه .

٢٨٧
الفاضل المدقق النبيل مولانا خليل بن الغازي(*)

بالغين المعجمة قبل الألف والزاي القزويني الأصل والمسكن والخاتمة ، ذكره شيخنا الحرّ العاملي في تتمة أمله الموسومة بـ « تذكرة المتبحرين » فقال : فاضل عالم علامة حكيم متكلم محقق مدقق فقيه محدث ثقة نقة جامع للفضائل ماهر معاصر له مؤلفات :

منها : « شرح الكافي » فارسي وشرح عربي و« شرح العدة » في الأصول و« رسالة الجمعة » و« حاشية مجمع البيان » و« الرسالة النجفية » و« الرسالة القمية»و«الجمل»في النحو ورموز التفاسير الواقعة في«الكافي»و«الروضة»وغير ذلك رأيته بمكة في الحجة الأولى وكان مجاوراً بها مشغولاً بتأليف « حاشية مجمع البيان » توفي سنة تسع وثمانين بعد الألف .

وقد ذكره صاحب « السلافة » وأثنى عليه ثناء بليغاً وذكر بعض المؤلفات

(**) له ترجمة في : أمل الآمل ج ٢ ص ١١١ ، تنقيح المقال ج ١ ص ٤٠٣ ، جامع الرواة ج ١ ص ٢٩٨ ، رياض العلماء « خ » فهرست منتجب الدين .

(*) له ترجمة في : أمل الآمل ج ٢ ص ١١٢ ، تنقيح المقال ج ١ ص ٤٠٣ ، جامع الرواة ج ١ ص ٢٩٨ ، رياض العلماء « خ » سفينة البحار ج١ ص ٤٢٦ ، سلافة العصر ص ٤٩١ .

السابقة.انتهى.وظنّي أنّ في نسبة « جمل النحو » إليه اشتباهاً بالخليل بن أحمد العروضي المتقدم المشهور كما ستعرفه إن شاء الله .

وفي رياض العلماء : أنّ مولده كان ببلدة قزوين سنة إحدى وألف ، وعليه فيكون مبلغ عمره الشريف في الدنيا ثمانا وثمانين ، وإليه ينظر ما قد نقل من كف بصره في أواخر العمر ، قال : وكان رحمه الله دقيق النظر ، قوي الفكر ، حسن التقرير ، جيّد التحبير ، من أجل مشاهير علماء عصرنا ، وأكمل نحارير فضلاء دهرنا ، قرأ في أوائل أمره على شيخنا البهائي ، والسيد الداماد ،وكان شريك الدرس مع الوزير خليفة سلطان عند المولى حاج محمود الرناني ، والمولى حاج حسين اليزدي شارح « خلاصة الحساب » في مراتب الحكمة والكلام وغير ذلك ، وقد تكرّم عند السلاطين الصفوية وسائر أمراء تلك الدولة العالية العلية كثيراً ،وصار قبل أن يكمل له ثلاثون سنة متولياً لروضة مولانا عبد العظيم بالري ومدرساً بها .

ثم عزل عنها لطويل قصة ، فسافر إلى مكة وجاورها أيضاً برهة من الزمان فلّما رجع منها سكن قزوين وأخذ في التصنيف والتأليف ونشر العلوم .

وله مع حكّام طهران وقزوين أيضاً أقاصيص ، وهو رحمه الله أحد المحرمين لصلاة الجمعة في زمن الغيبة ، والمانعين من إقامتها جداً بل ومن جملة الأخباريين المنكرين لطريقة الإجتهاد أشد الإنكار ،بحيث يعتقد صحة جميع ما في الكافي من الأخبار ، ويوجب العمل بها أجمع لتحسين مولانا الحجة (عليه السلام) بأنّه : كاف لشيعتنا ، أو ما يضاهي ذلك ويقول : إنّ ما وجد فيه بلفظ روي فهو من كلام الصاحب (عليه السلام) نظير ما ينسب إلى صاحب كتاب « نور الثقلين » .

ومن متفرداته أيضاً القول بثبوت المعدومات وكون العمل بالعلم في فروع الشريعة بالنسبة إلى هذا الزمان ، وعندي أنّه كان معوّج السليقة غايته في فهم عبارات الأئمة والأصحاب ، وترجمتها بالفارسية مع تمام مهارته في اللغة وعمله بقوانين العربية ، وقد اشتبه جداً في تفسير طائفة منها كما عرف ذلك منه مراراً ، وكان يقدح كثيراً في سياق أرباب الحكمة والعرفان بل الأطباء وأصحاب النجوم .

وله أيضاً مع المولى محمد طاهر القمي الفاضل المروّج رسائل سوء انتهت إلى

منافرات شنيعة ومناقرات فظيعة ، سوف نشير إلى شيء منها في ترجمة المولى محمد طاهر إن شاء الله ، وقد كتب هو أوّلاً شطراً وافياً في تحريم الجمعة بالفارسية من جملة ما علّقه على الكافي ، فكتب الفاضل القمي عليه ردّاً شديداً فيه طعن كثير عليه برسالة مفردة له في عينيّة الجمعة ، فكتب هو ثانياً رسالة شديدة البأس في الإنكار عليه سالكاً فيها طريقه الوسط ثمّ ألف ثالثة من الرسائل فيها الأخذ بطريقة الإنصاف والإجتناب عن قانون التمحل والإعتساف وقد حكم فيها بمعذورية من استنبط من الأخبار وجوبها أو استحبابها وتفضّل إنّه لم يذهب فيها إلى تفسيق من فعلها على سبيل الإطلاق ، وكان منشأ ما جرى بينهما بعد هذه الترديدات .

وحكى لنا سيّدنا السميُ المرحوم وبقّار العلوم ونائب المعصوم إنّ المولى خليل المذكور : كان من المحرمين لشرب التتن غايته وقد كتب في ذلك رسالة لم يأل جهداً في إجادتها وتنقيحها فلما استتمها أخرجها في نسخة جيدة مجلدة بجلد ظريف وغلّفها أيضاً بنفيس من القماش ، وأرسلها إلى حضرة مولانا المجلسي السمي رحمة الله عليه بإصفهان ، لعلّه يترك بمطالعته تناول القليان لأنّه كان مفرطا فيه غايته بحيث نقل أنّه كان يشربه على المنابر ، فلما وصلت إلى المجلسي رحمة الله عليه واطّلع على مضمونها جعل في غلافها الموصوف تنباكاً نفيساً وردّها إلى مصنفها مؤدياً إليه إنّا قد طالعنا الرسالة فلم أجدها بشيء إلاّ أن وعاءها كان صالحاً لمكان التنباك ملأته منه وبعثت إلى جنابك جزاءاً بما أتعبت جدّك في تنقيح هذا المرام ، هذا .

ومن جملة ما يحكى أيضاً من مكارم أخلاقه ومحامد صفاته إنّ اتفقت بينه وبين صاحب الوافي مناظرة طويلة في مسألة ، فظهر له فساد رأيه في ذلك بعد زمن طويل وهو بقزوين ، فتوجه راجلاً من فوره لخصوص الإعتراف بتقصيره في الأمر ، والإعتذار من الفيض المرحوم إلى بلدة قاشان فلما وصل إلى باب داره جعل يناديه من خلف الباب بقوله : يا محسن قد أتاك المسيء إلى أن عرف صوته ، فخرج الفيض إليه مبتدراً وأخذا يتعانقان ويتعاطفان بما لا مزيد عليه ، ثم لم يلبث بعد ذلك ساعة في البلد مهما أصرّ عليه الفيض حذراً عن تخلل شائبة في إخلاصه .

ولاقاه يوماً في بعض زقاق قزوين واحد من الجنديين بيده براة حوالة شعير

إلى بعض الرعية ، فأعطاها إياه ليقرأها عليه ، فيعرف أنّها مكتوبة باسم أي رجل منهم ، فلما قرأها قال :

إنّ هذه المكتوبة باسم هذا العبد وذهب به إلى المنزل وسلمه الشعير المقدّر فيها باشد الطوع وذهب الرجل ، ثم لما جاء الليل وعرضوا ذلك الشعير على خيول الملك لم يتفوه به واحد منها فتعجب المطلعون على ذلك غايته وأسمعوه السلطان فلما استكشف عن حقيقة الأمر ، وعرف المولى المذكور ضاعف في تحنّنه وإجلاله .

ونقل أيضاً أنّ بعض أشداء الأكتاف المختوم عضده بالغلبة على كافة المصارعين ، ورد على المولى المذكور وهو في مجلس الدرس يستدعيه تزيين مجلته بخطّه الشريف ، فقال : له يا هذا كيف أشهد لك ولم أختبرك بنفسي ، ثم نهض من المجلس إلى ذلك الرجل وأذن له أيضاً في الصراع ، فلم يلبثا هنيئة إلاّ وقد صرعه المولى المذكور وجلس على صدره فقال الرجل من غيظ نفسه:لعنة الله عليّ وولدت من الحرام لو كنت من جملة العلماء وقد كان يقول بعض فقهاء سادات العصر سلّمه الله تعالى عند ذكره هذه الحكاية له وأنا أعلم أنّ الرجل لم يكن أبداً بولد حرام ولا تبعه في قسمه المذكور شيء فليتأمل .

ثمّ ليعلم أنّ كتاب شرحه الفارسي على الكافي وهو الذي سماه « بالصافي » ينيف على إثني عشر مجلداً كما بالبال وقد شرح به جميع أبواب الأصول والفروع في مدة عشرين سنة على مقدار زمان تأليف الأصل بأمر السلطان شاه عباس الصفوي الثاني ونزل في أوائله أحاديث على اتصاف تلك السلسلة العلية بالخير والنجاح ولم يدانه في التحقيق والتدقيق شرحه العربي الذي كتبه بإشارة خليفة سلطان الوزير سمّاه « الشافي في شرح الكافي » ولم يتجاوز فيه عن أبواب الطهارة من الكتاب المذكور بوجه من الوجوه ، وكأنّه تخلّل بين تصنيف المجلد الأوّل من الشرح الفارسي وسائر المجلّدات وكان ينسب تأليف « روضة الكافي » إلى صاحب « السرائر » كما ينسب ذلك أيضاً إلى الشهيد الثاني فلا تغفل وأمّا شرحه على « عدة » الشيخ فهو في مجلدين يعرفان بالحاشية الأولى والثانية ، وكان قد كتب بينهما أيضاً حاشية أخرى تنطوي على مسائل نادرة من الفقه والأصول كما أفيد .

ومن جملة من تلمّذ عليه بنص صاحب الرياض وغيره : هو مولانا علي

أصغر بن محمد يوسف القزويني صاحب « المقالات الخمس » فيما ورد من المراسم والأعمال وغيرها .

وكذا مولانا الآقا رضي الدين محمد بن الحسن القزويني صاحب كتاب « لسان الخواص » وغيره وكذا السيد الجليل الفاضل الأمير محمد مؤمن بن محمد زمان الطالقاني المذكور في « الأمل » بالعلم والفضيلة والتحقيق .

وكذا أخو نفسه الفاضل المتكلم الجليل محمد باقر بن الغازي المذكور هو أيضاً في « الأمل » على نهاية التعظيم ونسبة مصنفات إليه ، وإنّه كان أخوه يقتدي به في الصلاة متى ورد عليه في محلّته التي كان هو إماماً فيها ومدرساً في مدرستها .

وكذا ولداه الفاضلان المحقّقان بنص المذكور ، المتوفيان في حياة والدهما المبرور وهما أحمد وأبو ذر رحمة الله عليهما .

وكذا ولده الآخر الفاضل الجليل المسمّى بـ « سليمان بن الخليل » صاحب « مناسك الحج » الذي كتبه باسم الشاه سليمان الصفوي إلى غير أولئك من الفضلاء المعروفين .

وكانت وفاته بـ قزوين في السنة المذكورة قبل ، ومدفنه أيضاً بها في المدرسة المعروفة به إلى هذا الزمان رحمة الله تعالى عليه .

وأما قزوين فهي كما في «تلخيص الآثار» مدينة مشهورة مبنية في فضاء من الأرض طيّبة التربة واسعة الرقعة كثيرة البساتين ، نزهة النواحي والأقطار ، بأرض الجبل ، وهي مدينتان ، إحداهما في وسط الأخرى ، وأوّل من استحدث بها سابور ذو الأكتاف ، ولما اجتاز الرشيد بأرض الجبال قاصداً خراسان بني سور المدينة العظمى ومسجدها الجامع سنة أربع وخمسين ومئة ! .

ومن عجائبها مقصورة الجامع في غاية الإرتفاع على شكل بطيخ ليس مثلها في البلاد ومنها أمر باغاتها ، فإنها لا تشرب في السنة إلّا مرة واحدة .

ومنها مقابر اليهود فإذا توجع بطون دوابهم قادوها إليها فإنّها يزول وجعها ـ إلى أن قال ـ وينسب إليها الشيخ أبو القاسم محمد بن عبد الكريم الرافعي كان عالماً فاضلاً ، ورعاً بالغاً في النقليات كالتفسير والحديث والفقه والأدب له تصانيف

كثيرة كلها حسن ، توفي سنة ثلاثة وعشرين وست مئة عن نيف وستين سنة ، وينسب إليها الفاضل عبد الغفار صاحب كتاب « الحاوي » و« اللباب » في الفقه .

والكامل العلامة نجم الدين علي بن عمر الكاتبي كان معاصراً لخواجه نصير الدين الطوسي ، وله مصنفات حسنة في الحكمة والمنطق ، انتهى .

وقد اختلفت الروايات الخاصية والعامية في مدحها ومذمتها واستفيضت الأخبار الواردة فيها ، فمن أدلّ ما روته الخاصة والعامة في مذمتها هو الخبر المروي عن مولانا الصادق (عليه السلام) أنّه قال : الري وقزوين وساوه ملعونات مشؤومات ، ومن أبهر ما يدلّ على مدحهم في الغاية ما رواه صاحب « تاريخ گزيده » المسمى بـ « حمداً لله المستوفى » القزويني عن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن آبائه عن علي (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قزوين باب من أبواب الجنة ، هي اليوم في أيدي المشركين وسيفتح على يدي أمين من بعدي ، المفطر فيها كالصائم في غيرها والقاعد فيها كالمصلي في غيرها وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: قال:لولا أن الله أقسم بيمينه وعهد أن لا يبعث بعدي نبياً لبعث من قزوين ألف نبي .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال صلوات الله على أهل قزوين فإنّ الله ينظر إليهم في الدنيا فيرحم بهم أهل الأرض[1] ، انتهى .

وقال صاحب « القاموس » وقزوين بكسر الواو من بلاد الجبل : ثغر الديلم وقزوينك قرية بالدينور ، قلت وهي الواقعة في جنوب طريق قافلة الملائر إلى قرميسين ولم أعرف أحداً من العلماء ينسب إلى الآن إليها .

---

(١) قلت · وفي رواية أخرى عنه (ص) إنّ الله وملائكته يصلون كل يوم على موتى قزوين والبار والشهداء لهم مئة صلاة وقال علي(ع) من كره المقام هنا فليلحق بقزوين وظني أن صاحب العنوان يذكر كثيراً من أحاديث وصف قزوين في فواتح شرحه الفارسي ، ويؤول أمثال الحديث الأول من تاريخ گزيده في حق السلاطين الصفوية ، منه .

بـــاب

ما أوله الخاء المعجمة من سائر أطباق الفريقين

٢٨٨

الشيخ أبو زيد خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري(*)

أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، ذكر ابن خلّكان المؤرخ أنّه كان تـابعياً جليـل القـدر ، أدرك زمن عثـمان بن عفـان ، وأبـوه زيـد بن ثـابت رحمـه الله من أكـابـر الصحابة ، وفي حقه قال رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : أقـرأكم زيد توفي سنة تسع وتسعين للهجرة ، وقيل سنة مئة بالمدينة .

وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي في « الطبقات » أنّ خارجة قـال رأيت في المنام كاني بنيت « رقيت خ » سبعين درجة فلما فرغت منها تدهورت[1] وهـذه السنة لي سبعون سنة قد أكملتها ، قال : فمات فيها ، وروى عنه الزهري ، انتهى .

وأقول : إنّ هؤلاء الفقهاء هم الذين أتوا من بعـد الصحابـة وأخذوا الفقـه منهم وانتهى فقه العامـة إليهم ، ودارت رحى أولئك عليهم ، وقـد كانـوا بالمـدينة الطيبة في عصر واحد ومنهم انتشر العلم والفتيا في العالم على وتيرة العبّاد السبعـة ، والقرّاء العشرة ، والزّهـاد الثمانيـة ، والعلماء والقضاة الستـة ، والأئمة الأربعـة ، وأمثال ذلك على اصطلاح الجمهور .

(*) لـه ترجمة في : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ١٧٢ ، حليـة الأولياء ج ٢ ص ١٨٩ ، طبقـات الكبرى ج ٥ ص ٢٦٢ ، المعارف ص ٢٦٠ وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤ .

(١) في الطبقات : تهورت .

قال ابن خلّكان وإنّما قيل لهم الفقهاء السبعة وخصّوا بهذه التسمية لأن الفتوى بعد الصحابة صارت إليهم ، وشهروا بها ، وقد كان في عصرهم جماعة من العلماء التابعين ، مثل سالم بن عبد الله بن عمر وأمثاله ، لكن الفتوى لم تكن إلا لهؤلاء السبعة ، هكذا قاله الحافظ السلفي ، انتهى .

وقال صاحب « إكليل الرجال » روى عن مسروق قال : كان العلم في أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ستة : علي ، وعمر ، وعبد الله ، وأبي بن كعب ، وأبي موسى ، وزيد بن ثابت وفي رواية عنه : كان القضاة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ستة أقول : وما ترى في كلامهم أنّ فلاناً من العلماء الستة أو القضاة الستة مرادهم ذلك ، انتهى .

وكان أفضل الفقهاء السبعة وأقدمهم وأقربهم إلى طريقة الحق وسبيل النجاة هو الشيخ أبومحمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المدني وولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ، وتوفي بالمدينة سنة أربع وتسعين كما عن الذهبي في مختصره ، وعن ابن المدني أنّه قال لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين .

وعن تقريب ابن الحجر أنّه أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار من كبار الثانية اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل ، وقيل أنّه أفضل التابعين عند أهل المدينة كما أنّ أويس أفضلهم عند أهل الكوفة ، والحسن عند أهل البصرة .

وفي بعض المواضع أنّه أصلح بين عثمان وعلي (عليه السلام) إلاّ أنّ نقل أيضاً في كتابه منه مطاعن وأقاصيص سوف يظهر إلى بعضها الإشارة في باب السين مع تتمة كلام لنا في حق الرجل إن شاء الله .

وقال العلامة في خلاصته : ويقال : إنّ أمير المؤمنين ربّاه ، وهذه الرواية فيها توقف ونقل أيضاً أقواله في كتبه الفقهية من « التذكرة » و« المنتهى » بما يخالف طريقة أهل البيت .

ومنهم : أبو أيوب سليمان بن يسار ، أخو عطا مولى ميمونة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان عالماً ثقة عابداً ورعاً حجة ، قال الحسن بن محمد : هو أفهم عندنا من سعيد بن المسيب ولم يقل : أعلم ، ولا أفقه ، وروى

عن ابن عباس وأبي هريرة وأم سلمة رضي الله عنها وروى عنه الزهري وجماعة من الأكابر ، وكان المستفتى إذا أتى سعيد بن المسيّب يقول له : إذهب إلى سليمان بن يسار ، فإنّه أعلم من بقي اليوم وتوفى سنة سبع ومئة كما في الوفيات وغيره .

ومنهم : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث القرشي المخزومي وكنيته اسمه وكان يسمى راهب قريش وأبوه الحارث أخو أبي جهل بن هشام من جلّة الصحابة ، وتوفي سنة أربع وتسعين وهذه السنة تسمى سنة الفقهاء لأنّه مات فيها جماعة منهم وجعل ابن المبارك سالم بن عبد الله بن عمر بدله وبعضهم أبا سلمة بن عبد الرحمن بدلهما .

ومنهم : القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق الملقّب بالديباج جد مولانا الصادق (عليه السلام) لأمه كما روي عنه (عليه السلام) إنّه قال : من هذه الجهة لقد ولدني الصديق ، وقيل وقد تزوج بنت علي بن الحسين (عليه السلام) ويظهر من بعض الأحاديث إنّه كان ابن خالته أيضاً ، وعن الحميري في « قرب الأسناد » أنّه ذكر عند الرضا (عليه السلام) القاسم بن محمد وسعيد بن المسيب فقال (عليه السلام) كانا على هذا الأمر ، وفي باب مولد الصادق (عليه السلام) من كتاب « الكافي » عن إسحاق بن جرير قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) كان سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبو خالد الكابلي من ثقاة علي بن الحسين (عليه السلام) .

ومنهم عروة بن الزبير بن العوام وقد مات في سنة أربع وتسعين أيضاً على رواية .

ومنهم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة وكان من سادات التابعين ومات سنة قبل علي بن الحسين (عليه السلام) مات سنة تسع وتسعين ، هذا وقد جمعهم بعض العلماء في بيتين كما ذكره ابن خلكان :

ألا إنّ من لا يقتدي بأئمة		فقسمته ضيزي عن الحق خارجة
فخُذهم عبيد الله ، عروة ، قاسم		سعيد ، سليمان ، أبو بكر خارجة

ومن الفوائد التي تكتب في الفوائد التي تكتب في الحبوب فلا تسوس جملة

هذه الأسماء ، ويقال : إنّ من خواصها إنّها تزيل الصداع من الرأس إذا علقت عليه كما ذكر في بعض التواريخ المعتبرة من الجمهور .

٢٨٩
الحبر الأديب وقدوة أصحاب التعريب ،
أبو الفضل خالد بن عبد الله الأزهري(*)

صاحب كتاب « التركيب » كان من أعاظم أدباء المتأخرين ، وأفاخم فضلاء المتبحرين وفي طبقة سهيميه العلامتين في العربية ، والإمامين في العلوم الأدبية ، عبدي الرحمن الجامي والسيوطي بل مقدماً من بعض الجهات عليهما ، وقد فاق على سائر من تقدمه في رشاقة التأليف ، وظرافة التصنيف وجودة البيان « المقال خ ل » وعذوبة اللسان « الأعمال خ ل » وصفاء القريحة واستقامة السليقة ، وكثرة التتبع ، وزيادة التطلع وغير ذلك مما يتم به الزين ، وتقر به العين ، إلاّ أنّهم لما سبقوه في التحقيق وجمعوا له من كلّ فريق لم يدعوا له موضع كلام بديع ، ولا تركوه إلاّ في سعة من الإحاطة بذلك العلم الجميع ولهذا ترى أنّه قلّ ما يوجد في كتبه من تحقيق جديد ، أو تصرف من جهة نفسه تفيد ، وكان نسبه ينتهي إلى الإمام أبي منصور الأزهري اللغوي المشهور الآتية ترجمته في باب المحمدين من العامة إن شاء الله تعالى ، وكان قد سكن الشام .

وله من المصنفات الإعرابية المشهورة ، كتابه الموسوم بـ « التصريح » في شرح كتاب « التوضيح » الذي هو لصاحب « المغنى » في الكشف عن ألفية ابن مالك وموسوم بـ « أوضح المسالك » وهو كتاب كبير ينيف على ثلاثين ألف بيت وفيه من القواعد والعوائد الداخلة والخارجة ما لا يحصى كثرة ، ولا يعرج على صفته إلاّ بالرجوع ، ولهذا انحصر رجوع أكثر طلبة الزمان إليه واشتد إكبابهم على مطالعته وتدريسه بما لا مزيد عليه وقد صادف فراغ المصنف الشارح من تدوينه يوم عرفة المشرفة من شهور سنة ست وتسعين وثماني مئة .

(*) له ترجمة في : شذرات الذهب ج ٨ ص ٢٦ ، هدية العارفين ج ١ ص ٣٤٣ وفيها أنه توفي سنة خمس وتسع مئة .

وأمّا كتاب تركيبه المشهور الذي هو على أيـدي المبتدين بمنـزلة درّ منثـور فهو الذي سماه بكتـاب « تمرين الـطلاب في صناعـة الإعراب » وأفصـح به عن وجـوه إعـراب الألفية المـالكية أيضـاً بأحسن مـا يكون ، مـع فـوائـد جمـة أخـرى لـه في الضمن ، وهـو فيما يقـرب من ثمانيـة آلاف بيت ، وقد فـرغ منـه في يـوم الإثنـين السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم قدراً وحرمة سنـة ست وثمانين وثماني مئة قيل وله أيضاً شروح عديدة بطريق المزج وغيره عـلى كتاب الجـرمي في النحو وغـير ذلك ولم أتحقق إلى الآن تاريخ وفاته أيضاً ولا سائر أخباره وحكاياته المطلوبات والله الهادي .

ثم إنّ من جملة الخالدين المتقدمين من أهل اللغة والعربية هو خالد بن كلثوم الكلبي الذي نقل صـاحب « البغية » في حقـه أنّه نحـوي ، راوية ، نسـابة ، لـه تصانيف منها أشعار القبائل وذكره الزبيدي في الطبقة الثانية من اللغويين الكـوفيين في طبقة ابن عمرو الشيباني .

٢٩٠
الشيخ أبو العباس الخضر بن ثروان بن عبد الله الثعلبي(*)

التوماثي ـ بضم الفـوقانيـة وسكون الـواو وبعدهـا مثلثة ـ الفـارقي النحوي الضريـر ، قـال يـاقـوت في « معجم البلدان » كـما في « طبقـات النحـاة » : ولـد بالجزيرة ونشأ بميافارقين ، وأصله من توماثا وكان عالماً بالنحو مقرئـاً فاضـلاً ، أديباً بارعاً ، حسن الشعر ، كثير المحفوظ ، قرأ اللغة على ابن الجواليقي ، والنحو عـلى ابن الشجـري ، والفقه عـلى أبي الحسن الأبنوسي ، وكـان ببغداد ولـه محفـوظـات كثيرة ، منها المجمل وشعر الهذليين ، وشعر رؤبة ، وذي الرمة.لقيته بمرو وسرخس ونيسابور في سنة أربع وأربعين وخمس مئة ، وسـألته عن مـولده فقـال : سنة خمس وخمس مئة وأنشدنا لنفسه :

كتبتُ وقـد أودى بمُقلتي البُكـا   وَقَد ذاب من شوقٍ إليكَ سوادها

(*) له ترجمة في الأنساب ص ١١٢ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٥٥٢ ، معجم الأدباء ج ٤ ص ١٧٦ .

فما وردت لي نحوكم من رسالة   وحقكم إلاّ وذاك سوادها

(انتهى)

وهو غير الخضر بن رضوان بن أحمد العذري الغرناطي أبي الحسن النحوي المقرىء الفقيه الحافظ الذي هو من تلامذة علي بن الباذش وغيره ، وروي عنه أبو عبد الله بن النمري الحافظ وأخذ عنه الناس كثيراً ومات في حياة شيخه ابن الباذش سابع عشر شوال سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة كما نقل عن ابن عبد الملك وابن الزبير .

٢٩١
الشيخ الثقة الأديب المقرىء أبو محرز خلف بن حيان الهلالي الملقب بالأحمر البصري(*)

قال صاحب « البغية » كان راوية ثقة علامة يسلك مسلك الأصمعي وطريقه حتى قيل : هو معلّم الأصمعي . وهو والأصمعي فتقا المعاني وأوضحا المذاهب وبيّنا المعالم وكان الأخفش يقول : لم ندرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي .

وقال أبو الطيب :كان خلف يصنع الشعر وينسبه إلى العرب فلا يعرف ، ثم نسك ، وكان يختم القرآن كل ليلة وبذل له بعض الملوك مالاً عظيماً على أن يتكلم في بيت شعر شكوا فيه فأبى ذلك وصنّف « جبال العرب » وما قيل فيها من الشعر وله « ديوان شعر» حمله عنه أبو نواس ومات في حدود الثمانين ومئة ، انتهى .

وفي موضع آخر إنّ أبا الطيب المذكور قال عند ذكره لإبن دريد اللغوي المشهور وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وإبن دريد ، وبالجملة فهذا الرجل من جملة مشاهير أهل اللغة المستشهد على أقوالهم وفتاواهم في جملة مصنفات الجمهور .

(*) له ترجمة في : أنباه الرواة ج ١ ص ٣٤٨ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٥٥٤ ، الشعر والشعراء ص ٧٦٣ ، طبقات ابن المعتز ص ١٤٧ ، مراتب النحويين ص ٤٧ ، المزهر ج ٢ ص ٤٠٣ ، المعارف ص ٥٤٤ ، معجم الأدباء ج ٤ ص ١٧٩ ، نزهة الألباء ص ٥٨ ، نور القبس ص ٧٢ .

وذكره أيضاً صاحب « الكشكول » ونقل في حقه كلام أبي الطيب الأول مع تغيير يسير ، وكان الوجه في تسميته بالأحمر هو حمرة وجهه وبشرته ودموية طبيعته كما نشاهد ذلك في كثير من الأدميين ، ومن شعره بنقل صاحب « المحاضرات » :

أنـاسٌ تـائِهـون لهـم رواء تغيم سماؤهم من غير وَبلِ [1]

هـذا وقد شاركه في هـذا اللقب ثلاثة أخرى من أهل الحديث والنحو واللغة :

أوّلهم أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي اللؤلؤي الذي هو من أكابر رجال الشيعة وفقهاء أصحاب جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وهم ستة نفر : جميل بن دراج ، وعبد الله ابن مسكان ، وعبد الله بن بكير ، وحماد بن عيسى ، وحماد بن عثمان وأبان بن عثمان وقد اجتمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عن هؤلاء بمعنى ذكروه في كتب الرجال وهو يدل على أرفع درجة من التوثيق ويعبّر عنهم من هذه الجهة بأصحاب الإجماع .

نعم قد يناقش فيه من جهة اتهامه بالناووسية ولم تثبت لكونه مستنداً إلى قول علي بن الحسن الفطحي وهو لا يقاوم تصريح جماعة من أهل الحق مضافاً إلى الإجماع المذكور المنقول بقول الكشي : الثقة العين وعلى تقديره فإمّا أن يمكن هذا الإجماع مع الناووسية فيتبع قطعاً مع الثبوت أولاً فيجب نفي كونه ناووسياً لثبوت الإجماع بما هو أقوى ، ولنعم ما قال العلامة في هذا المقام :

فالأقرب عندي قبول روايته وإن كان فاسد المذهب للإجماع المذكور . هذا وبالجملة فهو قد كان من موالي بجلة وكان يسكن الكوفة كما عن الكشي وأصله الكوفي ، وكان يسكن الكوفة كما عن الكشي وأصله الكوفي وكان يسكنها تارة والبصرة أخرى وقد أخذ عنه من أهلها أبو عبيدة معمرة بن المثني ، وأبو عبد الله محمد بن سلام وأكثروا الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسبُ والأيام .

وروى عن الصادق والكاظم عليهما السلام كما عن رجال النجاشي والخلاصة وزاد عن الأول له كتاب حسن كبير يجمع المبتدأ والمغازي والوفاة والردّة

(١) وانظر نور القبس ص ٧٤ .

أخبرنا بهذا أبو الحسن التميمي قال حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد إلى أن قال قال : حدثنا أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبان المذكور بكتبه .

وذكره أيضاً صاحب « البغية » بعنوان أبان بن عثمان بن يحيى اللؤلؤي وقال قال في « البلغة » أخذ عنه أبو عبيدة وغيره وله عدة تصانيف ، انتهى .

وذكر قبله ترجمة أبان بن تغلب بن رباح الجريري أبي سعيد البكري مولى بني جرير بن عباد الذي هو أيضاً من أكابر فقهاء الشيعة وثقاتهم ومحدثيهم مع أنّه لم يذكر في كتابه المشار إليه غيرهما من علماء الشيعة إلاّ نادر القليل وقال : قال ياقوت : كان قارئاً فقيهاً لغوياً إمامياً ثقة عظيم المنزلة جليل القدر ، روى عن علي بن الحسين وأبي جعفر وأبي عبد الله عليهم السلام وسمع من العرب وصنّف « غريب القرآن » وغيره .

وقال الداني : هو ربعي العوفي نحوي يكنى أبا أميمة ، أخذ القراءة عن عاصم بن أبي النجود وطلحة بن مصرف وسليمان الأعمش وهو أحد الثلاثة الذين ختموا عليه القرآن وسمع الحكم بن عتيبة وأبا إسحاق الهمداني وفضيل بن عمرو وعطية الكوفي وسمع منه شعبه وابن عيينة وحماد بن زيد وهارون بن موسى مات سنة إحدى وأربعين ومئة ، انتهى .

وحسب الدلالة على غاية جلالة قدر هذا الرجل ما قاله النجاشي الثقة في حقه : أنه عظيم المنزلة في أصحابنا لقي علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله عليهم السلام وروى عنهم وكانت له عندهم منزلة وقدم ، وذكر البلاذري قال : روى أبان بن عطية الكوفي قال له أبو جعفر (عليه السلام) إجلس في مسجد المدينة وافت الناس فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك . وقال أبو عبد الله (عليه السلام) لما أتاه نعيه : أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان ، وكان قارئاً من وجوه القراء فقيهاً لغوياً سمع من العرب وحكى عنهم . انتهى[1] .

وأمّا ثالث المتلقبين بالأحمر من أدباء أهل الإسلام ومتقدميهم في الفقه واللغة والنحو فهو علي بن الحسين الكوفي الذي قد يقال له ابن المبارك المعروف بالأحمر

---

(١) راجع ترجمته في معجم رجال الحديث ج ١ ص ١٩ ، ٢٩ .

وكان شيخ العربية الغروبية صاحب الكسائي وقال صاحب « البغية » وقال ياقوت : كان رجلاً من الجند من رجال النوبة على باب الرشيد .

وكان يحبّ العربية ولا يقدر يجالس الكسائي إلاّ في أيام غير نوبته وكان يرصده في طريقه إلى الرشيد كل يوم ، فإذا أقبل تلقاه وأخذ بركابه وماشاه وسأله المسألة بعد المسألة إلى أن يبلغ الكسائي إلى السر فيرجع الأحمر إلى مكانه فإذا خرج الكسائي فعل به كذلك ، حتى قوي وتمكّن ، وكان فطناً حريصاً ، فلما أصاب الكسائي الوضح كره الرشيد ملازمته أولاده فأمره أن يختار لهم من ينوب عنه ممن يرضاه ، وقال له : إنّك كبرت ولسنا نقطع راتبك فدافعهم خوفاً أن يأتيهم برجل يغلب على موضعه إلى أن ضيّق الأمر عليه وشدّد عليه ، وقيل له إن لم تأت برجل من أصحابك اخترنا نحن لهم من يصلح .

وكان بلغه أنّ سيبويه يريد الشخوص إلى بغداد والأخفش فقلق لذلك وعزم أن يدخل عليهم من لا يخشى عائلته ، فقال للأحمر : هل فيك خير ؟ فقال : نعم ، قال : قد عزمت على أن أستخلفك على أولاد الرشيد .

فقال الأحمر لعلي لا أفي بما يحتاجون إليه ، فقال الكسائي : إنّما يحتاجون كل يوم إلى مسألتين في النحو وبيتين من معاني الشعر وأحرف من اللغة وأنا ألقنك كل يوم قبل أن تأتيهم فتحفظه وتعلّمهم ـ إلى أن قال ـ فارتفع أمره عند الرشيد وأصاب منه مالاً كثيراً ، وجعل يختلف إلى الكسائي كلّ عشية فيتلقن ما يحتاج إليه أولاد الرشيد .

ويغدو عليهم فيلقنهم ويأتيهم الكسائي في الشهر مرة أو مرتين فيعرضون عليه بحضرة الرشيد ما علّمهم الأحمر فيرضاه ، فلم يزل الأحمر كذلك حتى صار نحوياً ، وجلت حاله وعرف بالأدب حتى قدم على سائر أصحاب الكسائي ، وقال ثعلب : كان الأحمر يحفظ أربعة آلاف شاهد وكان مقدماً على الفراء في حياة الكسائي وأملى الأحمر شواهد النحو فأراد الفراء أن يتمّها فلم يجتمع له الناس كما اجتمعوا للأحمر فقطع .

ثمّ إلى أن قال صنّف الأحمر « التصريف » و« تفنن البلغاء » ومات بطريق الحج سنة أربع وتسعين ومئة ، وحيث أطلق في « جمع الجوامع » الأحمر فهو هو

« انتهى » وعن أبي بكر بن الأنباري أنّه قال : كان أبو مستحلّ عبد الله بن خريش الكوفي النحوي روى عن ابن المبارك المذكور أربعين ألف بيت شاهداً في النحو .

وأمّا الرابع من الأربعة المذكورين فهو أبو عمرو الأحمر إسحاق بن مرار الشيباني المتقدّم ذكره فليلاحظ .

وأمّا الأحمري فهو غير هؤلاء جميعاً واسمه كما في كتب رجال الشيعة إبراهيم بن إسحاق الأحمري النهاوندي وكان ضعيفاً في حديثه متهماً في دينه مرمياً بالإرتفاع والغلو والإختلاط ، صاحب مصنّفات كثيرة في الفقه والنوادر والأحداث وأمثال ذلك هذا .

وأمّا المتلقّب منهم بغير الأحمر من سائر الألوان فهو أيضاً جماعة منهم : الأسود المتقدّم ذكره في باب الحسن .

ومنهم : يحيى بن عبد الرحمن النحوي أبو زكريا المعروف بالأبيض لأنّه كان أبيض الرأس واللحية والحاجبين وأشفار العين خلقة وقيل أنّ أمه كانت أخت أبيه من الرضاعة فظهرت فيه هذه الآية وكان متقدماً في النحو بارعاً في النحو كتاباً أخذ الناس عنه وكانت له رحلة قديمة كما عن ابن الفرضي ومات سنة ثلاث وستين ومئتين .

وأمّا الأصفر فهو لقب أبي عثمان سعيد بن عيسى الأصفر اللغوي النحوي المنطقي الأخباري الطليطلي الأندلسي صاحب « شرح الجمل » وتوفي في نحو ستين وأربع مئة كما عن صلة ابن بشكوال .

وأمّا الأزرق والأخضر وغيرهما فلم أتحقق بشيء منهما إلى الآن مصداقاً محققاً يعرف به على سبيل الإطلاق ، نعم قد يوجد ذكر ابن الأزرق في « طبقات النحاة » وكذلك ابن الأخضر فإنّه لقب الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن مهدي بن عمران الإشبيلي ، ابن الأخضر الأديب اللغوي النحوي شيخ القاضي عياض بن موسى المعروف وجماعة وكان قد أخذ عن أبي الحجاج الملقّب بالأعلم وأبي علي الغساني وغيرهما وله « شرح الحماسة » و« شرح شعر أبي تمام » المتقدم ذكره وغير ذلك وتوفي بإشبيلية التي هي من جملة بلاد أندلس المغرب كما أشير إليه من قبل في

ليلة الخميس لتاسع عشر من شهر رجب سنة أربع عشر وخمس مئة كما في « طبقات النحاة » .

وأمّا الخضراوي المتكرر في نسب الرجال فهي نسبة إلى الجزيرة الخضراء التي هي من جزائر بلاد المغرب بقرب جزيرة الأندلس كما بالبال ، وليس من اللقب في شيء وكذلك البيضاوي كما ستطلع عليه في باب العين إن شاء الله .

٢٩٢
الشيخ أبو القاسم خلف بن يوسف بن فرتون الأندلسي(*)

المعروف بابن الأبرش الشنتريني النحوي قال الحافظ السيوطي بعد الترجمة له بمثل هذا العنوان قال في الريحانة : كان إماماً في العربية واللغة ، له حظ من الفرائض ، يستظهر كتاب سيبويه و« أدب الكتاب » و« المقتضب » و« الكامل » روى عن أبي علي الغساني وأبي الربيع الضرير يعرف بالبريطل والباذش وعاصم الأدب ، وعنه أبو الوليد بن خيرة القرطبي ، وبه تدرّب في اللسان ، وتخرج وكان من أهل الزهد والإنقطاع إلى الله تعالى ، قانعاً باليسير ، لا يدخل في ولاية ، ولا يقبل على إقراء في جامع ولا إمامة ، ودعى إلى القضاء فأنف منه وأبى ، وكان له حظّ وافر من الحديث والفقه والأصلين ، مات بقرطبة في ذي القعدة سنة اثنين وثلاثين وخمس مئة ومن شعره يرثي جميلاً غرق :

الحمد لله على كلّ حالٍ   قد أطفأ الماء سراج الجمالِ
أطفأ ما قد كان محباً له   قد يطفيء الزيت ضياء الذبالِ

« انتهى » .

وهو غير الشيخ أبي القاسم خلف بن يعيش بن سعيد بن أبي القاسم الأصبحي المقري النحوي الذي روى هو أيضاً عن أبي علي الغساني والأعلم ونظرائهما فلا تغفل .

(*) له ترجمة في : بغية الوعاة ج ١ ص ٥٥٧ الصلة ج ١ ص ١٧٧ .

٢٩٣
الشيخ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن راحة الأنصاري القرطبي(*)

كان من علماء الأندلس وله التصانيف المفيدة منها : كتاب « الصلة » الذي جعله ذيلاً على « تاريخ علماء الأندلس » الكبير الذي هو في ستين مجلداً والصغير الذي هو في عشر مجلدات من تأليفات أبي مروان حنّان بن خلف بن حسين القرطبي البارع الأديب ، وما أقصر فيه وكتاب « الغوامض والمبهمات » ذكر فيه من جاء مبهماً في الحديث فعيّنه ، ونسج فيه على منوال الخطيب الذي وضعه على هذا الأسلوب ، وجزء لطيف ذكر فيه من روى الموطأ عن مصنّفه مالك بن أنس ، وهم ثلاثة وسبعون رجلاً ومجلّد لطيف سمّاه كتاب « المستغيثين بالله عند الملمّات والحاجات والمتضرعين إلى الله بالرغبات والدعوات ، وبما يسّر الله لهم من الإجابات والكرامات » إلى غير ذلك من المصنفات .

وتوفي ليلة الأربعاء لثمان خلون من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمس مئة وهو ابن أربع وثمانين سنة بمدينة قُرطبة ودفن يوم الأربعاء بمقبرة ابن عبّاس بالقرب من قبر يحيى بن يحيى .

وقُرطبة بضم الأول والثالث بلد عظيم بالمغرب ، كما في « القاموس » .

وفي « تلخيص الآثار » إنّها مدينة عظيمة في وسط بلاد الأندلس كانت سرير ملك بني أمية ، دورها أربعة عشر ميلاً وعرضها ميلان ، على النهر الكبير وعليه جسران ، ومسجدها الجامع من أكبر مساجد الإسلام ، بها كنيسة الأسرى ، وهي مقصورة معتبرة عند النصارى بها معدن الفضة والشاذنج وهو حجر يقطع الدم ومعدن التوتيا وتجلب من قرطبة بغال قيمة واحد منها مبلغ خمس مئة دينار(١) .

وفي « الكامل البهائي » أنّ في بلاد المغرب مدينة تسمى قرطبة ، من عادة

(*) له ترجمة في التكملة لابن الأبار ج ١ ص ٥٤ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٦١ ، العبر ج ٤ ص ٢٣٤ ، مرآة الجنان ج ٣ ص ٤١٢ ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٣ .

(١) راجع آثار البلاد ص ٥٥٢ .

أهلها في كلّ سنة أن أجامرتهم الملحدين من غاية نصبهم وعداوتهم لأهل بيت الرسالة (ع) متى دخلت عليهم ليلة عاشوراء نصبوا من رؤوس الحمير أو البعير على أسنة الرماح وداروا بها على أطراف المدينة وأبواب الدور في جماعة كثيرين من أراذل البلد مع ضرب الدفوف والطبول وإشاعة أنواع المزامير والغناء والرقص وسائر الملاهي ، وأهل المدينة يطبخون لهم من ملاذ الأطعمة والحلوى حتى إذا بلغوا باب دار أحد منهم يقدمون بها إليهم ، ويظهرون البشاشة والسرور على قتل الحسين (عليه السلام) ، ويشبهون تلك الرؤوس المنحوسة برأسه الشريف المطهر وهم يقومون على باب كلّ دار وينشدون بالغناء والمزمار :

يا ستي المرأسة أطعمينا المطنفسة

ومرادهم بالمطنفسة هي تلك القطائف المصنوعة لأولئك الملحدين عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وقال أيضاً شيخنا أبو الفتح الكراجكي في كتاب « التعجب » ومن عجيب ما سمعته : أنّهم في المغرب بمدينة قرطبة يأخذون في ليلة عاشوراء رأس بقرة ميتة ويجعلونه على عصاً منحول ويطاف به الشوارع والأسواق وقد اجتمع حوله الصبيان يصفقون ويلعبون ويقفون به على أبواب الدور والبيوت ويقولون :

يا ستي المرؤسة أطعمينا المطنفسة

يعنون القطائف وأنّها تعدّلهم ويكرمون ويتبركون بما يفعلون « انتهى » .

ثمّ إنّ هذا الرجل غير خلف بن عبد العزيز بن محمد الغافقي القبثوري بفتح القاف وسكون الموحدة وضمّ المثلثة الأشبيلي الأندلسي النحوي اللغوي الذي كان ينبوع مديد في الترسل والنظم مع التقوى والخير كما عن الذهبي وقرأ على الدّباج القراءات وكتاب سيبويه وروى بالإجازة عن النجيب وغيره ، وكتب لأمير سبتة التي هي أيضاً من بلاد جزيرة أندلس المتقدّم ذكرها في باب الأحمدين وحدّث وحجّ مرتين ولد سنة خمس عشر وست مئة ، ومات بالمدينة في أوائل سنة أربع وسبع مئة كما عن درر الحجر وله من الشعر :

رَجَوتُك يا رحمن إنّك خير من رجاه لغفران الجرائم مرتج

فرحمتك العظمى التي ليس بابها وحاشاك في وجه المسيء بمرتج[١]

٢٩٤
الشيخ الورع البارع الإمام أبو عبدالرحمن خليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي[*]

ويقال الفرهودي الأزدي اليحمدي البصري اللغوي العروضي النحوي المتقدم المشهور ، وذكره صاحب « السرائر » من كبراء أصحابنا المجتهدين في مستطرفات كتابه المذكور بعنوان الخليل ابراهيم بن أحمد العروضي .

ولكن اتباعنا الجمهور في الترجمة له بهذا العنوان أقرب إلى المقصود ، وأبوه أحمد كان أوّل من سمى بهذا الإسم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما نقل عن المبرّد أنّه قال فتش المفتشون فما وجدوا بعد نبينا من اسمه أحمد قبل أبي الخليل .

كان رحمه الله من ولد فراهيد بالفاء والراء ، أم فرهود بن مالك الذي هو أبو بطن من الأزد مثل يحمد .

وقيل أنّه من أبناء ملوك العجم الذين انتقلوا بأمر أنو شروان العادل إلى حدود اليمن وكانوا ستّ مئة رجل وينتهي إليهم نسب سيبويه النحوي أيضاً ، كما في « مجالس المؤمنين »[١] .

وكان فاضلاً صالحاً عاقلاً حكيماً وقوراً إماماً في علم النحو ومستنبطاً

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٥٥ .

(*) له ترجمة في : أعيان الشيعة ج ٣٠ ص ٥٠ ، أنباه الرواة ج ١ ص ٣٤١ ، الأنساب ص ٤٢١ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٥٥٧ ، تأسيس الشيعة ص ١٥٠و١٧٨ ، تنقيح المقال ج ١ ص ٤٠٢ ، تهذيب الأسماء ج ١ ص ١٧٧ ، تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٦٣ ، سرح العيون ج ٣ ص ٢٦٧ ، شذرات الذهب ج ١ ص ٢٥٧ ، اللباب ج ٢ ص ٢٠١ ، مرآة الجنان ج ١ ص ٢٦٢ ، المعارف ص ٢٣٦ ، معجم الأدباء ج ٤ ص ١٨١ ، مفتاح السعادة ج ١ ص ٩٤ ، نزهة الألباء ص ٤٥ ، نور القبس ص ٥٦ .

(٢) مجالس المؤمنين ص ٢٣٦ .

للعروض مستخرجاً لأبحاره الخمسة عشر التي زاد عليها أوسط الأخافشة بحر المجتث في دوائر خمس كما ذكره ابن خلّكان .

وكان أزدياً بصرياً لغوياً صاحب العروض والنحو ، صدوقاً عالماً عابداً من السابعة ، كما عن تقريب ابن الحجر .

وكان أفضل الناس في الأدب وقوله حجة فيه واخترع علم العروض وفضله أشهر من أن يذكر ، وكان إمامي المذهب ، كما ذكره العلامة في القسم الأول من الخلاصة .

وكان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه ، وهو أوّل من استخرج العروض وحصر أشعار العرب بها وعمل أوّل « كتاب العين » المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبط اللغة ، وكان من الزهاد في الدنيا والمنقطعين إلى العلم وهو أستاذ سيبويه ، وعامة الحكاية في كتابه عنه ، وكلّما قال سيبويه وسألته ، أو قال قولاً من غير أن يذكر قائله فهو الخليل ، كما عن السّيرافي المتقدم ذكره في « أخبار النحاة البصريين » .

وكان صالحاً عاقلاً حليماً وقوراً متقلّلاً من الدنيا صبوراً على العيش الخشن كما في بعض التواريخ .

وعن سفيان بن عيينة ، أنه قال : من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد .

وكان النضر بن شميل بن خرشة البصري الذي هو من كبار أصحاب الخليل يقول : ما رأيت أحداً أعلم بالسنة بعد ابن عون من الخليل بن أحمد ، ويقول : أكلت الدنيا بأدب الخليل وكتبه ، وهو في خصّ لا يشعر به .

وقال أبو عبيدة : ضاقت المعيشة على الخليل بالبصرة فخرج يريد خراسان فشيعه من أهل البصرة ثلاثة آلاف رجل ما فيهم إلاّ محدّث أو نحوي أو لغوي أو أخباري فلما صار بالمربد قال : يا أهل البصرة يعزّ علي فراقكم والله لو وجدت كل يوم كليجة باقلاً ما فارقتكم ، قال : فلم يكن فيهم من يتكلّف ذلك فسار إلى خراسان وأفاد بها أموالاً .

وفي « محاضرات » الراغب الإصفهاني قيل : أربعة لم يدرك مثلهم في الإسلام في فنونهم : الخليل ، وابن المقفع ، وأبو حنيفة ، والفزاري قلت : وابن المقفع المذكور هو عبد الله بن المقفع الأديب اللغوي المشهور وكان بينه وبين الخليل مكالمات ، ونقل إنهما اجتمعا ليلة يتحدّثان إلى الغداة ، فلما تفرّقا ، قيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ قال : رأيته رجلاً علمه أكثر من عقله ، وقيل لابن المقفع ـ كيف رأيت الخليل فقال : رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه،هذا .

وأمّا الفزاري فهو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن حبيب بن سمرة بن جندب الصحابي وكان نحوياً ضابطاً جيّد الخط أخذ عن المازني وقرأ على الأصمعي كتاب « الأمثال » له وكان يقول : من زعم أنّه قرأ عليه غيري فقد كذب ، وكان عالماً بالنجوم ، وله فيها قصيدة كما عن صاحب « معجم الأدباء » وذكر أيضاً في « المحاضرات » أنّ يونس بن حبيب النحوي وكان أراد به أبو عبد الرحمن بن حبيب البصري الضبي بالولاء أستاذ الكسائي والفراء ، كان يختلف إلى الخليل يتعلّم منه العروض ، فصعب عليه تعلّمه فقال له الخليل يوماً من أي بحر قول الشاعر :

إذا لم تستطع أمراً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيعُ

ففطن يونس لما عناه الخليل وترك العروض .

وفيه أيضاً أنّ بعض اليونانية كتب إلى الخليل كتاباً بلغتهم فخلا به شهراً حتى فهمه ، فقيل له في ذلك ، فقال : لما علمت أنّه لا بد من أن يفتتح الكتاب باسم الله فبنيت على ذلك وقست عليه وجعلت ذلك أصلاً ففتحت ثم وضع كتاب « المعمى » فقال هو عمى القلب .

وقال صاحب « البغية » بعد نقله لكلام السّيرافي المتقدم ذكره ، وقال غيره روى عن أيوب وعاصم الأحول وغيرهما وأخذ عنه سيبويه والأصمعي والنضر بن شميل وكان خيّراً متواضعاً ذا زهد وعفاف يقال أنّه دعا بمكة أن يرزقه الله علماً لم يسبق إليه وفي رواية ولا يؤخذ إلاّ منه فرجع وفتح عليه بالعروض وكانت له معرفة بالإيقاع والنغم وهو الذي أحدث له علم العروض فإنهما متقاربان في المأخذ .

وقال النضر بن شميل أقام الخليل في خصّ بالبصرة لا يقدر على فلسين

وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال وكان آية في الذكاء وكان الناس يقولون:لم يكن في العرب بعد الصحابة أذكى منه ، وكان يحج سنة ويغزو سنة .

ويقال أنّه كان عند رجل دواء لظلمة العين ينتفع به الناس فمات واحتاج الناس إليه ، فقال الخليل أله نسخة معروفة ؟ قالوا : لا ، قال : فهل آنية كان يعمله فيها ؟ قالوا : نعم ، جيئوني بها فجاؤوه بها ، فجعل يشم الإناء ويخرج نوعاً نوعاً حتى أخرج خمسة عشر نوعاً .

ثم سأل عن جمعها ومقدارها فعرف ذلك فعمله وأعطاه الناس فانتفعوا به ، ثم وجدت النسخة في كتب الرجل فوجدوا الأخلاط ستة عشر خلطاً كما ذكر الخليل لم يفته منها إلّا خلط واحد ، وهو أوّل من جمع حروف المعجم في بيت واحد وهو .

صِف خلق خودٍ كَمِثل الشمس إذ بَزَغَت
يَحظى الضجيعُ بها نجلاء مِعطارُ

ومن كلامه ثلاثة ينسين المصائب : مر الليالي ، والمرأة الحسناء ، ومحادثات الرجال.إلى أن قال في شرح حال الكتاب المسمى بالعين : اختلف الناس في نسبته إلى الخليل ، فقال أبو الطيب اللغوي : ليس له وإنّما هو لليث بن نصر بن سيار ، وقيل عمل الخليل منه قطعة من أوّله إلى كتاب العين وكمل الليث لأنّ أوله لا يناسب آخره وهذا قد تقدم في قول السّيرافي ، وقيل بل أكمله وأنّه بدأه بسياق مخارج الحروف .

ثم بإحصاء أبنية الأشخاص وأمثلة أحداث الأسماء فذكر أن مبلغ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الأربع من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي من غير تكرير إثنا عشر ألف ألف وخمسة آلاف وأربع مئة وإثنا عشر ، الثنائي سبع مئة وستة وخمسون ، والثلاثي تسعة عشر ألف وستّ مئة وخمسون والرباعي أربع مئة ألف واحد وتسعون ألف وأربع مئة ، والخماسي إحدى عشر ألف ألف وسبع مئة وثلاثة وتسعون ألفاً وستّ مئة ، ذكر ذلك حمزة الأصفهاني في كتاب « الموازنة » فيما نقله عنه المؤرخون وهذا صريح في أنّه أكمله .

وقال ابن المعتز : كان الخليل منقطعاً إلى الليث فيما صنّفه خصّه به فحظى

عنده جداً ووقع عنده موقعاً عظيماً ووهب له مئة ألف، وأقبل على حفظه وملازمته فحفظ منه النصف واتّفق أنّه اشترى جارية نفيسة فغارت ابنة عمه وقالت والله لأغيظنه وإن غظته في المال لا يبالي ولكني أراه منكباً ليله ونهاره على هذا الكتاب والله لأفجعنه فيه فأحرقته ، فلما اشتد أسفه ولم يكن عنده غيره نسخة .

وكان الخليل قد مات فأملى النصف من حفظه وجمع علماء عصره وأمرهم أن يكملوه على نمطه وقال لهم مثلوا واجتهدوا فعملوا هذا التصنيف الذي بأيدي الناس وللخليل من التصانيف غير « العين » كتاب « النعم » كتاب « الجمل » كتاب « العروض » كتاب « الشواهد » كتاب « النقط والشكل » كتاب « فائت العين » كتاب « الإيقاع » .

توفي الخليل سنة خمس وسبعين ومئة ، وقيل : سنة سبعين وقيل ستين ، وله أربع وسبعون سنة وسبب موته أنّه قال : أريد أن أعمل نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى القاضي فلا يمكنه أن يظلمها فدخل المسجد وهو يعمل فكره [في ذلك] فصدمته سارية وهو غافل فانصدع ومات . ورئي في النوم فقيل له ما صنع الله بك ؟ فقال : أرأيت ما كنّا فيه،لم يكن شيئاً وما وجدت أفضل من سبحان الله والحمد لله ولا إلّه إلا الله والله أكبر.أسندنا حديثه في « الطبقات الكبرى » وتكرّر في « جمع الجوامع » انتهى كلام صاحب « طبقات النحاة »[١] .

وأقول : قد ينسب إلى أكثر أهل اللغة نفي ما قد وجد من نسخ « العين » إلى الخليل ونسبة كله ذلك إلى الخلل والأباطيل لها قد أشير إليه في كلام الحافظ السيوطي ، بل يقال أنّ لابن درستويه النحوي كتاباً في تحقيق ذلك ، والظاهر أنّه خُلف لأن له كتاباً في الرد على الفضل في الرد على الخليل كما ستطلع عليه في ترجمته في باب العين إن شاء الله تعالى إلّا أن يكون هذا الكتاب منه متضمناً للإنكار على الفضل المذكور في نسبة ما نسبه إلى الخليل بواسطة كتاب « العين » كما هو الظاهر هذا ، وقد كتب الشيخ أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله مذحج المشتهر بالزبيدي الأشبيلي النحوي صاحب « طبقات النحويين » كتاب « مختصر العين » و« أبنية سيبويه » و« الموضح » وغير ذلك .

---

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٥٩ .

وصنّف محمد بن عبد الله بن محمد بن موسى الكرماني أبو عبد الله النحوي الملقب الورّاق تلميذ ثعلب النحوي المتقدم ذكره صاحب كتاب « الموجز في النحو » و« الجامع في اللغة » وغير ذلك كتاب « ما أغفله الخليل في العين » وما ذكره أنّه مهمل وهو مستعمل ، وما هو مستعمل وقد أهمل ، وقد كان بينه وبين ابن دريد مناقضة .

وهو غير محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي أبي عبد الله الأديب اللغوي الذي نقل عن « معجم الأدباء » أنّه صاحب التصانيف الحسنة ، أحد أصحاب اسماعيل بن عباد وكان من أهل إصفهان وخطيباً بالري ، وصنّف « غلط كتاب العين » و« العرة في غلط أهل الأدب » و« مبادىء اللغة » و« شواهد سيبويه » و« نقد الشعر » و« مشابهات القرآن » و« سياسات الملوك » وقد أشير إليه في ترجمة الإمام المرزوقي الإصفهاني فليتأمل .

وأمّا كتابه « النعم » فهو في علم الموسيقى وكتابه « الجمل » صغير جداً وكان عندنا نسخة منه ،وله أيضاً كتاب في « العوامل » وغير ذلك .

وكان هو على رأس الطبقة الرابعة من أصحاب اللغة والنحو لأن اتفاق أهل الإسلام بأسرهم وأطباق أصحاب الكلام بأخبارهم على أنّ أول من اخترع علم النحو هو أبو الأسود الدؤلي الآتي ذكره في أواخر هذا المجلد إن شاء الله وأنّه إنّما أخذ أوّلاً من بركات صحبة مولانا أمير المؤمنين وفيوضات خدمته المقدسة ، ثم استخلفه في تمشية ذلك الفن خمسة نفر من الأساطين والأركان :

أوّلهم تلميذه البارع عنبسة بن معدان الفيل الميساني وبلغ الفرزدق أن عنبسة هذا يفضل جريراً عليه فقال :

لَقَدْ كانَ في معدانِ والفيلِ زاجِر لِعنبسةِ الراوي على القصائدا

وبعده ميمون الأقرن وقيل أنّه أخذ عن أبي الأسود ، وأنّ عنبسة أخذ عنه .

ثم يحى بن يعمر التابعي الذي هو أيضاً من تلامذته في النحو وهو الذي سأله الحجاج عن عيب مدينة واسط لما بناها فقال : بنيتها من غير مالك ويسكنها غير ولدك فغضب الحجاج وقال : ما حملك على هذه الجرأة فقال : ما أخذ الله

تعالى على العلماء في علمهم أن لا يكتموا الناس حديثاً فنفاه إلى خراسان ثمّ ولديه عطا وأبا الحارث .

فخلف هؤلاء عبد الله ابن أبي إسحاق الحضرمي وهو الذي مدّ القياس وشرح العلل وكان هو أيضاً يعتب الفرزدق وينسبه إلى اللحن فهجاه بقوله :

فَلَو كانَ عبد الله مولى هجوتُهُ ولَكنّ عبد الله مولى المواليا

وخلّفوا أيضاً الشيخ أبا عمرو عيسى بن عمر الثقفي وأبا عمرو بن العلاء الآتي في باب الزاء إن شاء الله تعالى وعيسى بن عمر المذكور هوالذي حكى عنه الجوهري في « الصحاح » وغيره أنّه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس ، فقال : ما لي أراكم تكأكأتم عليّ تكأكؤكم على ذي جنة أفر نقعوا عني .

فقال الصبيان : إنّ الشيطان يتكلم بالهندية ، وكان هو أستاذ الخليل المذكور وروى عن الحسن البصري والعجاج بن رؤبة وجماعة ، وعنه الأصمعي وغيره وصنّف في النحو « الإكمال » و« الجامع » وفيهما يقول تلميذه الخليل .

بَطَل النحو جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمرُ
ذاك إكمال وهذا جامع فهما للناس شمسٌ وقمرُ

ويقال أنّ له نيفاً وسبعين مصنفاً ذهبت كلها وكان يتقعّر في كلامه .

ثمّ خلف من بعدهم الخليل المذكور وقد كان هو واحداً في عصره وعادماً لمن يقاربه في شأنه أو بعده عندهم من جملة أقرانه في زمانه ، وقد أخذ هو عن عاصم الأحول وأيّوب وغيرهما أيضاً ثمّ أنّه خلّف سيبويه الفارسي والكسائي والأصمعي ، ومروان بن سعيد بن عباد بن حبيب البصري المهلبي ، الأديب النحوي اللغوي الشاعر المشهور وأضرابهم البارعين ، ثمّ صار الناس بعد ذلك فريقين كوفيين وبصريين فخلّف سيبويه الأخفش الأوسط ، والكسائي الفراء .

ثم هما الجرمي والمازني ، ثم هما المبرّد ، ثم هو الزجاج وأبا بكر بن السراج وابن درستويه وهلّم جرّاً إلى أن انتهت النوبة إلى المتأخرين من أئمة العربية فقدم إبنا حاجب ومالك ورضينا المرضي ، وإبن هشام الأنصاري والجار بردى وخالد الأزهري والسيوطي والجامي فتداركوا إهمالات السلف وصاروا قرّة عين الشرف على الخلف ثمّ طوى البساط على أثرهم وانقطعت آثار الأكابر والأوساط ، وخلف

التفريط مقام الإفراط فلم يبق إلّا كلام ملحون أو مقال غير موزون ، هو بالعجمية مشحون بل حق علينا الآن أن نقول في موت الفنون إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، هذا وأمّا كلمات حكمته وآثار علمه ونبالته فهي أيضاً كثيرة جداً تنفع المتعلمين في موارد شتى .

منها : بنقل الراغب في محاضراته كما بالبال : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، ثم أنت في إعطائه إيّاك بعضه مع إعطائك إيّاه كلك على خطر .

ومنها : لا يعلم الإنسان خطأ معلّمه حتى يجالس غيره .

وقوله : لا يعلم الإنسان الكتاب ثلاث نسخ ولم يعارض تحوّل بالفارسية ولنعم ما قال ومنها قوله : أصفى ما يكون ذهن الإنسان وقت السحر .

ومنها أكمل ما يكون الإنسان عقلاً وذهناً إذا بلغ أربعين سنة وهي السنّ التي بعث الله فيها محمداً ، ثمّ يتغيّر وينقص إذا بلغ ثلاثاً وستين سنة وهي السنة التي قبض فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ومنها قوله : لو لم يكن الولي من الله في أهل العلم ، فليس له ولي في الأرض ومنها قوله : إذا رأيت من هو أعلى مني فذاك يوم استفادتي ، وإذا رأيت من هو دوني في العلم فذاك يوم إفادتي ، فإذا رأيت من هو مثلي في العلم فذاك يوم مذاكرتي ، وإذا لم أر أحداً من هؤلاء فذاك يوم مصيبتي .

ومنها قوله : لا يصلّ أحد إلى ما يحتاج إلا بعلم ما لا يحتاج إليه كما في « مجموع الورام » ومنها قوله : إني لأغلق على بابي فما يجاوره همي .

وقوله : الدنيا مختلفات تأتلف ومؤتلفات تختلف قيل : وإنّ هذا والله لحدها الجامع المانع ومنها برواية الديلمي في « إرشاد » إنّما يجمع المرء المال لأحد ثلاثة كلّهم أعداؤه أمّا زوج امرأته ، أو زوج ابنته ، أو زوجة ابنه ، فما المرء لهؤلاء إن تركه والعاقل الناصح لنفسه الذي يأخذ معه زاداً لآخرته ، لا يؤثر هؤلاء على نفسه ، وعن الأصمعي المشهور قال : قدم رجل من فزارة على الخليل بن أحمد ، وكان الفزاري غبياً فقال مسألة ، فأبطأ الخليل في جوابها فتضاحك الفزاري فالتفت الخليل إلى بعض جلسائه وقال : الرجال أربعة : رجل يدري ويدري أنّه

يـدري ، فذلـك عالم فـآزروه ، ورجل يـدري ولا يدري أنّـه يدري فـذلك غـافل فأيقظوه ، ورجل لا يدري ويدري أنّه لا يدري فذلك جاهـل فعلّموه ، ورجـل لا يدري أنّه لا يدري فذلك مائق فاجتنبوه ، والمائق : الأحمق جداً ثم أنشد الخليل :

لَـو كُنت تعلمُ ما أقـول عـذرتني ... أو كنتَ أعلم مـا تقولُ عـذلتُكـا
لكن جهلت مقـالتي فعـذلتـني ... وعَلِمتُ أنّـك مـائق فعـذرتُكـا

قلت وقد نظم هذه المقالة بعضهم بالفارسية :

آن كس كـه بدانـد وبدانـد كه بـدانـد ... گـوى سبق از گنبـد گـردون بجهـانـد
وآن كس كـه ندانـد وبدانـد كه نـداند ... بـار خـرك خـويش بمنزل بـرسـانـد
وآن كس كـه بدانـد ونداند كه بـداند ... بيـدار كنش زود كـه در خـواب نمانـد
وآن كس كه ندانـد و ندانـد كه نـداند ... در جهـل مـركّب ابـد الـدهـر بمـانـد

وفي الوفيات : أنّ السبب في إنشاده لهذين البيتـين أنّه كـان له ولـد متخلف فدخل على أبيه يـوماً فـوجده يقـطع بيت شعر بـأوزان العروض فخـرج إلى الناس وقال أنّ أبي قد جنّ ، فدخلوا عليه وأخبروه بما قال ابنه ، فخاطبه بهما ، وفي بعض السفـاين المعتبرة قيـل : دخل رجـل على الخليـل ومعه ابنـه ، فقال : أيهـا الشيخ جئتـك من سفر بعيـد فأدّب ابني شيئـاً من علم النجوم والنحـو والـطب وفـرائض الفقه ، والحمار على الباب ! فقـال الخليل : إعلم أن الـثريا في وسط السـماء ، وأنّ الفاعل مرفوع ، وأنّ الهليلج الكابلي دافـع للصفراء ، وإن مـات أحد وتـرك ابنين فالمال بينهما سواء ، فقال : قم يا بني .

ونقل من جميل إتصافه في « مجمع البيان » عن النضر بن شميل المتقدم ذكـره قال : سئل الخليل عن معنى قوله تبارك وتعالى : ﴿ **رب أرجعون** ﴾ ففكّـر ثم قال سألتموني عن شيء لا أحسنه ولا أعـرف معناه ، فـاستحسن الناس منـه ذلـك[١] وبالجملة فمآثره المروية وآثاره المرضية أكثر من أن يتحمله أمثال هـذه العجالات ، وله أيضاً أشعار رائقة كثيرة منها قوله :

كَتَبْتُ بِخَـطي مـا تـرى في دفـاتـري ... عن النـاس في عمري وعن كـلّ غـابـرِ

(١) مجمع البيان ج ٧ ص ١١٧ .

ولولا عرائي أنّه غير خالد على الأرض لاستودعتها في المقابر

ومنها قوله :

أبلغا عني المنجم أني كافر بالذي قضته الكواكب
عالم أن ما يكون وما كا ن بحكمٍ[1] من المهيمن واجبِ

وكان له راتب على سليمان بن حبيب الأزدي والي فارس والأهواز فكتب إليه الخليل جوابه :

أبلغ سليمان أني عنه في سعة وفي غنى غير أني لست ذا مالِ
سخيّ بنفسي أني لا أرى أحداً يموت هزلاً ، ولا يبقى على حالِ
الرزق عن قدر لا الضعف ينقُصُه ولا يزيدك فيه حولُ محتالِ
والفقر في النفس لا في المال نعرِفُهُ ومِثل ذاك الغني في النفس لا المالِ

فقطع عنه سليمان ذلك الراتب فقال الخليل :

إنّ الذي شقّ فمي ضامن للرزق حتى يتوفاني
حرّمتني خيراً قليلاً فما زادك في مالك حِرماني

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته ، وكتب إلى الخليل يعتذر إليه ، وأضعف راتبه فقال الخليل :

وزلّة يكثر الشيطان إن ذكرت منها التعجب جاءت من سليمانا
لا تعجبنّ لخير زلّ عن يده فالكوكب النحس يسقي الأرض أحياناً

وكان كثيراً ما ينشد عن الأخطل هذا البيت :

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذُخراً يكون كصالح الأعمالِ[2]

ومن شعره أيضاً بنقل صاحب « البغية » :

وقبلك داوى الطبيب المريض فعاش المريضُ ومات الطبيبُ
فكن مستعداً لدار الفناء (البقاء) فإنّ الذي هو آتٍ قريبُ

قيل : وكان الخليل بن أحمد يعظ الناس فمر عليه بعض الجهّال فأنشد :

---

(١) محتم .

(٢) نور القبس ص ٦٤ .

وغـير تَقيٍّ يـأمـرُ النـاسَ بـالتُّـقى طَبيـبٌ يـداوي والـطّبيـبُ مَـرِيضُ

فأجابه الخليل :

اعمـل بعلمِي وإن قَصُرتُ في عَمَـلي يَنفعُـك عِلمي ولا يَضررْكَ تَقصيري[٢]

هذا ومن جملة من صرّح بتشيع الرجل من الإمامية الحقة هو القاضي نور الله التستري المرحوم في مجالسه مستدلاً عليه بوجـوه ، منها : أنّـه سئل لم يهجـر الناس علياً وقربـه من رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) قـربـه ، ومـوضعـه من المسلمـين موضعـه ، وعياذه في الإسـلام عياذه فقـال : بهر والله نـوره أنـوارهـم ، وغلبهم عـلى صفو كـلّ منهل والنـاس على أشكـالهم أميل أمـا سمعت الأول حيث يقول :

وكُـلّ شكـلٍ إلى شكـلِهِ آلف أمـا تـرى الفـيلَ يـألفُ الفيـلا

قال : وأنشدنا الرياسي في معناه عن العباس الأحنف :

وقـائـلٍ كـيـف تهـاجـرتمـا فـقـلتُ قـولاً فـيـه أصنـافُ

لَم يـك من شكـلي فهـاجـرتـه والـنـاسُ أشـكـالٌ وَأُلاّفُ

قلت : وهذا حديث رواه الصدوق في أماليـه عن أبي زيد النحـوي السائـل عن الخليل ، وترك منه في « المجالس » تمثله بالأبيات ، وقد نقله شيخنا المـروّج في تعليقاته بهذا الوجه .

قيل : وسئل أيضاً ما هو الدليل على أنّ علياً إمام الكـل في الكل فقـال : احتياج الكلّ إليه وغناه عن الكلّ .

وفي « كشف الغمة » نقلاً عن محمد بن سلام الجمحي عن يونس بن حبيب العثماني النحوي أحد تلامذة الخليل قال : قلت له : أريـد أن أسألـك عن مسألـة فتكتمهـا علي ، فقـال قولـك يدل عـلى أن الجواب أغلظ من السؤال فتكتمـه أنت أيضاً ، قلت نعم أيام حياتك ، قال سل فقلت : ما بال أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كأنّهم كلهم بنو أم واحـدة وعلي بن أبي طـالـب (عليه السـلام)

---

(١) نور القبس ص ٦١ .

من بينهم كـأنهم إبن علّة ؟! فقـال من أين لـك السؤال ؟ قلت : قـد وعـدتني الجـواب ، قال: وقـد ضمنت لي الكتـمان ، قلت : أيّـام حيـاتـك ، فقـال : إنّ علياً (عليه السلام) تقدمهم إسـلاماً ، وفـاقهم علماً ، وبذهم شرفـاً ، ورجحهم زهـداً ،وطالبهم جهـاداً ، والناس إلى أشكـالهم وأشباههم أميـل منهم إلى من بان منهم وفاقهم ، انتهى[1] .

ونقل عنه أيضاً أنّه سئل عن فضيلة علي بن أبي طالب (عليه السـلام) فقال ما أقول في حق من أخفى الأحبـاء فضائله من خـوف الأعداء ، وسعى أعداؤه في إخفـائها من الحسـد والبغضـاء وظهـر من فضـائله مـع ذلـك كلّه مـا مـلأ المشرق والمغرب .

وقال أيضاً أنّ أفضل كلمة يرغب الإنسان إلى طلب العلم والمعرفة قول أمير المؤمنين (عليه السلام) قدر كلّ امرء ما يحسن .

وكان قد صادف عصره عصر الصادق (عليه السلام) ويقال : أنّه كان من جملة أصحابه أيضاً وله الرواية عنه في كتب أصحابنـا المتدينـين . . . . وقد عـرفت حكاية الخلاف في تاريخ وفاته وهو كـما في « مجالس المؤمنـين » موافـق لما تقـدم عن « الـطبقات » سنـة خمس وسبعين ومـئة بالبصرة ، وكـما ذكره ابن خلّكـان في سنـة سبعين بعد المئة ، وكما في « تاريخ أخبار البشر » ونسبة « الوفيات » أيضـاً إلى القيل في سنة سبع وسبعين وكما عن « تقـريب ابن حجر » و« تـاريخ ابن قـانع » المبـوّب على ترتيب السّنين في سنة ستين ، وكما عن ابن الجـوزي سنة ثـلاثين ، وظـاهر أنّ الأخيرة ليس شيء ، وذلك أنّ ولادته كانت على رأس المأة الهجرية بلا كلام .

ثمّ ليعلم أن خليل بن محمد بن عبد الـرحمن النحوي أبـا محمد النيسـابوري الـذي سمع عبـد الله بن المبارك وروى عنـه محمد بن عبـد الوهـاب وكان من جملة أكابر النحاة المتقدمين أيضاً هو غير هذا الرجل الجليل يقيناً .

وكـذلك خليـل بن اسماعيـل بن عبد الملك بن خلف بن محمـد بن عبد الله السكـوني اللبلي الحـافظ الفقيه المقـري المتفّنن النحوي الـورع الفاضـل البـارع في

(١) انظر الخبر في نور القبس ص ٥٧ .

نظمه ونثره كما عن ابن عبد الملك ، وابن الزبير فإنّه كان من أدباء المأة السادسة وتوفي بليلة ثاني رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمأة ، كما في « طبقات النحاة »[1] .



(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٦ .

بـــاب

ما أوله الدال المهملة والذال وكذلك الراء المهملة من سائر أطباق الفزيقين

٢٩٥

الشيخ الأديب الماهر أبو سليمان داوود بن علي بن خلف الإصفهاني الملقب بالظاهري(*)

أصله من إصفهان العجم ومولده بالكوفة ومنشأه ببغداد كثير الورع ، أخـذ العلم عن إسحـاق بن راهـويـه وأبي ثـور وكـان من أكـثر النـاس تعصبـاً لـلإمـام الشافعي ، وصنّف في فضائله والثناء عليه كتابين وكـان صاحب مـذهـب مستقل ، وتبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية ، وكان ولـده أبو بكـر محمد الـظاهري صـاحب كتاب « الزهرة » في جمع نوادر الأدب وغرائب العربية والأشعار الرائقـة أيضاً عـلى مـذهبه وانتهت إليـه رياسـة العلم ببغداد ، قيـل أنّـه كـان يحضر مجلسـه أربع مئة صاحب طيلسان أخضر ، وكان من عقلاء الناس ، قال أبو العباس أحمـد بن يحيى المعروف بثعلب المتقدم ذكره : كان داوود عقله أكـثر من علمه، وتـوفي ببغداد كـما ذكره ابن خلّكان سنة سبع ومئتين ودفن بالمقبرة الشونيزية وقيل في منزله وإن أعلم وإنّما عرف هذا الرجل بالظاهري على الظاهـر لكون المـدار في مذهبـه الفاسـد على اتباع ظواهر المتشابهات القرآنية والحديثية التي تنافي ضروريات الدين بظواهرها ولا

(*) له ترجمة في : الأنساب ص ٣٧٧ ، تاريخ بغـداد ج ٨ ص ٣٦٩ ، تذكـرة الحفاظ ج ٢ ص ١٣٦ ، ذكـر أخبـار إصفهـان ج ١ ص ٣١٢ ، شـذرات الـذهب ج ٣ ص ١٥٨ ، طبقـات السبكي ج ٢ ص ٢٥٨ ، العبرج ٢ ص ٥٤ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٤٢٢ ، ميزان الاعتـدال ج ١ ص ٣٢١ ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٦ .

يعلم تأويلها إلاّ الله والراسخون في العلم من غير أن يردّ حقيقة الأمر في ذلك إلى الله حسب ما أمر به أو إلى الرسول وأهل بيته الذين أنزل عليهم الذّكر وقد أمرنا بالمسألة منهم فيما أشكل علينا أو يستفرغ وسعه في رفع التناقض عن البين والجمع بين المتنافيات بالذي هو أحسن ، كما هو طريقة أهل الطريقة الحقة وسجية المجتهدين أولي النظر والدقة ، وبعبارة أخرى يمكن أن يكون المراد بالظاهري هو الأخباري المخرّب للشريعة في مصطلح هذه الأواخر كما هو الظاهر ، ويمكن أن يكون المراد بأهل لظاهرهم الذين يجوزون الخطاب بما له ظاهر وإرادة خلافه كما أشير في هذه المسألة إلى خلافهم .

وقال صاحب « البغية » في ذيل ترجمة أبي حيان النحوي الأندلسي قال الصفدي وكان أبو البقاء يقول أنّه لم يزل ظاهرياً قال ابن حجر كان أبو حيان يقول محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علّق بذهنه إلى آخر ما سيجيء الإشارة في ترجمته إن شاء الله .

وذكر شمس الدين الإصفهاني في (شرح الطوالع) أن الحشوية هم الذين قالوا الدين يتلقى من الكتاب والسنة وهذا أيضاً عين مقالة الأخباريين من أصحابنا فيكون لفظ الحشوية مرادف الظاهرية ما ترجمناها قبل ، وقد مرّ في ترجمة ابراهيم بن محمد المشتهر بنفطويه أنّه كان فقيهاً على مذهب داوود الظاهري ونقل عن كتابه المسمى بـ« رياض النعيم » أنّه قال فيه دخلت على محمد بن داوود المذكور في مرضه الذي مات فيه فقلت : كيف تجدك ؟ .

فقال حب من تعلم أورثني ما ترى قلت : ما منعك منه مع القدرة عليه فقال الإستماع على وجهين النظر المباح واللّذة المحظورة أمّا النظر المباح فقد أوصلني إلى ما ترى وأمّا اللّذة المحظورة فقد منعني منها ما بلغني عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال من عشق وكتم وعف غفر الله له وأدخله الجنة .

قال : ثم أنشدني أبياتاً لنفسه فلما انتهى إلى قوله أن يكون عيب خده من عذار له فعيب العيون شعر الجفون فقلت أنت تنفي القياس في الفقه وتثبته في الشعر فقال غلبة الهوى وملكة النفوس دعوا إليه قال ومات في ليلته قلت وهذا أيضاً

دليـل على وضعهم لفظ الـظاهري لمن كـان في مقـابلة أصحـاب القيـاس والـرأي الإجتهادي كما أن أصحابنا وضعـوا لمن كان في مقـابل المجتهد بالنـظر في الأحكام الفـرعية لفـظة الأخباري ومـرادهم به من كـان لا يتجـاوز في الأحكـام عن متـون الأخبـار ولا يلتفت إلى القواعـد والأصول المستنبـطة من الكتـاب والسنـة والعقـل القاطع المتبـع في أصول الأديـان في جميع الأقـطار وقد تقـدّم الكلام عـلى تشخيص هذين الموضوعين في ذيل ترجمة المولى أمين الأستر آبادي بما لا مـزيد عليـه فليراجع إن شاء الله .

٢٩٦
الشيخ الكامل البارع داوود بن الهيثم بن إسحاق بن البهلول بن سنان أبو سعيد التنوخي الأنباري(*)

قال صاحب « البغية » قال الخطيب البغدادي : كان نحويـاً لغويـاً ، حسن العلم بـالعروض واستخـراج المعمى ، فصيحـاً كثـير الحفظ للنحو واللغة والأدب والأخبار والأشعار ، وله الشعر الجيـد أخذ عن ابن السكيت وثعلب ، وسمـع من جدّه إسحاق وعمر بن شبة . وسمع منه ابن الأزرق وجماعة .

وله كتاب في النحو على مذهب الكوفيين ، وآخر في « خلق الإنسـان » وغير ذلك مات بالأنبار سنة ست عشر وثلاث مئة وله ثمان وثمانون سنة إنتهى[1] .

وهو غير داوود بن الهيثم الأزدي أبي خالد الكوفي الذي هو معدود في رجـال مولانا الصـادق (عليه السـلام) وقد عـرفت حقيقة التنـوخي في ترجمـة أبي العلاء المعري وأمّا الأنباري فهو نسبة إلى الأنبار الـذي هو علم لـمواضع سـوف يأتي إليهـا الإشارة في ترجمـة عبد الـرحمن الأنباري المتفنّن المشهـور إن شاء الله تعـالى ، ومنها البليدة القديمة التي هي على شاطىء الفرات بقرب بغداد هـذا ، ولكن الظاهـر أنّ نسبة أبي سعد المذكور إلى ذلك البلد فلا تغفل .

(*) لـه ترجمتـه في : بغية الـوعاة ج ١ ص ٥٦٣ ، تـاريـخ بغـداد ج ٨ ص ٣٧٩ ، معجم الأدبـاء ج ٤ ص ١٩٣ .

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٦٣ .

٢٩٧
داوود بن عمر بن إبراهيم الشاذلي الإسكندري

قرأت بخط الشيخ كمال الدين والد شيخنا الشمني أنّه من الأئمة الراسخين تفقه على مذهب مالك ، وله فنون عديدة ، وتصانيف مفيدة ، صحب الشيخ تاج الدين بن عطاء الله وأخذ عنه طريق التصوّف ، وكان يتكلم على طريق القوم وصنّف « مختصر التلقين » للقاضي عبد الوهاب في الفقه ، و« مختصر الجمل » للزجاجي بديع .

وله كتاب في المعاني والبيان وغير ذلك . مات بالإسكندرية سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة[1] وكذا في (طبقات النحاة) والإسكندرية هي المدينة المشهورة بمصر على ساحل البحر ، بناها الإسكندر الأوّل وهو ذو القرنين أشك بن سلوكوس الرومي الذي جال الأرض ، وبلغ الظلمات ومغرب الشمس ومطلعها ، وسدّ على يأجوج ومأجوج . ومنهم من قال بناها الإسكندر بن دارا ابن بنت الفيلقوس الرومي شبهوه بالإسكندر الأوّل لأنّه ذهب إلى الصين والمغرب ومات وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة والأوّل كان مؤمناً والثاني على مذهب استاذه ارسطاطاليس ، وبينهما دهر طويل أنّها كانت قديمة من بناء شداد بن عاد كان بها آثار العمارة والإسطوانات الحجرية قبل بناء الإسكندر إيّاها من عجائبها عمود كمنارة عظيمة وهي قطعة واحدة منتصبة على قاعدة من حجر عظيم مربّع ، وبها اسطوانة متحركة ، يقولون أنّها تتحرك بحركة الشمس[2] كذا في «تلخيص الآثار» والظاهر أنّ المنارة المذكورة من قبيل منارتي كارلا دان إصفهان فإنّها أيضاً من عجائب الزمان ، ومتى دخل أحدهما واحد وحرّكها تتحرك المنارة الأخرى مع أنّ بينهما بوناً بعيداً ، وقد رأيت ذلك كذلك بعيني هاتين بحيث خشيت على نفسي من خرابها ، ولم يكن يصيبها وهن بذلك أصلاً وأعجب من ذلك أنّها مبنيتان على مشهد رجل شوهد بدنه مراراً بشهادة ثقاة كثيرين غضاً طرياً جديداً لم يصبه تغير أصلاً .

---

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٦٢ .

(٢) راجع آثار البلاد ص ١٤٣ .

ثمّ إنّ الإسكندرية المذكورة ليست هي في هذه الأوان قاعدة للديار المضرية بل القاعدة الكبرى التي هي مستقر السلطنة في هذا الزمان هي مدينة القاهرة الواقعة بجنب الفسطاط بحيث يجمعها سور واحد ، كما ذكره أيضاً صاحب « التلخيص » قال وهي اليوم المدينة العظمى بها دار الملك أجل مدينة بمصر لاجتماع أسباب الخيرات فيها ، منها تجلب الطرائف المنسوبة إلى مصر بها قصران عظيمان يقصر الوصف دونهما عن يمين السوق وشمالها ، ليس في شيء من البلاد مثلها ، بها موضع يسمى القرافة وبها أبنية جليلة ومواضع واسعة ، وسوق قائم ومشاهد ، وهي من متنزهات القاهرة والفسطاط سيما في الموسم .

وبها مدرسة الإمام الشافعي ، وفيها قبره انتهى[1] وقد تكرّر ذكر القرافة المذكورة في تضاعيف كتابنا هذا عند ذكر من دفن بها من العلماء فلا تغفل .

٢٩٨

الشاعر الماهر المتقدم الواعي أبو علي دعبل بن علي بن رزين بن عثمان أم سليمان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن بديل الصحابي المشهور ابن ورقاء الخزاعي(*)

هو الشيخ الكامل الأديب الفاضل ، الصالح المتديّن الممدوح ، المادح لأهل البيت المنتجبين عليهم السلام، صاحب الأشعار الفاخرة الكثيرة، والآثار الباهرة المستنيرة معروف بجودة الكلام ، وحسن الرعاية لما اقتضاه المقام ، مع لطافة الطبع وظرافة الصنع ، وكثرة الملاحة في عين الفصاحة ، والإلتفات إلى دقائق نكات المعاني والبيان ، وكان من شعراء زمن الرشيدين ومن بعدهما وبلغ

---

(١) راجع آثار البلاد ص ٢٤٠ .

(*) له ترجمة في : أعيان الشيعة ج ٣٠ ص ٢٦٠ ، الأغاني ج ١٨ ص ٢٩ ، بولاق : بهجة الآمال ج ٢ ص ١٧ ، تاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٨٣ ، تهذيب ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٧ ، خلاصة الرجال ص ٧٠ ، رجال الطوسي ص ٣٧٥ ، رجال الكشي ص ٤٢٥ ، رياض العلماء ـ خ ـ ، الشعر والشعراء ص ٣٥٠ ، طبقات الشعراء ص ٢٦٤ ، كشف الغمة ج ٣ ص ١١٢ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٤٣٠ ، مختار الأغاني ج ٣ ص ٥٢١ ، معجم الأدباء ج ٤ ص ١٩٣ ، ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٦ ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٤ .

عمره ثماني وتسعين سنة وأدرك أربعة من أئمتنا المعصومين عليهم السلام وكانت ولادته سنة وفاة الصادق (عليه السلام) وتوفي في سنة ست وأربعين ومئتين بـ « الطيب » وهي بلدة بين واسط والعراق وكورة الأهواز وكان شاعراً مجيداً بذي اللسان مولعاً بالهجو والحطّ من أقدار الناس وهجاء الخلفاء ومن دونهم ، وطال عمره فكان يقول لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك . ولما عمل في ابراهيم بن المهدي العبّاسي أبياته التي أوّلها .

نَعَر ابن شكله بالعراق وأهله ... فهفا إليه كلّ أطلس مائق
إن كان ابراهيم مضطلعاً بها ... فلتصلحن من بعده لمخارق
ولتصلحن من بعد ذاك لزلزل ... ولتصلحن من بعده للمارق
أنّى يكون وليس ذاك بكائن ... يرث الخلافة فاسق عن فاسق

دخل ابراهيم على المأمون فشكى إليه حاله وقال يا أمير المؤمنين إنّ الله سبحانه وتعالى فضّلك في نفسك عليّ ، وألهمك الرأفة والعفو عني ، والنسب واحد ، وقد هجاني دعبل فانتقم لي منه .

فقال : ما قال لعل قوله : نَعَرَ ابن شكلة بالعراق . وأنشده الأبيات فقال : هذا من بعض هجائه وقد هجاني بما هو أقبح من هذا فقال المأمون : لك أسوة بي فقد هجاني واحتملته وقال فيّ :

إنّي من القوم الذين سيوفُهُم ... قَتَلت أخاكَ وشرّفتك بمقعدِ
شادوا بذكرك بعد طولِ خُموله ... واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فقال له ابراهيم : زادك الله حلماً يا أمير المؤمنين وعلماً ، فما ينطق أحدنا إلّا عن فضل علمك ، ولا نحلم إلّا اتباعاً لحلمك ، وقيل كان المأمون إذا أنشد هذين البيتين يقول : قبّح الله دعبلاً فما أوقحه كيف يقول عني هذا وقد ولدت في حجر الخلافة ورضعت ثديها وربيّت في مهدها هذا ، وقد كان دعبل الموصوف مشهوراً في أصحابنا الإمامية بالإيمان وعلّو المنزلة وعظم الشأن كما في (خلاصة العلامة) وله كتاب « طبقات الشعراء » وكتاب « الواحدة في مثالب العرب ومناقبها » كما ذكره النجاشي وقال : أخبرنا القاضي أبو إسحاق ابراهيم بن

مخلد[1] بن جعفر قال حدثنا أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة قال حدثنا موسى بن حماد اليزيدي[2] .

قال حدثنا دعبل[3] وذكره الكشي أيضاً في رجاله فقال : قال أبو عمر وبلغني أنّ دعبل بن علي وفد على أبي الحسن الرضا (عليه السلام) بخراسان فلمّا دخل عليه قال : إني قلت قصيدة وجعلت في نفسي أن لا أنشدها أحداً أولى منك فقال : هاتها ، فأنشد قصيدته التي يقول فيها .

ألم تر أني مذ ثلاثون حجة أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيئهم في غيرهم مُتقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

[قال] فلما فرغ من إنشاده قام أبو الحسن (عليه السلام) ودخل[4] منزله وبعث إليه بخرقة[خزّ]فيها ست مئة دينار وقال للجارية قولي له يقول لك مولاي استعن بهذه على سفرك واعذرنا ، فقال لها دعبل لا والله ما هذا أردت ولا له خرجت ، ولكن قولي له : هب لي ثوباً من ثيابك ، فردّها عليه أبو الحسن (عليه السلام) وقال له خذها وبعث بجبّة من ثيابه ، فخرج دعبل حتى ورد قم فينظر إلى الجبة فأعطوه فيها ألف دينار فأبى عليهم وقال : لا والله ولا خرقة منها بألف دينار .

ثم خرج من قم فأتبعوه وقد جمعوا[5] عليه وأخذوا الجبة فرجع إلى قم وكلّمهم فيها فقالوا ليس إليها سبيل ولكن إن شئت فهذه ألف دينار فقال نعم وخرقة منها ، فأعطوه ألف دينار وخرقة منها[6] وقيل أنّه أعطى بتلك الجبة ثلاثون ألف دينار فلم يبعها فقطعوا عليه الطريق فأخذوا فقال لهم أنّها تراد لله عز وجل وهي محرمة عليكم فحلف أن لا يبيعها أو يعطوه بعضها فيكون في كفنه فأعطوه فرد كم فكان في أكفانه ، وكتب أيضاً قصيدته«مدارس آيات» على ثوب وأحرم فيه

---

(١) محمد .
(٢) الترمذي .
(٣) مجمع الرجال ج ٢ ص ٢٩٦ .
(٤) فدخل .
(٥) وأجمعوا .
(٦) الكشي ص ٤٢٥ .

وأمر بأن يكون في كفنه[١] وفي « أمالي الشيخ » عن الحفّار عن أبي القاسم اسماعيل الدعبلي عن أبيه علي بن علي بن دعبل الخزاعي .

قال حدثنا سيدي أبو الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بطوس سنة ثمان وتسعين ومئة وفيها رحلنا إليه (عليه السلام) على طريق البصرة وصادفنا عبد الرحمن بن مهدي عليلاً فأقمنا عليه أياماً ومات عبد الرحمن بن مهدي وحضرنا جنازته ، وصلى عليه اسماعيل بن جعفر (عليه السلام) ورحلنا إلى سيدي أنا وأخي دعبل ، فأقمنا عنده إلى آخر سنة مئتين وخرجنا إلى قم بعد أن خلع سيدي أبو الحسن الرضا (عليه السلام) على دعبل قميص خزّ[٢] أخضر وخاتماً[٣] فضّة عقيق ، ودفع إليه دراهم رضوية وقال له : يا دعبل صر إلى قم فإنّك تفيد بها وقال له احتفظ بهذا القميص فقد صليت فيه ألف ليلة في كلّ ليلة منها ألف ركعة وختمت فيه القرآن ألف ختمه[٤] .

أقول واسماعيل الدعبلي الموصوف هو أبو القاسم اسماعيل بن علي بن علي بن الراوي عن أبيه ابي الحسن علي بن علي بن رزين أخي دعبل بن علي الشاعر المذكور وهو من الرواة الأجلة وكلّ روايات والده الذي هو أخو دعبل يرويها شيخنا الطوسي ـ رحمه الله ـ عن شيخه الحفّار عن ولده اسماعيل عنه ومن جملة ما رواه بهذا الإسناد عن الرضا (عليه السلام) عن أبيه عن جدّه عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) .

أنّه قال لخيثمة أبلغ شيعتنا أنّا لا نغني عنهم من الله شيئاً وأبلغ شيعتنا أنه لا ينال ما عند الله إلّا بالعمل ، وأبلغ شيعتنا أنّ أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره ، وأبلغ شيعتنا أنّهم إذا قاموا بما أمروا أنّهم هم الفائزون يوم القيامة . هذا ما أحببت إيراده في ذلك الضمن تذكرة للأحباب وفي « عيون أخبار الرضا » (عليه السلام) عن المكتب والورّاق معاً عن علي عن أبيه

---

(١) الأغاني ج ١٨ ص ٢٩ ، بولاق .
(٢) قميصاً خزاً .
(٣) خاتم فضة عقيقاً .
(٤) الأمالي ج ١ ص ٣٦٩ .

عن الهروي قال دخل دعبل بن علي الخزاعي ـ رحمه الله ـ على أبي الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بمرو .

فقال له : يا ابن رسول الله إنّي قد قلت فيك قصيدة وآليت على نفسي أنْ لا أنشدها أحداً قبلك ، فقال (عليه السلام) : هاتها فأنشده :

مدارس آيات خَلَت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما بلغ إلى قوله :

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

بكى أبو الحسن الرضا (عليه السلام) وقال له : صدقت يا خزاعي ، فلما بلغ إلى قوله :

إذا وتروا مدوا إلى واتريهم أكفّا عن الأوتار منقبضات

جعل أبو الحسن (عليه السلام) يقلب كفيه ويقول : أجل والله منقبضات ، فلما بلغ إلى قوله :

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

قال الرضا (عليه السلام) آمنك الله يوم الفزع الأكبر ، فلما انتهى إلى قوله :

وقبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمن في الغرفات

قال له الرضا (عليه السلام) : أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك ؟ فقال : بلى يا بن رسول الله فقال (عليه السلام) :

وقبر بطوس يا لها من مصيبة توقد في الإحشاء بالحرقاتِ
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرّج عنّا الهمّ والكربات

فقال دعبل يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا القبر الذي بطوس قبر من هو ؟ فقال الرضا (عليه السلام) قبري ولا تنقضي الأيام والليالي حتى يصير طوس مختلف شيعتي وزوّاري أفمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له ، ثم نهض الرضا (عليه السلام) بعد فراغ دعبل من إنشاء القصيدة وامره أن لا يبرح عن موضعه فدخل الدار فلما كان بعد ساعة خرج الخادم إليه بمئة دينار رضوية .

فقال له : يقول لك مولاي : اجعلها في نفقتك ، فقال دعبل والله ما لهذا جئت ولا قلت هذه القصيدة طمعاً في شيء يصل إلي.ورد الصرة وسأل ثوباً من ثياب الرضا (عليه السلام) ليتبرك ويتشرف به ، فانفذ إليه الرضا جبّة خزّ مع الصرة ، وقال للخادم قل له خذ هذه الصرة فإنّك ستحتاج إليها ولا تراجعني فيها ، فأخذ دعبل الصرة والجبة وانصرف وصار من مرو في قافلة ، فلما بلغ ميان قوهان وقع عليهم اللصوص فأخذوا القافلة بأسرها وكتفوا أهلها وكان دعبل فيمن كتف وملك اللصوص القافلة وجعلوا يقتسمونها بينهم فقال رجل من القوم متمثلاً بقول دعبل في قصيدته :

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

فسمعه دعبل فقال لهم لمن هذا البيت ؟ قال لرجل من خزاعة يقال له : دعبل بن علي قال دعبل : فأنا دعبل قائل هذه القصيدة التي منها هذا البيت ، فوثب الرجل إلى رئيسهم وكان يصلي على رأس تلّ وكان من الشيعة ، فأخبره فجاء بنفسه حتى وقف على دعبل ، وقال له أنت دعبل ؟ قال نعم .

فقال له أنشد القصيدة فأنشدها فحلّ كتافه وكتاف جميع أهل القافلة وردّ إليهم جميع ما أخذ منهم لكرامة دعبل وسار دعبل حتى وصل إلى قم ، فسأله أهل قم أن ينشدهم القصيدة فأمرهم أن يجتمعوا في المسجد الجامع ، فلما اجتمعوا صعد المنبر ، فأنشدهم القصيدة فوصله الناس من المال والخلع بشيء كثير واتصل بهم خبر الجبة ، فسألوه أن يبيعها منهم بألف دينار فامتنع من ذلك فقالوا له فبعنا شيئاً منها بألف دينار ، فأبى عليهم وسار عن قم ، فلما خرج من رستاق البلد لحق به قوم من أحداث العرب وأخذوا الجبة منه ، فرجع دعبل إلى قم وسألهم ردّ الجبة عليه فامتنع الأحداث من ذلك ، وعصوا المشايخ في أمرها وقالوا لدعبل : لا سبيل لك إلى الجبة فخذ ثمنها ألف دينار ، فأبى عليهم فلما يئس من ردّهم الجبة عليه سألهم أن يدفعوا إليه شيئاً منها ، فأجابوه إلى ذلك وأعطوه بعضها ودفع إليه ثمن باقيها ألف دينار[1] .

وفي رواية الفصول المهمة فأخذ المشايخ الجبة من أحداثهم وردوها عليه ،

---

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٦٣ .

ثم قالوا نخشى أن تؤخذ هذه الجبة منك يأخذها غيرنا ثم لا ترجع إليك فبالله إلاّ ما أخذت الألف منا وتركتها فأخذ الألف وأعطاهم الجبة ثم سافر عنهم ـ وفي الرواية الأولى ـ وانصرف دعبل إلى وطنه فوجد اللصوص قد أخذوا جميع ما كان في منزله فباع المئة دينار التي كان الرضا (عليه السلام) وصله بها من الشيعة كلّ دينار بمئة درهم ، فحصل في يده عشرة آلاف درهم[1] فذكر قول الرضا (عليه السلام) أنّك ستحتاج إلى الدنانير ، وكانت له جارية لها من قلبه محلّ فرمدت عينها رمداً عظيماً فأدخل أهل الطب عليها فنظروا إليها فقالوا : أمّا العين اليمنى فليس لنا فيها حيلة وقد ذهبت ، وأمّا اليسرى فنحن نعالجها ونجتهد ونرجو أن تسلم ، فاغتم لذلك دعبل غمّاً شديداً وجزع عليها جزعاً عظيماً ، ثم إنه ذكر ما كان معه من وصلة الجبة فمسحها على عيني الجارية وعصّبها بعصابة منها من أوّل الليل فأصبحت وعيناها أصحّ ممّا كانتا قبل ببركة أبي الحسن الرضا[2] .

هذا وفي مناقب محمد بن طلحة الحلبي الشافعي أنّه قال دعبل لما قلتُ (مدارس آيات) قصدت بها أبا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وهو بخراسان ولي بخراسان على عهد المأمون في الخلافة فوصلت المدينة وحضرت عنده وأنشدته إيّاها فاستحسنها وقال لي لا تنشدها أحداً حتى آمرك واتصل خبري بالخليفة المأمون فأحضرني وسألني عنها .

ثم قال يا دعبل أنشدني (مدارس آيات خلت من تلاوة) ، فقلت : ما أعرفها يا أمير المؤمنين فقال يا غلام أحضر أبا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) قال فلم تكن ساعة حتى حضر فقال له يا أبا الحسن سألت دعبل عن (مدارس آيات خلت من تلاوة) فذكر أنّه لا يعرفها فقال لي يا أبو الحسن (عليه السلام) يا دعبل أنشد أمير المؤمنين فأخذت فيها فأنشدتها فاستحسنها وأمر لي بخمسين ألف درهم وأمر لي أبو الحسن علي الرضا بقريب من ذلك فقلت يا سيدي إن رأيت أن تهبني شيئاً من ثيابك ليكون كفني قال نعم ، ثم دفع إلي قميصاً قدا تبذله ومنشفة لطيفة وقال لي إحفظ هذا تحرس به ، ثم دفع إلي ذو الرياستين أبو العباس الفضل بن

---

(١) عشر ألف درهم .

(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٦٥ .

سهل وزير المأمون صلة وحملني على برذون أصفر خراساني وكنت أسامره في يوم مطير وعليه ممطر خزّ وبرنس منه ، فأمر لي به ودعا بغيره جديد ، فلبسه وقال إنّما أثرتك باللبس لأنّه خير الممطرين قال فأعطيت به ثمانين ديناراً فلم تطب نفسي ببيعه ثم كررت راجعاً إلى العراق ، فلما صرت في بعض الطريق خرج علينا الأكراد فأخذونا وكان ذلك يوماً مطيراً فبقيت في قميص خلق وضرّ شديد وأنا متأسف من جميع ما كان معي على القميص والمنشفة ومفكّر في قول سيدي الرضا (عليه السلام) إذ مر بي واحد من الأكراد الحرامية تحته الفرس الأصفر الذي حملني عليه ذو الرياستين وعليه الممطر ، ووقف بالقرب مني ليجتمع إليه أصحابه وهو ينشد : (مدارس آيات خلت من تلاوة) ويبكي ولما رأيت ذلك عجبت من لصّ من الأكراد يتشيّع .

ثم طمعت في القميص والمنشفة فقلت يا سيدي لمن هذه القصيدة ؟ فقال وما أنت وذاك ويلك ، فقلت : لي فيه سبب أخبرك به فقال هي أشهر بصاحبها من أن تجهل، فقلت:من.قال:دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل محمد جزاه الله خيرا قلت له:يا سيدي فأنا والله دعبل وهذا قصيدتي إلى آخر ما ذكره وهو قريب مما نقلناه عن العيون وفي آخره ثم بدرقنا إلى المأمن فحرست أنا والقافلة ببركة ذلك القميص والمنشفة،هذا ، وفي العيون أيضاً نقلاً عن الهمداني عن علي عن أبيه عن الهروي قال سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول : لما أنشدت مولاي علي بن موسى الرضا (عليه السلام) قصيدتي أولها :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما انتهيت إلى قولي :

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات
يميّز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا (عليه السلام) بكاءً شديداً ثم رفع رأسه إليّ ، فقال لي:يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين ، فهل تدري من هذا الإمام ؟ ومتى يقوم ؟ فقلت:لا يا مولاي إلاّ أني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ويملأها عدلاً. فقال:يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني، وبعد محمد

ابنه علي ، وبعد علي ابنه الحسن ، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره ، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

وأمّا متى ؟ فأخبار عن الوقت ، ولقد حدثني أبي عن آبائه عن علي (عليه السلام) أنّ النبي (ص) قيل له : يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك ! فقال : مثله مثل الساعة **﴿ لا يجليها لوقتها إلّا هو ثقلت في السماوات والأرض لاتأتيكم إلّا بغتة ﴾** .

وفي « إكليل الرجال » أن دعبل هذا روى النص على القائم (عليه السلام) بحديث صحيح الإسناد يأتي في عنوان عبد السلام بن صالح ثم ذكر في ذلك العنوان حديث العيون الذي نقلناه ونقل أيضاً عن الصدوق ـ رحمه الله ـ أنّه قال في كتابه إكمال الدين عند ذكره لهذا الحديث . ما سمعت هذا الحديث إلّا من أحمد بن زياد رضي الله عنه بهمدان عند منصرفي من حجّ بيت الله الحرام وكان رجلاً ثقة ديّناً فاضلاً قلت وابراهيم بن هاشم وثقة أيضاً ابنه علي ابن ابراهيم الثقة في تفسيره على ما ذكره شيخنا محمد وغيره فالحديث إذن صحيح الإسناد بل قلّ ما يوجد في الأحاديث النص على القائم الحجة الذي يقول به الشيعة حديث مثله وفيه أيضاً من الآية لإمامة مولانا الرضا وجلالة قدر الرجل ما لا يخفى . ثمّ إنّ في خبر الصدوق عن البيهقي عن الصولي عن هارون بن عبد الله المهلبي إنّه لما وصل ابراهيم بن العباس ودعبل بن علي إلى الرضا وقد بويع له بالعهد أنشده دعبل .

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

وأنشده ابراهيم بن العباس .

أزال عن القلب بعد التجلّد مصارع أولاد النبي محمد

فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه كان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت قال : فأمّا دعبل فصار بالعشرة آلاف التي كانت حصته إلى قم فباع كلّ درهم بعشرة دراهم فحصلت له مئة ألف درهم ، وأمّا إبراهيم فلم تزل عنده بعد أن أهدى بعضها وفرق بعضها على أهله إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ فكان كفنه وجهازه منها .

وحكى صاحب مجمع البحرين في كتابه (المنتخب) قال : حكى دعبل الخزاعي قال : دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في مثل هذه الأيام يعني بذلك أيام المحرّم فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله كذلك ، فلما رآني مقبلاً قال لي مرحباً بك يا دعبل مرحباً بمادحنا ومحبنا ومرحباً بناصرنا بيده ولسانه ثم إنّه وسّع لي في مجلسه واجلسني إلى جانبه .

ثم قال لي يا دعبل أحبّ أن تنشدني شعراً فإن هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت وأيام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني أمية يا دعبل .

من بكى وأبكى على مصابنا ولو واحداً كان أجره على الله تعالى ، يا دعبل من ذرفت عيناه على مصابنا وبكى لما أصابنا من أعدائنا حشره الله معنا في زمرتنا ، يا دعبل ! من بكى على مصاب جدي الحسين (عليه السلام) غفّر الله له ذنوبه البتة ، ثم أنّه (عليه السلام) نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه وأجلس أهل بيته من رواء الستر ليبكوا على مصاب جدهم الحسين (عليه السلام) ثم التفت إليّ وقال لي يا دعبل إرث الحسين (عليه السلام) فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حياً فلا تقصر عن نصرنا ما استطعت ، قال يا دعبل فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشدت :

سأبكيهم ما ذرّ في الأفق شارق ... ونادى منادي الخير للصلواتِ
وما طلعت شمس وحان غروبها ... وبالليل أبكيهم وبالغدواتِ
ديار رسول الله أصبحن بلقعاً ... وآل زياد تسكن الحجراتِ
وآل زياد في القصور مصونة ... وآل رسول الله في الفلواتِ
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ ... تقطّع نفسي إثرهم حسراتي
خُروج إمام ، لا محال خارجٍ ... يقومُ ، على اسم الله بالبركاتِ
يميّز فينا ، كلّ حق وباطلٍ ... ويجزي على النعماء والنقماتِ
فيانفس طيبي ، ثم يانفس فاصبري[1] ... فغير بعيد كُلُّ ما هو آتِ

(١) فابشري .

أقول : إنّ هذه القصيدة التي ذكر اسمها لك مراراً هي تائيته المشهورة التي تبلغ مائة وعشرين بيتاً رائقاً وفيها من مناقب أهل بيت العصمة ومصائبهم الجمّ الغفير ومطلعها الذي بدأ بإنشاده للحضرة المقدسة الرضوية بمدينة مرو المحروسة قوله :

تجاوبن بالأرنان والزفراتِ نوائح عُجم اللفظِ والنطقاتِ
يخبرنّ بالأنفاس عن سر أنفس أسارى هوى ماضٍ وآخر آتِ

إلى أن انتقل عن كلّ ما يوشح به أوائل القصائد إلى قوله :

فكيف ومن أنّى بطالبِ زلفة إلى الله بعد الصوم والصلواتِ
سوى حُبّ أبناء النبي ورهطِه وبغضِ بني الزرقاء والعبلاتِ
وهند وما أدّت سُميّة وابنها أولو الكُفر في الإسلام والفجراتِ
هُم نقضوا عهد الكتاب وفرضه ومُحكمه بالزورِ والشُّبهَاتِ

ثم إلى أن جدد المطلع بقوله :

بكيت لرسم الدار من عرفات وأجريت دمع العين بالعبراتِ
وبان عرى صبري وهاجت صبابتي رُسوم ديار قد عفَت وعراتِ
مدارس آيات خلَت من تلاوةٍ ومنزلُ وحي مقفر العرصاتِ
لآلِ رسول الله بالخيف من منى وبالبيتِ والتعريفِ والجمراتِ

ثم إلى أن قال عطر الله مرقده وفاه :

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد ماتَ عطشاناً بشِط فراتِ
إذاً للطمت الخدّ فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجناتِ
أفاطم قُومي يا ابنة الخير فاندبي نجوم سماوات بأرضِ فلاةِ
قُبور بكوفانٍ[1] وأخرى بطيبة وأخرى بفخٍ نالها صلواتي
وأخرى بأرضِ الجوزجان محلُّها وقبر بباخمرى لدى الغُربات
وقبر ببغداد لنفس زكية تضمّنها الرحمن في الغُرُفاتِ
قُبور ببطن النّهر من جنب كربلا[2] مُعرّسُهم مِنها[3] بشطّ فُراتِ

(١) بكوفات .

(٢) نفوس لدى النهرين من أرض كربلا .

(٣) فيها .

تـوفوا عـطاشـا بـالفُـراتِ فَلَيْتني   تـوفَيّت فيهم قبـل حـينَ وفـاتي

ثم إلى أن قال بيّض الله وجهه وجزاه :

فيـا عـين بكيهم وجُـودي بعـبرة   فقـد آن للتسكـاب والهمــلاتِ
لقد خفت في الدنيا وأيام سعيهـا   وأنّي لأرجـوا الأمن بعـد وفــاتي
ألم تر أني مذ ثلاثين حَجّةً   أروحُ وأغــدو دائــم الحسراتِ
أرى فيئَهُم في غــيرهم مُتقسّــماً   وأيــديهم مِن فَيئهـم صَفـراتِ
وآل زيـاد في الحـريـر مَصونــةٌ   وآل رســول الله مُـنتـهكـاتِ

ثم إلى أن قال :

ديـارُ رسـول الله أصبَحن بلقعـاً   وآل زيــاد تَـسكُـنُ الحُجُــراتِ
وآل رسـول الله تُدمي نُحـورهم   وآل زيــاد زيّـنــوا الحـجــلاتِ
وآلُ رســول الله يُسبى حـريمُهم   وآل زيــاد آمــنـوا السّربــاتِ
إذا وُتـروا ، مَـدّوا إلى واتِـريهم   أكفـاً ، عن الأوتـارِ منقبضــاتِ
فلولا الذي أرجوه في اليوم، أو غد،   لقــطع قلبي ، إثــرهم حسراتي
خُروج إمامٍ ، لا محالة خـارجٍ   يَقومُ على اسمِ الله ، والـبركاتِ

قـال صاحب (طبقات النحاة) في ذيل ترجمـة محمد بن محمـد بن جعفر ابن لنكك أبي الحسين البصري : قال ابن النجار : كان من النحاة الفضلاء ، والأدباء النبلاء ، وله أشعار حسنة . قدم بغداد ، وروى قصيـدة دعبل التي أوّلهـا مدارس آيات خَلَت من تلاوةٍ .

عن أبي الحسـين العباداني ، عن أخيـه ، عن دعبل ، رواهـا عنه عبيـد الله جخجخ النحوي ، وله يعني لأبي الحسين المذكور :

يَعيبُ النــاسُ كُلُّهُم الـزمـانَـا   ومــا لـزمـانِنَـا عيب ســوانَـا
نَعيبُ زمـانَنـا والـعيبُ فينــا   ولـو نَـطَقَ الـزمـانُ إذاً هجـانـا
ذئــابٌ كـلُّنـا في خَـلقِ نــاسٍ   فسبحــانَ الــذي فيـه بَــرانـا
يَعـافُ الـذئب يـأكـل لحم ذئبٍ   ويـأكُلُ بعضُنـا بعضاً عيـانـاً[١]

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٢١٩ .

هذا وقال صاحب كتاب (بحار الأنوار) عقيب ذكره لقصيدة دعبل المشار إليها بالتمام وبيان ما افتقر منها إلى البيان قال صاحب الأغاني يعني أبا الفرج الأصفهاني قصد دعبل ابن علي الخزاعي بقصيدته هذه علي ابن موسى الرضا (عليه السلام) بخراسان فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه وخلع عليه خلعة من ثيابه ولم يزل دعبل مرهوب اللسان ويخاف من هجائه الخلفاء[1] قال ابن المدبّر لقيت دعبلاً فقلت له أنت أجسر الناس حيث تقول في المأمون :

إنّي من القوم الذين سيوفُهم قَتَلَت أخاكَ ، وشرّفتكَ بمقعَدِ
رَفَعوا محلّك ، بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الأوهدِ

فقال لي أبا إسحاق إني أحمل خشبتي منذ أربعين سنة .

ولا أجد من يصلبني عليها .

ونقل أيضاً من مراثيه الكثيرة في الرضا (عليه السلام) هذا البيت .

يا حسرة تتردّد وعبرة ليس تنفد على علي بن موسى بن جعفر بن محمد

وكذا قوله :

يا نكبة جاءت من الشرق لم تتركن مني ولم تبق
موت علي بن موسى الرضا من سخط الله على الخلق
وأصبح الإسلام مستعبراً لثلمة بائنة الرّتق
سقى الغريب المبتغى قبره بأرض طوس سيّل الودق
أصبح عيني مانعاً للكرى وأولع الأحشاء بالخفق

وقوله :

ألا أيها القبر الغريب محلّه بطوس عليك الساريات هَتُونُ
شككت فما أدري أمسقي بشربة فأبكيك أم ريب الردى فَتَهون ؟
أيا عجباً منهم يسمونك الرضا ويلقاك منهم كلحة وغُضُون[1]

---

(١) الأغاني ج ١٨ ص ٢٩ .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٥٧١ .

وروى الصدوق أيضاً عن البيهقي عن الصولي عن المهلبي عن دعبل بن علي قال جاءني خبر موت الرضا (عليه السلام) وأنا بقم فقلت قصيدتي الرائية [في مرثيته (عليه السلام)] :

أرى أمية معذورين إن قَتَلوا ... ولا أرى لبني العباس من عُذرِ
أولاد حرب ومروان وأسرتهم ... بنو مُعيط ولاة الحقد والوَغَرِ
قومٌ قَتَلتم على الإسلام أوّلهم ... حتى إذا استمكنوا جازوا على الكفرِ
أربع بطوس على القبر الزكي به ... إن كنت تربع من دين على وطرِ[1]
قبران في طوس خير الناس كلهم ... وقبرِ شرهم ، هذا من العِبرِ
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ، وما ... على الزكي بقربِ الرجس من ضررِ
هيهات : كل امرىءٍ رهن بما كسبت ... له يداهُ فخُذ ما شئت أو فَذَر[2]

وعن « الاحتجاج » و« أمالي الشيخ » نقلاً عن المفيد والحسن بن اسماعيل جميعاً بالإسناد عن يحيى بن أكثم القاضي عن أبيه قال:أقدم المأمون دعبل بن علي الخزاعي وآمنه على نفسه فلمّا مثل بين يديه وكنت جالساً بين يدي المأمون فقال له : أنشدني قصيدتك الكبيرة فجحدها دعبل وأنكر معرفتها .

فقال له لك الأمان عليها كما أمنتك على نفسك ، فأنشده :

تأسفت جارتي لما رأت زوري ... وعدت الحلم ذنباً غير مغتفر
ترجوا الصبا بعد ما شابت ذوائبها ... وقد جرت طلقاً في حلبة الكبر
أجارتي أن شيّب الرأس يعلمني[3] ... ذكر المعاد وأرضائي عن القدر
لو كنت أركن للدنيا وزينتها ... إذا بكيت على الماضين من نفر
أخنى الزمان على أهلي فصدّعهم ... تصدّع الشعب لاقى صدمة الحجر
بعض أقام وبعض قد أصاب بهم ... داعي المنية والباقي على الأثر
أمّا المقيم فأخشى أن يفارقني ... ولست أوبة من ولّى بمنتظرِ
أصبحت أخبر عن أهلي وعن ولدي ... كحاكم قصّ رؤيا بعد مدّكر

---

(١) أربع بطوس على القبر الزكي إذا ... ما كنت تربع من دين على وطر
(٢) العيون ج ٢ ص ٢٥١ .
(٣) ثقلني نفلني نفليني .

أو لا تشاغل عيني بالأولى سلفت(١) — من أهل بيت رسول الله لم أقر
وفي مواليك للحزين مشغلة — من أن يبيت بمفقود على أثر
كم من ذراع لهم بالطف بائنة — وعارض بصعيد الترّب منعفر
أمسى الحسين ومسراهم بمقتله — وهم يقولون هذا سيّد البشر
يا أمّة السوء ما جازيت أحمد في — حُسن البلاء على التنزيل والسُّور
خَلفتموه على الأبناء حين مضى — خلافة الذئب في إنقاذ ذي بقر

قال يحيى فأنفذني المأمون في حاجة فعدت وقد انتهى إلى قوله :

لم يبق حيّ من الأحياء نعمله — من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
إلاّ وهم شركاء في دمائهم — كما يشارك أيسار على جزر
قتلاً وأسراً وتخويفاً ومنهبة — فعل الغُزاة بأهل الروم والخزر

أرى أمية . . إلى آخر ما نقلناه عن الصدوق قبيل هذا.ومن أخبار دعبل أيضاً بنقل الصدوق عن البيهقي عن الصولي عن أحمد بن اسماعيل بن الخصيب أنّه لما ولي الرضا (عليه السلام) العهد خرج إليه ابراهيم بن العباس ودعبل بن علي وكانا لا يفترقان ورزين بن علي أخو دعبل فقطع عليهم الطريق فالتجأوا إلى أن ركبوا إلى بعض المنازل حميراً كانت تحمل الشوك فقال ابراهيم [وأنشد] :

أعيدت بعد حمل الشوك أحمالاً من الخزف
نشاوى لا من الخمر بل من شدّة الضعف

ثم قال لرزين بن علي أجزها فقال :

فلو كنتم على ذاك تصيرون إلى القصف
تساوت حالكم فيه ولا تبقوا على الخسف

ثم قال لدعبل أجز يا أبا علي فقال :

فإذا فات الذي فات فكونوا من ذوي الظرف
وخفوا نقصف اليوم فأنّي بائع خفي(١)

---

(١) لولا تشاغل دمعي « نفس » بالأولى سلفوا .
(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤١ .

ومنهـا بـروايـة شيخنا الصـدوق أيضـاً عن عـلي بن عيسى المجـاور عن اسماعيل بن رزين عن دعبل بن علي عن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن آبـائه الـطاهرين قال: قال رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) أربعـة أنا لهم شفيع يوم القيامة : المكرم لذريتي من بعدي ، والقاضي لهم حوائجهم ، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليها ، والمحبّ لهم بقلبه ولسـانه ورواه ابن الشيـخ أيضاً في مجالسه بالإسناد عن علي بن علي بن دعبل أخي دعبل بن علي كما في النسخ الصحيحـة ولم أدرما معنـاه ولا معنى ما مضى من قبيـل ذلك عن مجـالس أبيـه فـلا تغفل ! ومنها بنقل صاحب البحار عن كتاب الدلائل للحمـيري أنّ دعبل بن عـلي هذا دخل على الرضا (عليه السلام) فأمر له بشيء فأخذه ولم يحمد الله فقال له لِمَ لم تحمد الله قال ثمّ دخلت بعده على أبي جعفر (عليه السـلام) فأمـر لي بشيء فقلت الحمد لله فقال تأديت ومنها برواية صاحب الكشكول قال كان بين دعبل والـرقاشي مهاجاة شديدة فمن جملته قول الرقاشي في دعبل :

لـدعبـل نـعـمـةٌ يمـت بهـا فَلَسْتُ حتى الممـاتِ أنسـاهـا
أدخـلنـا داره فـأكـرمـنـا فـدَسّ مـرأتـه فـنـكـنـاهـا

فلما بلغ هذا البيتان دعبلاً قال لو قال : « فبعناها » كان أبلغ في الهجا وأعفّ له ولدعبل في الرقاشي :

إنّ الـرقـاشي مـن تـكـرمـه بَـلّغـه الله مـنـتـهـى همـمـه
يـبـلغ مـن بِـره ورأفـتـه حمـلان أخـوانـه عـلى حـرمـه

وأيضاً في الكشكول أنّه قيل لدعبل الشاعر ما الوحشة عندك فقال :

النظر إلى الناس ثم أنشد :

مـا أكثر النـاس لا بـل مـا أقلّهم الله يـعـلم إني لم أقـل فـنـداً
إنّي لأفتـح عيني حـين أفتحهـا عـلى كثيرٍ ولكن لا أرى أحـداً

وفي الوفيات أنّه كان بين دعبل ومسلم بن الوليد الأنصاري اتّحاد كثير وعليه تخرّج دعبل في الشعـر فاتّفق أنّ وليّ مسلم جهـة في بعض بلاد خـراسان أو فـارس فقصـده دعبـل لمـا يعلمـه من الصحبـة التي بينهما فلم يلتفت مسلم إليـه ففـارقـه وعمل :

غَشَشت الهوى حتّى تدانت أصوله بنا وابتذلت الوَصل حتّى تَقَطّعا
وأنزلتَ من بين الجوانح والحشا ذخيرة وُدّ طالما قد تمنّعا
فلا تعذلني ليس لي فيك مطمع تخرّقت حتى لم أجد لي مرقّعا
فهبك يميني استؤكلت فقطعتها وصبّرت قلبي بعدها فتشجعا

قال ومن شعره في الغزل :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضَحكَ المشيب برأسه فبكى
يا ليت شعري كيف نومكما يا صاحبي إذا دمي سفُكا
لا تأخذا بظُلامتي أحداً قلبي وطرفي في دمي اشتركا

ومن شعره في مدح المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي أمير مصر :

زمني بمطلب سُقيت زماناً ما كنت إلا روضة وجنانا
كُلّ الندى إلا نداكَ تكلّف لم أرضَ غيرَكَ كائناً ما كانا
أصلحتني بالبرّ بل أفسدتني وَتَركتَني أتَسخّطُ الإحسانا

ومن كلامه في فضل الشعر أنّه لم يكذب أحد قط إلاّ احتواه الناس إلاّ الشاعر فإنّه كلّما زاد كذبه زاد المدح له ، ثمّ لا يقنع له بذلك حتى يقال له : أحسنت والله فلا يشهد له شهادة زور إلا ومعها يمين بالله تعالى . قلت : وهذا يشبه ما عن الخليل بن أحمد المتقدّم ذكره أنّه قال أنّ الشعراء أمراء الكلام يتصرفون فيه أنّى شاؤوا وجاز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده وتسهيل اللفظ وتعقيده ، وإليه يشير إيضاً ما تقدّم عن حسان بن ثابت الشاعر لرسول الله أنّه قال ما يجود شعر من يتقي الكذب والإسلام يحجزني عنه ، وما نقل عن الفرزدق أنّه أنشد سليمان بن عبد الملك قصيدته التي يقول فيها :

فبتن بجانبي مصرّعات[١] وبتّ أفض أغلاق الختام

فقال له : ويحك يا فرزدق أقررت عندي بالزنا ولا بد من حدّك فقال كتاب الله يدرأ عني الحدّ قال وأين ؟ قال قوله تعالى :

﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنّهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ .

---

(١) في ابن قتيبة « فبتن جنابتي مطرحات » .

فضحك وأجاره وعن هذه القصة أخذ صفي الدين الحلي فيما يقول :

نَحنُ الـذينَ أتى الكتـابُ مخبّـراً   بِعفـافِ أنفُسنـا وفِسقِ الألسنِ

وسنح لي أيضاً بالبال الفاتر من فوري هذا في ذلك المعنى أن أقول :

تـأثّـر الـنفس بـالأشعـارِ مـن أذن   منهـا إليهـا لمـا فيـهـا من الكـذبِ
ألا تـرى كيف تعرى الـوقـع لـو وقعت   صِـدقـاً كنـثر بـه لم يؤتَ من عجب
فمن رأى شـاعراً ذا الصـدق لو صَدَقا   فقـد لقـي وهــو شــاة وردة القـصبِ

ويناسب ذلك أيضاً ما نقل عن أبي بكر الخوارزمي في صفة الشعراء : ما ظنّك بقوم الاقتصاد محمود إلّا منهم ، والكذب مذموم إلّا فيهم ، إذا ذمّوا ثلبوا ، وإذا مدحوا سلبوا وإذا رضوا رفعوا الوضيع ، وإذا غضبوا وضعوا الرفيع ، وإذا افتروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حدّ ولم يمتد إليهم يد ، غنيّهم لا يصدّر ، وفقيرهم لا يحقّر ، وشيخهم لا يوقّر وشابهم لا يستصغر وسهامهم تنفذ في الأغراض ، إذا نبت سهامهم عن الأغراض .

وشهادتهم مقبولة وإن لم ينطق بها سجل ، ولم يشهد عليها عدل ، سرقتهم مغفورة وإن جاوزت ربع دينار ، وبلغت ألف قنطار ، إن باعوا المغشوش لم يرد عليهم ، وإن صادروا الصديق لم يتوحش منهم ، ما ظنّك بقوم اسمهم ناطق بالفضل ، واسم صناعتهم مشتقّ من العقل هم أمراء الكلام ، يقصّرون طويله ويقصّرون مديده ، ويخففون ثقيله ، انتهى .

وكان دعبل الموصوف ابن عمّ أبي جعفر محمد بن عبد الله بن رزين الملقب أبا الشيص الخزاعي الشاعر المشهور وكان أبو الشيص من مدّاح الرشيد ولما مات رثاه ومدح ولده الأمين وجدّه رزين مولى عبد الله بن خلف الخزاعي والد طلحة الطلحات وكان عبد الله المذكور كاتب عمر بن الخطاب على ديوان الكوفة .

وقد عرفت الإشارة إلى جده الأعلى وأخيه وجملة من ذريّته المنتجبين أيضاً في الضمن كالإشارة السابقة منا إلى تاريخ ولادته ووفاته فلا تغفل ولمّا توفي دعبل وكان صديقاً للبحتري وكان أبو تمام الطائي قد مات قبله ـ كما تقدم ـ رثاهما البحتري بأبيات منها :

قَـدْ زادَ في كَلَفي وأوقـدَ لـوعتي   مَثـوى حبيبٍ يوم مـات ودعبـلِ

أخـوي لا تـزل السـماء مخيلةً تغشـا كـما بسماء مُـزنٍ مسبِـلِ
جَـدَثٌ على الأهـواز يبعُـد دونَـهُ مسرى النّعي ورمّـة بـالموصِـلِ

ودعبل بكسر الدال المهملة وسكـون العين المهملة وكسر البـاء الموحـدة على زنة زبرج اسم للناقة الشارف وكان يقول : مررت يوماً بـرجل قـد أصابـه الصرع فدنوت منه وصحت في أذنه بأعلى صوتي : دعبل فقـام يمشي كأنّـه لم يصبه شيء[1] ونسبته إلى خزاعة بضمّ الخاء المعجمة وهو حي من الأزد كما في القاموس هذا ونقل شيخنا الصدوق أيضاً في العيون : قـال سمعت أبا نصر محمـد بن الحسن الكرخي الكاتب ، يقول : رأيت على قبر دعبل بن علي الخزاعي مكتوباً :

أعَـدَّ لله يَـومَ يَـلقَـاهُ دعـبـلُ أن لا إلَـه إلاّ هُـو
يَقـولُهـا مُخلصـاً عسَـاه بِهـا يَـرحَمُـهُ في الـقـيـامـة الله
الله مـولاه والـرسـول ومـن بعـدهمـا فـالـوصي مـولاه[2]

وعن أحمـد بن محمـد الهـرمـزي عن أبي الحسن داوود البكـري قـال سمعت علي بن دعبل ابن علي الخزاعي ، يقول : لما أن حضر أبي الوفاة تغيّر لونـه وانعقد لسانه واسودّ وجهه ، فكدت الرجوع عن مذهبـه فرأيتـه بعد ثـلاث أيام فيـما يرى النائم وعليه ثياب بيض وقلنسوه بيضاء فقلت له : يا أبة ما فعل الله بك ؟ فقال يـا بني إنّ الـذي رأيته من اسـوداد وجهي وانعقاد لسـاني كان من شربي الخمـر في دار الـدنيا ولم أزل كـذلك حتى لقيت رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) وعليـه ثياب بيض [وقلنسوه بيضاء] فقال لي : أنت دعبل ؟ قلت:نعم يا رسـول الله.قال فأنشدني قولك في أولادي.فأنشدته قولي :

لا أضحك الله سنّ الدهر إن ضحكَتَ وآل أحمـد مـظلومـون قـد قـهـروا
مُشرّدون نـفـوا عـن عـقـر دارهـم كـأنّهم قـد جنـوا مـا ليس يغتـفـر

. وقـال فقال لي أحسنت وشفـع في وأعطاني ثيـابه وهـا هي وأشـار إلى ثيـاب بدنه[3] .

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧ .
(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٦٧ .
(٣) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٦٦ .

الشيخ أبو بكر دلف بن جحدر والشبلي الأسيرشي الأصل البغدادي المولد والمنشأ ذكرنا ترجمته في باب الجيم باعتباره قوة احتمال كون اسمه جعفراً فليراجع .

٢٩٩
الراجز الأديب المشهور أبو محمد رؤبة بن أبي الشعثاء الملقب بالعجاج(*)

عبد الله بن رؤبة بضمّ الراء وسكون الهمزة ، وبعدهما الهاء الساكنة ، البصري التميمي السعدي ، قال الزمخشري : وهو من أمضغ العرب للشيح والقيصوم ، يريد بذلك تحقيق أنّه بدوي ، لا حقيقة المضغ ، لأن هذين النبتين لا يمضغهما الآدميون ، ونقل أنّه وأباه العجاج راجزان مشهوران ، وشاعران مشكوران مجيدان في صنعتهما ويتمثّل بأشعارهما في المصنفات كثيراً ولا سيما في كتاب « مجمع البيان » لشيخنا الطبرسي ولكلّ من الرجلين أيضاً ديوان رجز مشهور لا يوجد فيه سوى الأراجيز وبحر الرجز عند أهل العروض ما كان بناؤه على ستة مستفعلن أم ثمانية ، وكان الثاني يختص بالأشعار الفارسية ، كما أن بحر الهزج عندهم ما يقابل بستّة مفاعيل أم ثمانية كذلك وبحر الرمل ما يوازن بلفظة فاعلات كذلك ويجمعها هذه الدائرة المؤتلفة الموضوعة لمخارج الفارسية منها . وكما أن أجزاء المنسرح من البحور ما كان على زنة مستفعلن مفعولات أربع مرات : وأجزاء المضارع ما يوافق مفاعيلن فاعلاتن كذلك وأجزاء المقتضب ما يطابق مفعولات مستفعلن بهذا العدد وأجزاء المجتث ما يكافي أربعة من مستفعلن فاعلاتن يجمعهن أيضاً هذه الدائرة الموسومة بالمختلفة ، لاختلاف أفاعيلها

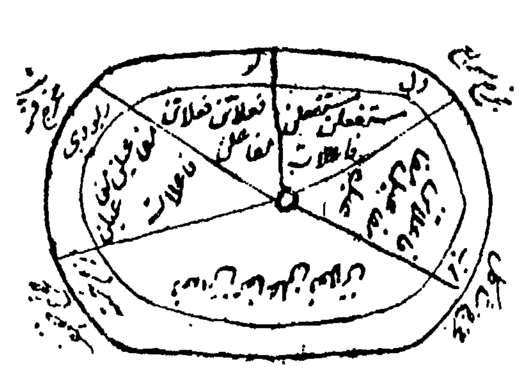


(*) له ترجمة في : البداية والنهاية ج ١٠ ص ٩٦ ، خزانة الأدب ج ١ ص ٨٩ ، شذرات الذهب ج ١ ص ٢٣٣؛ . الشعر والشعراء ص ٥٧٦ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٤٦٤ ، معجم الأدباء ج ٤ ص ٢١٤ ، المؤتلف والمختلف ص ١٢١ ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٦٣ .

بخلاف الدائرة الأولى وصورة هذه الدائرة المستخرجة من أشعار العجم بمخارجها الأربعة هكذا :



وكما أنّ بحر السريع يؤخذ من مستفعلن مستفعلن مفعولات مرتين وبحر الجديد يستخرج من فاعلاتن مستفعلن كذلك ، وبحر القريب يستنبط من مفاعيلن مفاعيلن فاعلاتن هكذا وبحر الخفيف ينتزع من فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مثلها وبحر المشاكل يطلع من فاعلاتن مفاعيلن مفاعيلن بهذه العدة ووضعوا أيضاً لجمع مخارجهنّ الخمسة دائرة سمّوها بالمنتزعة على هذه الصورة ، وكما أنّ بناء المتقارب والمتدارك على خماسيات من الأفاعيل ركّبت من متحرّكات ثلاثة وساكنين فأجزاء المتقارب ثماني مرّات فعولن وأجزاء المتدارك مثل ذلك فاعلن ، ويجمعها أيضاً هذه الدائرة[١] الموسومة عندهم بالمتّفقة فهذه أربعة عشر بحراً من أصول بحور الشعر المرتقية إلى تسعة عشر ، اختص بالعجم بعضها ، وكأنّها أربعة مما اجتمع في هذه الدوائر الأربع وخصّ أيضاً بالعرب في الأغلب خمسة آخر منها لم تحط بها دائرة من أشعار العجم تكون هي تحتها وهي بحر الطويل والمديد والبسيط ، والوافر ،



(١) ليس في الأصل رسم الدائرة .

والكامل ، فالأول منها ما كان على زنة فعولن مفاعيلن مرتين ، والثاني ما كـان على زنة فاعـلاتن فاعلن كـذلك ، والثالث ما كـان على زنـة مستفعلن فاعلن مثلهـما ، والرابع ما كان عـلى وزن مفاعلتن ثلاث مرات والخامس ما كان على وزن متفاعلن كـذلك ، وغـالب أشعار العـرب على هـذه الأوزان الخمسة أو الـرجـز المنسرح أو الخفيف وخصوصاً الأول والآخر من الأول والأخير من الأواخر ، كما أن بنـاء شعر العجم من كلّ أولئك القبيـل قليل ، وقـد نظم لتعـريف كلّ من أولئـك بالعـربية مصرعـان يرشـدانك إلى سبيـل المعرفـة بـأمثلة سـائـر الأوزان من أشعـار العـرب والعجم وهي هذه :

طَـويلٌ لـه دون البُحورِ فضـائِلُ　　فعـولن مَفاعيلن فعـولٌ مفـاعِـلُ
المديد بحره في العروض فـاضل　　فاعلاتن فـاعِلن فاعـلاتن فاعِـلُ
إنّ البسيط لـديـه يبسط الأمـــلُ　　مستفعلن فـاعِلن مُستفعلن فَعِلُ
بُحـــورِ الشعـر وافِـرهـا جميـلُ　　مَفــاعِلتـن مَفــاعـلتن فَـعُـــولُ
كمل الجمالِ من البُحورِ الكامِلِ　　مُتفــاعِلن مُتفـاعِلن مُتفــاعِـــلُ
أرجــوزة الأوزان بحـرٌ يفضُـــل　　مُستفعِلن مُستفعِلن مُـستـفعـــلُ
مُـــنسرح فيـــه يضرب المـثـــل　　مُستفعلن مَفـعـــولات مُفـتعـــلُ
يـا خفيفاً خفّت بـه الحـركـات　　فــاعـلاتٌ مُستفعلن فــاعـلاتٌ

وقصيدة الحميري المعروفة التي مطلعها :

لأمّ عـمــرٍو بِـالـلّوى مَــربَـع　　طــامِـــسـةٌ أعــلاَمــهُ بـلقــعُ

على بحر السريع كما نظم في تعريفه :

بَحـــرٌ سريعٌ مـــا لَـهُ ســاحِـلٌ　　مُستفعِـلن مُـستفـعِلن فــاعِـلُ

وعليك باستخراج سائر بحور الشعر التسعة عشـر مع سائر فروعهـا وشعبها الكثـيرة التي ترجـع إلى شيء منها لا محـالة من كلمات العـرب والعجم ، حسب ما شئت وقـد عرفت من قبـل في ترجمـة الخليل بن أحمد أنّه أول من استنبط العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً ثم زاد فيه الأخفش بحراً آخر وسمّاه الجنب وهـو الذي يعـرف الآن ببحر المتـدارك كما عـرفت ، وقيل أنّ الأخفش كـان يقول بـأن بحـر الـرجز خـارج عن بحور الشعـر بخلاف الخليل هذا .

ثمّ إنّ صاحب الوفيات قد أورد في شأن أبي محمد المذكور أنّه كان بصيراً باللغة قيّماً بحواشيها وغريبها ، ثم قال : حكى يونس بن حبيب النحوي قال : كنت عند أبي عمرو بن العلاء فجاءه شبيل بن عروة الضبعي ، فقام إليه أبو عمرو وألقى له لبد بغلته ، فجلس عليه ثم أقبل عليه يحدثه ، فقال شبيل : يا أبا عمرو ، سألت رؤبتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه يعني رؤبة قال يونس فلم أملك نفسي عند ذكره .

فقلت له : لعلك تظنّ أنّ معد بن عدنان أفصح منه ومن أبيه ، أفتعرف أنت ما الرّوبة والرّوبة ، والرّوبة ، والرّوبة ، والرؤبة ، وأنا غلام رؤبة فلم يحر جواباً ، وقام مغضباً ، فأقبل إلى[1] أبو عمرو وقال هذا رجل شريف ، يقصد[2] مجالسنا ويقضي حقوقنا ، وقد أسأت فيما فعلت مما واجهته به ، فقلت : لم أملك نفسي عند ذكر رؤبة فقال أبو عمرو أو قد سلطت على تقويم الناس .

ثم فسّر يونس ما قاله فقال الرّوبة خميرة اللبن ، والرّوبة قطعة من الليل ، والرّوبة الحاجة يقال فلان لا يقوم بروبة أهله أي بما أسندوا إليه من حوائجهم والرّوبة : جمام ماء الفحل والرؤبة بالهمزة القطعة التي يُشعب بها الإناء والجميع بضمّ الراء وسكون الواو إلّا رؤبة فإنها بالهمز وكان رؤبة مقيماً بالبصرة ، فلما ظهر بها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وخرج على أبي جعفر المنصور وجرت الواقعة المشهورة خاف رؤبة على نفسه وخرج إلى البادية ليتجنب الفتنة فلما وصل إلى الناحية التي قصدها أدركه أجله بها ، فتوفي هناك سنة خمس وأربعين ومئة وكان قد اسنّ انتهى[3] .

وذكر الفاضل العيني في ترجمة والده العجاج بعد تكنيته بأبي هريرة أنّه روى عنه وكان من أعراب البصرة مخضرمة أدرك الدولتين وابنه رؤبة أيضاً كان مقيماً بالبصرة توفي سنة خمس وأربعين ومئة بالبادية وفي محاضرات الراغب أنّ رؤبة كان

(١) في الوفيات : على .
(٢) في الوفيات : يزور .
(٣) الوفيات ج ٢ ص ٦٣ .

يأكل الفار فقيل له ألا تستقذره ؟ فقال : هو والله يأكل فاخر متاعنا[1] وبنقل آخر هو أنظف من دجاجكم ودواجنكم اللاتي تأكل العذرة وهل يأكل الفار إلاّ نقي البر ولبابات الطعام .

هذا ومن جملة أشعاره الفاخرة قوله من جملة قصيدته المرجزة التي تنيف على مئة وسبعين بيتاً كما في شرح الشواهد :

وقاتم الأعماق خاوي المُخترق ... مُشتبه الأعلام لمّاع الخفق

وهو من شواهد الحاق النون الساكنة التي يؤتى بها للدلالة على الوقف ، وتسمى عند أهل العربية بالتنوين الغالي ،وهي لا تلحق إلاّ القافية المقيّدة ، أي الساكنة ، لتظهر فائدتها دون المطلقة كما أفيد منها قوله :

لَتَقعدَنّ مقعدَ القصي ... مني ذرى القاذورة المقلى

أو تحلِفي بِربكَ العلي ... أنّي أبو ذيّا لك الصبي

٣٠٠

الشيخ أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ ، مولى آل المنكدر التيميين ثم « من » قريش المعروف بربيعة الراي(*)

هو فقيه أهل المدينة ، وأدرك جماعة من الصحابة رحمة الله عليه وعنه أخذ مالك بن أنس أحد الأئمة الأربعة .

وقال مالك في حقه : ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة الرأي وقال بكر بن عبد الله الصنعاني : أتينا مالك بن أنس ، فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي ، فكنّا نستزيده من حديث ربيعة ، فقال لنا ذات يوم : ما تصنعون بربيعة وهو قائم في ذاك الطاق ؟ فأتينا ربيعة فأنبهناه وقلنا له : أنت ربيعة بن أبي عبد الرحمن.قال:نعم قلنا : ربيعة بن فروخ.قال:نعم.قلنا:ربيعة الراي قال : نعم ، قلنا أنت الذي

(١) المحاضرات ج ٢ ص ٦٢٧ .

(*) له ترجمة في : تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٢٠ ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٤٨ ، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٥٨ ، صفة الصفوة ج ٢ ص ٨٣ ، ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤٤ . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٠ .

يحدث عنك مالك بن أنس ؟ قال نعم ، فقلنا كيف حظي بك مالك وأنت لم تحظ بنفسك ؟ قال أما علمتم أنّ مثقالاً من دولة خير من حمل علم ؟ كذا ذكره ابن خلّكان وكان ربيعة يكثر الكلام فكان يوماً يتكلم في مجلسه ، فوقف عليه أعرابي دخل من البادية فأطال الوقوف والإنصات إلى كلامه ، فظن ربيعة أنّه قد أعجبه كلامه ، فقال يا أعرابي ، ما البلاغة عندكم ؟ فقال : ألا يجاز مع إصابة المعنى ، فقال : وما العيّ. فقال:ما أنت فيه منذ اليوم ، فخجل ربيعة(١) .

وكان وجه تسميته بربيعة الراي أنّه أوّل من فتح على نفسه العمل بالراي والقياس في أحكام الشريعة وكتب فيها وأفتى الناس عليها وبادر إلى أجوبة مسائل العوام بذلك وبالغ في تشييد مباحث تلك المسالك . ومن جملة كلماته بنقل حمداً لله المستوفي في تاريخه خمسة أقوام هم أعزّ الخلائق يعني أندرهم في العالم وجوداً:عالم زاهد.فقيه صوفي.غني متواضع ، فقير شاكر ، شريف سني ، ومراده بالشريف هو السيد العلوي بناءاً على الإصطلاح القديم ، وجدير بأن يلتحق بهم خمسة أخرى وهي سوقي متورع ، وبدوي فقيه ، وجميل متعفف،وطمّاع عزيز ، وشاعر صادق ، فتكون تلك عشرة كاملة وكانت وفاته في سنّ أربع وستين سنة ستّ وثلاثين ومئة ، بالهاشمية ، وهي مدينة بناها السفاح بأرض الأنبار ، ثم أنّ في هذه السنة بعينها أم سنة قبلها كما عن كتاب شذور العقود كانت وفاة شبيهته في الإسم أم الخير رابعة ابنة اسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك وهي من مشهورات نساء التصوّف معروفة بين رجال الطريقة بغاية الزّهد والورع والتعرف ، ولها أيضاً حكايات طريفة ومواعظ شريفة تلتمس من مواضعها المخصوصة وهي مدفونة بظاهر القدس على رأس جبل وقبرها يزار كما قيل وأما ربيعة بن الحسن بن عبد الله بن علي بن يحيى بن نزار اليمني الحضرمي الذماري أبو نزار اللغوي النحوي الأديب الشاعر المشهور فهو من علماء أواخر المئة السادسة كما ذكره صاحب البغية قال وذكره السبكي في طبقات الشافعية وقال سمع السلفي وخلقا وسمع منه المنذري وابن خليل وجماعة ومات في سنة تسع وستّ مئة عن أربع وثمانين سنة(٢) .

(١) الوفيات ج ٢ ص ٥٠ . .

(٢) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٦٦ .

٣٠١
الشيخ المتورع الكامل أبو زيد ربيع بن خثيم الأسدي الثوري التميمي الكوفي(*)

المتنسّك الأديب اللغوي المفسّر المحدّث الصوفي المتعبّد المذكور أقواله في التفسير وغيره في « مجمع البيان » هو الشيخ المتقدّم الإمام المتبحر المدفون بأرض خراسان في جوار مولانا الرضا (عليه السلام) ، المعروف بين الأعاجم بخواجة ربيع هو أحد الزهّاد الثمانية المشهورين المفصّلة أسماؤهم في ذيل ترجمة الحسن بن أبي الحسن البصري ، إلّا أنّ ساحة جلالته بريئة عن إصابة كدورات الريب ، وإرابة عثورات العيب ، متقدّم في الظاهر على سائر أربعتهم الذين كانوا كذلك ، كما نقل عن الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري أنّه سئل عن الزهّاد الثمانية .

فقال : الربيع بن خثيم ، وهرم بن حيان ، وأويس القرني ، وعامر بن عبد قيس ، وكانوا مع علي (عليه السلام) ومن أصحابه وكانوا زهّاداً أتقياء ثم أخذ في الطعن على بقيتهم بما لا مزيد عليه ، وقد تقدّم الكلام عليهم جميعاً في ذيل ترجمة الحسن البصري ، وكان الربيع ورعاً قانتاً مخبتاً ربانياً حجة أخذ عن ابن مسعود وأبي أيوب ، وأخذ عنه الشعبي وابراهيم كما عن « مختصر الذهبي » وكأنّ المراد بإبراهيم هو إبراهيم بن أدهم المتنسّك المشهور ، وإبراهيم بن محمد الفزاري العابد ، أو إبراهيم بن ميمون الصايغ الذي قتله أبو مسلم ، وقال صاحب « إكليل الرجال » في ترجمة بكر بن ماعز الكوفي : أنّه كان من العبّاد ، يروي عن الربيع بن خثيم ، روى عنه نسير بن ذعلوق .

وقال أيضاً في ترجمة نفس الرجل : أنّه كان من العبّاد السبعة وذكره شيخنا البهائي ضاعف الله بهاءه في جملة ما أصدره بالفارسية في جواب أسئلة السلطان العادل الشاه عباس الصفوي الموسوي الماضي أنار الله تعالى برهانه على هذه الصورة : بعض مير سانند كه خواجه ربيع از أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبسيار مقرّب آنحضرت بود ، ودر كشتن عثمان نيز دخلي

(*) له ترجمة في : البنيان الرفيع ، تهذيب التهذيب ج ٣ ص٢٤٢ ، حلية الأولياء ج ٢ ص ١٠٥ ، مجالس المؤمنين ص ١٢٧ .

داشت ، ودر وقتيكه لشگر إسلام به خراسان بجهاد كفّار آمده بود همراه بوده ، ودر آنجا فوت شد .

واز حضرت إمام رضا (عليه السلام) منقولستكه فرمود مارا از آمدن بخراسان فايده نرسيد بغير از زيارت خواجه ربيع ، انتهى .

وفي بعض ما أرسل عنه (عليه السلام) أنّه قال لم يجرني إلى هذه الناحية إلاّ شوق زيارته وفي « مجالس المؤمنين » نقلاً عن ثقاة تلك الديار أنّ مولانا الرضا (عليه السلام) كان يجيء إلى زيارة ذلك القبر المطهّر كثيراً منذ قدم إلى طوس المبارك ، وفي بعض مصنفات حمد بن أبي بكر بن حمد بن نصر المستوفى في صاحب كتاب(نزهة القلوب)وغيره أنّ ربيع ابن خثيم هذا كان والياً بقزوين من قبل مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) وعن تاريخ ابن أعثم الكوفي أنّه كان آخر من اتّصل بعلي (عليه السلام) من جملة ولاة أمره حين توجّهه إلى حرب صفين ، وكان (عليه السلام) ينتظر وروده فورد في أربعة آلاف من عساكر أرض الري مكمّلين مسلحين وبمحض وروده تحرّك الموكب المبارك المرتضوي إلى حرب معاوية الملعون وناهيك له بذلك درجةً وفضلاً .

ثمّ إنّ من جملة طرائف أخبار الربيع برواية صاحب « الأحياء » ـ عامله الله بما يستحقه ـ أنّه كان قد حفر في داره قبراً ، فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه واضطجع ومكث فيه ما شاء الله ثم يقول: ﴿**رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركتُ**﴾ يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعناك فاعمل ، ونقل في كشكول شيخنا البهائي رحمة الله عليه أنّه قيل للربيع بن خثيم ما نراك تغتاب أبداً ؟ فقال : لست عن نفسي راضياً فأتفرّغ لذم الناس ثم أنشد :

لِنَفسي أبكي لست أبكي لِغيرها   لِنَفسي في نفسي عن الناس شاغِلُ[١]

وفيه أيضاً أنّ من جملة كلمات الربيع : لو كانت الذنوب تفوح ما جلس أحد إلى أحد[٢] ومنها أنّ العجب من قوم يعملون لدار يبعدون منها كلّ يوم مرحلة ، ويتركون العمل لدار يرحلون إليها كل يوم مرحلة،وكان يقول إن عوفينا من شر ما

(١) الكشكول ص ١٠٠ ابن أبي الحديد ج ٩ ص ٦٥ وفيه تغيب بدل تغتاب .

(٢) الكشكول ص ١٣٢ وابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٠ .

أعطينا لم يضرنا ما زوي عنا ، قال ولما رأت أم الربيع ما يلقى هو من البكاء والسهر قالت له يا بني لعلّك قتلت قتيلاً ؟ قال : نعم يا أماه ، قالت ومن هو حتى يطلب إلى أهله فيعفو عنك ، فوالله لو يعلمون ما أنت فيه لرحموك وعفوا عنك ، فقال يا أماه هي نفسي[1] هذا وقد كان قليل الكلام جداً بحيث نقل عن بعض معتبرات الكتب أنّه لم يتكلّم بشيء من أمور الدنيا منذ عشرين سنة إلاّ أنه قال يوماً لبعض تلاميذه هل لكم مسجد في قريتكم .

فقال التلميذ نعم.وقال له:أحي أبوك أم لا ثمّ أنّه ندم وخاطب نفسه:يا ربيع قد سوّدت صحيفتك.ثمّ لم يتكلّم بشيء من أمور الدنيا إلى أن قتل مولانا الحسين (عليه السلام) فجاءه رجل وقال يا ربيع قتل ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : فلم يتكلّم ثم جاءه ناع آخر وأخبره بذلك فلم يقل شيئاً إلى أن ورد عليه ثالث بالخبر ، فبكى وقرأ : ﴿ **قل أللهم فاطر السمٰوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ .

ثم لم يتكلم بعد ذلك بشيء إلى أن مات[2] وفي رواية صاحب الكشّاف أنّه لما أخبر بقتله (عليه السلام) قالوا:الآن يتكلم.فما زاد على أن قال:آه ، وقد فعلوا ثم قرأ الآية وفي رواية أنّه قال قتل من كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه ، وبرواية البحار عن تفسير الثعلبي أنّه قال لرجل ممن شهد واقعة الطف : جئتم بها معلّقات يعني برؤوس الشهداء على أسنة الرماح، فوالله لقد قتلتم صفوة لو أدركهم رسول الله(صلى الله عليه وآله سلم) لقبّل أفواههم وأجلسهم في حجره ، ثم قرأ الآية وروى الشيخ الحافظ الإمام أبو سالم محمد بن طلحة بن الحسن بن محمد الشافعي الحلبي المعاصر للمحقق الحلي ومن في طبقته من علماء أصحابنا رضوان الله عليهم في كتابه الموسوم « بمطالب السؤول في مناقب آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال نوف البكائي عرضت لي حاجة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فاستتبعت إليه جندب بن زهير والربيع بن خثيم وابن أخيه همام بن عبادة بن خثيم وكان من

(١) حلية ج ٢ ص ١١٤ .
(٢) ابن أبي الحديد ج ٧ ص ٩٣

أصحاب البرانس المتعبدين فأقبلنا إليه فلقينا حين خرج يؤم المسجد فأفضى ونحن معه إلى نفر متدينين قد أفاضوا في الأحدوثات تفكّهاً وهم يلهى بعضهم بعضاً فأسرعوا إليه قياماً فسلّموا عليه فردّ التحية .

ثم قال : من القوم فقالوا أناس من شيعتك يا أمير المؤمنين فقال هم خيراً ، ثم قال يا هؤلاء ما لي لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية احبّتنا ، فأمسك القوم حياءاً ، فأقبل عليه جندب والربيع فقالا له:ما سمة شيعتكم يا أمير المؤمنين ؟ فسكت.فقال همام وكان عابداً مجتهداً أسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصّكم وحباكم لما أنبأتنا بصفة شيعتكم،فقال:شيعتنا هم العارفون بالله ، العاملون بأمر الله ، أهل الفضائل والناطقون بالصواب ، مأكولهم القوت وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع بخعوا لله بطاعته ، وخضعوا له بعبادته ، فمضوا غاضين أبصارهم عمّا حرم الله عليهم ، واقفين أسماعهم على العلم بدينهم إلى أن عدد ما يزيد على سبعين صفة من صفات المؤمن ثم قال أولئك شيعتنا وأحبّتناومنّا ومعنا آهاً شوقاً إليهم فصاح همام صيحة ووقع مغشياً عليه فحركوه فإذا هو قد فارق الدنيا رحمة الله عليه فغسّل وصلّى عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) ونحن معه ، انتهى .

وهذه الرواية من جملة طرائف الأخبار التي يلزم على المؤمن العارف أن لا يفارقها طرفة عين وهي منقولة بطريق الشيعة أيضاً في أبواب الأصول من كتاب « الكافي » رفع الله درجة مؤلفه هكذا : محمد بن جعفر ، عن محمد بن اسماعيل ، عن عبد الله بن داهر عن الحسن بن يحيى عن قثم بن أبي قتادة الحراني ، عن عبد الله بن يونس ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال : قام رجل يقال له : همّام وكان عابداً ناسكاً مجتهداً إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يخطب فقال يا أمير المؤمنين صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر إليه ؟ فقال : يا همّام المؤمن هو الكيس الفطن ، بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه ، أوسع شيء صدراً وأذلّ شيء نفساً ، زاجر عن كلّ فان ، حاض على كل حسن لا حقود ولا حسود ، ولا وثّاب ، ولا سبّاب ، ولا عيّاب ولا مغتاب يكره الرفعة ، ويشنأ السمعة ، طويل الغم،بعيد الهم ، كثير الصمت ، وقور ، ذكور ، صبور ، شكور ، مغموم بفكره ، مسرور بفقره ، سهل الخليقة ، لين العريكة ، رصين

الوفاء ، قليل الأذى ، لا مستأفك ، ولا متهتك إن ضحك لم يخرق ، وإن غضب لم ينزق ، ضحكه تبسّم ، واستفهامه تعلّم ، ومراجعته تفهم ، كثير علمه عظيم حلمه لا يبخل ، ولا يعجل ، ولا يضجر ، ولا يبطر ، ولا يحيف في حكمه ، ولا يجود في علمه ، نفسه أصلب من الصلد ، ومكادحته أحلى من الشهد ، إلى أن قال (عليه السلام) بعد ذكره (ع) لما ينيف على مئتين كاملتين من الصفات : إن بغى عليه صبر حتى يكون الله الذي ينتصر له ، بعده ممن تباعد منه بغض ونزاهة ، ودنوه ممّن دنا منه لين ورحمة ، ليس تباعده تكبّراً ولا عظمة ، ولا دنوه خديعة ولا خلابة ، بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير ، فهو إمام لمن بعده من أهل البر قال : فصاح همام صيحة ثم وقع مغشياً عليه ، فقال امير المؤمنين (عليه السلام) : أما والله لقد كنت أخافها عليه.وقال : هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها ، فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إنّ لكل أجلاً لن يعدوه وسبباً لا يجاوزه ، فمهلاً لا تعد،فإنّما نفث على لسانك شيطان[1] هذا وقد تعرّض لشرح هذا الحديث الشريف ، في رسالة مفردة لا يخرج عن عهدة تعريفها التوصيف ، مولانا العارف الكاشف المؤيّد من عند الله المولى محمد تقي المجلسي الأصفهاني مضافاً إلى سائر ما علّقه عليه شرّاح كتاب « الكافي » وتراجمة كتب الأخبار رضوان الله عليهم أجمعين.وأمّا كيفية وفاة الرجل ففي بعض المواضع المعتبرة قيل : بينما ربيع بن خثيم جالس على باب داره ، إذ جاءه حجر فصك وجهه فسجد فجعل يمسح الدم عن جبهته ويقول لقد وُعِظت يا ربيع ! فقام ودخل داره ولم يخرج حتى أخرجت جنازته[2] وذلك في حدود سنة ثلاث وستين من الهجرة المقدسة كما في « إكليل المنهج » وعن « مختصر الذهبي » المقدّم إليه الإشارة أنه مات قبل السبعين ومرقده المطهّر إلى هذه الأوان معروف يزار من البعيد وعليه بناء عال وهو على رأس فرسخ لا أقلّ من مشهد مولانا الرضا (عليه السلام) بناحية طوس .

وذكر الشيخ ابو القاسم القشيري في رسالته إلى الصوفية أنّه لما مات الربيع بن خثيم قالت بُنية لأبيها : الأسطوانة التي كانت في دار جارنا أين ذهبت ؟

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٢٦ ، ٢٣٠ .

(٢) ابن أبي الحديد ج ١٠ ص ٤١ مع تغيير يسير .

فقال : أنّه كان جارنا الصالح يقوم من أوّل الليل إلى آخره فتوهّمت البنية أنّه كان سارية .

لأنها كانت لا تصعد السطح إلاّ بالليل ، ومما ليعلم هنا أنّ هذا الرجل غير الربيع بن خثيم المتّفق ذكره بهذا العنوان في أبواب حكم طواف المريض من كتاب تهذيب الحديث راوياً عن مولانا الصادق (عليه السلام) يقيناً وكذا هو غير الربيع بن خراش الزاهد بالكوفة المعدودة وفاته في تاريخ « أخبار البشر » من وقائع سنة إحدى ومئة وحيث أمكن أن يحتمل في الأول منهما كونه من أحفاد هذا الرجل فليس يحتمل أن يصحح ذلك بوجه في الأخير ولا ينبئك مثل خبير .

٣٠٢

المولى العالم والشيخ المرشد الكامل والقطب الواقف الأنسي والأنس العارف القدسي رضي الدين رجب بن محمد بن رجب المعروف بالحافظ البرسي(*)

سكن الحلة المحروسة وأصله من قرية برس الواقعة بينها وبين الكوفة كما في « القاموس » وضبطه بضم الباء الموحدة وإسكان الراء والسين المهملة ، وهي قرية معروفة بالعراق كما ذكره في « مجمع البحرين » في ذيل قوله في الخبر « أحلى من ماء برس » إلى أن قال : ويريد بمائها ، ماء الفرات ، لأنّها واقعة على شفيره ، أوهو من موضع يكون بين البلدتين المذكورتين .

وضبطه بكسر الباء الموحدة كما في شرح المولى خليل القزويني على « الكافي » ، ويظهر من « القاموس » أيضاً لا من بلدة بروساء التي يقال لها في هذه الأزمان برسة وهي من كبار مدن الروم القريبة العهد من التنصّر لمخالفته القياس في النسبة إلى مثل هذه اللفظة يقيناً بالواو ، مضافاً إلى مباينته للاعتبار الصحيح ، وكان رحمة الله عليه من علماء أواخر المئة الثامنة ، أم أوائل مئة بعدها معاصراً

(*) له ترجمة في : أعيان الشيعة ج ٣١ ص ١٩٣ ، أمل الآمل ج ٢ ص ١١٧ ، رياض العلماء ـ خ ـ الكنى ج ٢ ص ١٦٦ .

لأمثال صاحب المطول ، والسيد الشريف ، من علماء العامة ، ولأشباه الشيخ مقداد السيوري وابن المتوّج البحراني من فقهاء أصحابنا المعروفين .

ومن جملة ما ذكره صاحب « رياض العلماء » في ترجمته أنّه البرسي مولداً والحلّي محتداً الفقيه المحدّث الصوفي المعروف ، صاحب كتاب « مشارق الأنوار » المشهور وغيره من المصنفات الكثيرة ، على ما يظهر ما نقل الكفعمي عنها ، ومنها كتاب « مشارق الأمان ولباب حقائق الإيمان » ، قد رأيته بمازندران وغيرها وهو غير « مشارق الأنوار » المذكور وأخصر منه ، وتاريخ تأليفه سنة إحدى وثماني مئة .

وله أيضاً صورة زيارة معروفة طويلة الذيل لسيدنا أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهاية اللطف والفصاحة ورسالة « اللمعة » كشف فيها أسرار الأسماء والصفات والحروف والآيات وما يناسبها من الدعوات ، أو يقاربها من الكلمات رتبها على ترتيب الساعات وتعاقب الأوقات ، في الليالي والأيام ، لأختلاف الأمور والأحكام ، وكتاب «الدرّ الثمين» في ذكر خمس مئة آية نزلت في شأن أمير المؤمنين (عليه السلام) وكتاب « لوامع أنوار التمجيد وجوامع أسرار التوحيد » ورسالة في« تفسير سورة الإخلاص » ورسالة أخرى في كيفية « إنشاء التوحيد والصلوات على النبي وآله » مختصرة .

وكتاب آخر في بيان مواليدهم وفضائلهم وآخر في « فضائل علي (عليه السلام) » وهو أيضاً غير « المشارق » ظاهراً .

وقال الأستاذ الإستناد أيّده الله تعالى في مقدمة كتاب « بحار الأنوار » عند عدّد كتب الشرائع والأخبار المنقولة عنها فيه ، وكتاب « مشارق الأنوار » وكتاب « الألفين » للحافظ رجب البرسي ولا أعتمد على ما يتفرّد بنقله لاشتمال كتابيه على ما يوهم الخبط والخلط والإرتفاع والمحتمل عند كون لفظ الحافظ تخلّصاً له لا بمعانيه المعروفة عند أهل القراءة والحديث والتجويد .

وقال الشيخ المعاصر في « أمل الآمل » الشيخ رجب الحافظ البرسي كان فاضلاً محدّثاً شاعراً منشياً أديباً له كتاب « مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين (عليه السلام) » ورسائل في « التوحيد » وغيره وفي كتابه إفراط وربما نسب إلى الغلو وأورد لنفسه فيه أشعاراً جيدة وذكر فيه أنّ بين ولادة

المهدي (عليه السلام) وبين تأليف ذلك الكتاب خمس مئة وثمانية عشر سنة ومن شعره المذكور فيه قوله :

فَرضي ونقلي وحديثي أنتُم ... وكُل كُلي منكم وعَنكم
أنتم عند الصلاة قبلتي ... إذا وقفتُ عندكم أيّمم
خيالكم نصب لعيني أبداً ... وحبكُم في خاطري مخيّم
يا سادتي وقادتي أعتابكم ... بِجفنِ عيني لثراها ألثم
وقفاً على حديثكم ومدحكم ... جعلتُ عمري فاقبلوه وارحموا
مُنوا على الحافِظِ من فَضلكُم ... وَاستنقذوه في غَدٍ وأنعموا

وقوله :

أيّها اللائِمُ دَعني ... واستَمع مِن وَصفِ حالي
أنا عبد لعَلي المرتضى ... مَولَى المَوالي
كُلّما ازددت مديحاً ... فيه قالوا لا تَغالِ
وإذا أبصرتُ في الحقّ ... يقيناً لا أبالي
آية الله التي في وَصفها ... القول حلا لي
كم إلى كَم أيّها العاذل ... أكثرتَ جِدالي
يا عذولي في غرامي ... خَلّني عنكَ وحالي
رُح إذا ما كُنتَ تأبى ... واطرَحني وَضلالي
إنّ حبي لعلي المرتضى ... عينُ الكَمالِ
وهو زادي في مَعادي ... ومعاذي في مآلي
وبه آكملتُ ديني ... وَبِه ختَمُ مقالي

ومن جملة أشعاره الفاخرة أيضاً في مدح سيدنا أمير المؤمنين (عليه السلام) بنقل السيد نعمة الله الجزائري قدّس سره :

العقلُ نور وأنت معناه ... والكون سرّ وأنت مبداهُ
والخَلق في جمعهم إذ أجمعوا ... الكُلّ عبد وأنتَ مولاهُ
أنتَ الولي الذي مناقبه ... ما لعلاها في الخَلق أشباهُ
يا آية الله في العباد ويا ... سِرّ الذي لا إله إلاّ هو !
فقال قومٌ بأنّه بَشَرٌ ... وقَالَ قوم : لا بَل هو الله

يـا صـاحب الحشرِ والمعـادِ ومن مَـولاه حُـكـم الـعـبـاد ولآهُ
يـا قـاسِمَ النّـار والجنـان غـداً أنتَ مـلاذُ الـراجي وَمَـنجـاهُ
كَيفَ يَخافُ البرسيُّ حَـرّ لـظى وأنت عنـد الحِسـابِ غَـوثـاهُ
لا يَخشى النّـار عبـدُ حيـدَرَة إذ لـيس في الـنّـارِ مـن تـولّاهُ

وأقول:بل أمر الرجل في تشييده لدعائم المرتفعين ، وتجديده لمراسم المبتدعين وخروجه عن دائرة ظواهر الشريعة المحكمة أصولها بالفروع ، وعروجه على قواعد الغالين والمفوّضة الملتزم وصولها إلى غير المشروع ، والتزامه لتخطئة كبراء أهـل الملّة والدين ، وتزكية من يخالف طريقة الفقهـاء والمجتهدين ، وفتحـه بكلماته الخـطابية التي تشبه مقالات المغيرية والخطابية ، أبواب المسامحـة في أمور التكـاليف العظيمـة على وجوه العـوام الذين هم أضـلّ من الأنعام ، واعتقـاده لعدم مؤاخـذة أحد من أحبّـة أهل البيت المعصـومـين عليهم السـلام ، شيء من الجـرائم والأثـام وبنـائـه المذهب على التأويلات الهوائية الفاسدة من غير دليل مع أنّ أوّل مراتب الإلحـاد كما استفاضت عليه الكلمة فتح باب التأويل مما ليس لأحد من المتدربـين لكلماته عليـه نقاب ، ولا لأحد من المتأملين في تصنيفاته موضع تأمل وارتياب .

إلّا أنّه سامحه الله تبارك وتعالى فيما أفاد، لما كان أوّل من جلب قلبه إلى تمشيـه هذا المراد ، وسلب لبّه على محبة أهل بيت نبيه الأمجاد ، ولم يكن من المقلّدة الـذين هم يمشـون على أثـر ما يسمعـونه ، ويقبلون من المشـايخ كـلّ مـا يـدعـونـه ، ولا يستكشفون عن حقيقة ما يشرعونه ، ويكونون بمنزلـة عبدة الأصنـام الذين اتبعـوا أسـلافهم المستقبلين إليها في عبـادتهم من غير بصـيرة لهم ، بـأنّ ذلـك العمـل من أولئـك إنّما كـان لتذكّـر عبادات من كـان عـلى صـور تلك الأصنـام من قـدمـائهم المتعبدين كما ورد عليه نصّ المعصوم (عليه السلام) فمن المحتمل الراجح إذن في نـظر من تأمـل أن يكون هـو الناجي المهـدي إلى سبيل المعرفة بحقوق أهـل البيت عليهم السلام ومقلّدوه مقلّدون بسلاسل النقمة على كلّ مـا لهجوا بـه عليه في حقّ أولئك من كيت وكيت .

وإن احتمل أن يكون بروز نائرة هذه الفتنـة النائمـة من لدن تعـرّض راويي التفسير المنسوب إلى الإمام (عليه السلام) لوضـع ذلك من البـدو إلى الختام عـلى حسب المرام أو من زمن شيوع تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي ، أم وقـوع تفصيل

فارس بن حاتم القزويني الصوفي على أيدي الأنام ، بل من آونة انتشار المفضّل بن عمر وجابر بن يزيد الجعفيّين بين هذه الطائفة وتدوين طائفة منها في « بصائر الصفّار » و« مجالس الشيخ » و« كشف الغمة » و« خرائج الراوندي » و« فضائل شاذان » وولده وسائر كتب المناقب والفضائل العربية والفارسية وتفاسير المرتفعين والإخبارية .

وأن يكون أوّل من تكلّم بهذه الخطابيات المنطبعة في قلوب العوام بالنسبة إلى أهل البيت (عليهم السلام) أيضاً هم أمثال أولئك أو من كان من نظائر أبي الحسين بن البطريق الأسدي في كتاب عمدته وخصائصه والسيد الرضي ورضي الدين بن طاووس وبعض فضلاء البحرين وقم المطهّر في جملة من كتبهم ثمّ أن يكون كلّ من جاء على إثر هذا المذهب وأشرب في قلوبهم الملائمة لهذا المشرب زاد في الطنبور نغمة وهتك عصمة ورفع وقعاً وأبدع وضعاً وجمع جمعاً وأسمع سمعاً وأراق عاراً وأظهر شناراً وردّ على فقيه من فقهاء الشيعة وهدّ سداً من سدود الشريعة إلى أن إنتهت النوبة إلى هذا الرجل فكتب في ذلك كتاباً وفتح أبواباً وكشف نقاباً وخلّف أصحاباً فسمّى أتباعهم المقلّدة له في ذلك بالكشفية . لزعمهم الإطلاع على الأسارير المخفيّة ، ثمّ اتباع اتباعهم الذين آلت معاملة التأويل إليهم في هذه الأواخر .

وهم في الحقيقة أعمهون بكثير من غلاة زمن الصدوقين في قم الذين كانوا ينسبون الفقهاء الأجلة إلى التقصير بسمة الشيخية والپشت سرية ، من اللغات الفارسية لنسبتهم إلى الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي المتقدّم ذكره وترجمته ، وكان هو يصلي الجماعة بقومه خلف الحضرة المقدسة الحسينية في الحائر الشريف ، بخلاف المنكرين على طريقته من فقهاء تلك البقعة المباركة ، فإنهم كانوا يصلونها من قبل رأس الإمام (عليه السلام) ولهذا يسمّون عند أولئك بالبالاسريّة .

ولا يذهب عليك غبّ ما ذكرته لك كلّه أنّ منزلة ذلك الشيخ المقدّم من هذه المقلّدة الغاوية المغوية ، إنّما هي منزلة العلوج الثلاثة الذين ادّعوا النصرانية وأفسدوها بإظهارهم البدع الثلاث من بعد أن عرج بنبيّهم المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) ، كيف لا وقد ارتفع بهذه المقلّدة المتمردة ، والله الأمان في هذه الأزمان ، ووهنت بقوّتهم أركان الشريعة والإيمان ، بل حداهم خذلان الله ،

وضعف سلسلة العلماء ، إلى أن ادعوا البابية والنيابة الخاصة عن مولانا الحجة صاحب العصر والزمان(عليه السلام)، وظهر فيهم من أظهر التحدي في ما أتى به من الكلمات الملحونة على أهل البيان ، ووسم أقاويله الكاذبة ومزخرفاته الباطلة ـ والعياذ بالله تبارك وتعالى ـ بوسمة الصحيفة والقرآن ، بل لم يكتفِ بكل ذلك حتى أنّه طالب المجتهدين الأجلّة بأن يتعرضوا لمثل هذا الإتيان ويظهروا من نظائر ذلك التبيان ، ويبارزوا معه ميدان المبارزة لدى جماعة الأجامرة والنسوان .

مع أنّ على كلّ ما انتحله من الباطل، أم أولعه من الفاسد العاطل، وصمة من وصمات الملعنة ، والخروج عن الإسلام إلى دين جديد ، مضافاً إلى ما انكشفت من تعوّمه وسفهه عن الحقّ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وما انحسر عنه من أكاذيبه الواضحة في ما أخبر به من ظهور نور الحق في ما سلف عنّا من قرب هذا الزمان ، ثمّ اعتذر عنه لما أن ظهر كذبه الصريح بإمكان وقوع البدا في ما أوحى إليه من جهة الشيطان .

ونحن فقد بذلنا الجهد حسب الوسع والطاقة بمعونة صاحب الشريعة في إطفاء نائرته وإخفاء دائرته ، وتفضيح اتباعه الفجرة الملاعين ، وتضييع أشياعه الكفرة بالأدلة والبراهين ، إلى أن أعلنت والحمد لله كلمة الحق عليه وعلى أتباعه ودارت عليهم دائرة السوء التي لا تدع إن شاء الله تعالى شيئاً من شعبه وأفراعه وصار من رهائن بعض القلاع القاصية عن المسلمين بأمر سلطانهم المسخر له وجوه الممالك الواسعة من الطول والعرض ، فصدق عليه : ﴿ **وأمّا الزبد فيذهب جفاءاً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض** ﴾ .

ثم قتل في بلدة تبريز المحروسة مع رجل آخر من أتباعه بهجوم صف من الجند المؤيّد عليهما بتفنجاتهم العادية بل ألقيت جثّته الخبيثة عند الكلاب العاوية فأكلن السمكة حتى رأسها ولم يخفن في ذلك بأسها ، ومع هذا كله بقي جماعة من بعده يفسدون في الأرض ويعدّون في عدّة ، وينتظرون الفرصة ، لزمان الإضلال ، وظهور فتنة الدجال ، مثل جماعة انتظروا ظهور الحلّاج من بعد صلبه وحرقه ، وانتشار رماده في دجلة بغداد والله لا يحبّ الفساد .

وإنّما أرخيت عنان القلم إلى الإشارة بشيء من مطاعن هذا الرجل السفيه ،

والمفتضح بكلّ ما فيه ، مع أنّه لم يكن بقابل على حسب الظاهـر لمثل هـذا الإظهار أو الإنكار عليه بهذا الإصرار لئلاّ يغترّ بنظائره بعد ذلـك أولـو الجهـالة في الـدين ، ولا يخـدع أحد بغـرور أمثال أولئـك الملحدين ، ويكـون على بصـيرة من فتن آخر الزمان ، ولا يدع مطالعة الأحاديث المخـبرة عن خروج كثـير من المدّعـين بالبـاطل قبل ظهور خليفة الـرحمن عليه سلام الله الملك المنّان .

وكذا الأحاديث الحاثّة على إظهار الـبراءة من المفوضـة والغلاة ، وأنّهم أشـدّ من النواصب الكفرة على الأئمة الهداة ، ولا يكونوا بمنزلة همج رعاع يميلون مع كلّ ريح ويسيلون مع كلّ قبيح ، مضافاً إلى ما ورد عنهم عليهم السلام من الحثّ عـلى العمل بالأركان ، بحسب الإمكان ، وتـرك الإتكال في النجـاة من النيران ، عـلى الإقرار باللسان ، والإعتقاد بالجنان ، مثل ما نقله صاحب كتاب « الكافي » بالسنّـد الصحيح عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنّه قال : يا جابر أيكتفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبّنا أهل البيت عليهم السـلام ، والله مـا شيعتنا إلاّ من اتّقى الله وأطـاعه ، فـاتقوا الله [إلى أن قـال] واعملوا لمـا عنـد الله ، ليس بـين الله وبـين أحـد قـرابـة ، أحبّ العبـاد إلى الله عـزّ وجـل أتقـاهم وأعملهم بطاعته ، يا جابر والله ما يتقرّب إلى الله تبارك تعالى ، إلاّ بالطاعة ما معنا براءة من النار ولا لأحـد على الله من حجـة ، من كان لله مـطيعاً فهـو لنا ولي ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ ، وما تنال ولايتنا إلاّ بالعمل والورع[1] .

وقال رجل للصادق (عليه السلام) إنّ قوماً من شيعتكم يعملون بالمعـاصي ويقولون نرجو[2] ، فقال : كذبوا ليسـوا من شيعتنا ، كلّ من رجا شيئاً عمل له ، فوالله ما شيعتنا منكم إلاّ من اتقى الله . هذا . وأنا أرجو من الله تبـارك وتعالى أن يأجرني على هذا الرقم القليل بـالقلم الكليل ، ويثبّتنـا وسائـر الشيعة الإمـامية عـلى سواء السبيل .

ثمّ ليعلم أنّ من جملة من تعـرّض لشرح مشـارق الـبرسي ، عــلى حسب

(١) الكافي ج ٢ ص ٧٤ .

(٢) الكـافي ج ٢ ص ٦٨ وذيله فلا يـزالون كـذلك حتى يـأتيهم الموت فقـال : هؤلاء قوم يـترجحون في الأماني كذبوا . ليسوا براجين أن من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف من شيء هرب منه .

استعداده غير الوفي بحقّ مراد المصنّف ، هو بعض فضلاء سبزوار المحروسة المعروف بالحسن الخطيب القارىء المقيم بالمشهد المقدّس الرضوي على مشرفها السلام ، وهو شرح مبسوط ينيف على ثلاثين ألف بيت في الظاهر موشّح بأشعار هذا الشارح أيضاً في مقاماته المناسبة ، وكان قد كتبه بأمر السطان شاه سليمان الصفوي الموسوي إلاّ أنّه فارسي ، وقد أسقط من أوائله أيضاً شرح أسرار الأعداد والحروف التي هي أصول قواعد هذا الفن في الحقيقة لقصوره عن القيام بحقّ ذلك على الظاهر .

وله أيضاً رسالة قد جمع فيها الخطب العربية والفارسية ، وشرح على رواية حدوث الأسماء المروية في الكافي وغير ذلك ، ولم أتحقق إلى الآن تاريخ وفاته ولا تاريخ وفاة الماتن المحقق ، إلاّ أنّ مرقده المطهّر في قصبة أردستان التي هي على مراحل من إصفهان في وسط بستان يكون هنالك كما ذكره لي بعض الثقاة والله العالم .

٣٠٣
الشيخ أبو الحسن رزين بن معاوية بن عمار العبدري إمام الحرمين السرقسطي(*)

نسبته إلى سرقسط بفتح السين الأوّل والراء وسكون القاف وضمّ السين المهملة الأخيرة والطاء الأولى وهي بلدة من بلاد أندلس المتقدّم إلى فهرستها الإشارة في باب الأحمدين وله كتاب الجمع بين الصحاح الستة أعني موطأ مالك بن أنس الأصبحي ، وصحيحي مسلم والبخاري ، وكتاب السنن لأبي داوود السجستاني ، وصحيح الترمذي والنسخة الكبيرة من صحيح النسائي ولم أتحقق في هذا الزمان نوادر خبر منه .

نعم نقل عن صاحب جامع الأصول أنّه قال في ذيل ترجمة حديث أبي هريرة المشهور أنّ الله عزّ وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مئة سنة من يجدّد لها دينها

(*) رزين بن معاوية بن عمار العبدري الحافظ السرقسطي المالكي إمام الحرمين توفي في ٥٢٤ له تجريد الصحاح الستة في الحديث ، هدية العارفين ج ١ ص ٣٦٧ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ١٠٦ .

وبعد عدّه المروجين على رأس أربعة منها وفي الخامسة من الفقهاء الإمام أبو حامد الغزالي ، من المحدّثين العبدري ، ومن القراء القلانسي ، وهؤلاء كانوا من المشهورين في الأمة .

٣٠٤

الشيخ الفاضل المعروف بالشارح الرضي الإمام المشهور(*)

صاحب شرح الكافية لابن الحاجب الذي لم يؤلف عليها ـ بل ولا في غالب كتب النحو ـ مثلها جمعاً وتحقيقاً وحسن تعليل . وقد أكبّ الناس عليه ، وتداولوه واعتمده شيوخ هذا العصر فَمَن قبلهم ، في مصنفاتهم ودروسهم ، وله فيه أبحاث كثيرة مع النحاة واختيارات جمّة ، ومذاهب ينفرد بها ، ولقبه نجم الأئمة ، ولم أقف على اسمه ، ولا على شيء من ترجمته إلاّ أنّه فرغ من تأليف هذا الشرح سنة ثلاث وثمانين وستّ مئة .

وأخبرني صاحبنا المؤرخ شمس الدين بن عزم بمكة ، أنّ وفاته سنة أربع وثمانين أو ست وثمانين . الشكّ مني[1] وله شرح الشافية كذا في طبقات النحاة ، والعجب من الحافظ السيوطي ، المعروف بالتتبع والمهارة ، كيف لم يزد في ترجمة مثل هذا الأسد الضرغام والسيد القمقام ، والحبر التمام ، والبحر الطمطام ، على ما ذكره في هذا المقام ، إلاّ أنّ يعتذر عن الإهمال في حقّه ، والمسامحة في أمره ، بكونه من الشيعة الإمامية والعلماء الدينية الإثني عشرية ، وبالجملة فهو أحد نوادر الدهر وأعاجيب الزمان ، الذي به افتخار العجم على العرب ، ومباهاة الشيعة على سائر فرق الإسلام .

وكان اسمه الشريف رضي الدين محمد بن الحسن الإسترآبادي ، نسبة إلى بلدة استرآباد التي هي مدينة كبيرة بأرض طبرستان واقعة بين الريّ وخراسان ، وقد خرج منها جمع كثير من علمائنا الأعيان ، وكان قد توطّن هذا الشيخ الجليل

(*) له ترجمة في : بغية الوعاة ج ١ص ٥٦٧ ، خزانة الأدب ج ١ ص ٤٨ ، مفتاح السعادة ج ١ ص ٨٣ .

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٦٧ .

بأرض النجف الأشرف على مشرّفها السلام ، وصنّف شرحه المشهور على الكافية أيضاً في تلك البقعة المباركة ، وذكر في خطبته اللطيفة أنّ كلّما وجد فيه من شيء لطيف ، وتحقيق شريف فهو من بركات تلك الحضرة المقدسة ، وإفاضات حضرة سيدنا أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو شرح لطيف ، وكتاب طريف فاق جميع مصنّفات الفريقين في الاشتمال على التحقيق والتدقيق وأعمال الفكر العميق وينيف على ثلاثين ألف بيت ، والفضل ما شهدت به الأعداء .

إلاّ أنّ ملاحة عبارات القوم ، وجودة سليقتهم في التصنيف والتأليف ، أمر آخر كما لا يخفى على من طالع مثل تصريح خالد الأزهري ، وشرح الجامي وشرح تسهيل الدماميني وحاشية تقي الدين الشمني على المغني فضلاً عن المغني ، وسائر مصنّفات ابن المالك وأمثال ذلك .

وله أيضاً شرح لطيف على شافية الصرف ، ومقدّمة الخطّ في مجلدة تربو على عشرة ألف بيت تخميناً ، عندنا منه نسخة صحّحها الفاضل الهندي بنفسه النفيس ، وأظهر على ظهرها البشاشة التامّة على تملكها ، والعثور عليها ، فقال الحمد لله الذي أطلع هذا النجم الزاهر بل البدر الباهر في إقليم ملكي البائر ، وقال في موضع آخر :

كتاب « شرح الشافية » للشيخ الرضي المرضي نجم الملة والحقّ والحقيقة والدين الإسترآبادي ، الذي درر كلامه أسنى من نجوم السماء وتعاطيها أسهل من تعاطي لآلىء الماء ، إذا فاه بشيء اهتزت له الطباع ، وإذا حدث بحديث أقرط الأسماع بالإستماع ، هو الذي بين الأئمة ملك مطاع ، للمؤالف والمخالف في جميع الأراضي والبقاع ، إلاّ أنّ ركون الطلبة إليه بمنزلة ركونهم بعد النحو إلى علم التصريف ، كما ذكره بعض الأعاظم ويظهر أيضاً وجهه لمن طالع كلاّ من شرحيه بتمام الدقّة فلا تغفل .

وله أيضاً شرح قصائد ابن الحديد السبع المشهورات، في فضائل مولانا أمير المؤمنين وغير ذلك ، كما ذكره صاحب الأمل بعد الترجمة له بعنوان الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الإسترآبادي ، والثناء عليه بكونه فاضلاً عالماً محققاً مدققاً له كتب إلى أن قال : ووفاته سنة ستّ وثمانين وستمأة على ما ذكره القاضي

نور الله في مجالس المؤمنين ، وسوف تأتي في ترجمة السيد الشريف إن شاء الله أنّه أوّل من لقب هذا الشيخ بنجم الأئمة ، ثمّ تبعه عليه عامّة من تأخر عنه ، ثم سوف تأتي ترجمة سميه ونقيبه المشتهر بالآقا رضى الدين القزويني صاحب كتاب « لسان الخواص » وغيره في أواخر القسم الأول من باب المحامدة من هذا الكتاب إن شاء الله العزيز الوهاب .

وأمّا لقب الرضي النحوي ، فهو لرجلين آخرين أيضاً كما ذكره صاحب كتاب البغية في خاتمته : إحدهما محمد بن علي بن يوسف العلامة الملقّب برضي الدين أبو عبد الله الأنصاري الشاطبي اللغوي وهو غير الشاطبي المقري الآتي ترجمته في باب القاف إن شاء الله ، وكان هذا الرجل كما عن تاريخ الذهبي ، إمام عصره في اللغة ، تصدّر بالقاهرة ، فأخذ عنه الناس ، روى عن أبي الحسن بن المقيّر ، والبهاء بن الجميزي ، وروى عنه أبو حيّان المشهور والقطب الحلبي وآخرون ، وكان يقول : أعرف اللغة على قسمين ، قسم أعرف معناها وشاهدها ، وقسم أعرف كأنّي أنطق بها فقط ، وله حواش على الصحاح ، مات بالقاهرة سنة أربع وثمانين وست مئة ورثاه أبو حيان بقوله :

راح الرضي إلى روح وريحان ... فليهنه إن غدا جاراً لرضوانِ
وافى الجنانَ فوافاها مزخرفةً ... يحفها الأهلُ من حورٍ وولدانِ

ورثاه السراجِ الورّاق بقصيدة أوّلها :

سقى أرضاً بها قبرُ الرضي ... حيّا الوسمي يُردَفُ بالولي
فقد ترك الغريب غريبَ دار ... وأذكره بفقد الأصمعي
وأحكَمُ مُحكَم بلجام حزنٍ ... لِفقدِ الفارسِ البَطَلِ الكمي
وَلَما اعتَل قالوا اعتَل أيضاً ... لِشكواه صِحاحُ الجوهري
وجارى كُلَّ عين قد بكتهُ ... كِتابُ العين بالدمعِ الرويّ
لشيخ السبع أبينُ ما رواه ... وصالَ كصولَةِ السَبُعَ الجَري
فَحزَن الشاطبية ليس يَخفَى ... مِنَ العنوانِ عَن فَهمِ الغَبِيّ
وفي علمِ الحديث له اجتهادٌ ... بِهِ يَتلو اجتهاد البيهقيّ
وفي الأنساب لا يَخفَى عليه ... دعاءُ من صحيح أو دعيّ

لَـو ادركَ عـصـرَهُ الكـلبي وَلّى   وهَـروَلَ خوف ليث هِـزبـري[١]

والآخـر أبو بكـر بن عمر بن عـلي بن سـالم الإمـام رضي الـدين القسطنطيني النحـوي الشافعي وكـان قد نشـأ بـالقـدس ، وأخـذ العـربيـة عن ابن معط وابن الحاجب وتزوّج ابنة معط وكان له معرفة تامّة بالفقه ومشاركـة في الحديث ، سمـع منه جماعة كثيرة ، وأضرّ بآخر عمره ، ومات سنة خمس وتسعين وستّ مئـة كما عن الصلاّح الصفدي وأخـذ عنه أيضـاً أبو حيّـان المشار إليـه قبل ، ومـدحه بقصيـدة طـويلة ، كما ذكـره صاحب البغيـة ، وأقول : وقـد يـطلق الـرضي أيضـاً في كتب العربية على الحسن بن محمد ابن الحسن بن حيـدر الصاغـاني أو الصغاني الحنفي ، وهو الذي تقدّم ذكره في باب الحسن ، وكذا على الإمام العلامة أبي البقاء محمد بن إبـراهيم بن يوسف بن عبـد الرحمن الـذي تقدّم ذكـره في ترجمـة ابن المنلا مصنّف شرح المغني ويعبر عنه فيه كثيراً بشيخنا الرضي وصاحب القطعة فليراجع .



(١) بغية الوعاة ج ١ ص ١٩٤ .

بـــاب

ما أوله الزاي المعجمة من أسماء فقهاء أصحابنا المتورعين

٣٠٥

المولى محمد زمان بن مولى كلب علي التبريزي

كان من أجلاء تلامذة سمينا العلامة المجلسي والآقا حسين الخوانساري والشيخ جعفر القاضي رحمهم الله قاطناً ببلدة إصفهان صاحب تصانيف عديدة منها شرحه على«زبدة الأصول»وكتابه المسمى بالجنته في الفوائد المتفرّقات وكتابه الآخر الموسوم بـ« فرائد في أحوال المدارس والمساجد » كتبه أيام نزوله في مدرسة الشيخ لطف الله الواقعة في شرقي ميدان شاه دار السلطنة إصفهان وكان قد فوّض إليه النظر في أمر المدرسة المذكورة أيضاً في ذلك الزمان من قبل السلطان .

وقد بالغ في كتابه الموصوف في الثناء على تلك المدرسة المباركة وأشار فيه إلى نبذة من بركاتها المجربة وميامن تأثيراتها اللطيفة في حقّ الطلبة وذكر أنّ من جملة من استسعد بالترقيات الكاملة من الفضائل والعلوم في ذلك المكان المتبرك الموسوم هو مولانا المحقق الخوانساري السابق إليه الإشارة بالتعظيم ومولانا شمس الدين الجيلاني الحكيم صاحب الحاشية على شرح حكمة العين وعلى حاشية الخفري على حاشية القديم وغير ذلك ومولانا الحسن الجيلاني السابق إليه التنبيه في ترجمة ولده الفقيه النبيه الآقا حسين الذي هو خال جدنا الأمجد الآنف ذكره في باب الجيم وقال في حقه لم يكن له نظير في عصره في الفضيلة والتقوى.ثم قال:ومنهم زبدة أهل السداد الملاّ مراد التفريشي صاحب حاشية الفقيه والمختلف وغير ذلك من المصنّفات ومنهم السيد الجليل الأمير سيّد حسين العاملي صاحب التصانيف الجليلة

مثل رسالة الجمعة وغيرها والمولى علي قلى الخلخالي الأديب الماهر وزبدة المحققين وأسوة السالكين المولى رجب علي التبريزي وتلميذه الأمير قوام الدين الطهراني صاحب كتاب (عين الحكمة) .

وعمدة الزّهاد المولى موسى الطبسي وولده العزيز الحاج محمد مؤمن صاحب كتاب مناهج العرفان.قلت:وهو من أجلاء عرفاء المتأخرين وكتابه المذكور أيضاً كتاب كبير في مجلدتين لم يصنّف في مراتب التصوف وطريقة أرباب السلوك مثله وعندنا منه نسخة قد ننقل منها في هذا الكتاب.قال:والأمير اسماعيل الحسيني الخاتون آبادي صاحب التكية المعروفة المدفون بها في قوادم مقبرة تخت فولاد إصفهان وولده العلامة رئيس فضلاء الزمان أمير محمد سلّمه الله ومنزلي الآن في حجرته الباهرة ومنهم المولى محمد صالح الإسترآبادي والمولى حلبي الموصلي والمولى محمد حسين البروجردي والمولى سعيد الرشتي والمولى محمد علي الطهراني ولو أردت عدّ أسماء الفضلاء الذين كانوا في تلك المدرسة المباركة لطال الكلام أقول ومن جملة أولئك الفضلاء أيضاً كما حكاه لنا سلفنا الصالحون هوالفاضل المحقق المتكلّم الحكيم الفقيه البارع الأديب المولى أبو القاسم بن محمد ربيع الجر فادقاني صاحب المصنّفات الكثيرة في الحكمة والكلام والفقه والأصول والحواشي والتعليقات اللطيفة على كثير من كتب المعقول والمنقول وعندنا بخطّه الحسن الشريف شرح القوشجي على التجريد محشى بتعليقاته اللطيفة التي كتبها عليه بخطّه الشريف من أوّله إلى آخره .

وقد ذكر العلامة المجلسي صورة إجازة المولى المذكور للمولى مهر علي الجر فادقاني في المجلد الآخر من البحار وهو يروي فيها عن السيد الأمير قاسم الحسني الحسيني القهپائي أولا ثمّ يقول وعن المولى محمّد تقي المعروف الشهير بالمجلسي حفظه الله تعالى عن طوارق الحدثان إلى يوم الدين وحينئذٍ فلا يبعد تلمّذه لديهما أيضاً وله رحمه الله أيضاً ذكر في رياض العلماء ولما ينقطع العلم والفضيلة إلى هذا الزمان من أهل بيته النجباء النقباء الرؤساء في أمور دين الله في بلده المشار إليها وقد كان بين بعض من تقدم من آبائنا الفضلاء وبينهم قرابة سبب أورثت نسبة بنوة الخالة فينا إلى هذا الأوان وبالجملة فنحن ننقل نادراً في كتابنا هذا عن

كتاب الفرائد الذي هو صاحب العنوان وفيه من النوادر الجديدة والفوائد الفريدة شيء كثير ولا ينبئّك مثل خبير .

٣٠٦

الشيخ الإمام الهمام والبدر التمام والعلم العلام ومربي علمائنا الأعلام ومبين معضلات الأحكام بتهذيبه مسالك الأفهام إلى شرائع الإسلام ومدارك الحلال والحرام زين الدين ابن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن جمال الدين بن تقي بن صالح بن أشرف الجبعي العاملي الشامي المشتهر بالشهيد الثاني(*)

أفاض الله على تربته الزكية ، من سجال رحمته وفضله وكرمه وجزائه اللطيف السبحاني.لم ألف إلى هذا الزمن الذي هو من حدود ثلاث وستّين ومئتين بعد الألف أحداً من العلماء الأجلة ، يكون بجلالة قدره ، وسعة صدره ، وعظم شأنه ، وارتفاع مكانه ، وجودة فهمه ، ومتانة عزمه ، وحسن سليقته ، واستواء طريقته ونظام تحصيله ، وكثرة أساتيذه ، وظرافة طبعه ، ولطافة صنعه ، ومعنوية كلامه ، وتمامية تصنيفاته ، وتأليفاته ، بل كاد أن يكون في التخلّق بأخلاق الله تبارك وتعالى تالياً لتلو المعصوم .

ومن العجب أنّه كان بمنزلة النقطة المتوسطة المحاطة بدائرة المعارف والعلوم ، أو مركزاً تؤول إليه نسبة غير واحدة من كرات فضائل أرباب الفواضل على النهج المنظوم ، حيث أنّ كلاّ من آبائه الستة المذكورين كانوا من الفضلاء المشهورين ،وكذلك أبناؤه النبلاء الذين لم ينقضوا هذه العدة إلى هذا الحين ،وقد أشير إلى بعض منهم في ترجمة ولده الشيخ حسن بن زين الدين ، وسيجيء إن شاء الله في ترجمة ولد ولده الشيخ محمد الإشارة إلى الباقين .

وحسب الدلالة على صدق ما ادّعيناه فيه من القدر والمنزلة أنّ كلا من هذه السلسلة لا يعرفون إلا بسمته ، ولا يوصفون إلاّ بأبوّته وبنوّته وبالجملة فكان والده

(*) له ترجمة في : أمل الآمل ج ١ ص؛ ٨٥ ، رياض العلماء ـ خ ـ شهداء الفضيلة ص ١٣٢ ، سفينة البحار ج ١ ص ٧٢٣ ، أعيان الشيعة ج ٣٣ ص ٢٢٣ ، رسالة ابن العودي ـ خ ـ .

الشيخ نور الدين علي بن أحمد المعروف بابن الحجة أو الحاجة من كبار أفاضل عصره وقد قرأ عليه جملة من كتب العربية والفقه في أوائل تحصيله ، وكان قد جعل له راتباً من الدراهم بإزاء ما كان يحفظه من العلم كما أفيد ، وكذلك جدّاه الفاضلان التقي وجمال الدين ، وجده الأعلى الشيخ صالح بن مشرف الطاووسي العاملي الذي هو من تلامذة العلامة ، كانوا أفاضل أتقياء وأخوه الشيخ عبد النبي بن علي بن أحمد النباطي أيضاً كان من جملة الأدباء الماهرين ، بل الشعراء الفاخرين ، بل الفقهاء الكابرين كما ذكره صاحب « أمل الآمل » بعنوان الفقيه الفاضل ، والعابد الصالح ، والورع الأديب الشاعر .

ثمّ قال يروي عنه ولده الشيخ حسن بن عبد النبي ، ويروى هو عن أخيه وعن الشيخ علي بن عبد العالي الميسي ، سمعته من جماعة منهم : السيد محمد بن محمد العينائي ابن الشيخ حسن المذكور ، انتهى[1] ، وبعض بني عمومته الفضلاء أيضا مذكورون في « الأمل » فليراجع ، ومن جملة أساتيذه النبلاء ، ومشايخه العظام الأجلاء ، هو السيد حسن بن السيد جعفر الموسوي الكركي العاملي ، صاحب كتاب « المحجة البيضاء » وغيره ، وقد قرأ عليه بنصّ نفسه « قواعد ميثم البحراني » في الكلام. و«التهذيب» في أصول الفقه ، و« العمدة الجلية » في الأصّول الفقهية من مصنّفات السيد المذكور ، و« الكافية » في النحو وغير ذلك .

ومنهم : الشيخ علي بن عبد العالي الميسي الذي هو زوج خالته ، ووالد زوجته الكبرى ، وأوّل مشايخه المعظمين دون الكركي الذي هو الملقب بالمحقق الثاني لبعد ما في بينهما . كان ابتداء رحلته إلى قرية ميس المقدسة للتلمّذ على هذا الشيخ الجليل بعد وفاة أبيه المرحوم في سنة خمس وعشرين وتسع مئة ، وهو في سنّ أربع عشرة سنة فاشتغل عليه إلى أواخر سنة ثلاث وثلاثين وتسع مئة .

وكان من جملة ما قرأه عليه كتاب « الشرائع » و« الإرشاد » وأكثر « القواعد » ثم ارتحل بعد ذلك إلى كرك نوح وقرأ بها على السيد المتقدم ذكره جملة

---

(١) أمل الآمل .

من الفنون ، ثم انتقل إلى وطنه الأصلي الذي هو قرية جبع زمن والده المبرور في أواسط سنة أربع وثلاثين وأقام بها مشتغلاً بمطالعة العلم والمذاكرة إلى سنة سبع وثلاثين، ثم ارتحل إلى دمشق واشتغل بها على الشيخ الفاضل المحقق الفيلسوف شمس الدين محمد ابن مكي ، فقرأ عليه من كتب الطبّ « الموجز النفيسي » و« غاية القصد في معرفة الفصد » من مصنفات الشيخ المبرور المذكور ، و« فصول الفرغاني » في الهيئة وبعض « حكمة الإشراق » للسهروردي .

وقرأ بها في تلك المدة على المرحوم الشيخ أحمد بن جابر « الشاطبية » في علم القراآت وجميع « القرآن » بقراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وعاصم ، ثم رجع إلى جبع سنة ثمان وثلاثين وأقام بها إلى تمام سنة إحدى وأربعين ، ورحل إلى مصر في أوّل سنة بعدها لتحصيل ما أمكن من العلوم، واجتمع في تلك السفرة بجماعة كثيرة من الأفاضل منهم : الشيخ شمس الدين بن طولون الدمشقي الحنفي ، وقرأ عليه جملة من الصحيحين وأجيز منه بروايتهما ، ورواية كلّ ما يجوز له روايته ، في شهر ربيع الأوّل من السنة المذكورة ، وكانت قراءته عليه في الصالحية بالمدرسة السليمية .

قال ابن العودي في رسالته التي كتبها في كيفية أحواله : وكنت إذ ذاك في خدمته أسمع الدرس وأجاز لي الشيخ المذكور الصحيحين المذكورين، ورأى بعض الإخوان الصالحين وهو الشيخ زين الدين الفقعاني في تلك السنة في المنام أنّه دخل عليه رجل ذو هيبة ومعه جرّة فيها ماء فألقم باب الجرة شيخنا الشيخ زين الدين وجعل يكرع في الماء وهو قابضها معه ، فسأل الرائي عنه، فقيل له: هذا هو الشيخ علي بن عبد العالي الكركي .

وهذا الشيخ يروي عنه شيخنا بواسطة ، توفي مسموماً ثاني عشر ذي الحجة سنة خمس وأربعين وتسع مئة ، وهو في الغري على مشرفة السلام وكنت أريد صحبته إلى مصر ، فأرسلت إليه الوالدة أنّه يمنعني من السفر فمنعني ، وما كان ذلك إلا لسوء حظي وكان القائم بإمداده وتجهيزه بهذا السفر الحاج المحترم الصالح شمس الدين محمد بن هلال رحمه الله عمل معه عملاً قصد به وجه الله وقام بكلّ ما يحتاج إليه مضافاً إلى ما أسدى إليه من المعروف ، وأجرى عليه من الخيرات في مدّة

طلبه للعلم قبل سفره هذا وأصبح هذا الحاج محمد مقتولاً في بيته هو وزوجته وولدان له إحدهما رضيع في السرير سنة اثنتين وخمسين وتسع مئة إلى أن قال ثمّ ودّعناه وسافر من دمشق يوم الأحد منتصف ربيع الأوّل سنة ٩٤٢ .

واتفق له في الطرق ألطاف إلهية ، وكرامات جليّة ، حكى لنا بعضها منها : ما أخبرني به ليلة الأربعاء عاشر ربيع الأول سنة ستين وتسع مئة أنّه في منزل الرملة مضى إلى مسجدها المعروف بالجامع الأبيض لزيارة الأنبياء الذين في الغار وحده ، فوجد الباب مقفولاً وليس في المسجد أحد ، فوضع يده على القفل وجذبه فانفتح ، فنزل إلى الغار واشتغل بالصلاة والدعاء وحصل له إقبال على الله بحيث ذهل عن انتقال القافلة وسيرها ، ثم جلس طويلاً ودخل المدينة بعد ذلك ومضى إلى القافلة ، فوجدها قد ارتحلت ولم يبق منها أحد .

فبقي متحيراً في أمره مع عجزه عن المشي ، فأخذ يمشي على أثرها وحده ، فمشى حتى أعياه التّعب فبينما هو في هذا الضيق إذ أقبل عليه رجل لاحق به وهو راكب بغلاً ، فلما وصل إليه قال له اركب خلفي.فردفه ومضى كالبرق ، فما كان إلاّ قليلاً حتى لحق بالقافلة وأنزله وقال له : اذهب إلى رفقتك ودخل هو في القافلة قال فتحريته مدة الطريق أنّ أراه ثانياً ، فما رأيته أصلاً ولا قبل ذلك ، وهذه كرامة ظاهرة وعناية باهرة ، لا ينكرها إلاّ من غطى هواه على عقله ، واعتقد أنّ الله لا يعتني بمن هو من أهله .

ومنها أنّه لما وصل إلى غزة واجتمع بالشيخ محيي الدين عبد القادر بن أبي الخير الغزي ، وجرت بينه وبينه احتجاجات ومباحثات ، وأجازه إجازة عامة ، وصار بينهما موادّة زائدة ، وأدخله إلى خزانة كتبه ، فقلب الكتب وتفرّج في الخزانة فلمّا أراد الخروج قال له اختر لنفسك كتاباً من هذه الكتب فوضع يده على كتاب من غير تأمّل ولا انتخاب ، فظهر كتاب لا يحضرني اسمه من كتب الشيعة من مصنّفات المرحوم الشيخ جمال الدين بن المطهر ، وهذه كرامة واضحة ومنقبة راجحة .

ثمّ ذكر منقبة أخرى له مطولة ورجع إلى ما كان ينقله عنه وقال : قال نفع الله ببركاته : وكان وصولي إلى مصر يوم الجمعة منتصف شهر ربيع الآخر من

السنة المتقدمة ، واشتغلت بها على جماعة منهم : الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي الشافعي قرأت عليه « منهاج النووي » في الفقه وأكثر « مختصر الأصول » لابن الحاجب و« شرح العضدي » مع مطالعة حواشيه السعدية والشريفيّة وسمعت عليه كتباً كثيرة في الفنون العربية والعقلية وغيرها ، وأجازني إجازة عامة بما يجوز له روايته سنة ثلاث وأربعين وتسع مئة .

ثم قال : ومنهم الملاّ حسين الجرجاني قرأنا عليه جملة من « شرح التجريد » مع « حاشية الدواني » و« شرح أشكال التأسيس » في الهندسة لقاضي زاده الرومي ، و« شرح الجغميني » في الهيئة له ، ومنهم : الملا محمد الإسترآبادي قرأنا عليه جملة من « المطول » مع حاشية المير و« شرح الجامي » على « الكافية » .

ومنهم : الملاّ محمد الجيلاني سمعنا عليه جملة في المعاني والمنطق ومنهم : الشيخ شهاب الدين ابن النجار الحنبلي قرأت عليه جميع «شرح الشافية» للجاربردي وجميع « شرح الخزرجية » في العروض والقوافي للشيخ زكريا الأنصاري إلى أن قال : ومنهم الشيخ أبو الحسن البكري يعني به الشيخ الجليل صاحب كتاب « الأنوار في مولد النبي » (صلى الله عليه وآله وسلم) وكتاب « مقتل أمير المؤمنين » (عليه السلام) وكتاب « وفاة فاطمة الزهراء » عليها السلام كما ذكره في مقدمات « البحار » سمعت عليه جملة من الكتب في الفقه والتفسير وبعض شرحه على « المنهاج » .

ثمّ ذكر ابن العودي جملة من وقائع ما بينه وبينه وأنّه قال أنّه كان أكثر هؤلاء المشايخ أبّهة ومهابة عند العوام والدولة ، وأنّه كان إذا حج يجاور سنة ويقيم بمصر سنة ، ويحج وكان معه من الكتب عدّة أحمال ذكر شيخنا عددها ولكن ليس في حفظي الآن ، حتى أنه ظهر له منه التّعجب من كثرتها ، فروى له أنّ الصّاحب بن عبّاد رحمه الله كان إذا سافر يصحب معه سبعين جملاً من الكتب بحيث صار ما صحبه قليلاً في جنب ذلك .

وذكر أيضاً أنه توفي في سنة ثلاث وخمسين وتسع مئة بمصر ودفن بالقرافة وكان يوم موته يوماً عظيماً بمصر لكثرة الجمع ، ودفن بجانب قبر الإمام الشافعي ، وبنوا عليه قبّة عظيمة ، ثم قال : قال روح الله روحه الزكيّة .

ومنهم : الشيخ زين الدين الجرمي المالكي قرأت عليه « ألفية ابن مالك » .

ومنهم : الشيخ المحقّق ناصر الدين اللقاني المالكي محقّق الوقت وفاضل تلك البلدة لم أر بالديار المصرية أفضل منه في العلوم العقلية والعربية ، سمعت عليه « البيضاوي في التفسير » وغيره من الفنون .

ومنهم : الشيخ ناصر الدين الطبلاوي الشافعي ، قرأت عليه كذا وكذا إلى آخر ما ذكره من المشايخ الذين منهم : الشيخ شمس الدين محمد النّحاس والشيخ عبد الحميد السنهوري والشيخ شمس الدين محمد بن عبد القادر الغرضي (الفرض) وما قرأه عليهم ، ثم قال : وسمعت بالبلد من جملة متكثّرة من المشايخ يطول الخطب بتفصيلهم : منهم : الشيخ عميرة ، والشيخ شهاب الدين عبد الحق ، والشيخ شهاب الدين البلقيني والشيخ شمس الدين الديروطي وغيرهم قال ابن العودي قلت : وكلّ هذه المشايخ لم يبق منهم أحد وقت إنشاء هذا التاريخ **﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كلّ شيء وإليه ترجعون﴾** ثم ارتحلت من مصر إلى الحجاز الشريف سابع عشر شوال سنة ٩٤٣ ورجعت إلى وطني الأول بعد قضاء الواجب من الحج والعمرة بزيارة النبي وآله وأصحابه ، انتهى .

ومن جملة مشايخه الإمامية الذين يسند الرواية إليهم أيضاً في جملة من الكلمات هو الشيخ أحمد بن محمد بن خاتون العاملي المتقدّم عنوانه . ومن جملة من تلمّذ عليه وأخذ منه وروي عنه ـ بالإجازة وغيرها ـ هو السيد المعظم ذو المجدين ، نور الدين علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي والد صاحب «المدارك» وقد ربّاه كالوالد لولده ورقاه إلى المعالي بمفرده وزوّجه ابنته رغبة فيه وجعله من خواص ملازميه .

ومنهم : السيّد علي بن أبي الحسن الموسوي الجبعي الذي ذكره صاحب « الآمل » أيضاً بعنوان على حدة وقال : أنّه كان زاهداً عابداً فقيهاً من أعيان العلماء والفضلاء في عصره ، جليل القدر ، من تلامذة شيخنا الشهيد الثاني .

ومنهم : العالم العابد الثقة الفقيه المحدّث المحقق ، بنص صاحب « الآمل » السيد علي بن الحسين بن محمد بن محمد الشهير بالصائغ الحسيني

العاملي الجزيني شارح « الشرائع » و« الإرشاد » وغير ذلك ، وهو من جملة مشايخ إجازتنا المعروفين الذين قرأ عليهم صاحب « المعالم » و« المدارك » ولهما الرواية أيضاً عنه .

وقال صاحب « رياض العلماء » وما ذكرناه في نسبه هو الذي صرّح به نفسه في أواخر المجلّد الأوّل من « شرح أرشاده » المذكور ، وهو إلى آخر كتاب الصوم ، وقد رأيته بقصبة دهخوارقان من أعمال تبريز ، وسمّى شرحه هذا بكتاب « مجمع البيان في شرح إرشاد الأذهان » ويظهر من بعض المواضع أنّ له شرحين على « الإرشاد » صغير وكبير .

ومنهم : الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي ، والد شيخنا البهائي ، وهو أوّل من قرأ عليه في أوائل أمره وتصدّيه للتدريس ، وكان رفيقه إلى مصر في طلب العلوم وإلى أسلامبول في المرة الأولى وفارقه إلى العراق وأقام بها مدة ، ثم ارتحل إلى خراسان واستوطن هناك كما ذكره ابن العودي في رسالته .

ومنهم : الشيخ علي بن زهرة الجبعي ابن عمّ الشيخ حسين المذكور ، وكان على غاية من الصلاح والتقوى ، والخيرية والعبادة ، وكان الشهيد يعتقد فيه الولاية ، وكان رفيقه إلى مصر وتوفي بها رحمه الله .

ومنهم : الشيخ العالم الجليل الفاضل ، محمد بن الحسين الملقّب بالحر العاملي المشغري ، والد زوجته المتوفاة في حياته بمشغرا ، وهو من أوّل المذعنين لاجتهاده ، المخلصين معه ، وأجازه إجازة عامة وكانت له به خصوصية ومحبّة صادقة وعلاقة متّصلة بتمام المودّة وصدق المحبة كما ذكره ابن العودي وهو جدّ والد صاحب « الوسائل » وتزوّج الشهيد بنته وكان فقيهاً جليل القدر ، عظيم المنزلة ، أفضل أهل عصره في الشرعيات وكان ولده الشيخ محمد بن محمد الحر أفضل عصره في العقليات ، كما ذكره صاحب « الأمل » .

ومنهم : السيد نور الدين بن السيد فخر الدين عبد الحميد الكركي القاطن بدمشق المحروسة ، وكان من أكابر خاصّته وأوائل العاكفين على ملازمته ، ومنهم الشيخ بهاء الملة والدين محمد بن علي بن الحسن العودي الجزيني وهو من جملة من حاز على حظ وافر من خدمته ، وتشرف بمدة مديدة من ملازمته وكان وروده إلى

خدمته كما ذكره نفسه في رسالته ، في عاشر ربيع الأول سنة خمس وأربعين وتسع مئة ، وانفصاله عنه بالسفر إلى خراسان في عاشر ذي القعدة سنة اثنتين وستين وتسعمأة ، وقد استفيد لنا من رسالته المتكرر إليها الإشارة في هذا العنوان أمور جمّة : منها : أنّه توجّه الهمّة إلى جمع تاريخ يشتمل على ما تمّ من أمره من حين ولادته إلى انقضاء عمره تأدية لبعض شكره وامتثالاً إلى ما سبق إليه من أمره ، مضافاً إلى أنّ في مطلق مطالعة تواريخ العلماء الأعلام ، والفضلاء الفخام ، من انبعاث النفوس على اقتفاء آثارهم ، والتأسي بصالح أفعالهم، والاهتداء بمشكاة أنوارهم ، والإبتهاج بلذيذ أخبارهم ، والاقتضاء للدعاء لهم ، والتّرحم عليهم ، وعلى من أحيا ذكرهم ، وأحصى للغابرين الطرائف من أمور داريهم والنفائس مما كان يوجد لديهم ، أو يسند في طوائف الجوامع إليهم الجمّ الغفير .

ثمّ إنّه قال وكان كثيراً ما يشير إليّ بذلك على الخصوص ، ويرغّب فيه من حيث العموم ، وقد نبّه عليه في « منية المريد في آداب المفيد والمستفيد » فجمعت هذه النبذة اليسيرة وسمّيتها « بغية المريد من الكشف عن أحوال الشيخ زين الدين الشهيد » ورتبتها على مقدمة وفصول وخاتمة إلى أن قال بعد ذكر طرف بالغ من الثناء البليغ الأنيق عليه : لم يصرف لحظة من عمره إلاّ في اكتساب فضيلة ووزّع أوقاته على ما يعود نفعه في اليوم والليلة إليه ، أمّا النهار ففي تدريس ومطالعة وتصنيف ومراجعة وأمّا الليل فله فيه استعداد كامل لتحصيل ما يبتغيه من الفضائل .

هذا مع غاية اجتهاده في التوجه إلى مولاه ، وقيامه بأوراد العبادة حتى تكلّ قدماه وهو مع ذلك قائم بالنظر في أحوال معيشته على أحسن نظام ، وقضاء حوائج المحتاجين بأتم قيام ، يلقى الأضياف بوجه مسفر عن كرم كانسجام الأمطار ، وبشاشة تكشف عن شمم كالنسيم المعطار ، يكاد يبرح بالروح ، وترتاح إليه النفوس كالغصن المروح ، إن رآه الناظر على أسلوب ظنّ أنّه ما تعاطى سواه ، ولم يعلم أنّه بلغ من كلّ فنّ منتهاه ، ووصل منه إلى غاية أقصاه ، فجاء نظامه أرق من النسيم للعليل وآنق من الروض البليل .

أمّا الأدب فإليه كان منتهاه ، ورقى فيه حتى بلغ سهاه ، وأمّا اللغة فقد كان قطب مداره ! وفلك شموسه وأقماره .

وأمّا الحديث فقد مدّ فيه باعاً طويلاً ، وذلّل صعاب معانيه تذليلاً ، أدأب نفسه في تصحيحه وإبـرازه للنّاس حتى فشـا ، وجعل ورده في ذلـك غالبـاً ما بـين المغرب والعشاء وما ذاك إلاّ لأنّه ضبط أوقـاته بتـمامها وكـانت هذه الفـترة بغير ورد فزيّن الأوراد بختامها ، وأمّا المعقول فقد أتى فيـه من الإبداع مـا أراد ، وسبق فيه الأنداد والأفراد وأن تكلّم في علم الأوائـل يعني به السيّر والتواريـخ بهّج الأذهـان والألباب ، وولج منها كلّ باب .

وأمّا علوم القرآن العزيز ، وتفاسيره من البسيط والـوجيز ، فقـد حصل من فوائدها وحازها وعرف حقائقها ومجازها ، وعلم إطالتها وإيجـازها ، وأمّـا الهيئة ، والهندسة ، والحساب ، والميقات ، فقد كان له فيها يد لا تقصر عن الآيات ، وأمّا السلوك والتصوّف ، فقد كان له فيه تصرّف وأي تصرّف .

وبالجملة فهو عـالم الأوان ومصنّفه ، ومقـــرظ البيان ومشنفـه بتأليف كـأنّها الخرائد ، وتصانيف أبهى من القلائد ، وضعها في فنون مختلفة وأنـواع ، وأودعها مـا شـاء من الإتقـان والإبـداع ، وسلك فيهـا مسلك المـدققـين ، وهجـر طـريق المتشدّقين ثم إلى أن قال عنه : فصرف فيـه همته خـدمة للعلم وأهله ، فحـاز الحظّ الـوافر لمـا توجّـه إليه بكله ولقـد كان مـع علوّ رتبته وسمـوّ منزلتـه عـلى غـايـة من التـواضع ، ولـين الجانب ، ويبـذل جهده مـع كلّ وارد في تحصيـل مـا يبتغيـه من المطالب ، إذا اجتمع بالأصحاب عدّ نفسه كواحد منهم ، ولم تمل نفسه إلى التمييـز بشيء عنهم ، حتى أنـه كان يتعـرّض إلى ما يقتضيـه الحال من الأشغـال ، من غير نظر إلى حال من الأحوال ولا ارتقاب لمن يباشر عنه ما يحتاج إليه من الأموال .

ولقد شاهدت منه سنة ورودي إلى خدمته إنّه كان ينقل الحطب على حمار في الليـل لعيالـه ، ويصلي الصبح في المسجد ويشتغـل بـالتـدريس بقيّـة نهاره ، فلمّا أشعرت منه بذلك كنت أذهب معه بغير اختياره ، وكنت أستفيد من فضائله وأرى من حسن شـمائله ، ما يحملني عـلى حبّ ملازمتـه ، وعدم مفـارقته ، وكـان يصلّي العشـاء جمـاعـة ، ويـذهب لحفظ الكـرم ، ويصـلي الصبـح في المسجـد ويجلس للتدريس والبحث كالبحر الزاخر ، ويأتي بمباحث غفل عنها الأوائل والأواخر .

ولقـد اشتمل عـلى فضيلة جميلة ، ومنقبة جليلة تفـرّد بها عن أبناء جنسـه ،

وحباه الله بها تزكية لنفسه ، وهي أنّه من المعلوم البيّن أنّ العلماء رحمهم الله لم يقدروا على أنْ يروجوا أمور العلم وينظموا أحواله ويفرغوه في قالب التصنيف والترصيف حتى يتّفق لهم من يقوم بجميع المهمّات ، ويكفيهم كلّ ما يحتاجونه من المتعلّقات ، ويقطع عنهم جميع العلائق ، ويزيل عنهم جميع الموانع والعوائق ، أمّا من ذي سلطان سخره الله لهم ، أو من ذي مروّة وأهل خير يلقي الله في قلبه قضاء مهمّاتهم ، لئلاّ يحصل الإخلال باللطف العظيم ، ويتعطّل السلوك إلى المنهج القويم .

ومع ذلك كانوا في راحة من الخوف بالأمان ، وفي دعة من حوادث الزمان ، وكان شيخنا المذكور مع ما عرفت يتعاطى جميع مهمّاته بقلبه وبدنه ، حتى لو لم يكن إلاّ مهمّات الواردين عليه ، ومصالح الضيوف المترددين إليه ، مضافاً إلى القيام بأحوال الأهل والعيال ، ونظام المعيشة وأسبابها من غير وكيل ، ولا مساعد يقوم بها . حتى أنّه ما كان يعجبه تدبير أحد في أموره ، ولا يقع على خاطره ترتيب مرتب لقصوره عمّا في ضميره ، ومع ذلك كله فقد كان غالب الزمان في الخوف الموجب لإتلاف النّفس ، والتّستّر والإخفاء الذي لا يسع الإنسان معه أن يفكر في مسألة من الضروريات البديهية ولا يحسن أن يعلق شيئاً يقف عليه من بعده من ذوي الفطن النبيهة وسيأتي إن شاء الله في عدة تصانيفه على ما ظهر عنه في زمن غزارة العلوم المشتبهة بنفائس جواهر المنظومة وقد برز عنه مع ذلك من التصنيفات والأبحاث والتحقيقات والكتابة والتعليقات ما هو ناشيء عن فكر صاف وغارف من بحار علم واف بحيث إذا فكر من تفكّر في الجمع بين هذا وبين ما ذكرنا تحيّر وهذه فضيلة يشهد له بها كلّ من كان له به أدنى مخالطة ولا يمكن أحداً فيها مغالطة ومن الشاهد الواضح البيّن أنّ الواحد منّا مع قلّة موانعه وتعلّقاته وتوفير دواعيه وأوقاته لو بذل الجهد في استقصاء كتابة مصنّفاته وما برز من تحقيقاته لم يستطع من أصحابه استقصاها ولا بلغ منتهاها وكفاه بذلك نبلاً وفخراً .

وذكر أيضاً في موضع آخر من رسالته أنّه قدّس سره كان قد رأى النبي في منامه بمصر ووعده بالخير.قال:ولا أحفظ صورة المنام الآن فلمّا وقف على القبر يعني به المطهّر أيّام تشرّفه بزيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سفر حجّه سنة ثلاث وأربعين وتسع مئة ورآه خاطبه وأنشده وقال :

صَلاةٌ وتسليمٌ على أشرفِ الوَرَى وَمن فَضْلُهُ يَنبو عن الحدّ والحَصرِ
وَمَن قد رقي في السبع الطباق بنعلِهِ وَعوضه الله البراق عَنِ المهر
وَخاطبه الله العلي بحبّه شَفاها وَلَم يحصَل لِعبدٍ ولا حر
عدولي عن تَعدادِ فَضلك لائق يَكُلُّ لساني عَنهُ في النظم والنّثر
وَماذا يقولُ النّاسَ في مَدح من أتت مَدائحُه الغرّاء في مُحكم الذّكْرِ
سعيتُ إليه عاجلاً سعي عاجِزٍ بعبء ذُنوبي جمّة أثقلت ظهري
ولكنّ ريح الشوقِ حرّكَ همّتي وَرَوحُ الرجا مع ضعفِ نفسي ومع فقري
ومن عادة العرب الكرام بوفدِهم إعادته بالخير ، والحبر والوَفرِ
وإني بلا وفدٍ قد مضى لنزيلهم فكيف وقد أوعدتني الخير في مصرِ
فَحقّق رجائي سيدي في زيارتي بنيل مُنائي والشفاعَةِ في حشري

ثم قال طاب مثواه ووصل ووصلت رابع عشر شهر صفر سنة أربع وأربعين قلت : وكان قدومه إلى البلاد كرحمة نازلة ، وغيوث هاطلة ، أحيا بعلومه نفوساً أماتها الجهل ، وازدحم عليه أولو العلم والفضل ، إلى أن قال وفي هذه السنة توشح ببروز الاجتهاد ، وأفاض مولاه عليه من السعادة ما أراد إلّا أنه بالغ في كتمان أمره وأقام بها إلى سنة ستّ وأربعين وفي خلال هذه المدة عمّر داره التي أنشأها بجبع وقلت أمدحها :

فيالَكَ بُقعَةً قد نِلتَ خيراً وَشَرّفكَ الإلّهَ بِمَن وَطيكَ
لَقَد أصبحتِ تفتخرينَ بشراً بِزين الدين إذ قد حلّ فيكَ
فَكيفَ ولا افتخار وصِرتُ ظرفاً وَنَبعُ العِلم مَسكوبٌ بِفيك
تَمَنّى الوارِدُونَ بأن يكونوا مَكانَكَ في سَمارِ مُسامِريك
ليقتفئوا غرائب كلّ فنّ مِنَ الأقطار قد جُمِعنَ فيك
فَلاَ زال السُّرورَ بكلّ يومٍ يُخاطبُ بِالتحيّةِ ساكِنيكَ

وكان يحصل له بهذه الأبيات غاية الإبتهاج وشرع أيضاً في عمارة المسجد المجاور للدار المذكورة وانتهى في سنة ثمان وأربعين ثم قال : قال نفعنا الله بعلومه وسافرت إلى العراق لزيارة الأئمة عليهم السلام وكان خروجي سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ستّ وأربعين ورجوعي خامس عشر شعبان منها .

قلت وكنت في خدمته مع جماعة من الأصحاب وأهل البلاد تلك المدة وكانت من أبرك السفرات بوجوده واتّفق أنّه رافقنا من حلب رجل أخو بعض سلاطين الأزبك كان قد جاء من الحجّ ومعه جماعة ومن جملتهم رجل شيعي أعجمي ومنهم آخر من بلاده في غاية البغض للشيعة والبعد عنهم وكان شيخاً كبيراً طاعناً في السنّ وآخر ملاّ يصلي به إماماً وكان يظهر من الرجل الكبير بعد زائد عن الشيخ ورفقته فلم يزل ذلك العجمي يقرب خاطره حتّى ألّف بينه وبين الشيخ وما بقي يصلي إلاّ معه وإذا نزلت القافلة حين نزوله عن الفرس يجيء إلى عنده وألقى الله سبحانه حبّه في قلبه وترك الصلاة مع صاحبه الملاّء وجعله قائداً لكلاب كانت معه فحصل في نفسه ونفس ذلك الشيخ على شيخنا من الغلّ والحقد وعزما على السعاية عليه في بغداد .

وكان شيخنا في فكر لذلك حتى أنّه عزم على الرجوع إن لم يمكنه الزيارة خفيّة فلمّا وصلنا إلى الموصل ضعف ذلك الشيخ جداً وعجز عن السفر مع القافلة وانقطع هناك وكفاه الله شرّه وزار الشيخ الأئمة عليهم السلام مستعجلاً ورجع واجتمع عليه فضلاء العراق وكان منهم السيّد شرف الدين السمّاك العجمي أحد تلامذة المرحوم الشيخ علي بن عبد العالي وأخذ عليه العهد عند قبر الإمام أمير المؤمنين إلاّ ما أخبره إن كان مجتهداً وأقسم له أنّه لا يريد بذلك إلاّ وجه الله سبحانه .

ثم قال:قال أعلى الله شأنه في الجنة : وسافرت لزيارة بيت المقدس منتصف ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وتسع مئة وأجتمعت في تلك السفرة بالشيخ شمس الدين ابن أبي اللّطف المقدسي وقرأت عليه بعض صحيح الإمام البخاري وبعض صحيح مسلم وأجازني إجازة عامّة ثم رجعت إلى الوطن الأوّل المتقدّم وأقمت به إلى أواخر سنة إحدى وخمسين مشتغلاً بمطالعة العلم ومذاكرته مستفرغاً وسعي في ذلك ثمّ برزت إلى الأوامر الإلهية والإشارات الربانيّة بالسّفر إلى جهة الروم والإجتماع بمن فيها من أهل الفضائل والعلوم والتعلّق بسلطان الوقت والزمان السلطان سليمان بن عثمان وكان ذلك على خلاف مقتضى الطبع وسياق الفهم لكن ما قدر ما تصل إليه الفكرة الكليلة والمعرفة القليلة من أسرار الحقائق

وأحوال العواقب والكيس الماهر هو المستسلم في قبضة العالم الخبير القاهر الممتثل لأوامره الشريفة المنقاد إلى طاعته المنيفة .

كيف لا وإنّما يأمر بمصلحة تعود على المأمور مع اطلاعه على دقائق عواقب الأمور وهو الجواد المطلق والرحيم المحقق والحمد لله على أنعامه وإحسانه وامتنانه والحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يهمل من غفل عنه ولا يؤاخذ من صدف عن طاعته بل يقوده إلى مصلحته ويوصله إلى بغيته وكان الخروج إلى السفر المذكور بعد بوادر الأمر به والنواهي عن تركه والتخلّف عنه وتأخيره إلى وقت آخر ثاني عشر ذي الحجة الحرام سنة إحدى وخمسين وأقمت بمدينة دمشق بقيّة الشهر ثم ارتحلت إلى حلب ووصلت إليها يوم الأحد سادس عشر شهر المحرّم سنة اثنتين وخمسين وأقمت بها إلى السابع من شهر صفر من السنة المذكورة .

ومن غريب ما اتّفق لنا بحلب أنّا أزمعنا عند الدخول إليها على تخفيف الإقامة بها بكلّ ما أمكن ولم ننو الإقامة فخرجت قافلة إلى الروم على الطريق المعهود المارّ بمدينة إذنه فاستخرنا الله على مرافقتها فلم يخر لنا وكان قد تهيّأ بعض طلبة العلم من أهل الروم إلى السفر على طريق طرقات (طوقات) وهو طريق غير مسلوك غالباً لقاصد قسطنطنية وذكروا أنّه قد تهيأت قافلة للسفّر على الطريق المذكور فاستخرنا الله تعالى على السفر معهم فأخار به فتأخّر سفرهم وساءنا ذلك فتفاءلت بكتاب الله تعالى على الصبر وانتظارهم فظهر قوله تعالى ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشي يريدن وجهه ولا تعد عيناك عنهم** ﴾ فاطمأنت النّفس لذلك .

وخرجت قافلة أخرى من طريق أذنه وأشار الأصحاب برفقتهم لما يظهر من مناسبتهم فاستخرت الله على صحبتهم فلم يظهر خيرة وتفاءلت بكتاب الله على انتظار الرّفقة الأولى وإن تأخّروا كثيراً فظهر قوله تعالى ﴿ **ومن يولّهم يومئذٍ دبره** ـ إلى قوله ـ **فقد باء بغضب من الله** ﴾ ثمّ خرجت قافلة أخرى على طريق أدنه فاستخرت الله تعالى على الخروج معها فلم يظهر خيرة فضقت لذلك ذرعاً وساءتني الإقامة وتفاءلت بكتاب الله تعالى في ذلك فظهر قوله ﴿ **واتّبع ما يوحى إليك واصبر حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين** ﴾ ثمّ خرجت قافلة رابعة على الطريق المذكور

فاستخرت الله تعالى على موافقتها فلم يظهر خيرة وكانت القافلة التي أمرنا بالسّفر يوماً بعد يوم وتكذب كثيراً في أخبارنا ففتحت المصحف صبيحة يوم السبت وتفاءلت به فظهر قوله تعالى ﴿ وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ .

فتعجّبنا من ذلك غاية التّعجب وقلنا إن كانت القافلة تسافر في هذا اليوم فهو من أعجب الأمور وأغربها وأتّم البشائر بالخير والتّوفيق فأرسلنا بعض أصحابنا نستعلم الخبر فقالوا له إذهب لأصحابك وحملوا ففي هذا اليوم نخرج فحمدنا الله تعالى على هذه النّعم العظيمة والمنن الجسيمة التي لا يقدر على شكرها .

ثمّ بعد ذلك ظهر لإقامتنا بحلب تلك المدة فوائد وأسرار لا يمكن حصرها وظهر لسفرنا على الطريق المذكور أيضاً فوائد وأسرار وخيرات لا تحصى وأقلها أنّه بعد ذلك بلغنا ممن سافر على تلك الطريق التي نهينا عنها أن عليق الدواب والنّاس كان في غاية القلّة والصعوبة والغلاء العظيم حتى أنّهم كانوا يشترون العليقة الواحدة بعشرة دراهم عثمانيّة واحتاجوا مع ذلك إلى حمل الزّاد أربعة أيّام لعدم وجوده في الطريق لا للدواب ولا للإنسان فلو كنّا نسافر في تلك الطريق لاتّجه علينا ضرر عظيم لا يوصف بل لا يفي جميع ما كان بيدنا من المال بالصرّف في الطريق خاصّة لكثرة ما معنا من الدواب والاتباع وكانت العليقة في طريقنا أكثر الأوقات بدرهم واحد عثماني وأقلّ إلى أن وصلنا ولم نفتقر إلى حمل شيء البتة بل جميع طريقنا نمرّ على البلاد العامرة والخيرات الوافرة فالحمد لله على نعمه الغامرة .

وكان وصولنا إلى مدينة طوقات صبيحة يوم الجمعة ثاني عشر شهر صفر ونزلنا بعمارة السلطان بايزيد إلى أن قال ووصلنا يوم الأربعاء إلى مدينة أماسيّة وبها أيضاً عمارة السلطان بايزيد عظيمة البناء محكمة غاية الإحكام .

ثمّ إلى أن قال ومن غريب ما رأينا في الطريق أنّا مررنا بواد عظيم لم نر أحسن منه وليس فيه عمارة طوله مسيرة يوم تقريباً وفيه من سائر الفواكه والثمار بغير مالك بل هو نبات من الله سبحانه كغيره من الأشجار البرية وكذا فيه معظم أنواع المشمومات العطرة والأزهار الأرجة وممّا رأينا فيه من الجوز والرمان والبندق والعنب والعنّاب والتفاح وأنواع من الخوخ وأنواع من الكمثري والزّعرور والقراصيا حتّى

أنّ بعض أشجار القراصيا بقدر شجر الجوز الكبير بغير حرث ولا سقى وفيه البرباريس بكثرة ورأينا من المشمومات الورد الأبيض والأحمر والأصفر والياسمين الأصفر والبيلسان والزّيزفون والبان وكان ذلك الوقت أوان زهرها وفيه من الأشجار الجيّدة العظيمة شجر الصنّوبر والدلّب والصفصاف والملول وشجر البلوط .

وهذه الأشجار كلّها مختلفة بعضها ببعض ورأينا فيه أنواعاً كثيرة من الفواكه قد انعقد حبّها ولا نعرف أسماءها ولا رأيناها قبل ذلك اليوم أبداً ثمّ سرنا منه أياماً كثيرة ثمّ وصلنا إلى أرض أكثر شجرها الفواكه سيّما الخوخ والتفاح وأكثر ما اشتمل عليه ذلك الوادي يوجد فيها وسرنا في هذه الأرض خمسة أيّام وهي من أعجب ما رأينا من أرض الله تعالى وأحسنها وأكثرها فاكهة مجتمعة بعضها ببعض كأنّها حدائق منضودة بالغرس لا يدخل بينها أجنبي وفيها أشجار عظيمة طولاً وعرضاً وربما بلغ طولها مئتي شبر فصاعداً ودور بعضها يبلغ ثلاثين شبراً فصاعداً ومررنا في جملة هذا السيّر على مدن حسنة وقرى جيّدة .

وكان وصولنا إلى مدينة قسطنطينية يوم الإثنين سابع عشر شهر ربيع الأوّل من السنة السابقة وهي سنة اثنتين وخمسين وتسع مئة ووفق الله تعالى لنا منزلاً حسناً وفقاً من أحسن مساكن البلد قريباً إلى جميع أغراضنا وبقيت بعد الوصول ثمانية عشر يوماً لا اجتمع بأحد من الأعيان .

ثمّ اقتضى الحال أنّ كتبت في هذه الأيام رسالة جيّدة تشتمل على عشرة مباحث جليلة كلّ بحث في فنّ من الفنون العقلية والفقهية والتّفسير وغيرها وأوصلتها إلى قاضي العسكر وهو محمد بن قطب الدين بن محمد بن محمد بن قاضي زاده الرومي وهو رجل فاضل أديب عاقل لبيب من أحسن الناس خلقاً وتهذيباً وأدباً فوقعت منه موقعاً حسناً وحصل لي بسبب ذلك منه حظّ عظيم وأكثر من تعريفي والثناء علي للأفاضل وخلال هذه المدة بيني وبينه مباحثة في مسائل كثيرة من الحقائق .

قال ابن العودي قلت : من قواعد الأروام المقررة في قانونهم بحيث لا يمكن خلافه عندهم أنّ كلّ طالب منهم لا بدّ له من عرض قاضي جهته بتعريفه وأنّه أهل لما طلب إلاّ شيخنا قدّس الله سره فإنّه استخار الله سبحانه أن يأخذ عرضاً من

قاضي صيدا وكـان إذ ذاك القاضي معروف الشامي فلم يظهر خيرة وكان بينـه وبينه صحبة ومداخلة فبقي متحيراً في أنّه يسافر ولا يعلمه ولا يطلب منه عرضـاً فاقتضى الرأي أن أرسلني إليه لأسوق معه سيـاقاً يفهم منـه الأعلام بـالسّفر ولا أطلب منـه عرضاً فمضيت إلى عنده وأعلمته بذلك فقال نكتب له عرضاً فقلت:هـو ما قـال لي من جهة العرض.فقال:رواحه بلا عرض لا يمكن لأنّه لا ينقضي له مهمّ إلّا بـه البتة لأنّ من عادة هؤلاء الأروام وقانـونهم أنّهم لو مضى أمـام مذهبهم أبـو حنيفة وطلب منهم عرضاً من الأعراض يقولون له أين عرض القاضي فيقـول لهم : أنا أمامكم ولا أحتاج عرض القاضي فيقولون له:لا بدّ من ذلك نحن لا نعرف إلّا القانون .

ثم قال وحكي لنا قدّس سره أنّه اجتمع ببعض الفضلاء في قسطنطنية فسأله هل معك عـرض القاضي فقـال:لا.فقال:إذن أمـرك مشكل يحتـاج إلى تطويـل زائد فاخرج له الرسالة المذكورة التي ألّفها وقال هذا عرضي فقال لا تحتاج معه شيئاً .

قـال طاب ثـراه ففي اليوم الثـانيّ عشر من اجتـماعي بـه أرسـل إلى الـدفـتر المشتمل على الوظائف والمدارس وبذل لي ما اختاره وأكّد في كون ذلـك في الشام أو حلب فـاقتضى الحال أن اخـترت منه المـدرسة النـورية ببعلبـك لمصالـح وجدتهـا ولظهور أمر الله تعالى بها على الخصوص فاعرض لي بها إلى السلطان سليـمان وكتب بها براءة،وجعل لي في كلّ شهر ما شرطه واقفها السلطان نور الدين الشهيـد واتّفق من فضل الله سبحانه ومنّه لي في مـدّة أقامتي بـالبلدة المذكـورة من الألطاف الإلّهيـة والأسرار الربانيّة والحكم الخفيّة ما يقصر عنه البيان ويعجز عن تحريره البنان ويكلّ عن تقريره اللسان فللّه الحمد والمنّة والفضل والنعمة على هذا الشأن ونسأله أن يتمّ علينا منه الإحسان إنّه الكريم الوهّاب المنّان .

ثمّ إنّـه ذكر جملة من غـرائب نعم الله تعـالى عليـه في تلك البلدة وذكـر ابن العودي أيضاً اجتماعه فيهـا بالسيـد عبد الـرحيم العباسي صـاحب كتاب « معـاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص » .

وقال نقل شيخنـا منه جملة بخـطّه وذكر أنـه إذا تعلّق بشرح بيت من البيوت أتى على غالب أحوال منشده وأشعاره وما يتعلّق به وأطنب وله أيضاً أشعار جيّدة في الغاية توجد جملة منها بخطّ شيخنا في بعض المجاميع وقد كان قـدّس سره كثيراً مـا

يطوي ذكره علينا وأنّه من أهل الفضل التّام وله مصنّفات إلى أن نقل عنه أنّه قال ومدّة إقامتي بمدينة قسطنطنية ثلاثة أشهر ونصفاً وخرجت منها يوم السبت المذكور ! وعبرت البحر إلى مدينة اسكدار وهي مدينة حسنة جيدة صحيحة الهواء عذبة الماء محكمة البناء يتّصل بكلّ دار منها بستان حسن يشتمل على الفواكه الجيّدة العطرة على شاطىء البحر مقابلة لمدينة قسطنطنية بينهما البحر خاصة وأقمت بها أنتظر وصول صاحبنا الشيخ حسين بن عبد الصمد لأنّه احتاج إلى التأخّر عن تلك الليلة . ومن غريب ما اتّفق لي بها حين نزلت بها أنّي اجتمعت برجل هندي له فضل ومعرفة بفنون كثيرة منها الرمل والنجوم فجرى بيني وبينه كلام فقلت له إنّ قاضي العسكر أشار علي بأن أسافر يوم الإثنين وخالفته وجئت في هذا اليوم وهو يوم السبت حذراً من نحس يوم الإثنين بسبب كونه ثالث عشر الشهر وكان قد ذكر الي قاضي العسكر المذكور أنّ يوم الإثنين يوم خير للسفر لا يكاد يتّفق مثله بالنسبة إلى أحكام النجوم وأن سعده يغلب نحسه بسبب كونه ثالث عشر فقال لي ذلك الرجل الهندي على البديهة صدق القاضي في ما قال وأمّا يوم السبت الذي خرجت فيه فإنه يوم صالح لكن يقتضي أنّك تقيم في هذه البلدة أيّاماً كثيرة فاتّفق الأمر كما قال فإنّ الشيخ حسين بعد مفارقتي بحث عن أمر المدرسة التي كان قد أعطاه إيّاها القاضي ببغداد فوجد أوقافها قليلة فاحتاج إلى إبدالها بغيرها فتوقف لأجل ذلك أحداً وعشرين يوماً ثم اتّفق أن رقمت له شكلاً رملياً وطلبت البحث عنه ففكر فيه ساعة ثم أظهر لي منه أموراً كثيرة منها رأيتها موافقة للواقع بحسب حالي .

وكان مما آخرجه من بيت العاقبة أنّها في غاية الجودة والخير والتوفيق فالحمد لله على ذلك ومن بيت السفر أنّ هذه السفر صالحة حميدة جداً والعود فيها سعيد صالح لكن فيه طول خارج عن المعتاد بالنسبة إلى العود إلى الوطن وكان الأمر في الباطن على ما ذكر لأنّي كنت قد عزمت على التوجه إلى العراق لتقبيل العتبات الشريفة في طريق العود ثمّ ارجع منها إلى الوطن وذلك بعد تأكّد الأمر الإلهي لنا بذلك ونهينا عن تركه وكان خروجنا من اسكدار متوجهين إلى العراق يوم السبت لليلتين خلتا من شهر شعبان .

واتّفق أنّ طريقنا إليها هي الطريق التي سلكناها من سيواس إلى اسطنبول ووصلنا إلى مدينة سيواس يوم الإثنين لخمس بقين من شعبان وخرجنا منها يوم

الأحد ثاني شهر رمضان متوجهين إلى العراق وهو أوّل ما فارقناه من الطريق الأولى وخرجنا في حال نزول الثلج وبتنا ليلة الإثنين أيضاً على الثلج وكانت ليلة عظيمة البرد .

ومن غريب ما اتّفق لي تلك الليلة أن نمت يسيراً فرأيت كأنّي في حضرة شيخنا الجليل محمد بن يعقوب الكليني وهو شيخ بهي جميل الوجه عليه أبهة العلم ونحو نصف لمته بياض ومعي جماعة من أصحابي منهم رفيقي وصديقي الشيخ حسين بن عبد الصمد فطلبنا من الشيخ أبي جعفر الكليني المذكور نسخة الأصل لكتابه الكافي لننسخه فدخل إلى البيت وأخرج لنا الجزء الأوّل منه في غالب نصف الورق الشامي ففتحه فإذا هو بخطّ حسن معرّب مصحّح ورموزه بالذهب فجعلنا نتعجّب من كون نسخة الأصل بهذه الصفة فسررنا بذلك كثيراً لما كنّا قبل ذلك قد ابتلينا به من رداءة النّسخ فطلبنا منه بقيّة الأجزاء فجعل يتألّم من تقصير النّاس في نسخها ورداءة نسخهم إلى آخر ما ذكره من القصّة .

ثمّ قال ثمّ انتبهت وانتهينا بعد أربعة أيام من اليوم المذكور إلى مدينة ملطيّة وهي مدينة لطيفة كثيرة الفواكه تقرب من أصل منبع الفرات ومررنا بعد ذلك بمدينة لطيفة تسمى زغين وهي قريبة من منبع دجلة وكان وصولنا إلى المشهد المقدس المبرور المشرّف بالعسكريين بمدينة سامراء يوم الأربعاء رابع شهر شوال وأقمنا به ليلة الخميس ويومه وليلة الجمعة ثم توجهنا إلى بغداد ووصلنا المشهد المقدس الكاظمي يوم الأحد ثامن الشهر فأقمنا به إلى يوم الجمعة وتوجّهنا ذلك اليوم إلى زيارة ولي الله تعالى سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ورحلنا منه إلى مشهد الحسين (عليه السلام) ووصلنا إليه يوم الأحد منتصف الشهر المذكور وأقمنا به إلى يوم الجمعة وتوجهنا منه إلى الحلة وأقمنا بها إلى يوم الجمعة وتوجهنا منها إلى زيارة القاسم ثم إلى الكوفة ومنها إلى المشهد المقدّس الغروي وأقمنا به بقيّة الشهر وقد أظهر الله سبحانه لجماعة من الصالحين بالمشهدين وغيرهما آيات باهرة ومنامات صالحة وأسراراً خفية أوجبت كمال الإقبال وبلوغ الآمال فله الحمد والمنّة على كلّ حال .

قال ابن العودي:قلت ممّا أخبرني به من الكرامات بعد رجوعه من هذه

الزيارة في صفر سنة ست وخمسين وتسع مئة أنّه لما حرر الإجتهاد في قبلة العراق وحقّق حالها واعتبر محراب جامع الكوفة الذي صلى فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ووجد محراب حضرته المقدسة مخالفاً لمحراب الجامع وأقام البرهان على ذلك وصلّى فيه منحرفاً نحو المغرب لما يقتضيه الحال وقرّر ما أدى إليه اجتهاده في ذلك المجال وسلم طلبة العلم ذلك لما اتّضح الأمر لهم هنالك وتخلّف رجل عن التسليم أعجمي يقال له الشيخ موسى وانقطع عن ملاقاته لأجل ذلك ثلاثة أيام وأنكر عليه غاية الإنكار لما قد تردّد إلى تلك الحضرة من الفضلاء الأعيان على تغاير الزمان خصوصاً المرحوم الشيخ علي وغيره من الأفضال الذين عاصرهم هؤلاء الجماعة وهذا الموجب لنفورهم عمّا حقّقه الشيخ قدّ سره .

فلمّا انقطع الرجل المذكور عنه هذه المدة رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في منامه وأنّه دخل إلى الحضرة المشرّفة وصلّى بالجماعة على السمت الذي صلّى عليه الشيخ منحرفاً كانحرافه فانحرف معه أناس وتخلّف آخرون فلمّا فرغ النبي من الصلاة التفت إلى الجماعة وقال كلّ من صلّى ولم ينحرف كما انحرفت فصلاته باطلة ، فلمّا انتبه الشيخ موسى طفق يسعى إلى شيخنا ـ قدس سره ـ وجعل يقبّل يديه ويعتذر إليه من الجفاء والإنكار والتشكيك في أمره ، فتعجّب شيخنا من ذلك وسأله عن السبب فقصّ عليه الرؤيا كما ذكر .

ثم قال:قال أحسن الله جزاه وطيّب مثواه : ومما اتفق لي إني كنت جالساً عند رأس الضريح المقدّس ليلة الجمعة وقرأت شيئاً من القرآن وتوجّهت ودعوت الله أن يخرج لي ما اختبر به عاقبة أمري بعد هذه السفر مع الأعداء والحساد وغيرهم فظهر في أوّل الصفحة اليمنى ﴿**ففررت منكم لمّا خفتكم فوهب لي حكماً وجعلني من المرسلين**﴾ فسجدت لله شكرا على هذه النعمة والفضل بهذه البشارة السنية ، وكان خروجنا من المشاهد الشريفة بعد أن أدركنا زيارة عرفة بالمشهد الحائري ، والغدير بالمشهد الغروي ، والمباهلة بالمشهد الكاظمي سابع عشر شهر ذي الحجة الحرام من السنة المتقدمة ولم يتفق لنا الإقامة لإدراك زيارة عاشوراء مع قرب المدة لعوارض وقواطع منعت من ذلك والحمد لله على كلّ حال .

واتّفق وصولنا إلى البلاد منتصف شهر صفر سنة ثلاث وخمسين وتسع مئة

ووافقه من الحروف بحساب الجمل حروف غير معجّل وهو مطابق للواقع أحسن الله خاتمتنا بخير كما جعل بدايتنا إلى خير بمنّه وكرمه ، ثم أقمنا ببعلبك ودرسنا فيها مدة في المذاهب الخمسة وكثير من الفنون وصاحبنا أهلها على اختلاف آرائهم أحسن صحبة وعاشرناهم أحسن عشرة وكانت أياماً ميمونة وأوقاتاً بهجة ما رأى أصحابنا في الإعصار مثلها. قلت:كنت في خدمته تلك الأيام ولا أنسى وهو في أعلى مقام ومرجع الأنام وملاذ الخاص والعام ومفتي كل فرقة بما يوافق مذهبها ويدرّس في المذاهب كتبها وكان له في المسجد الأعظم بها درساً ! مضافاً إلى ما ذكر وصار أهل البلد كلّهم في انقياده ومن وراء مراده بقلوب مخلصة في الوداد وحسن الإقبال والاعتقاد وقام سوق العلم بها على طبق المراد ورجعت إليه الفضلاء من أقاصي البلاد ، ورقى ناموس السادة والأصحاب في الازدياد وكانت عليهم تلك الأيام من الأعياد ـ إلى أن قال ـ :

قال روّح الله روحه ثم انتقلنا عنهم إلى بلدنا بنيّة المفارقة امتثالاً لأمر النبي (ص) سابقاً في المشاهد الشريفة ولاحقاً في المشهد الشريف مشهد شيث(ع) وأقمنا في بلدنا إلى سنة خمس وخمسين مشتغلين بالدرس والتصنيف ثم قال هذا آخر ما وجدته بخطه الشريف مما نسبته إليه من التاريخ المنيف وهذا التاريخ كان خاتمة أوقات الأمان والسلامة من الحدثان ثم نزل به ما نزل .

ثم إلى أن قال : أخبرني قدس الله لطيفه وكان في منزلي بجزين متخفياً من الأعداء ليلة الإثنين حادي عشر شهر صفر سنة ست وخمسين وتسع مئة أنّ مولده كان في ثالث عشر شوال سنة إحدى عشر وتسعمأة وأنّ ابتداء أمره في الاجتهاد كان سنة أربع وأربعين وأنّ ظهور اجتهاده وانتشاره كان في سنة ثمان وأربعين فيكون عمره لما اجتهد ثلاثاً وثلاثين سنة .

وكان في ابتداء أمره يبالغ في الكتمان وشرع في«شرح الإرشاد» ولم يبده لأحد وكتب منه قطعة ولم يره أحد فرأيت في منامي ذات ليلة أنّ الشيخ على منبر عال وهو يخطب خطبة ما سمعت مثلها في البلاغة والفصاحة فقصصت عليه الرؤيا فدخل إلى البيت وخرج وبيده جزو فناولني إيّاه فنظرته فإذا هو « شرح الإرشاد » وقد اشتمل على الخطبة المعروفة التي أخذت بمجامع البراعة والفصاحة وتردت بحسن

الترصيع والبلاغة وقال أعلى الله درجته هذه الخطبة التي رأيتها وأمرني أن أطالع الجزء خفية وكان كلّما فرغ من جزءٍ يأتيني به فأطالعه وهذا الكتاب ما صنّف للشيعة مثله مزج المتن بالشرح ولم يسبق إلى هذه الطريقة من أصحابنا لو يتمّ به المراد ولكن حكمة الله تقتضي غالباً عكس ما يظهر لعقول العباد .

ثمّ أكب على المطالعة والتأليف واستفراغ الوسع في التدريس والتصنيف ألى سنة ثمان وأربعين وتسع مئة حتى أراد الله إظهار ما أراد كتمانه وأعلى في البرية شأنه فأوّل ما أفرغه في قالب التصنيف الشرح المذكور لإرشاد الإمام العلامة جمال الدين الحسن بن المطهر قدّس الله روحه يعرف فضله من وقف عليه من أولي الفضل ورفع حجاب الهوى عن بصيرة العقل خرج منه مجلّد ضخم ثم قطع عنه على آخر كتاب الصلاة والتفت إلى التعلّق بأحوال الألفية والمقلّدين في الصلاة اليومية وكتب عليها حاشية وسطى تتعلّق بمهمات وأخرى مختصرة تكتب على الهامش لتقييد الفتوى وغالب العبادات وشرحاً مطولاً ، مجلداً كاملاً مزج فيه المتن بالشرح أيضاً واشتمل على مباحث شريفة وتحقيقات لطيفة ومن مصنفاته شرح « الرسالة النفلية » للإمام السعيد أبي عبد الله الشهيد مزجاً مجلد .

ومنها « الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية » للشيخ المبرور المحبور الشهيد المذكور مجلّدان مزجاً أيضاً سلك فيه مسلكاً لطيفاً وحرّره تحريراً معروفاً إلى أن قال وأمّا رغبته في شروح المزج فإنّه لما رآها للعامة وليس لأصحابنا منها حملته الحميّة على ذلك ومع ذلك فهي في نفسها شيء حسن ومنها « شرح الشرائع » الذي تفجّرت منه ينابيع الفقه وأخذ بمجامع العلم سلك فيه أولاً مسلك الاختصار على سبيل الحاشية حتى كمل منه مجلّد وكان رحمه الله كثيراً ما يقول نريد أن نضيف إليه تكملة لاستدراك ما فات .

ثم أخذ في الأطناب حتى صار بحراً تسلك فيه سفن أولي الألباب فكمل سبعة مجلّدات ضخمة من أحرزه فقد أحرز تمام الفقه ممّا حواه واستغنى بمطالعته عن غيره من كلّ كتاب سواه ومنها كتاب تمهيد القواعد الأصولية والعربية لتفريع الأحكام الشرعية مجلّد سلك فيه مسلكاً بديعاً ومنهجاً غريباً ما سبق إليه رتّبه على قسمين أحدهما في تحقيق القواعد الأصولية وتفريع ما يلزمها من الأحكام الفرعية .

والثاني في تقرير المطالب العربية وترتيب ما يناسبها من الفروع الشرعية واختار من كلّ قسم منهما مئة قاعدة متفرّقة من أبواب مضافة إلى مقدمات وفوائد ومسائل لا نظير لها في ردّ الفروع إلى أصولها المقيّدة بالملكة القدسية التي هي العمدة في المسائل الاجتهادية ومنها حاشية على قطعة من عقود الإرشاد للعلاّمة مشتملة على تحقيقات مهمة ومباحث محررة ومنها حاشية على قواعد الأحكام للعلاّمة أيضاً حقّق فيها المهمّ من المباحث ومشى فيها مشي الحاشية المشهورة بالنجاريّة للشيخ الشهيد وغالب المباحث فيها بينه وبينه برز منها مجلّد لطيف إلى كتاب التجارة .

ومنها كتاب « منية المريد في آداب المفيد والمستفيد » مجلد مشتمل على مهمّات جليلة وفوائد نبيلة ومنها حاشية مختصر على الشرائع خرج منها قطعة صالحة ومنها جزو لطيف يشتمل على خلافيات الشرائع ومنها حاشية على المختصر النّافع ومنها رسالة في « أسرار الصلاة » القلبية التي رتبها على ترتيب الألفية ومنها رسالة في « أحكام نجاسة البئر بالملاقاة وعدمها » .

ورسالة فيما إذا تيقن الطهارة والحدث وشكّ في السابق منهما ورسالة«فيما إذا أحدث المجنب في أثناء غسل الجنابة حدثاً أصغر » ورسالة في « تحريم طلاق الحائض الحايل الحاضر زوجها المدخول بها » ورسالة تشتمل على حكم « صلاة الجمعة في حال الغيبة » ورسالة في « الحث على صلاة الجمعة » ورسالة نفيسة في « بيان حال حكم المسافر » إذا نوى إقامة عشرة أيام في غير بلده وتقسيم المسألة إلى أقسامها المشهورة سمّاها « نتائج الأفكار في حكم المقيمين في الأسفار » ومنها منسك الحجّ والعمرة .

ورسالة لطيفة في نيّاتها ، ورسالة في « أحكام الحبوة » ، ورسالة في « ميراث الزوجة » ورسالة في«أجوبة ثلاثة على ثلاث مسائل » لبعض الأفاضل،ورسالة في عشرة مباحث في عشرة علوم صنّفها في اسطنبول وعقد في كلّ مبحث أشكالاً يعجز عن حلّه الراسخون في العلم ومنها كتاب « مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد » ومنها رسالة في« الغيبة » وتحقيق أحكامها ورسالة في« عدم جواز تقليد الأموات من المجتهدين»صنّفها برسم الصالح الفاضل المرحوم السيد حسين بن أبي الحسن قدّس الله روحه ومنها « البداية في علم الدراية » وشرحها ومنها كتاب«غنية القاصدين»في معرفة اصطلاحات المحدّثين وهذا العلم لم يسبقه أحد من علمائنا إلى

التصنيف منه ومنها كتاب « منار القاصدين » في أسرار معالم الدين .

ومنها رسالة«في شرح قوله(صلى الله عليه وآله وسلم)الدنيا مزرعة الآخرة» انتهى ما نقلناه بعيون ألفاظه أو مع إسقاط بعض تفاصيل الضمن عن القطعة الصالحة التي وجدت عندنا من رسالة ابن العودي المتقدّم إلى وصفه الإشارة في ترجمة صاحب العنوان وكأنّ صاحب الأمل أيضاً لم يكن عنده أكثر ممّا وجد عندنامنها لأنّه قال وقفت على نبذة منه وانتخبت منه بعض أحواله .

وأقول فأمّا كتاب شرح إرشاده الموصوف فهو ما سمي بـ « روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان » ولم يمرّ به إلاّ على ما ذكره ابن العودي فيما ينيف على عشرين ألف بيت وأما شروحه الثلاثة على ألفية الشهيد فهي أيضاً لطيفة جداً وأكبرها موسوم بـ« المقاصد العلية » فيما يقرب من ثمانية آلاف بيت أنّ أكثره مأخوذة من شرح الشيخ علي المحقق حرفاً بحرف كما لا يخفى على المتأمل وشرحه على رسالة النفليّة موسوم بالفوائد المليّة وهو نصف المقاصد تخميناً وكلاهما بطريق المزج ومع التّعرض إلى بعض الإستدلال .

وأمّا شرحه على « اللمعة » فهو من أشهر ما كتبه وحرّره وليس تدرك الدقائق اللفظية والمعنوية التي اعتبرها فيه إلاّ بمراجعات دقيقة ومطالعات عميقة وكان قد صنّفه في مقابلة بعض كتب العامّة المتحدية بها عندهم في هذا الشأن مع أنّه لم يصرف غاية جده فيه ولا بذل نهاية جهده في مطاويه لما نقل أنّه كان في كلّ يوم يكتب منها غالباً كرّاساً ويظهر من نسخة الأصل أيضاً أنه ألّفه في ستة أشهر وستّة أيام كما ذكره صاحب « الأمل » وصرّح به أيضاً « الحدائق » وغيره وفي بعض المواضع أنّه صنّفه في قريب من خمسة عشر شهرا وهو أيضاً عجيب وقد تعرّض لشرحه والتعليق عليه جماعة من فضلاء الأصحاب منهم ولده الشيخ حسن وولد ولده الشيخ محمد ثم ولده الثالث الشيخ على ورأيت شرح الشيخ علي المرحوم في مجلّدين كتابيين .

ومنهم الفاضل الهندي والآقا جمال الدين الخوانساري وشرحهما كبيران جداً في عدة مجلدات ومنهم الخليفة سلطان الحسيني والشيخ جعفر القاضي المقدم إلى ترجمتها الإشارة وحواشي كل منهما تنيف على عشرة آلاف بيت ومنهم في هذه

الأواخر الأقا محمد عليان الفقيهان الألمعيان ابنا الآقا محمد باقرين المجتهدين اللوذعيين أعني المروّج البهبهاني والهزار جريبي المتوطّن بأرض الغري وشرحهما أيضاً في نهاية البسط وغاية التحبير وأكبر من الشرحين المتقدمين عليهما بكثير وخصوصاً الشرح المنسوب إلى ولد الأخير ولا ينبّئك مثل خبير .

ومنهم السيدان الفاضلان المؤيّدان المسميان كلاهما بالحسين أحدهما الأمير محمد حسين بن الأمير محمد صالح الأصفهاني الخاتون آبادي والآخر الأمير سيد حسين ابن السيّد أبو القاسم الخوانساري جدّ مؤلف هذا الكتاب وقد تقدّمت لك ترجمة كلّ منهما في بابه بأحسن ما يكون .

وأمّا كتاب « تمهيد القواعد الأصولية والعربية » فهو كما قد تعرّض نفسه قدّس رمسه في بعض إجازاته لحقيقة وصفه بقوله وهو كتاب واحد في فنّه بحمد الله ومنّه ومن وقف على الكتاب الموما إليه علم حقيقة ما نبّهنا عليه.انتهى.وله رحمه الله تعالى فهرست كبير لكتابه المذكور مرتّب مهذّب لولاه لتعسّر الإطلاع على ما أودعه فيه من التأسيس والتفريع وأمّا كتاب « مسالك الأفهام » الذي كتبه في « شرح شرائع الإسلام » فهو أيضاً من الكتب المعتبرة المعروفة المتطايرة على أيدي المتفقهين إلى هذا الزمان وتقرب عدد أبياته من مئة وعشرين ألف بيت وقد نظم الشيخ حسن المحقق ولد المصنّف في وصفه :

لَولاَ كِتابُ مَسالِكِ الأفهام ما اتّضحَتْ طَريقُ شرائعِ الإسلامِ
كَلاَ ولا كَشَفَ الحِجابَ مؤلفٌ عَن مُشكلاتِ غَوامِض الأحكامِ

إلى تمام سبعة أبيات فاخرة إلاّ أن الأمر في مجلده الأوّل كما أشير إليه من قبل وقد تعرّض لتدارك ما فات عنه صاحب « المدارك » الذي هو من أهل بيت المصنّف رحمه الله ويقال أنّه صنّف ذلك الكتاب أيضاً في مدة تسعة أشهر والله يعلم أنّ الكاتب الموجز نفسه لمحض الكتابة يصعب عليه مثل ذلك غالباً إلاّ أن التأييد من عند الله تعالى شيء آخر .

ويؤيّد صحّة هذه النسبة مضافاً إلى ما عرفته ما نقله صاحب « حدائق المقرّبين » عن جماعة من العلماء أنّه ألّفه في زمان قليل وما تقدّم من حكاية تأليفه شرح اللمعة ، أيضاً في عدة أشهر مع كونه كتاب تصنّع وتجويد وأنّ صاحب« الأمل»

ينقل عن بعض ثقاته أنّه رحمه الله خلف ألفي كتاب منها مئتا كتاب كانت بخطّه الشريف من مؤلفاته وغيرها وإنّ الشيخ أسد الله الفقيه الكاظمي رحمه الله قد عدّ في مقدّمات كتاب مقابسه من جملة مشاهير كرامات هذا الشيخ الجليل كتابته بغمسة واحدة في الدواة عشرين أو ثلاثين سطراً بل قال وربّما قيل أربعين أو ثمانين وله ستون مصنفاً وكان الروض أوّلها بعدما بان اجتهاده وهو في سنّ ثلاث وثلاثين سنة .

قلت بل قد كان له من المصنّفات أكثر مما ذكره هذا الشيخ بكثير لأنّ ما عرفته من رسالة ابن العودي يزيد على خمسة وثلاثين منها وذكر أيضاً صاحب الأمل من جملة ذلك رسالته في « طلاق الغائب » ورسالته في « آداب الجمعة » وهما غير رسالتيه في « صلاة الجمعة » ورسالته الثانية في « مناسك الحج » ورسالته في « الإجتهاد » وكأنّها هي التي توسم « بالإقتصاد والإرشاد إلى طريق الإجتهاد » وتوجد نسختها عندنا ونسبها إليه السيد صدر الدين القمي شارح الوافية ومنها أيضاً كتاب « الرجال والنسب » وتحقيق الإسلام والإيمان ورسالته في « النية » ورسالته « في أن الصلاة لا تقبل إلاّ بالولاية » ورسالته في « فتوى الخلاف » من اللمعة ورسالة في « تحقيق الإجماع » وكتاب له في الإجازات » ومنظومة له في « علم النحو » وشرحه عليها ورسالة في « شرح البسملة » و« سؤالات الشيخ زين الدين وأجوبتها » و« سؤالات الشيخ أحمد وأجوبتها » و« فتاوى الشرائع » و« فتاوى الإرشاد » و« مختصر الخلاصة » و« فتاوى المختصر » و« رسالة في تفسير قوله تعالى والسابقون الأولون » ورسالة في « تحقيق العدالة » و« جواب المسائل الخراسانية » و« جواب المباحث النجفية » و« جواب المسائل الهندية » و« جواب المسائل الشامية » و« الرسالة الأسطنبولية » في الواجبات العينية وكتاب « البداية في سبيل الهداية » و« إجازة الشيخ حسين بن عبد الصمد » وهي إحدى الإجازات الثلاث المشهورات و« فوائد خلاصة الرجال » وكأنّها التي يعبر عنها بتعليقاته في كتب الرجال ورسالة في « تفصيل ما خالف فيه الشيخ الطوسي إجماعات نفسه » وهي في الحقيقة ردّ على مطلق الإجماعات المنقولة وإنكار على المتكلمين عليها و« رسالة في ذكر أحواله » وهي التي ينقل عنها ابن العودي كثيراً .

وكتاب « مختصر منية المريد » و« مختصر مسكن الفؤاد » ونقل في سبب تصنيفه لكتابه

المسكّن كثرة ما توفي له من الأولاد بحيث لم يبق له منهم أحد إلاّ الشيخ حسن المرحوم وكان لا يثق بحياته أيضاً وقد استشهد وهو صبي غير مراهق، كما قد عرفت وإن لكتابه هذا فوائد جمة وأحاديث نادرة ولطائف عرفانية قلّما يوجد نظيره في كتاب إلاّ أنّ ما أفرغناه في قالب التأليف من مقولة تلك الأخبار وما يتعلّق بأبواب البلاء وقصص الصابرين والصابرات وأمثال ذلك وسميناه « بتسلية الأحزان » أفيد وأجمع وأتمّ وأنفع من ذلك الكتاب بكثير ، وقد أودعت خاتمته أربعين مجلساً من مجالس مصيبة أهل البيت عليهم السلام .

هذا ومن جملة مصنّفاته غير المذكورة في الأمل أيضاً على ما ذكره صاحب رياض العلماء وغيره ، بتعليقاته اللطيفة على كتاب المسالك في مجلدتين ، وشرحه الصغير على الشرائع بمثل ذلك وإنّ احتمل الإتحاد بينهما بل الإتحاد بينهما وبين حاشيته المختصرة على الشرائع وحواشيه على خلافيات الشرائع .

ومنها رسالة في « تحقيق حالة الإجماع » ، وكتاب « جواهر الكلمات » في صيغ العقود والإيقاعات ، ومنها رسالته المعروفة في « عينية صلاة الجمعة » ، كما يظهر من نسبة جماعة من العلماء وصرّح بها أيضاً صاحب « المدارك » الذي هو أبصر بها من غيره في مسألة الجمعة وكذلك الفاضل المولى محمد السراب في رسالته ، بل السيد علي الصايغ الذي هو من أجلاء تلامذته في شرحه على « الإرشاد » كما نقل عنه ، وغيره من الفضلاء المستبصرين بأحوال النسب والرجال إلى غير ذلك من الحواشي والرسائل وأجوبة المسائل والخطب الفاخرة الأنيقة والقصائد والأشعار الرشيقة المنتسبة إليه في رسالة ابن العودي وغيره والعجب من صاحب الأمل أنّه لا ينقل عنه إلاّ هذين البيتين :

لَقَدْ جاءَ في القُرآنِ آيةُ حِكمةٍ تُدَمِّرُ آياتَ الضلالِ ويَجبُرُ
وتخبر أنّ الإختيار بأيدينا « فمن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفُر »

ويقول عند ذكرهما وما رأيت له شعراً إلاّ بيتين رأيتهما بخطّه ونسبهما إلى نفسه مع أنّ الظاهر أنّ القطعة التي كان قد أنشدها عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونحن نقلناها عنه كانت عنده لأنّه ينقل عن ابن العودي كثيراً فليتأمل . ثمّ ليعلم أنّ ما يظهر من كتاب « نقد الرجال » أنّ وفاة هذا الشيخ

المستسعد بدرجة الشهادة كانت في مدينة قسطنطنية لأجل التشيّع سنة ست وستين وتسع مئة.وفي شرح محمد بن خاتون العاملي على أربعين شيخنا البهائي أيضاً التصريح بوقوع قتله في قسطنطنية كما نقل عنه ولكنّ المشهور أنّه استشهد في طريق ذلك البلد والمنقول عن خطّ الشيخ حسن المحقق ولده أنّه استشهد في سنة خمس وستين وهو في سن أربع وخمسين سنة .

وعن خط السيد علي الصايغ المتقدّم إليه الإشارة أنّه رحمه الله أسر وهو طائف حول البيت واستشهد يوم الجمعة في شهر رجب تالياً للقرآن على محبة أهل البيت والحال أنّه غريب ومهاجر إلى الله سبحانه .

وفي الأمل أنّ سبب قتله على ما سمعته من بعض المشايخ ورأيت بخطّ بعضهم أنّه ترافع إليه رجلان فحكم لأحدهما على الآخر فغضب المحكوم عليه وذهب إلى قاضي صيدا واسمه معروف وكان الشيخ في تلك الأيام مشغولاً بتأليف شرح اللمعة فأرسل القاضي إلى جميع من يطلبه وكان مقيماً في كرم له مدة منفرداً عن البلد متفرّغاً للتأليف فقال له بعض أهل البلد قد سافر عنّا منذ مدة وفي رواية أنّه كتب فيما أرسله إليه أيّها الكلب الرافضي فكتب الشيخ في جوابه أنّ الكلب معروف قال فخطر ببال الشيخ أن يسافر إلى الحج وكان قد حجّ مراراً لكنه قصد الاختفاء فسافر في محمل مغطّى .

وكتب القاضي إلى سلطان الروم أنّه قد وجد ببلاد الشام رجل مبدع خارج عن المذاهب الأربعة فأرسل السلطان رجلاً في طلب الشيخ وقال له ايتني به حياً حتى أجمع بينه وبين علماء بلادي فيبحثوا معه ويطلعوا على مذهبه ويخبروني فأحكم عليه بما يقتضيه مذهبي فجاء الرجل فأخبر أنّ الشيخ توجّه إلى مكّة فذهب في طلبه فاجتمع به في طريق مكة فقال له تكون معي حتى نحج بيت الله ثم أفعل ما تريد فرضي بذلك .

فلما فرغ من الحج سافر معه إلى بلاد الروم فلما وصل إليها رآه رجل فسأله عن الشيخ،فقال:هذا رجل من علماء الشيعة أريد أن أوصله إلى السلطان.فقال:أو ما تخاف أن يخبر السلطان بأنّك قصّرت في خدمته وآذيته وله هناك أصحاب يساعدونه فيكون سبباً لهلاكك بل الرأي أن تقتله وتأخذ برأسه إلى السلطان.فقتله في مكان

من ساحل البحر وكان هناك جماعة من التركمان فرأوا في تلك الليلة نوراً ينزل من السماء ويصعد فدفنوه هناك وبنوا عليه قبة وأخذ الرجل رأسه إلى السلطان فأنكر عليه وقال أمرتك أن تأتيني به حياً فقتلته وسعى السيد عبد الرحيم العباسي في قتل ذلك الرجل فقتله السلطان انتهى .

وكان القاضي معروف الملعون الموصوف هو الذي أرسل إليه الشهيد رحمه الله تلميذه ابن العودي بمدينة صيدا ولم يتوقّع منه العرض إلى سلطان الروم استغناء عنه والظاهر كون ذلك العمل أيضاً منشأ لتشدّد غيظه عليه وحسده منه حتى أن فعل به ما فعل في مقام الفرصة .

ولكن في الأمل أنّ السبب في ذلك كثرة قراءته على علماء العامة وروايته عنهم ومراودته معهم على ما يظهر لنا من تتبع كتب الأصول وكتب الحديث ويظهر من الشيخ حسن ولده عدم الرضا بما فعله هو وكذلك العلاّمة والشهيد قال وكان الشيخ زين الدين الثاني الذي هو من أفاضل أحفاد هذا الشيخ يقول قد أكثر المتأخرون التأليف وفي مؤلفاتهم سقطات كثيرة عفا الله عنا وعنهم وقد أدّى ذلك إلى قتل جماعة منهم وكان يتعجّب من جدّه الشهيد الثاني ومن الشهيد الأوّل والعلامة في كثرة قراءتهم على علماء العامة وكثرة تتبّع كتبهم في الفقه والأصولين والحديث وقراءتها عندهم وكان ينكر عليهم ويقول قد ترتّب على ذلك ما ترتب .

قلت ويشبه هذه الحكاية عمّار بن ياسر وأباه في اشترائه سلامة نفسه بالتقيّة من الكفار في أمرهم إياه بالبراءة من النبي (ص) وسبّه وعدم رضا أبيه بذلك وأفدائه النّفس دون محبّة نبيه الأمجد (ص) وسبقته إيّاه إلى الجنة كما في الحديث وفي الآية : ﴿ **قل كلّ يعمل على شاكلته** ﴾ وفي النبوي المرسل : كلّ ميسر لما خلق له . فلا بحث على أحد من الطرفين في الواقع .

ومن العجب أنّ هذا الشيخ قد كتب نفسه في بعض تصانيفه أنّ من الإلقاءات الجائزة المستحسنة للأنفس إلى التهلكة فعل من يعرض نفسه للقتل في سبيل الله إذا رأى أنّ في قتله يسبب ذلك عزة للإسلام ولا شبهة أنّ ذلك من أفعال الكرام دون اللئام ومن خصال أولياء الله البررة الأعلام الذين لهم الأسوة الحسنة بالحسين الشهيد المظلوم عليه السلام .

وقال في « لؤلؤة البحرين » أقول وجدت في بعض الكتب المعتمدة في حكاية قتله رحمه الله أيضاً ما صورته : قبض شيخنا الشهيد الثاني رحمه الله بمكة المشرفة بأمر سلطان سليم ملك الروم وفي خامس شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وتسع مئة وكان القبض عليه بالمسجد الحرام بعد فراغه من صلاة العصر وأخرجوه إلى بعض دور مكة وبقي محبوساً هناك شهراً وعشرة أيام ثمّ ساروا به على طريق البحر إلى قسطنطنية وقتلوه بها في تلك السنة وبقي مطروحاً ثلاثة أيام ثم ألقوا جسده الشريف في البحر ، انتهى .

وفي مقامات السيد نعمة الله الجزائري أنّه كان يقرأ في سطور دمه من يعرف حاله ورسمه : الله الله . فبنوا عليه بناء خارج اصطنبول يسمّى ميرزا زين الدين ولي ومن جملة كراماته المنقولة في حقه عن بعض مؤلفات شيخنا البهائي رحمه الله أنّه قال :

أخبرني والدي قدّس سره أنّه دخل في صبيحة بعض الأيام على شيخنا الشيخ المعظّم عليه فوجده متفكّراً فسأله عن سبب تفكّره فقال يا أخي أظنّ أنّي أكون ثاني الشهيدين وفي رواية ثاني شيخنا الشهيد في الشهادة لأني رأيت البارحة في المنام أنّ السيد المرتضى علم الهدى رحمه الله عمل ضيافة جمع فيها العلماء الإمامية بأجمعهم في بيت فلمّا دخلت عليهم قام السيد المرتضى ورحب بي وقال لي:يا فلان اجلس بجنب الشيخ الشهيد.فجلست بجنبه فلمّا استوى بنا المجلس انتبهت من المنام ومنامي هذا دليل ظاهر على أنّي أكون تالياً له في الشهادة .

وعنه أيضاً بطريق آخر أنّه مرّ على مصرعه المعروف في بعض زمن حياته ومعه والد شيخنا البهائي أيضاً قال فلما رأى ذلك المكان تغيّر لونه وقال سيهرق في هذا المكان دم رجل كبير فظهر بعد أيام أنّه كان نفسه رحمه الله وفي بعض المواضع أنّ وجد في تلك الليلة التي قتل رحمه الله في نهارها على جسده المطهّر نور يمتد إلى السماء وعلى صدره رقعة فيها مكتوب « رب إنّي مغلوب فانتصر » ، وعلى وجهها الآخر « إن كنت عبدي فاصطبر » .

ولا يبعد جميع ذلك من مثل هذا الرجل الجليل العالم والعارف العابد النبيل فإنّ من النبويات القطعية المؤيّدة بعقليات الدليل ما نقله الفريقان عنه (صلى الله

عليه وآله وسلم) من أنّ علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل ثم أنّ في الأمل أنّ من جملة من أنشد المراثي على مصيبة هذا الشيخ بعد السيد رحمة النجفي الذي رثاه بقصيدة طويلة وكذلك السيد عبيد النجفي الذي أنشد في مصيبته طويلاً وغيرهما من الأدباء الموفقين هو تلميذه المؤيّد بهاء الدين محمد بن علي بن الحسن العودي صاحب الرسالة المتقدّم لك إسمه وذكر من جملة قصيدته قوله شكراً لله نواله :

هَذي المنازِل والآثار والطلل ... مخبراتٌ بأنّ القوم قد رحلوا
ساروا وقد بعدت عنّا منازلهم ... فالآن لا عوض منهم ولا بَدَلُ
فسِرتُ شرقاً وغرباً في تطلّبهم ... وكلّما جئتُ ربعاً قيلَ لي رَحلُوا
فَحينَ أيقَنْتُ أنّ الذكْرَ منقطِعٌ ... وأنّه ليس لي في وَصلِهم أمَلُ
رَجعت والعين عبرى والفؤاد شجٍ ... والحزنُ بي نازلٌ والصّبرُ مُرتَحِلُ
وعاينتُ عيني الأصحابَ في وَجلٍ ... والعين مِنهمُ بميلِ الحزنِ تكتحلُ
فَقلتُ ما لكم لا خابَ فألكم ... قَد حالَ حالكم والضرُّ مُشتملُ
هل نالكم غيرَ بعد الألفِ عن وطنٍ ... قالوا فُجعنا بِزينِ الدين يا رجُلُ
أتى من الرومِ لا أهلاً بمقدِمِه ... ناعٍ نَعاهُ فَنارَ الحُزنِ تَشتَعِلُ
فَصارَ حُزني أنيسي والبُكا سكني ... والنّوحُ دأبي وَدمعُ العين يَنهمِلُ
لهفي له نازحُ الأوطانَ مُنجدلاً ... فَوقَ الصّعيدِ عَليهِ التّربَ مُشتَمِلُ
أشكو إلى الله شَكوى ليسَ يُشبهُه ... إلا مصاب الأولى في كربلا قُتلوا

وفيه أيضاً أنه قال في تاريخ وفاته بعض الأدباء :

تاريخ وفاةِ ذلك الأوّاه ... الجنّةُ مُستقرّه والله

أقول : وكان هذا البعض هو شيخنا البهائي المرحوم ، كما في بعض المواضع المعتبرة ، وقيل أيضاً في تاريخ شهادته رحمه الله : « مثوى الشهيد جنة » ولكن بينهما اختلاف في سنة واحدة ، كما أشير إلى ذلك أيضاً من قبل ثمّ ليعلم في مثل هذا الموضع أنّ الظاهر أنّ لقب شيخنا المعظّم إليه المتصدّر به عنوان الترجمة هو اسمه الشريف ، كما صرّح به أيضاً جماعة وذلك أنّه لو كان غير ذلك لصرّح به نفسه في ضمن واحد من تصنيفاته المتكثرة ، أو كان ينصّ عليه أحد من فضلاء أولاده وتلامذته في شيء من المواضع ولا بدع له أيضاً في ذلك .

وإذن فلا عبرة بما قد يتوهّم من أنّ إسمه الشريف اسم أبيه عليّ ، وأنّ عدم اشتهاره مبني على ملاحظة نفسه الحرمة من والده المبرور مثلاً ، وإن وجد في الرياض نسبة ذلك إلى بعض خطوطه المباركة أيضاً ، بل وإلى خطّ تلميذه الأجل الأمجد حسين بن عبد الصمد وخطّ الفاضل المحدّث المتبحر السيد ميرزا محمد بن شرف الدين علي بن نعمة الله الموسوي الذي هو من مشايخ إجازة صاحب البحار ، ومن الراوين عن الشيخ المحقق عبد النبي بن سعد الجزائري ، عن الشيخ علي الكركي المحقق في كتابه الكبير الذي سمّى بـ«جوامع الكلم» ، أو غيره ولا بما نقل عن توهّم سيّدنا السميّ الداماد في سنده بعض الأدعية من أنّ اسمه الشريف اسم جده أحمد ، بل هذا أبعد عن الأوّل بمراتب فرحمة الله على النبّاش الأوّل ويقوي ما ذكره أحسن تقوية حكاية نقش خاتم ولده الشيخ حسن بهذا البيت .

بمُحمّدٍ والآلِ مُعتصمُ   حَسن بن زين الدين عبدهم

فليتفطن ، ثمّ إنّ من جملة من سمى بهذا اللقب الشريف ، هو حفيده السعيد شيخنا زين الدين بن محمد بن الحسن بن الشهيد ، وكان عالماً فاضلاً كاملاً متبحراً محقّقاً ثقة صالحاً عابداً ورعاً شاعراً منشئاً أديباً حافظاً جامعاً لفنون العلم العقليّات والنقليات جليل القدر عظيم المنزلة لا نظير له في زمانه كما ذكره صاحب الأمل ، وكان من تلامذته وهو قد تلمّذ على أبيه وجملة من تلامذته ، وكذا على المولى محمد أمين الأسترآبادي وجماعة من علماء العرب والعجم ، وكان قد سافر إلى العجم فأنزله شيخنا البهائي في منزله بإصفهان وأكرمه إكراماً تاماً ، وبقي عنده أيضاً مدة طويلة مشتغلاً عنده قراءة وسماعاً لمصنّفاته وغيرها في العلوم الرياضية وغيرها ، ثم سافر إلى مكة في السنة التي انتقل فيها الشيخ بهاء الدين ، فجاور بها مثل والده المبرور زمناً بعيداً ثم رجع إلى بلاده .

وكان مولده سنة تسع وألف ، وتوفي سنة أربع وستين وألف كما نقل عن كتاب الدرّ المنثور لأخيه الشيخ علي ، وأنّى هو منه في الجلالة والتوفيق وقوة النظر والتحقيق ، وفي الأمل أنّه جاور بمكة مدة وتوفي بها ودفن عند خديجة الكبرى ، وكان له شعر رائق وفوائد وحواش كثيرة ، وديوان شعر صغير رأيته بخطّه ولم يؤلّف كتاباً مدوناً لشدة احتياطه ولخوف الشهرة ، وكان يقول إلى آخر ما ذكرناه في ترجمة

جدّه إلى أن قال : ومن شعره كذا وكذا ثمّ ذكر حكاية تدلّ على حضور جوابه وعظم استحضاره ونهاية دقة نظره ، ثم قال قد رثيته بقصيدة طويلة بليغة وذكر منها قوله :

وَبِالرّغمِ قولي قَدّس الله روحه وقد كنت أدعو أن يطول له البقاء

ثم إلى أن قال : نروي عنه رحمه الله عن مشايخه جميع مروياتهم ، وذكره أيضاً صاحب سلافة العصر بأتّم تفصيل وذكره من شعره كثيراً ، هذا ومن جملة من يذكره صاحب الأمل أيضاً من المسميين بهذا اللقب ، هو الشيخ زين الدين الشيخ علي أخي هذا الشيخ وكأنه المعروف بالشيخ زين الدين الصغير في مقابلته ، كما أن الشيخ علي بن زين الدين الوسط هذا هو المشتهر بالشيخ علي الصغير في مقابلة عمه الشيخ علي اشتبه من زعم أنّ الشيخ علي الصغير هو أخو الشيخ زين الدين الوسط في مقابلة الشيخ علي المحقق ، كما ذكره لنا بعض أفاضل سادات بلادهم المقدسة رحمه الله .

وقد عرفت من موضعين من أوائل الترجمة إشارة ، إلى الشيخ زين الدين بن علي البقعاتي ، الذي هو أيضاً من الفضلاء الصالحين ، وكان من تلامذة الشيخ علي الميسي ورفقاء حضرة الشهيد رحمه الله ، ولنا أيضاً في هذه الأواخر شيخ جليل من الفضلاء يدعى بالشيخ زين الدين بن عين علي الخوانساري ، وهو الذي كتب من أجله الأمير محمد حسين الكبير إمارته الكبيرة الموسومة بـ«مناقب الفضلاء» وكأن توفي في أواخر زمن تسلط جند أفغان على بلاد العجم ، أم أوائل جلوس النادر شاه والله أعلم بحقائق الأمور .

بــاب

ما أوله الزاي المعجمة من سائر أطباق الفريقين

٣٠٧

الإمام المتقدم المعروف المنزلة بين أرباب السريرة والملأ زّبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله المازني النحوي اللغوي المقريء المعروف بأبي عمرو بن العلاء(*)

الإمـام المتقـدم المعـروف بـين السبعـة المشهـورين الـذين تقـدمت إليهم الإشارة ، في ذيل ترجمة حمزة بن حبيب الكوفي القـاريء المشهور ، مـع فوائـد جمة أخرى تتعلّق بذلك المقام ، وينتفع بها الناظرون لتوابع المرام وجواهر الكلام .

قال الحافظ المتبحّر السيوطي في كتابه الـموسوم بـ « بغيـة الوعـاة » في طبقات اللغويين والنحاة عند ذكره لهذا الرجل في باب ما أوّلـه العين بعنـوان أبي عمرو بن العـلاء إلى آخر مـا ذكرنـاه من النسب والأوصـاف : اختلف في اسمـه عـلى أحـد وعشرين قولاً أوّلها أن اسمه كنيته ، الثاني أنّ اسمه زبّان وهو الأصح ، وقيل : إنّ اسمه جزء وقيل جنيد ، وقيل جبر ، وقيل : حمّاد ، وقيل : حميد ، قيـل : خير ، وقيـل : ربان بـراء مهملة ، وقيل : عتيبـة ، وقيل : عثـمان ، وقيل : عـريـان ،

(*) له ترجمة في : الأنساب ص ٥٥٥ ، البداية والنهاية ج ١٠ ص ١١٢ ، تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٢٦٢ ، تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ١٧٨ ، الـذريعة ج ١ ص ٣١٨ ، شـذرات الذهب ج ١ ص ٢٣٧ ، العـبر ج ١ ص ٣٢٣ ، المعـارف ص ٥٣١ ، نـور القبس ص ٢٥ ، وفيـات الأعيـان ج ٤ ص ١٣٦ .

وقيل : عقبة ، وقيـل : عمّار ، وقيـل : عيار ، وقيـل : عيينة ، وقيـل : فائـد ، وقيل : قبيصة ، وقيل : محبوب ، وقيل : محمد ، وقيل يحيى ، وسبب الاختلاف في اسمه أنّه كان لجلالتـه لا يسأل عنـه . كان إمـام أهل البصرة في القـراءة والنحو واللغة ، أخذ عن جماعة من التابعين ، وقرأ القرآن على سعيد بن جُبير ومجاهـد ، وروى عن أنس بن مالك ، وأبي صالح السمان وعطاء وطائفة قال أبو عبيـدة : أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر، وكانت دفاتره ملء بيته إلى السقف ، ثم تنسّـك فأحـرقها . وكـان من أشراف العرب ووجهـائها مـدحـه الفرزدق ، ووثقه يحيى بن معين وغيره .

وقال الذهبي قليل الرواية للحديث ، وهو صدوق حجّة في القراءات وكـان نقش خاتمه :

وإنّ امـرأً دنـيـاه أكـبر همـه　　لَمستمسِك منها بِحبـلِ غُـرورِ

وقيل وليس له من الشعر إلاّ قوله :

وأنكرتني وما كـان الذي نكـرتَ　　مِنَ الحوادِث إلاّ الشيبِ والصّلعا

قـرأ عليه اليـزيدي وعبـد الله بن المبارك وخلق وأخـذ عنه الأدب وغـيره أبو عبيـدة والأصمعي وخلق . وقال سفـاين بن عيينة : رأيت النبي (صـلى الله عليه وآله وسلم) في النوم ، فقلت يا رسول الله قد اختلفت على القـراءات فبقراءة من تأمرني ! فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) بقـراءة أبي عمرو بن العـلاء مات سنـة أربع وقيل تسع وخمسين ومأة ، أسندنا حديثـه في الطبقـات الكبرى ، ولـه ذكر في جمع الجوامع[1] انتهى . وقد عرفت فيما سبق أنّ الترجيح في جميع القراءات السبّـع مـع قراءة عـاصم بن أبي النجـود التي هي بـروايـة أبي عمـرو بن سليـمان المـدعـو بحفص ، كـما عن شرح الشاطبيـة ، أو بـروايـة أبي بكـر المسمّى بشعبـة كـما عن تصريح العلامة ، وأنّ الأصح من القولين المذكورين هو الأوّل وعليه المعوّل ، هذا ولأبي عمرو المذكور أيضاً أخ فاضل متفنّن يدعى بأبي سفيـان بن العلاء وهـو أيضاً كما في البغية نقلاً عن الزبيدي والقفطي : كان من النحويـين وأصحاب القـراءات

(١) بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٣١ .

قائماً بعلم النّسب ، واسمه وكنيته ، روى عنه شعبة ووثّقه يحيى .

ومات سنة خمس وستين ومئة[١] وقال أيضاً في ترجمة جهم بن يخلف المازني التميمي اللغوي الأديب : له اتّصال في النّسب بأبي عمرو بن العلاء قال ياقوت : كان راوية علاّمة بالغريب والشعر ، يقارب الأحمر والأصمعي ، ومدحه ابن مناذر بقوله :

سميتُم آل العلاء لأنّكم أهلُ العلاء ومَعدَنُ العِلمِ
ولقد بنى آل العلاء لمازن بيتاً أحلّوهُ مع النّجمِ[٢]

وقال أيضاً في ترجمة عبد الله بن زيد بن الحارث الحضرمي البصري ابن أبي إسحق المشهور بكنية والده : أحد الأئمة في القراءات والعربية ، أخذ القرآن عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم ، وروى عن أبيه عن جدّه ، عن علي (عليه السلام) . وتناظر هو وأبو عمرو بن العلاء وهو الذي مدّ للقياس ، وشرح العلل ، قال السيرافي : وكان أشدّ تجريداً للقياس ، ويعيب الفرزدق وينسبه إلى اللحن ، فهجاه بقوله :

فَلَو كان عبد الله مولى هجوتُه ولكن عبد الله مولى المواليا

فقال له : لحنت ، ينبغي أن تقول مولى موالٍ[٣] .

٣٠٨

الشيخ الفاضل أبو عبد الله الزبير بن بكار وكنيته أبو بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي الزهري(*)

قال ابن خلّكان : كان من أعيان العلماء ، وتولّى القضاء بمكة حرسها الله

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٩٢ .
(٢) بغية الوعاة ج ١ ص ٤٨٩ .
(٣) بغية الوعاة ج ٢ ص ٤٢ .
(*) له ترجمة في : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٤ ، تاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٦٧ ، تذكرة الحفاظ ج ٢ =

تعالى ، وصنّف الكتب النافعة ، منها كتاب « أنساب قريش » وقد جمع فيه شيئاً كثيراً وعليه اعتماد الناس في معرفة نسب القرشيين ، ولـه غيره مصنّفـات دلّت على فضله ، واطّلاعه ، روى عن ابن عيينـة ومن في طبقته ، وروى عنـه ابن مـاجـة القزويني وابن أبي الدنيا وغيرهما ، وتوفي بمكة وهو قاضٍ عليها سنة ست وخمسين ومئتين ، وعمره أربع وثمانون سنة انتهى . وهو غير أبي عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان الفقيه الشافعي المعروف بالزبيري البصري الذي روى عنه النقاش صاحب التفسير وغيره، وهو عن داوود بن سليمان المؤدّب وغيره، وكان ثقـة صحيح الـرواية عند أهل مذهبه ، وكان أعمى وله مصنّفات كثيرة منهـا « الكافي » في الفقـه وكتاب « النيـة » وكتاب « الهـداية » وكتـاب « الاستخارة والاستشـارة » وكتاب « ريـاضة المتعلّم » وكتاب « الإمارة » وغـير ذلك ولـه في المذهب وجـوه غريبـة ، وتوفي قبـل العشرين وثلاث مئة كما ذكره أيضاً صاحب وفيات الأعيان .

٣٠٩
الشيخ الفاضل الفقيه الأديب زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر اللحياني الهنتاني صاحب تونس(*)

قـال الحافظ السيـوطي قـال الصفـدي : كـان فقيهـاً فـاضـلاً ، وقـد أتقن العربية ، واطّلع على غوامض المعاني الأدبية ، ونظم الشعر ، وأتى فيـه بالسحـر ، ووزر لابن عمـه المستنصر مدة، ثم ملك سنـة ثمانـين وستّ مئة، ثم خلع، ثم حـجّ سنة ثماني عشر وسبع مئة واجتمـع بالتقي ابن تيميـة، ورجع إلى تـونس، وقد مـات صاحبها ، فملكوه ، ولقب القائم بأمر الله ، فوثب عليه قرابته أبـو بكر ، فـرفض الملك ، وسار إلى الإسكندرية ، وأقام بها إلى أن مات في المحرّم سنة سبع وعشرين

= ص ١٠٩ ، شـذرات الـذهـب ج ٢ ص ١٣٣ ، العـبر ج ٢ ص ١٢ ، معـجـم الأدبـاء ج ٤ ص ٢١٨ ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٨ .

(*) له ترجمة في : البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٢٩ ، بغية الـوعاة ج ١ ص ٥٦٩ ، تـاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٣٢٥ ، الدرر الكامنة ج ٢ ص ١١٣ ، شذرات الـذهب ج ٦ ص ٧٦ ، النجوم الـزاهرة ج ٩ ص ٢٦٨ .

وسبع مئة، ومولده بتونس سنة نيف وأربعين وستّ مئة، انتهى[١]. والظاهر أنّ شيخ الإسلام زكريّا المعروف بأبي يحيى الأنصاري الموصوف بخاتمة المتأخرين أيضاً هو هذا الرجل بعينه، وله الحاشية المعروفة بين المبتدئين على « شرح الفية ابن الناظم » وقد أشير إلى طبقة الرجل في ذيل ترجمة أحمد بن حجر العسقلاني المحدّث فلا تغفل، وأمّا تونس فهي كما في « تلخيص الآثار » من جملة الإقليم الثالث ومدينة كبيرة على ساحل البحر، قصبة بلاد إفريقية، أصح بلادها هواءاً وأعذبها ماء، بها من الثمار والفواكه ما لا يوجد في غيرها، وبها أنواع السمك يرى في كل شهر نوع من السمك مخالفاً لما كان قبله، فيملّح ويبقى سنين صحيح الجرم طيّب الطعم .

وقال أيضاً في ترجمة إفريقية : وكانت قديماً بلاداً كثيرة، والآن صحارى مسافة أربعين يوماً بأرض المغرب، بها برابر بقبائلها، وماء أكثر بلادها من الصّهاريج بها معدن الفضّة والحديد والنّحاس والرصاص والكحل والرخام، ومضت ترجمة إفريقية في ذيل ترجمة إبراهيم بن عثمان القيرواني فليراجع .

٣١٠
القاضي عميد الدين زكريا بن محمد بن محمود القزويني(*)

صاحب كتاب « عجائب المخلوقات » المعروف بين الطائفة وغيرهم، والمنقول عنه كثيراً في البحار وغيره، كان من أعاظم علماء أهل السنة ومحدثيهم الحفّاظ، ومتفننيهم المهرة في علوم المعاني والألفاظ، وكان في طبقة مولانا العلّامة الحلّي ومن أعيان المئة الثامنة، وقد أدرك مجلسه السيد غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاووس رحمهما الله تعالى، ويروي عنه كتابه المذكور ونحن نروي عنه بإسنادنا المعنعن عن الشهيد الأوّل عن ابن معية عنه فليلاحظ .

---

(١) البغية ج ١ ص ٥٦٩ .

(*) له ترجمة في : الذريعة ج ١ ص ٧، وج ١٥ ص ٢١٩، كشف الظنون ج ٢ ص ١١٢٧، الكنى والألقاب ج ٣ ص ٦١، هدية العارفين ج ١ ص ٣٧٤ .

٣١١
الشيخ البارع النحوي اللغوي زيد بن علي بن عبد الله الفارسي الفسوي(*)

نسبته إلى مدينة فسا المتقدّم إليها الإشارة في ذيل ترجمة أبي علي الفارسي قال ابن عساكر في تاريخ دمشق وكذلك ابن العديم في تاريخ حلب كما ذكره صاحب البغية : كان فاضلاً عالماً بعلم اللغة والنحو ، عارفاً بعلوم كثيرة . شرح الإيضاح وحماسة أبي تمام ، وأقرأ النحو بحلب ، وروى بها الإيضاح عن أبي الحسين ابن أخت الفارسي عن خاله ـ والحديث عن ابن نعيم الهروي وغيره . قرأ عليه الشيخ أبو البركات عمر بن ابراهيم الكوفي ، وسمع منه أبو الحسن علي بن طاهر النحوي وغيره . وسكن دمشق وأقرأ بها ، ومات بطرابلس في ذي الحجة ـ وقيل ذي القعدة ـ سنة سبع وستين وأربع مئة(١)وهو غير زيد الموصلي النحوي الذي يعرف بمرزكة بتشديد الكاف وكان شاعراً أديباً رافضياً كما عن الصلاح الصفدي .

قال وله يرثى الحسين (عليه السلام) :

فَلَولاَ بُكاء المزنِ حزناً لِفقدِهِ ... لِما جاءنا بَعد الحسين غمامُ
وَلَو لم يشق الليل جلبابَه أسى ... لما انجاب من بعدِ الحسينِ ظلام(٢)

٣١٢
الشيخ المتقدم الإمام الحافظ تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن ابن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث اللغوي النحوي المعروف بأبي اليمن الكندي البغدادي(*)

ولد ببغداد سنة عشرين وخمس مئة ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ،

(*) له ترجمة في : أنباه الرواة ج ٢ ص ١٧ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٥٨٣ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٥٨٣ ، تلخيص ابن مكتوم ص ٧٢ ، مختصر ابن عساكر ج ٦ ص ٢٥ ، معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٢٤ .

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٧٣ .

(٢) بغية الوعاة ج ١ ص ٥٧٤ .

(*) له ترجمة في أنباه الرواة ج ٢ ص ١٠ ، بغية الوعاة ج ١ ص ٥٧٠ ، شذرات الذهب ج ٥ =

وأكمل القراءات العشر وهو ابن عشر ، وكان أعلى أهل الأرض استاذاً في القراءات[1] كما ذكره الحافظ السيوطي وكان أوحد عصره في فنون الآداب وعلوّ السماع ، وشهرته تغني عن الأطناب في وصفه ، وكان يبتاع الخلع ويسافر بها إلى بلاد الروم ويعود إليها ، ولقي جملة المشايخ وله كتاب « مشيخة » ومن جملة ما نقله عنها أنّه لقي جار الله الزمخشري على باب أستاذه أبي محمد بن الخشّاب وهو يمشي في جاون خشب لأنّ إحدى رجليه كانت قد سقطت من الثلج ، فالناس يقولون هذا الزمخشري ، كما ذكره ابن خلّكان وقال الذهبي المؤرخ كما نقل عنه أنّه قال لا أعلم أحداً من الأئمة عاش بعد ما قرأ القرآن ثلاثاً وثمانين سنة غيره ، وقرأ العربية على أبي محمد سبط أبي منصور الخيّاط وابن الشجري وابن الخشّاب ، واللغة على موهوب الجواليقي ، وسمع الحديث من أبي بكر ابن عبد الباقي ، وخرج له أبو القاسم بن عساكر مشيخة في أربعة أجزاء ، وقدم دمشق ونال الحشمة الوافرة والتقدّم ، وازدحم عليه الطلبة . وكان حنبلياً[2] وتقدّم في مذهب أبي حنيفة وأفتى ودرّس وصنّف وأقرأ القراءات والنحو واللغة والشعر . وكان صحيح السماع ، ثقة في النّقل ، ظريفاً في العشرة ، طيّب المزاج ، قرأ عليه جماعة ، وآخر من روى عنه بالإجازة أبو حفص بن القواص ثمّ أبو حفص العقيمي . إلى أن قال وله حواشٍ على ديوان المتنبي ، وحواش على خطب ابن نباته ، أجاب عنهما الموفّق البغدادي ، توفي سنة ثلاث عشر وستّ مئة وانقطع بموته إسناد عظيم .

وفيه يقول تلميذه الشيخ علم الدين السخاوي وكان يبالغ في وصفه :

لم يكن في عصر عمرو مِثلُهُ ‏ وَكَذا الكِندي في آخر عصرِ
وهُما زيد وعمرو إنّما ‏ بُنِيَ النحو على زيدٍ وعمرو

وكتب إليه أيضاً ابن الدهان الفرضي :

يا زيد زادك ربي من مواهِبَهُ ‏ نعماء تقصر عن إدراكها الأملُ

= ص ٥٤ ، العبر ج ٥ ص ٤٤ ، مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٦ ، معجم الأدباء ج ٤ ص ٣٢٢ ، النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢١٦ ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٨٧ .

(١) البغية ج ١ ص ٥٧٠ .

(٢) في المصدر : وكان حنفياً فصار حنبلياً وتقدم . . .

لا بـدّلَ الله حـالاً قـد حبـاك بهـا ... مـا دار بـين النّحـاةِ الحـالُ والبَـدلُ
الـنحـو أنـت أحـق الـعـالمـينَ بِـه ... أليسَ بـاسمِكَ فيـه يُضـرَبُ المَثَـلُ

كما ذكره صاحب الوفيات وكان عصره قريباً منه وأدرك جماعة من أصحابه قال : وتوفي في التاريخ المتقدم ذكره بدمشق ، ودفن من يومه بجبل قاسيون ، وهو جبل مطل على دمشق وفيه قبور أهلها وتربهم وفيه مدارس ورباطات وجامع ، وفيه نهران مـزبد وبـوراً[1] ثمّ إنّ من جملة نظمـه الذي أورده صـاحب البغيـة وهـو من رشيق النظم :

يـا سـيـف ديـن الله عش سـالمـاً ... فـالـديـن مـا عِـشـت بِـهِ بـاره
ودُم لأهـل العلمِ مـا دامتِ الـدُّنيـا ... فـأنـت الـعـالِم الـداره
إنّ الـذي سـمـوا إلى نـيـل مـا ... شـيـدت مـن أكـرومـةٍ وارِه
كـم لـك عـنـد الـروم مـن وقـعـة ... ذِكـرك في الـدُّنـيـا بهـا جـاره
عـفَـفـتَ إلاّ عـن نـفـوس لهـم ... أنـتَ إلـيـهـا أبـداً شـاره
وكـم لهـم مـن مـقـلةٍ طـرفـهـا ... لـلـذلّ مـن أدمـعـه مـاره
أنـت بـإذلالِ الـعـدا حـيـثـما ... كـانـوا وإعـزاز الـعـدا غـاره
كـم تشـتكـي الخيـل إليـك السُّري ... هـل أنـتَ بـالـرِفـقِ لهـا آرِه !
أنـحلتَـهـا بـالـغـزو حـتى استـوى ... في الأيـن مـنـهـا الجـذع والـقـاره
هـذي قـوافي الخـالـويهـي لا ... يـطرح مـنـهـا لـفـظة طـاره
ألّـفـهـا الـكـنـدي طـوعـاً ولـن ... يـسـتـوي الـطائـعُ والـكـارِه
والخـلعـة الحـسـنـاء حـقّـي عـلى ... مـا قـلتـه والمـركـب الـفـاره

ثم قـال : باره أي مـترجرج نعمـه ، وداره براق ، ووارِه : أحمق ، وجـاره معلن . وشـاره من الشره ، وماره غـير مكحّل ، وعـاره مغـري ، وآره مـريـح ، والقاره . القارح . وطاره : طارح ، والفاره ، صفات البغـل والحمار ولا يـوصف بـه الفرس ، ثم أنّـه قال حضر التـاج الكنـدي في ثـالث عشر رجب سنة خمسـين وستّ مئـة عند الـوزير وحضر ابن دحيـة فأورد ابن دحيـة حديث الشفـاعـة ، فلمّا وصـل إلى قـول الخليل (عليـه السـلام) إنّمـا كنت خليـلاً من وراء وراء فتـح ابن دحيـة

(١) في الوفيات : ثوري ويزيد .

الهمزتين فقال الكندي وراء وراء بضمّ الهمزتين فعسر ذلك على ابن دحية وصنّف في المسألة كتاباً سمّاه « الصارم الهندي » في الردّ على الكندي ، وبلغ ذلك الكندي فعمل مصنّفاً وسمّاه « نتف اللحية من ابن دحية » وورد على الكندي سؤال ما الفرق بين « طلّقتك إن دخلت الدار » وبين « إن دخلت الدار طلقتك » فألّف في الجواب عنه مؤلفاً ، فرد عليه معين الدين محمد بن علي بن غالب الجزري وسمّاه « الاعتراض المبدي بوهم التاج الكندي » .





الفهــارس

للجزء الثالث

مــن

روضــات الجنـات

فهرس الأعلام

(ت)

(ث)

(خ)

(د)

(ز)

(س)

(غ)

(ف)

(ل)

(ن)

(هـ)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس الأمم والقبائل والفرق والأيام



فهرس الأماكن والبلدان

(ت)

(ج)

فهرس الكتب

(خ)

(د)

(ز)

(س)

(ش)

(ن)




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المحتويـــات

الفهارس






Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

